

كتاب تنبيه المغترين للقطب الربانى والمحقق الصمدانى سيدنا ومولانا العارف بربه سيدى عبد الوهاب الشعرانى

عمت بركاته المسلمين

آمين

(وبهامشه كتاب الكشف والتبيين فى غرور الخلق أجمعين للشيخ الامام العالم العلامة محمد بن محمد بن محمد الغزالى رحمه الله تعالى)

محل مبيعه بمكتبة ملتزمه حضرة مصطفى أفندى فهمى الكتبى قريبا من الجامع الازهر بمصر

(طبع)

بالمطبعة المحمودية بمصر المحميه

سنة ١٣١٥

هجريه



﴿ ماشاء الله ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

الحمد لله رب العالمين وأصلي وأسلم على سيدنا محمد وعلى سائر الانبياء والمرسلين وعلى آلهم وصحبهم أجمعين وأقول سبحانك لا علم لنا الا ما علمتنا انك أنت العليم الحكيم ﴿ وبعد ﴾ فهذا كتاب نفيس صغير الحجم كبير القدر ضمنته جملة صالحة مما كان عليه السلف الصالح من صفات معاملتهم مع الله تعالى ومع خلقه وحررته على الكتاب والسنة تحرير الذهب والجوهر وذلك بحسب فهمي حال التأليف فهو كالكتاب المسمى المنهاج للامام النووي في الفقه فكما ان علماء العصر يفتون الناس بما فيه وما حوى من الترجيحات كذلك علماء الصوفية رضي الله عنهم يفتون بما في هذا الكتاب من النقول المحررات الجيدات فاني شيدت أخلاقه بافعال السلف الصالح من الصحابة والتابعين والعلماء العاملين رضي الله عنهم أجمعين وبما من الله تعالى علي بالتخلق به أوائل دخولي في طريق محبة القوم خوفا ان يقول بعض المتعنتين كيف يأمرنا فلان بالتخلق باخلاق القوم وهو نفسه لم يقدر على هذه الاخلاق فلذلك صرحت بكثير من الاخلاق التي من الله تعالى بها علي دون أقراني بقولي وهذا خلق غريب لم أجد من تخلق به في هذا الزمان غيري تنبيها للسامعين على تخلقي به واني مادعوتهم الى التخلق به الا بعد تخلقي به ولولا ذلك لكان الاولى بنا كتم ذلك عن الاخوان كبقية أعمالنا التي لم نر من يطلب الاقتداء بنا فيها اذلا فائدة في اظهار الاعمال الا لاحد شيئين اما ليقتدي الناس بالعبد فيها واما ليظهرها من باب الشكر لله تعالى لا غير وكان لسان حالي يقول لكل متعنت أنظر يا أخي في أخلاقي فما وجدتني يا أخي متخلقا به فتخلق به وما بقي لك عذر وما لم تجدني متخلقا به فعذري عذرك فيه وكثيرا ما أكرر الخلق مرارا بعبارات مختلفة اقتداء بالقرآن العظيم وبصحيح الامام البخاري وغيره من كتب الادلة وبيانا للاعتناء بشأن ذلك الخلق وكثرة تساهل الناس بتركه كما أقول في بعض الاوقات وهذا الخلق قد صار غريبا في هذا الزمان ولا أعلم أحدا من أقراني تخلق به غيري اشارة لقلة من تخلق به من الاقران لا ازدراء للاخوان كما قد يتوهم معاذ الله أن أقصد مثل ذلك وكان من الباعث الاعظم لي على تأليف هذا الكتاب ما رأيته من تفتيش جماعة مولانا السلطان سليمان بن عثمان في النصف الثاني من القرن العاشر على ما اختلسه العمال وغيرهم من ماله نصرة له وما رأيت أحدا من علماء الشرع يفتش على ما اندرس من معالم أخلاق الشريعة المحمدية

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾ وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم آمين وبه ثقتي الحمد لله وحده وصلى الله على خير خلقه سيدنا محمد وعلى آله وصحبه (وبعد) فهذا كتاب الكشف والتبيين في غرور الخلق أجمعين * اعلم أن الخلق قسمان حيوان وغير حيوان والحيوان قسمان مكلف وغير مكلف فالمكلف من خاطبه الله بالعبادة وأمره بها ووعده بالثواب عليها ونهاه عن المعاصي

نصرة لرسول الله صلى الله عليه وسلم كما فعل جماعة مولانا السلطان نصره الله فأخذتني الغيرة الايمانية على الشريعة وألفت هذا الكتاب كالمبين لما اندرس من معالم أخلاقها في دولة علماء الظاهر والباطن فهو نافع لكل فقيه وصوفي في هذا الزمان لا يكاد أحد منهم يستغني عن النظر فيه كما ستعرفه عند مطالعتك الكتاب ان شاء الله تعالى وهو كالسيف القاطع لعنق كل مدع للمشيخة في هذا الزمان بغير حق لانه يفلسه حتى يرى نفسه منسلخة من أخلاق القوم كما تنسلخ الحية من ثوبها واني أعرف بعض جماعة بلغهم أمر هذا الكتاب فتكدروا ولو أمكنهم سرقته وغسله لفعلوا خوفا أن ينظر فيه أحد ممن يعتقدهم فيتغير اعتقاده فيهم حين يراهم بمعزل عن التخلق باخلاق القوم الذين يزعمون انهم خلفاؤهم وكان الاولى بهم الفرح والسرور به فانه كله نصح ولا يجد أحد منهم من ينصحه بمثله في مثل هذا الزمان وقد ألف أخي الشيخ أبو الفضل رحمه الله ميزانا في نصح اخوانه وغيرهم نحو خمسة أوراق فكتبوها بماء الذهب واللازورد وفرحوا بها أشد الفرح فرضي الله عن الصادقين آمين وكان تأليفي لهذا الكتاب بحسب الوقائع التي تقع مني ومن أصحابي وما من خلق ذكرته فيه الا وهو وارد على سبب أعرفه فرحم الله من رأى فيه خللا فأصلحه مساعدة لي على الخير فانه ليس منقولا من كتب بالاصالة وانما هو كالاستنباط من الكتاب والسنة وأقوال الائمة وجميع ما ذكرته فيه من النقول انما هو كالاستشهاد لما ذكرت لا غير كما ستراه ان شاء الله تعالى واذا كان المؤلف أول مستنبط كما ذكرناه احتاج كلامه الى من يتعقبه ويستدرك عليه ضرورة كما استدرك العلماء من المتأخرين على من سبقهم بخلاف من كان مؤلفه مجموعا من نقول المتأخرين فان كلامه لا يحتاج الى التعقب الا في النادر وذلك لانه يرى تنكيت العلماء على بعضهم فيأخذ العبارة السالمة من التنكيت كما فعل شيخنا شيخ الاسلام زكريا الانصاري في مؤلفاته رضي الله عنه فلذلك من ألف كتابا لم يسبق اليه فقد جعل كلامه هدفا لجميع المفسرين والمحدثين والفقهاء والاصوليين والنحاة والمتكلمين والصوفية والبيانيين وغيرهم فيحتاج في كل قولة الى جدال جميع هؤلاء العلماء قبل أن يضع تلك القولة قال تعالى ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا وذلك لعسر استحضار المؤلف جميع ما قيل في تلك المسئلة وما يرد على منطوقها ومفهومها حال الكتابة ولو انه قدر على ذلك ما احتاجت الكتب الى شروح ولا احتاجت الشروح الى حواش عليها وهذا شأني في مؤلفاتي كلها ما عدا الحديث والمختصرات من أصول فكلها مستنبطة من الكتاب والسنة وقد كان الامام عمر بن الخطاب يفتي الناس ويقول هذا قول عمر فان كان صوابا فمن الله وان كان خطأ فمن عمر انتهى وكذلك كان أبو حنيفة رضي الله عنه يفتي ويقول هذا أكثر ما قدرنا عليه في العلم فمن وجد أوضح منه فهو أولى بالصواب وكثيرا ما كان يقول هذه فتوى النعمان فان كانت صوابا فمن الله وان كانت خطأ فمن النعمان والتبعة عليه فيها في الدنيا والآخرة وهكذا يقول مؤلف هذا الكتاب وأرجو من فضل الله أن يكون هذا الكتاب كالمبين لما اندرس من أخلاق القوم رضي الله عنهم بعد الفترة التي حصلت بعد موت الاشياخ الذين أدركناهم في النصف الاول من القرن العاشر فقد أدركنا بحمد الله تعالى نحوا من مائة شيخ كان كل واحد منهم يستسقى به الغيث كسيدي علي المرصفي وسيدي محمد الشناوي وسيدي محمد بن داود وسيدي أبي بكر الحديدي وسيدي عبد الحليم بن مصلح وسيدي أبي السعود الجارحي وسيدي تاج الدين الذاكر وسيدي محمد بن عنان وسيدي علي الخواص وغيرهم ممن ذكرناهم في كتاب طبقات العلماء والصوفية فكل هؤلاء كانوا على قدم عظيم في الزهد والعبادة والورع وكف الجوارح الظاهرة والباطنة عن استعمالها في شئ مما نهاهم الله عنه وكان أحدهم لا يقبل شيأ من أموال الولاة ولو كان في غاية الضيق بل يطوي ويجوع حتى يجد شيأ من الحلال ولم يكن أحد منهم يعاني ركوب الخيل ولا الملابس الفاخرة ولا الاطعمة النفيسة ولا يتزوج المنعمات ولا يسكن في القاعات المرخمات الآن وجد ذلك من حلال في نادر من الاوقات وكان الملوك يعرضون عليهم الرزق والجوالي والمسامح والمرتبات من بيت المال فيأبون ذلك ويقولون مال السلطان انما هو معد لصرفه في المصالح واقامة شعائر الدين وانفاقه على الجند الذابين عن المسلمين ونحن ليس فينا نفع لاحد وكان أحدهم يقنع بالكسرة اليابسة يفتها في الماء ويغمسها بالملح ويكتفي بها منهم الشيخ أمين الدين الغمري والشيخ محمد المغربي شيخ الجلال السيوطي ودخل

وحذره العقوبة وغير المكلف من لم يخاطبه بذلك ثم المكلف قسمان مؤمن وكافر والمؤمن قسمان طائع وعاص وكل واحد من الطائعين والعاصين ينقسم الى قسمين عالم وجاهل ثم رأيت الغرور لازما لجميع المكلفين المؤمنين والكافرين الا من عصمه الله رب العالمين وأنا ان شاء الله تعالى أكشف عن غرورهم وأبين الحجة فيه وأوضحه غاية الايضاح وأبينه غاية البيان بأوجز ما يكون من العبارة وأبدع ما يكون من الاشارة فأقول وما توفيقي الا بالله واعلم أن المغرورين من الخلق ما عدا الكافرين أربعة أصناف صنف من العلماء وصنف من العباد وصنف من

عليه السلطان قايتباى مرة وهو يأكل رغيفا يابسا بله فى الماء فعرض عليه ألف دينار فردها وقال لا حاجة لى بها وأنشد للسلطان يقول

اقنع بلقمة وشربة ماء ولبس الخيش * وقل لعقلك ملوك الارض راحوا ايش

فحصل للسلطان عبرة وبكى وحمل الالف دينار فأين حال هؤلاء المشايخ من مشايخ هذا الزمان الذين يسافرون من مصر أو الحجاز أو الشام الى الروم والعراق ليسألوا أن يرتب لهم السلطان جوالى أو مسموحا أو مرتبا مع ان أحدهم يجد فى بلده ما يكفيه وكان الاولى بهم لو عرض عليهم ذلك ان يردوه ولا يزاحموا جند السلطان فى مال المصالح كما درج عليه سلفهم الصالح بل لم نر أحدا من مريدى المشايخ الذين أدركناهم يسافر من بلده فى طلب الدنيا فضلا عن المشايخ لان أول قدم يضعه المريد فى الطريق ان يخرج عما بيده من الدنيا ويرميه فى بحر الاياس كما هو معلوم وقد سافر مرة من مشايخ مصر شخص الى الروم فاجتمع بالوزير اياس باشا فقال له ما صنعتك فقال شيخ من أهل الطريق فقال له اياس فما حاجتك التى جئت فيها قال ترتبوا لى شيأ من بيت المال فقال له الوزير هل تعلم ان أحدا فى مصر مثلك فى الطريق فقال لا فقال له اياس أف لك من شيخ اذا كان هذا حالك وأنت تزعم انه ليس أحد فى مصر أعلى منك مقاما فى الطريق فكيف بقية المشايخ لقد أزريت بالفقراء وبهدلت الطريق فان آحاد المريدين لو فعل مثل ذلك وسافر من بلده الى غيرها فى طلب الدنيا لخرج عن طريق الارادة فكيف تفعل أنت مثل ذلك فى حال نهايتك وزجره وأمر باخراجه من عنده فرجع خاسرا لما طلب ووقع لشخص من الشام انه سافر الى الروم يطلب له زيادة مرتب من الجوالى وكانوا أعطوه قبل ذلك أربعين نصفا كل يوم فلما بلغ اسلامبول جلس فى طريق البلد وأرسل قاصده الى الوزير وكان اذ ذاك اياس باشا أيضا يعلمه بقدوم سيدى الشيخ ليخرج الى لقائه فأبى الباشا وقال للقاصد قل له ان كان لكم عندنا حاجة فأتونا الى البيت فذهب القاصد للشيخ وأخبره بمقالة الوزير ثم قال الوزير يا عجبا كيف يسافر هذا من الشام الى الروم فى طلب الدنيا ويطلب من الامراء أن يعظموه ويخرجوا الى لقائه مع انه يحتاج اليهم وليس أحد منهم يحتاج اليه واذا كان هذا يزعم انه ولى وقد راض نفسه بأصناف المجاهدات وهو يرمى نفسه على الامراء لاجل طلب الدنيا فكيف بنا نحن مع عدم رياضتنا نفوسنا وعدم حاجتنا اليه ثم ان الباشا أرسل للشيخ ضيافة ولم يأت اليه وقال انما فعلت ذلك مع الشيخ لاعلمه الادب فان ذهاب مثلنا انما يكون لمن نعرض عليه الدنيا فيردها علينا وأما من يطلبها منا ويسافر من وطنه لاجل ذلك فلا يستحق ان أحدا منا يمشى اليه وآخر الامر ان الشيخ رد خائبا الى بلاده وقال لى الامير محمد دفتردار مصر مرة أنا لا أعتقد فى مشايخ مصر الآن ولو مشى أحدهم فى الهواء فقلت له لماذا فقال لانى رأيتهم يجتهدون فى طلب الدنيا أكثر مما نجتهد نحن فيها قال وقد دخل على شيخ منهم فى رمضان ليفطر عندى فقلت له هذا الطعام عندى فى حله شك فلا تأكل منه فقال قدمه لى وعلى حسابه فى الآخرة فكيف أعتقد مثل هذا وأنا لا تطيب نفسى أن آكل منه مع انى معدود من الظلمة اهـ ولما مات الشيخ نور الدين الشعرانى رأيته فى المنام وقال أنا نادم على قبول الرزقة التى أعطاها لى خاير بيك فانى طول عمرى كنت حرا اهـ فاياك يا أخى ان تظن بالمشايخ الذين أدركناهم انهم كانوا مثل هؤلاء فى قلة الورع والقناعة فتسىء الظن بهم واياك يا أخى أن تتظاهر بالمشيخة فى هذا الزمان الا ان كنت محفوظ الظاهر والباطن من التخليط كأكل أموال الكشاف ومشايخ العرب والظلمة فان تظاهرت بذلك وظاهرك غير محفوظ فقد خنت الله ورسوله وأهل الطريق وأتلفت دين من يتبعك وكان عليك اثم الائمة المضلين زيادة على اثمك لا سيما ان ادعيت انك أعلى مشايخ مصر مقاما فلذلك وضعت هذا الكتاب كالميزان الذى يتبين به الرابح من الخاسر والمحق من المبطل والصالح من الطالح فاعرض يا أخى ما فيه من الاخلاق على كل من طلبت أن تصحبه من هؤلاء المشايخ الظاهرين فى هذا الزمان فان وجدته متخلقا به فاصحبه واقتد به وقبل رجله وان وجدته غير متخلق به فاضرب عنه صفحا من غير ازدراء له وكل أمره الى الله تعالى فاكرم به من كتاب جاء على حين فترة من أيام الرجال الصادقين مجددا لما هدم من أخلاق القوم كما درج عليه العلماء العاملون فى كل عصر فيأتى أحدهم مجددا بمؤلفاته ما اندرس من معالم الطريق كالحرث المحاسبى وأبى طالب المكى وأبى نعيم وأبى القاسم القشيرى

والامام

أرباب الاموال وصنف من المتصوفة فأول ما نبدأ به غرور الكفار وهم فى غرورهم قسمان منهم من غرته الحياة الدنيا ومنهم من غره بالله الغرور فاما الذين غرتهم الحياة الدنيا فهم الذين قالوا النقد خير من النسيئة ولذات الدنيا يقين ولذات الآخرة شك ولا يترك اليقين بالشك وهذا قياس فاسد وهو قياس ابليس لعنه الله فى قوله أنا خير منه فظن ان الخيرية فى السبب وعلاج هذا الغرور شيآن اما بتصديق وهو الايمان واما ببرهان أما التصديق فهو أن يصدق الله تعالى فى قوله وما عند الله خير وأبقى وقوله تعالى وما الحياة الدنيا الا متاع الغرور وتصديق

والامام الغزالى والشهاب السهروردى وغيرهم رضى الله عنهم وقد كان من آخر المجددين فى القرن الثامن سيدى الشيخ أبو عبد الله محمد الغمرى المدفون بالمحلة الكبرى رحمه الله تعالى فكانوا يسمونه فقيه الصوفية فانه ضبط فى مؤلفاته أخلاق رسول الله صلى الله عليه وسلم وأخلاق السلف الصالح ولا أعلم أحدا جاء بعده حذا حذوه فى ضبط أخلاق القوم غيرى بحمد الله تعالى كما ستراه ان شاء الله تعالى فى هذا الكتاب ولو ان أحدا فعل ذلك فى هذا العصر غيرى لكنت دللت الاخوان على مطالعة مؤلفه وكنت لم أتعب نفسى فى تأليف هذا الكتاب لانه يصير حينئذ لا فائدة فيه ولعل قائلا يقول ان مطالعة كتابك هذا يكشف عورات الفقراء من أهل العصر فهلا أسبلت ذيل الستر على اخوانك فانه لا يدع أحدا يعتقد فى أحد من مشايخ هذا العصر فنقول لهذا القائل ان جمهور العلماء والصوفية من السلف قد سبقونا الى التأليف فى مثل ذلك وبينوا أخلاق الصالحين من الطالحين والصادقين من الكاذبين والمتفعلين من المخلصين ولم يلتفتوا الى كون ذلك يلزم منه كشف سوأة من كان بخلاف الصفة من أخلاق السلف الصالح قال الله تعالى وقل الحق من ربكم فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر فهو وان لزم من بيان صفات الصالحين هتك أستار الكاذبين فلا حرج عليهم فى ذلك لقصدهم بالاصالة الخير للمسلمين ومعلوم ان الاثم انما هو تابع للقصد نظير ما قاله العلماء فى الجنب يقرأ القرآن لا بقصد القرآن أنه لا يأثم قالوا لانه لا يكون قرآنا الا بالقصد ويؤيد ذلك ما ذهب اليه جمهور علماء الاصول من أن لازم المذهب ليس بمذهب فعلم أنه يجب حمل أشياخ الشريعة والحقيقة الذين حطوا على أهل زمانهم انهم انما قصدوا رفع همة اخوانهم الى أرفع مما هم عليه من الاخلاق الحسنة لا غير محبة فى رسول الله صلى الله عليه وسلم وفى احياء شريعته لا تشفيا للنفس من الاقران وطلبا للرياسة عليهم وانتشار الصيت عليهم بالصلاح حاشاهم رضى الله عنهم من قصد مثل ذلك وأسأل الله تعالى من فضله أن ينفع بهذا الكتاب مؤلفه وكاتبه وسامعه والناظر فيه انه سبحانه وتعالى سميع مجيب ﴿وسميته تنبيه المغترين أواخر القرن العاشر على ما خالفوا فيه سلفهم الطاهر﴾ جعله الله تعالى خالصا لوجهه الكريم وأعيذه بكلمات الله التامات من شر كل عدو وحاسد يدس فيه ما ليس من كلامى مما يخالف ظاهر الكتاب والسنة كل ذلك لاجل أن ينفر الناس من مطالعته ويحرمهم مما فيه من الفوائد كما وقع لى ذلك فى كتابى المسمى بالبحر المورود فى المواثيق والعهود وفى مقدمة كتابى المسمى بكشف الغمه عن جميع الامه وحصل بسبب ذلك فتنة عظيمة فى الجامع الازهر وغيره وظن غالب المتهورين أن ما دسوه من العقائد الزائغة والمسائل الخارقة لاجماع المسلمين من جملة ما اعتقدته وتدينت به وما سلم من الوقوع فى عرضى الا القليل من الناس ثم لم تخمد تلك الفتنة حتى أرسلت النسختين الصحيحتين من العهود ومن كشف الغمة الى العلماء بالجامع الازهر وكنت بحمد الله تعالى قد أطلعت عليهما مشايخ الاسلام ووضعوا خطوطهم عليهما وأجازوهما ومدحوا تأليفهما ففتشوهما فلم يجدوا فيهما شيأ مما دسه الحسدة وأشاعوه فعند ذلك سبوا من فعل ذلك وبرؤا ساحتى من تلك العقائد الزائغة بحمد الله وما تخلف بعد ذلك عن تبرئتى الا من وقف مع حظ نفسه ولم يستبرئ لدينه وكان من جملة من برأنى وحماه الله من الوقوع فى عرضى سيدنا ومولانا شيخ الاسلام الشهاب ابن النجار الحنبلى وسيدنا ومولانا الشيخ ناصر الدين اللقانى وسيدنا ومولانا الشيخ شهاب الدين الرملى وسيدنا ومولانا الشيخ شهاب الدين الحلبى الحنفى وسيدنا ومولانا الشيخ ناصر الدين الطبلاوى والاخ الصالح الشيخ شمس الدين محمد الخطيب الشربينى والاخ الصالح الشيخ نور الدين الطندتائى والاخ الصالح الشيخ نجم الدين الغيطى والاخ الصالح الشيخ سراج الدين الحانوتى الحنفى والاخ الصالح الشيخ شمس الدين العلقمى والاخ الصالح الشيخ عبد القادر الرشدى والاخ الصالح الشيخ شمس الدين البرهمتوشى الحنفى والاخ الصالح الشيخ زين الدين الجيزى والاخ الصالح الشيخ أمين الدين بن عبد العال وجماعة كثيرة ذكرناهم فى طبقات الاخيار رضى الله عنهم فكل هؤلاء لم يبلغنى ان أحدا منهم صدق فى شيأ مما دسه الحسدة وأعرف بعض جماعة من المتهورين فى الوقوع فى أعراض الناس يعتقدون فى سوء العقيدة بحكم تلك الاشاعة الى وقتنا هذا وما منهم أحد اجتمع بى قط ولا فاوضنى فى علم ولا رآنى وأنا أؤلف ولا قامت عنده بذلك بينة عادلة فالله تعالى يغفر لهم ويسامحهم وقد بلغنى عن شخص ممن ينسب الى العلم صار يقول ما هذه

الرسول فيما جاء به وأما البرهان فهو ان يعرف وجه فساد قياسه ان قوله الدنيا نقد والآخرة نسيئة مقدمة صحيحة وأما قوله النقد خير من النسيئة فهو محل التلبيس وليس الأمر كذلك بل ان كان النقد مثل النسيئة فى المقدار والمقصود فهو خير وان كان أقل منها فالنسيئة خير منه ومعلوم أن الآخرة أبدية والدنيا غير أبدية وأما قولهم لذات الدنيا يقين ولذات الآخرة شك فهو أيضا باطل بل ذلك يقين عند المؤمنين وليقينه مدركان أحدهما الايمان والتصديق على وجه التقليد للانبياء والعلماء كما يقلد الطبيب الحاذق فى الدواء والمدرك الثانى الوحى للانبياء والالهام

الامور التى تواترت عن هذا الرجل وسمعناها متواترة مع أن الدس والاشاعة لم تكن من سوى شخصين من أهل مصر خاصة وهما معروفان بين أصحابنا لا ينبغى ذكرهما خوفا من سب الناس لهما وقد ماتا ودرجا الى رحمة الله تعالى فطالع يا أخى كتبى وانتفع بما فيها من النصح ولا تصغ الى قول حاسد فانى حررتها بحمد الله على الكتاب والسنة قبل ان أضعها فى الورق وأنا رجل سنى محمدى وما ألفت شيأ من الكتب حتى تبحرت فى علوم الشريعة وحررت موادها على مشايخ الاسلام كالشيخ زكريا الانصارى والشيخ برهان الدين ابن أبى شريف والشيخ عبد الحق السنباطى والشيخ نور الدين المحلى واضرابهم رضى الله عنهم واياك يا أخى ان تلتفت الى قول أحد من أتباع هذين الشخصين اللذين وقع منهما الدس فى كتبى فربما كان يعتقد فى السوء تقليدا لشيخه وكان سبب تحريك داء الحسد فى هذين الشخصين انهما لما رأيا الناس بادروا الى كتابة مؤلفاتى دبرا تلك الحيلة ودسا فى كتبى العقائد الزائغة المتعلقة بالباطن لعلمهما انهما لو رمياني بالفسق والمعاصى الظاهرة لكذبهما الناس ولم يحصل لهما ما قصداه من تنفير الناس عن مطالعة كتبى وقد أبرأت ذمتهما فى الدنيا والآخرة وسامحت جميع من اغتابنى بسببهما فالحمد لله رب العالمين الذى جعلنا من أهل العفو والسماح اذا علمت ذلك فلنشرع فى مقصود هذا الكتاب ان شاء الله تعالى فأقول وبالله التوفيق والاعانة

﴿من أخلاق السلف الصالح﴾ رضى الله عنهم ملازمة الكتاب والسنة كلزوم الظل للشاخص ولا يتصدر أحدهم للارشاد الا بعد تبحره فى علوم الشريعة المطهرة بحيث يطلع على جميع أدلة المذاهب المندرسة والمستعملة ويصير يقطع العلماء فى مجالس المناظرة بالحجج القاطعة أو الراجحة الواضحة وكتب القوم مشحونة بذلك كما يظهر من أقوالهم وأفعالهم وقد كان سيد الطائفة الامام أبو القاسم الجنيد رضى الله عنه يقول كتابنا هذا يعنى القرآن سيد الكتب وأجمعها وشريعتنا أوضح الشرائع وأدقها وطريقتنا يعنى طريق أهل التصوف مشيدة بالكتاب والسنة فمن لم يقرأ القرآن ويحفظ السنة ويفهم معانيهما لا يصح الاقتداء به وكان رضى الله عنه يقول ما نزل من السماء علم وجعل الحق تعالى للخلق اليه سبيلا الا وجعل لى فيه حظا ونصيبا وكان رضى الله عنه يقول لاصحابه لو رأيتم رجلا قد تربع فى الهواء فلا تقتدوا به حتى تروا صنعه عند الامر والنهى فان رأيتموه ممتثلا لجميع الاوامر الالهية مجتنبا لجميع المناهى فاعتقدوه واقتدوا به وان رأيتموه يخل بالاوامر ولا يجتنب المناهى فاجتنبوه انتهى (قلت) وهذا الخلق قد صار غريبا فى فقراء هذا الزمان فصار أحدهم يجتمع بمن ليس له قدم فى الطريق ويتلقف منه كلمات فى الفناء والبقاء والشطح مما لا يشهد له كتاب ولا سنة ثم يلبس له جبة ويرخى له عذبة ثم يسافر الى بلاد الروم مثلا ويظهر الصمت والجوع فيطلب له مرتبا أو مسموحا ويتوسل فى ذلك بالوزراء والامراء فربما رتبوا له شيأ فيصير يأكله حراما فى بطنه لكونه أخذه بنوع تلبيس على الولاة واعتقادهم فيه الصلاح وقد دخل على شخص منهم فصار يخوض بغير علم ولا ذوق فى الفناء والبقاء ومعه جماعة يعتقدونه فواظبنى أياما فقلت له يوما أخبرنى عن شروط الوضوء والصلاة ما هى فقال لى أنا ما قرأت فى العلم شيأ فقلت له يا أخى ان تصحيح العبادات على ظاهر الكتاب والسنة أمر واجب بالاجماع ومن لم يفرق بين الواجب والمندوب ولا بين المحرم والمكروه فهو جاهل والجاهل لا يجوز الاقتداء به لا فى طريق الظاهر ولا فى طريق الباطن فخرس ولم يرد جوابا ثم انقطع عنى من ذلك اليوم وكان قد أبادنى شرا من سوء أدبه فأراحنى الله منه وكان شيخنا سيدى على الخواص رحمه الله يقول ان طريق القوم رضى الله عنهم محررة على الكتاب والسنة تحرير الذهب والجوهر وذلك لان لهم فى كل حركة وسكون نية صالحة بميزان شرعى ولا يعرف ذلك الا من تبحر فى علوم الشريعة انتهى (قلت) فكذب والله وافترى من يقول ان طريق الصوفية لم يأت بها كتاب ولا سنة وقوله ذلك من أكبر العلامات الدالة على كثرة جهله فان حقيقة الصوفى عند القوم هو عالم عمل بعلمه على وجه الاخلاص لا غير وغاية ما يطلبه القوم من تلامذتهم بالمجاهدات بالصوم والسهر والعزلة والصمت والورع والزهد وغير ذلك ان يصير أحدهم يأتى بالعبادات على الوجه الذى يشبه ما كان عليه سلفهم الصالح لا غير ولكن لما اندرست طريق السلف باندراس العاملين بها ظن بعض الناس انها خارجة عن الشريعة لقلة من يتخلق بصفات أهلها كما بسطنا الكلام على ذلك فى كتاب المنهج المبين فى بيان أخلاق العارفين فاعلم ذلك

الاولياء ولا تظن أن معرفة النبى صلى الله عليه وسلم لامور الآخرة ولامور الدنيا تقليد لجبريل عليه السلام فان التقليد ليس بمعرفة صحيحة والنبى صلى الله عليه وسلم حاشاه الله من ذلك بل قد انكشفت له الاشياء وشاهدها بنور البصيرة كما شاهد المحسوسات بالعين الظاهرة

﴿فصل﴾ والمؤمنون بألسنتهم وعقائدهم اذا ضيعوا أوامر الله وهى الاعمال الصالحة وتدنسوا بالشهوات فهم مشاركون الكفار فى هذا الغرور فالحياة الدنيا للكافرين والمؤمنين جميعا غرور فأما غرور الكافرين بالله فمثاله قول بعضهم فى أنفسهم بألسنتهم انه ان كان الله

والحمد

والحمد لله رب العالمين

﴿ومن أخلاقهم رضى الله تعالى عنهم﴾ توقفهم عن كل فعل أو قول حتى يعرفوا ميزانه على الكتاب والسنة أو العرف لان العرف من جملة الشريعة قال تعالى خذ العفو وأمر بالعرف فعلم أن القوم لا يكتفون فى أقوالهم وأفعالهم بمجرد عمل الناس بها لاحتمال أن يكون ذلك الفعل أو القول من جملة البدع التى لا يشهد لها كتاب ولا سنة وفى الحديث لا تقوم الساعة حتى تصير السنة بدعة فاذا تركت البدعة يقول الناس تركت السنة وذلك لتوارث الفروع البدع عن أصولهم فلما طال زمن العمل بالبدع ظن الناس انها سنة مما سنه رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن القوم طائفة اذا لم يجدوا لذلك العمل دليلا من سنة النبى صلى الله عليه وسلم الثابتة فى كتب الشريعة يتوجهون بقلوبهم اليه صلى الله عليه وسلم فاذا حضروا بين يديه سألوه عن ذلك وعملوا بما قال لهم الآن مثل ذلك خاص بأكابر الرجال * فان قيل فهل لصاحب هذا المقام أن يأمر الناس بما أمره به رسول الله صلى الله عليه وسلم أم لا * فالجواب لا ينبغى له ذلك لانه أمر زائد على السنة الصحيحة الثابتة من طريق النقل ومن أمر الناس بشئ زائد على ما ثبت من طريق النقل فقد كلف الناس شططا اللهم الا أن يختار أحد ذلك فلا حرج كما هو شأن مقلدى المذاهب المستنبطة من الكتاب والسنة والله أعلم وقد كان السلف الصالح رضى الله عنهم يحثون الناس لاسيما أصحابهم على التقيد بالكتاب والسنة واجتناب البدع ويشددون فى ذلك حتى ان أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه ربما كان يهم بالامر ويعزم عليه فيقول له بعض الناس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يفعل ذلك ولم يأمر به فيرجع عما كان عزم عليه قال وهم مرة أن يأمر الناس بنزع ثياب كانوا يلبسونها حين بلغه أنها تصبغ ببول العجائز فقال له شخص ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد لبس منها ولبسها الناس فى عصره فاستغفر الله تعالى ورجع وقال فى نفسه لو كان عدم لبسها من الورع لما لبسها صلى الله عليه وسلم وقد بلغنا ان الامام زين العابدين رضى الله عنه قال لولده اتخذ لى ثوبا ألبسه عند قضاء الحاجة وأنزعه وقت شروعى فى الصلاة فانى رأيت الذباب يجلس على النجاسة ثم يقع على ثوبى فقال له ولده انه لم يكن لرسول الله صلى الله عليه وسلم الا ثوب واحد لصلاته وخلائه فرجع الامام عما كان عزم على فعله * قلت المنقول أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يكن الذباب ينزل على ثوبه ولا على بدنه فلا يصح ما ذكر دليلا الا أن يكون قال له ولده لم يأمر أحدا فليتأمل وأما ما نقل عن أبى يزيد البسطامى رحمه الله تعالى من انه كان له ثوب لصلاته وثوب لخلائه فليس ذلك من حيث وقوع الذباب كما وقع لزين العابدين وانما ذلك من باب الادب أن لا يكون ثوب الخلاء هو ثوب الصلاة نظير ما قالوا فى تحريم استقبال القبلة واستدبارها فى الغائط فطلب الشارع أن لا تكون جهة قضاء الحاجة هى جهة الوقوف للصلاة فافهم فعليك يا أخى باتباع السنة المحمدية فى جميع أفعالك وأقوالك وعقائدك ولا تقدم على فعل شئ حتى تعلم موافقته للكتاب والسنة انتهى فكذب والله وافترى من يقول ان طريق القوم بدعة واذا كان من يهاب مخالفة الشريعة ويتوقف عن العمل حتى يعلم موافقته للشرع مبتدعا فما بقى على وجه الارض سنى والحمد لله رب العالمين

﴿ومن أخلاقهم رضى الله تعالى عنهم﴾ كثرة تفويضهم الى الله تعالى فى أمر أنفسهم وأولادهم وأصحابهم فلا يكون معولهم فى أمر هدايتهم الا عليه عز وجل ولا يطلبون شيأ قط بأنفسهم وهم غائبون عن الاستناد الى الله تعالى وقد كان ولدى عبد الرحمن ليست له داعية الى طلب العلم وكنت فى حصر عظيم من جهته فألهمنى الحق سبحانه ان أفوض أمره اليه ففعلت فأصبح من تلك الليلة يطالع فى العلم بنفسه من غير أمرى له بذلك وحصلت عنده حلاوة العلم من تلك الليلة وصار فهمه ترجح على فهم من سبقه بالاشتغال بسنين فأراحنى الله تعالى بتفويضى اليه من التعب الذى كنت فيه فالله تعالى يجعله من العلماء العاملين بما علموا آمين وقد سمعت شيخنا سيدى عليا الخواص رحمه الله تعالى يقول ما ثم أنفع لاولاد العلماء والصالحين من الدعاء لهم بظاهر الغيب مع تفويض أمرهم الى الله تعالى وذلك لان أحدهم يتربى فى الدلال على والده مع مساعدة أمه ان كانت ويكتفى بتعظيم الناس له بحكم التبع لابيه فلا يصير عنده داعية لاكتساب الفضائل غالبا ويقول فى نفسه ان الذى كنت أتعب فى تحصيله من الجاه بالاشتغال بالعلم والرياضة قد حصل لى بواسطة والدى بخلاف أولاد العوام

معبدنا فنحن أحق به من غيرنا كما أخبر الله عنهم فى سورة الكهف حيث قال ما أظن أن تبيد هذه أبدا وما أظن الساعة قائمة الآية وسبب هذا الغرور قياس من أقيسة ابليس لعنه الله وذلك أنهم ينظرون مرة الى نعم الله عليهم فى الدنيا فيقيسون عليها نعم الآخرة ومرة ينظرون الى تأخير عذاب الله عنهم فى الدنيا فيقيسون عليه عذاب الآخرة كما أخبر الله عنهم انهم يقولون لولا يعذبنا الله بما نقول ومرة ينظرون الى المؤمنين وهم فقراء فيزدرونهم ويقولون أهؤلاء من الله عليهم من بيننا ويقولون لو كان خيرا ما سبقونا اليه وترتيب القياس الذى نظم فى

خصوصا الفلاحين فان أحدهم يفتح عينه على الضرب والحبس والاهانة من الحكام وأعوانهم ويأخذون منه الخراج بالاهانة الشديدة فيصير يتفكر فى عمل حيلة تعتقه من ذلك فيلهمه الحق تعالى أن يشتغل بالعلم والقرآن فلا يزال كلما عظمه الناس يزداد رغبة فى العلم والمجاهدة حتى يصير شيخ الاسلام أو شيخ الطريق وقد كان سيدى الشيخ أحمد الزاهد رحمه الله يخلى ولده على كل خلوة أربعين يوما فلا يفتح عليه فيقول ياولدى لو كان الامر بيدى ماقدمت أحدا عليك فى معرفة الطريق انتهى * قلت وقد خولفت هذه القاعدة فى بعض أولاد العلماء والصالحين كأولاد الشيخ تقى الدين السبكى وأولاد الشيخ سراج الدين البلقينى فجاء أولادهم فى غاية الكمال وكذلك فى بعض جماعة من علماء عصرنا وفقرائه كسيدى محمد بن الرملى وسيدى محمد بن البكرى وسيدى عبد القدوس بن الشناوى وسيدى على ابن الشيخ محمد المنير وسيدى محمد ابن الشيخ أبى الحسن الغمرى وجماعة ذكرناهم فى طبقات العلماء والصوفية التى سميناها الواقح الانوار فى طبقات الاخيار أكثر الله فى المسلمين من أمثالهم ونفعنا ببركاتهم آمين والحمد لله رب العالمين

﴿ومن أخلاقهم رضى الله عنهم﴾ كثرة اخلاصهم فى علمهم وعملهم وخوفهم من دخول الرياء فى ذلك ونبسط لك ياأخى فى هذا المحل لكثرة حاجة الناس الى ذلك فنقول ثبت فى الاحاديث الصحيحة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لما خلق الله عز وجل جنة عدن خلق فيها مالا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر قال لها تكلمى فقالت قد أفلح المؤمنون ثلاثا ثم قالت أنا حرام على كل بخيل ومراء * وكان وهب بن منبه رحمه الله تعالى يقول من طلب الدنيا بعمل الآخرة نكس الله قلبه وكتب اسمه فى ديوان أهل النار وكان الحسن البصرى رحمه الله تعالى يقول كان عيسى عليه الصلاة والسلام يقول من عمل بما علم كان وليا لله حقا وكان سفيان الثورى رحمه الله تعالى يقول قالت لى والدتى يابنى لاتتعلم العلم الا اذا نويت العمل به والا فهو وبال عليك يوم القيامة وكان الحسن البصرى رحمه الله تعالى كثيرا مايعاتب نفسه ويوبخها بقوله تتكلمين بكلام الصالحين القانتين العابدين وتفعلين فعل الفاسقين المنافقين المرائين والله ماهذه صفات المخلصين وكان الفضيل بن عياض رحمه الله تعالى يقول من لم يكن فى أعماله أكيس من ساحر وقع فى الرياء وقد قيل لذى النون المصرى رحمه الله تعالى متى يعلم العبد أنه من المخلصين فقال اذا بذل المجهود فى الطاعة وأحب سقوط المنزلة عند الناس وكان محمد بن المنكدر رحمه الله تعالى يقول أحب للاخوان أن يظهر أحدهم السمت الحسن بالليل فانه أشرف من سمت النهار لانه فى النهار يراه الناس وفى الليل يكون لرب العالمين وقد قيل مرة ليونس بن عبيد رحمه الله تعالى هل رأيت أحدا يعمل بعمل الحسن البصرى فقال والله مارأيت من يقول بقوله فكيف أرى من يعمل بعمله كان وعظه يبكى القلوب ووعظ غيره لايبكى العيون وقيل ليحيى بن معاذ رحمه الله تعالى متى يكون العبد مخلصا فقال اذا صار خلقه كخلق الرضيع لايبالى من مدحه أو ذمه وقد كان أبو السائب رحمه الله تعالى اذا طرقه بكاء فى سماع قرآن أو حديث أو نحو ذلك يصرفه الى التبسم وكان أبو عبد الله الانطاكى رحمه الله تعالى يقول اذا كان يوم القيامة قال الله للمرائى خذ ثواب عملك ممن كنت ترائيه وفى رواية عنه اذا طلب المرائى ثواب عمله يوم القيامة يقال له خذ ثواب عملك ممن كنت ترائيه وفى رواية يقال له ألم توسع لك الناس فى المجالس لاجل عملك وعلمك ألم تكن رئيسا فى دنياك ألم ترخص لك الناس بيعك وشراءك ألم يكرموك ألم ألم مثل هذا وأشباهه وكان الفضيل بن عياض رحمه الله تعالى يقول مادام العبد يستأنس بالناس فلا يسلم من الرياء وكان الانطاكى يقول المتزينون ثلاثة متزين بالعلم ومتزين بالعمل ومتزين بترك التزين فهو أغمضها وأحبها الى الشيطان وكان اياس بن معاوية أخا لابراهيم التيمى وكان كل منهما لايثنى على الآخر من ورائه ويقول الثناء معدود من الجزاء وانا لاأحب نقص ثواب أخى بالثناء عليه بين الناس وكان أبو عبد الله الانطاكى رحمه الله يقول من طلب الاخلاص فى أعماله الظاهرة وهو يلاحظ الخلق بقلبه فقد رام المحال لان الاخلاص ماء القلب الذى به حياته والرياء يميته وقد كان يوسف بن أسباط رحمه الله تعالى يقول ماحاسبت نفسى قط الا وظهر لى أنى مراء خالص وكان الحسن البصرى رحمه الله تعالى يقول من ذم نفسه فى الملأ فقد مدحها وذلك من علامات الرياء وكان ابن السماك رحمه الله تعالى يقول لو أن المرائى بعلمه وعمله أخبر الناس بما فى ضميره لمقتوه وسفهوا عقله وكان ابراهيم بن أدهم رحمه الله

تعالى

قلوبهم انهم يقولون قد أحسن الله الينا بنعيم الدنيا وكل محسن فهو محب وكل محب فهو محسن وليس كذلك بل يكون محسنا ولا يكون محبا بل ربما يكون الاحسان سبب هلاكه على التدريج وذلك محض الغرور بالله تعالى ولذلك قال صلى الله عليه وسلم ان الله يحمى عبده المؤمن من الدنيا كما يحمى أحدكم مريضه من الطعام والشراب وهو يحبه وكذلك كان أرباب البصائر اذا أقبلت عليهم الدنيا حزنوا واذا أقبل عليهم الفقر فرحوا وقالوا مرحبا بشعار الصالحين وقد قال تعالى فاما الانسان اذا ما ابتلاه ربه فأكرمه ونعمه الآية وقال تعالى أيحسبون انما

تعالى يقول لاتسأل أخاك عن صيامه فانه ان قال أنا صائم فرحت نفسه بذلك وان قال أنا غير صائم حزنت نفسه وكلاهما من علامات الرياء وفى ذلك فضيحة للمسؤل واطلاع على عورته من السائل وكان عبد الله بن المبارك رحمه الله تعالى يقول ان الرجل ليطوف بالكعبة وهو يرائى أهل خراسان فقيل له وكيف ذلك قال يحب أن يقول فيه أهل خراسان ان فلانا مجاور بمكة على طواف وسعى فهنيأ له وكان الفضيل بن عياض رحمه الله تعالى يقول أدركنا الناس وهم يراؤن بما يعملون فصاروا الآن يراؤن بما لايعملون وكان رحمه الله تعالى اذا قرأ قوله تعالى ونبلو أخباركم يقول اللهم انك ان بلوتنا فضحتنا وهتكت أستارنا وأنت أرحم الراحمين وكان أيوب السختيانى رحمه الله تعالى يقول ان من الرياء بما لاتعمل تطاولك على غيرك بما تحفظه من كلام الناس وأقوالهم فى العلم فان ذلك الذى تتطاول به ليس من عملك ولا استنبطته وكان ابراهيم بن أدهم رحمه الله تعالى يقول ما اتقى الله من أحب أن يذكره الناس بخير ولا أخلص له وكان عكرمة رحمه الله تعالى يقول اكثروا من النية الصالحة فان الرياء لايدخل فى النية وكان عبد الله بن عباس رضى الله عنهما يقول لايحتاج شئ من فروع الاسلام الى نية بعد اختيار صاحبه الدخول فى الاسلام وكان أبو سليمان الدارانى رحمه الله تعالى يقول كل عمل يعمله المؤمن من أعمال الاسلام مما لم تحضره فيه نية فنية الاسلام تجزيه (قلت) وفى ذلك تقوية للحنفية وكان نعيم بن حماد رحمه الله تعالى يقول ضرب الظهر بالسياط أهون علينا من النية الصالحة وكان منصور بن المعتمر رحمه الله تعالى وثابت البنانى رحمه الله يقولان طلبنا العلم ومالنا فيه نية فرزقنا الله النية الصالحة بعد ذلك لان العلم كله يبعث صاحبه على الاخلاص فيصير يطلبه حتى يحصل له وكان الحسن البصرى رحمه الله تعالى يقول دخول أهل الجنة وأهل النار فيهما يكون بالاعمال وخلودهم فيهما يكون بالنيات وكان أبو داود الطيالسى رحمه الله تعالى يقول ينبغى للعالم اذا حرر كتابه أن يكون قصده بذلك نصرة الدين لامدحه بين الاقران لحسن التأليف (وفى التوراة) كل عمل قبلته فهو كثير وان كان قليلا وكل عمل رددته فهو قليل وان كان كثيرا وكان الفضيل بن عياض رحمه الله تعالى يقول اذا كان يسأل الصادقين عن صدقهم مثل اسمعيل وعيسى عليهما الصلاة والسلام فكيف بالكاذبين من أمثالنا ولبس داود الطائى ثوبه مقلوبا مرة فقالوا له ألا تغيره فقال انى لبسته لله فلا أغيره وقد كان أمير المؤمنين على رضى الله عنه يقول ان للمرائى ثلاث علامات يكسل اذا كان وحده ويصلى النوافل جالسا وينشط اذا كان مع الناس ويزيد فى العمل اذا مدحوه كما ينقص منه اذا ذموه وقد كان سفيان الثورى رحمه الله تعالى يقول كل شئ أظهرته من عملى فلا أعده شيأ لعجز أمثالنا عن الاخلاص اذا رآه الناس وكان ابراهيم التيمى يلبس لبس الفتيان فكان لايعرف أحد أنه من العلماء الا أصحابه وكان يقول المخلص من يكتم حسناته كما يكتم سيئاته وكان سفيان الثورى رحمه الله تعالى يقول قل عالم تكبر حلقة درسه الا ويطرقه العجب بنفسه وقد مر الحسن البصرى على طاوس رحمهما الله تعالى وهو يملى الحديث فى الحرم فى حلقة كبيرة فقرب منه وقال له فى أذنه ان كانت نفسك تعجبك فقم من هذا المجلس فقام طاوس فورا وقد مر ابراهيم بن أدهم على حلقة بشر الحافى رحمهما الله تعالى فأنكر عليه لكبر حلقة درسه وقال لو كانت هذه الحلقة لاحد من الصحابة ما أمن على نفسه العجب وقد كان سفيان الثورى رحمه الله تعالى لايترك أحدا يجلس اليه الا نحو ثلاثة أنفس ففعل يوما فرأى الحلقة قد كبرت فقام فزعا وقال أخذنا والله ولم نشعر والله لو أدرك أمير المؤمنين عمر رضى الله عنه مثلى وهو جالس فى هذا المجلس لاقامه وقال له مثلك لايصلح لذلك وكان رحمه الله تعالى اذا جلس لاملاء الحديث يجلس مرعوبا خائفا وكانت السحابة تمر عليه فيسكت حتى تمر ويقول أخاف أن يكون فيها حجارة ترجمنا بها وقد ضحك شخص مرة فى حلقة الاعمش رحمه الله تعالى فزجره وأقامه وقال تطلب العلم الذى كلفك الله تعالى به وأنت تضحك ثم هجره نحو شهرين وكان أبو هريرة رضى الله عنه يقول لولا آية فى كتاب الله تعالى ماحدثتكم ان الذين يكتمون ما أنزلنا من البينات والهدى الآية قال ولما ترك سفيان الثورى رضى الله عنه التحديث قالوا له فى ذلك فقال والله لو أعلم أن أحدا منهم يطلب العلم لله تعالى لذهبت الى منزله ولم أتعبه وقد قيل مرة لسفيان بن عيينة رحمه الله تعالى ألا تجلس فتحدثنا فقال والله ما أراكم أهلا لان أحدثكم ولا أرى نفسى أهلا لان تسمعوا منى وما مثلى ومثلكم الا كما قال القائل افتضحوا

تمدهم به من مال وبنين نسارع لهم فى الخيرات بل لايشعرون وقال تعالى سنستدرجهم من حيث لايعلمون وأملى لهم ان كيدى متين وقال تعالى فلما نسوا ماذكروا به فتحنا عليهم أبواب كل شئ حتى اذا فرحوا بما أوتوا أخذناهم بغتة فاذاهم مبلسون فلم يؤمن بالله من آمن بهذا الغرور ومنشأ هذا الغرور الجهل بالله وبصفاته فمن عرف الله فلا يأمن من مكره ولا ينظرون الى فرعون وهامان والنمروذ ماذا حل بهم مع ما أعطاهم الله من المال وقد حذر الله تعالى من مكره فقال تعالى فلا يأمن مكر الله الا القوم الخاسرون وقال تعالى ومكروا ومكر الله

فاصطلحوا وقد كان حاتم الاصم رحمه الله تعالى يقول لايجلس لتعليم العلم فى المساجد الاجامع للدنيا أوجاهل بما عليه فى ذلك من الواجبات وكان عبد الله بن عباس رضى الله عنهما مع جلالته من العلم اذا فرغ من تفسيره للقرآن يقول اختموا مجلسنا بالاستغفار وكان شداد بن حكيم رحمه الله تعالى يقول من كان فيه هذه الثلاث خصال فليجلس لعلم الناس والافليدع الجلوس أن يذكرهم بنعم الله تعالى ليشكروه ويذنوبهم ليتوبوا منها وبعدوّهم ابليس ليحذروا منه وكان ابن وهب رحمه الله تعالى يقول سألت الامام مالكا رضى الله عنه عن الراسخين فى العلم من هم فقال هم العاملون بالعلم وليس شئ أعز من العلم لان صاحبه يحكم به على الملوك وقد قيل لابن المبارك رحمه الله من الناس عندك فقال العلماء العاملون المخلصون قيل له فن الملوك قال الزهاد فى الدنيا قيل له فن السفلة قال الذين يأكلون الدنيا بعلمهم وعملهم ودينهم وكان الحسن البصرى رحمه الله تعالى يقول العلماء سرج الازمنة فكل عالم مصباح زمانه يستضئ به أهل عصره ولولا العلماء لصار الناس كالبهائم وكان سفيان الثورى رحمه الله يقول حياة العلم بالسؤال عنه والعمل به وموته بتركهما وكان عكرمة رحمه الله تعالى يقول لاتعلموا العلم الالمن يعطى ثمنه فقيل له وما ثمنه قال ان يضعه العالم عند من يعمل به وكان سالم بن أبى الجعد رحمه الله يقول اشترانى مولاى بثلثمائة درهم فاشتغلت بالعلم فما مضى على سنة حتى جاءنى الخليفة زائرا فلم أفتح له وكان الشعبى رحمه الله تعالى يقول من أدب العلماء اذا علموا أن يعملوا فاذا عملوا اشغلوا بذلك عن الناس فاذا اشتغلوا فقدوا واذا فقدوا طلبوا واذا طلبوا هربوا خوفا على دينهم من الفتن وفى الحديث أشد الناس عذابا يوم القيامة عالم لم ينفعه الله بعلمه وفى الحديث أيضا سيأتى على الناس زمان يكون عبادهم جهالا وعلماؤهم فساقا وكان عبد الله بن مسعود رضى الله عنه يقول من أفتى الناس فى المشكلات من غير تربص ولا تأمل فقد عرض نفسه لدخول النار وكان يقول من أفتى الناس فى كل ما يسألونه فهو مجنون وكان الحسن البصرى رحمه الله تعالى يقول لاتكن ممن يجمع علم العلماء ويجرى فيه مجرى السفهاء وقد بلغنا ان عيسى عليه الصلاة والسلام كان يقول ما أكثر العلوم وليس كلها بنافع وما أكثر العلماء وليس كلهم برشيد وكان ابراهيم بن عتبة رحمه الله يقول أطول الناس ندما يوم القيامة عالم يتعاظم بعلمه على الناس وكان أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه يقول أخوف ما أخاف على هذه الامة من عالم باللسان جاهل بالقلب وكان سفيان الثورى رحمه الله يقول يهتف العلم بالعمل فان أجابه والا ارتحل انتهى وكان عبد الله بن المبارك رحمه الله تعالى يقول لايزال المرء عالما مادام يظن ان فى بلده من هو أعلم منه فاذا ظن انه أعلمهم فقد جهل وكان الفضيل بن عياض رحمه الله تعالى يقول انى لابكى على العالم اذا رأيت الدنيا تلعب به ولو كان لاهل القرآن والحديث صبر على الزهد فى الدنيا ماتمندل بهم الناس واسوأتاه من ان يقال فلان العالم أو العابد قد قدم حاجا فى نفقة فلان التاجر وكان يحيى بن معاذ رحمه الله تعالى يقول اذا طلب العالم الدنيا ذهب بهاؤه وكان الحسن البصرى رحمه الله تعالى يقول عقوبة العلماء تكون بموت قلوبهم وموت قلوبهم يكون بطلبهم الدنيا بعمل الآخرة فيتقربون بذلك عند أبناء الدنيا وكان سعيد بن المسيب رحمه الله تعالى يقول اذا رأيتم العالم يغشى أبواب الامراء فهو لص وقد كان الاوزاعى رحمه الله تعالى يقول ما من شئ أبغض الى الله من عالم يزور عاملا من العمال وكان مكحول رحمه الله تعالى يقول من قرأ القرآن وتفقه فى الدين ثم مشى الى بيت أمير لغير حاجة ضرورية فقد خاض فى جهنم بعدد خطاه وكان مالك بن دينار رحمه الله تعالى يقول قرأت فى بعض الكتب المنزلة ان أهون ما أنا صانع بالعالم اذا طلب الدنيا بعلمه ان أحرمه لذيذ مناجاتى وكان أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه يقول اذا رأيتم العالم يحب الدنيا فاتهموه فى دينه فان كل محب يخوض فيما أحب انتهى وكان الحسن البصرى رحمه الله تعالى يقول واعجباه من ألسنة تصنف وقلوب تعرف واعمال تخالف وقد كان حاتم الاصم رحمه الله تعالى يقول ان من أشقى الناس يوم القيامة عالما عمل الناس بعلمه وهو لم يعمل به وقد كان ابراهيم التيمى رحمه الله تعالى يقول ما عرضت قولى على عملى الا وجدت عملى مكذبا لقولى وكان ابراهيم بن أدهم رحمه الله تعالى يقول لقد أعربنا فى الكلام فلم نلحن ولحنا فى العمل فلم نعرب وكان الاوزاعى رحمه الله تعالى يقول اذا جاء الاعراب فى الالفاظ ذهب الخشوع من القارئ والسامع وكان سفيان الثورى رحمه الله تعالى يقول بلغنا

ان

والله خير الماكرين وقال تعالى فمهل الكافرين أمهلهم رويدا فن أولاه الله نعمة فليحذر أن تكون نقمة

﴿فصل﴾ وأما غرور العصاة من المؤمنين فقولهم غفور رحيم وانما نرجوا عفوه فاتكلوا على ذلك واهملوا الاعمال وذلك من قبل الرجاء محمود فى الدين وان رحمة الله واسعة ونعمته شاملة وكرمه عميم وانا موحدون مؤمنون نرجوا بوسيلة الايمان والكرم والاحسان وربما كان منشأ حالهم التمسك بصلاح الآباء والامهات وذلك نهاية الغرور فان آباءهم مع صلاحهم وورعهم كانوا خائفين ونظم قياسهم الذى سوّل لهم الشيطان ان من أحب

أن عيسى عليه الصلاة والسلام كان يقول مثل من يتعلم العلم ولا يعمل به كمثل امرأة زنت سرا فجاءها المخاض فافتضحت وكذلك من لم يعمل بعلمه يفضحه الله يوم القيامة على رؤس الاشهاد وكان الحسن البصرى رحمه الله تعالى يقول كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اذا جاء الشيطان الى أحدكم وهو يصلى فقال انك مراء فليزدها طولا وكان الفضيل بن عياض رحمه الله تعالى يقول العمل لاجل الناس رياء وترك العمل لاجل الناس شرك والاخلاص ان يعافيك الله منهما (قلت) ومعنى ترك العمل لاجل الناس أن لايحب أن يعمل الا فى محل يحمده الناس فيه فان لم يجد من يحمده ترك العمل وكسل عنه وقد كان بشر الحافى رحمه الله تعالى يقول لاينبغى لامثالنا أن يظهر من أعماله الصالحة ذرة فكيف بأعماله التى دخلها الرياء فالاولى بأمثالنا الكتمان وقد بلغنا ان عيسى عليه الصلاة والسلام كان يقول للحواريين رضى الله عنهم اذا كان يوم صوم أحدكم فليدهن رأسه ولحيته ويمسح شفتيه لئلا يرى الناس انه صائم وقد كان الفضيل بن عياض رحمه الله تعالى يقول خير العلم والعمل ما خفى عن الناس وكان عكرمة رحمه الله يقول ما رأيت أقل عقلا ممن يعلم من نفسه السوء ويحب من الناس أن يصفوه بالعلم والصلاح ولابد لقلوب المؤمنين أن تطلع على سوء سريرته ومثله مثل من غرس شوكا وطلب أن يحمل له رطبا وكان قتادة رحمه الله تعالى يقول اذا راءى العالم بعلمه وعمله يقول الله تعالى للملائكة عليهم السلام انظروا الى هذا يستهزئ بى ولم يخش منى وأنا العظيم الجبار وكان أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه اذا رأى أحدا يطأطئ عنقه فى الصلاة يضربه بالدرة ويقول له ويحك ان الخشوع فى القلب وقد مر أبو أمامة رضى الله عنه يوما على شخص ساجد وهو يبكى فقال نعم هذا لو كان فى بيتك حيث لايراك الناس وقد كان الفضيل بن عياض رحمه الله تعالى يقول من أراد أن ينظر الى مراء فلينظر الىّ وكان ابراهيم بن أدهم رحمه الله تعالى يقول مررت على حجر فرأيت مكتوبا عليه أنت بما تعلم لاتعمل فكيف تطلب زيادة العلم وكان يوسف بن أسباط رحمه الله تعالى يقول أوحى الله تعالى الى نبى من الانبياء عليهم الصلاة والسلام قل لقومك يخفوا أعمالهم عن الخلق وأنا أظهرها لهم وكان أبو عبد الرحمن الزاهد يوبخ نفسه كثيرا ويقول فى مناجاته من أسوأ حالا منى عاملت عبادك فى الظاهر بالامانة وعاملتك فى السر بالخيانة وكان الفضيل بن عياض يقول من يدلنى على عابد بكاء بالليل صوّام بالنهار وأنا أدعوله وكان ميمون بن مهران رحمه الله تعالى يقول ان علانية بغير سريرة صالحة مثل كنيف مزخرف من خارجه وكان الفضيل بن عياض رحمه الله تعالى يقول لو صحت النية فى العلم لم يكن عمل أفضل منه ولكنهم تعلموه لغير العمل به وجعلوه شبكة لصيد الدنيا وقد دخل سفيان الثورى على الفضيل بن عياض رحمهما الله تعالى يوما فقال له عظنى يا أبا على فقال له الفضيل وبماذا أعظكم معاشر العلماء كنتم سرجا يستضاء بكم فى البلاد فصرتم ظلمة وكنتم نجوما يهتدى بكم فى ظلمات الجهل فصرتم حيرة يأتى أحدكم الى أبواب هؤلاء الولاة فيجلس على فرشهم ويأكل من طعامهم ويقبل هداياهم ثم يدخل بعد ذلك الى المسجد فيجلس فيه ثم يقول حدثنا فلان عن فلان عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بكذا والله ماهكذا يطلب العلم قال فبكى سفيان حتى خنقته العبرة وخرج وكان الفضيل بن عياض رحمه الله تعالى يقول اذا رأيتم العالم أو العابد ينشرح لذكره بالصلاح عند الامراء وأبناء الدنيا فاعلموا أنه مراء وكان سفيان بن عيينة رحمه الله تعالى يقول اذا رأيتم طالب العلم كلما ازداد علما كلما رغب فى الدنيا وشهواتها فلا تعلموه فانكم تعينوه على دخول النار بتعليمكم اياه وكان كعب الاحبار رضى الله عنه يقول سيأتى على الناس زمان يتعلم جهالهم العلم ثم يتغايرون به على القرب من الامراء كما يتغاير النساء على الرجال فذلك حظهم من العلم وكان صالح المرى رحمه الله تعالى يقول من ادعى الاخلاص فى العلم فليعرض على نفسه اذا وصفه الناس بالجهل والرياء فان انشرح صدره لذلك فهو صادق وان انقبض من ذلك فهو مراء وكان رحمه الله تعالى يقول احذروا عالم الدنيا أن تجالسوه فانه يفتنكم بزخرفة كلامه ومدحه العلم وأهله من غير عمل به وكان الفضيل بن عياض رحمه الله تعالى يقول من علامة المرائين بعلمهم أن يكون علمهم كالجبال وعملهم كالذر وكان يقول لو أن حامل العلم عمل به لتجرع مرارته ولم يفرح به لانه كله تكاليف وكلما ازداد علما ازداد تكاليف فلا ينبغى للعالم أن يفرح بعلمه الا بعد مجاوزة الصراط وكان سفيان الثورى رحمه الله تعالى يقول اطلبوا العلم

انسانا أحب أولاده فان الله قد أحب آباءكم فهو يحبكم فلا تحتاجون الى الطاعات فاتكلوا على ذلك واغتروا بالله ولم يعلموا ان نوحا عليه السلام أراد أن يحمل ابنه فى السفينة فنع وأغرقه الله بأشد ما أغرق به قوم نوح وان النبى صلى الله عليه وسلم استأذن فى زيارة قبر أمه وفى الاستغفار لها فاذن له فى الزيارة ولم يؤذن له فى الاستغفار ونسوا قوله تعالى ولاتزر وازرة وزر أخرى وقوله تعالى وأن ليس للانسان الا ماسعى فان من ظن انه ينجو بتقوى أبيه كمن ظن انه يشبع بأكل أبيه أو يروى بشرب أبيه والتقوى فرض عين لايجزى فيها والد عن ولده

للعمل فان أكثر الناس قد غلطوا فى ذلك فظنوا النجاة بعلمهم من غير عمل به فان الآيات والاخبار الواردة فى تعذيب من لم يعمل بعلمه وكان ذو النون المصرى رحمه الله تعالى يقول لقد أدركنا الناس وأحدهم كلما ازداد علما ازداد زهدا فى الدنيا وتقللا من متاعها ونراهم اليوم كلما ازداد أحدهم علما ازداد فى الدنيا رغبة وكثرة لامتعتها من لباس ومطعم ومسكن ومنكح ومركب وخدم ونحو ذلك وكان سفيان بن عيينة رحمه الله تعالى يقول كيف يكون حامل القرآن عاملا به وهو ينام الليل ويفطر النهار ويتناول الحرام والشبهات وكان عمر ابن عبد العزيز رحمه الله تعالى يقول لو أن هؤلاء القراء أحياء لوجدوا ألم النار فى بطونهم اذا أكلوا الحرام ولكنهم أموات يرتعون فى الجيف والنار وقد كان منصور بن المعتمر رحمه الله تعالى يقول لعلماء زمانه انكم لستم علماء وانما أنتم متلذذون بالعلم يسمع أحدكم المسئلة ويحكيها للناس ولو انكم عملتم بعلمكم لتجرعتم المرارات والغصص ولحملكم علمكم على التورع حتى لا يجد أحدكم رغيفا يأكله وكان الربيع بن خثيم رحمه الله تعالى يقول كيف يصح للعالم أن يرائى بعلمه وهو يعلم من نفسه ان تعلمه لغير الله وذلك حابط من أصله فكيف يرى نفسه على الناس بما هو حابط وقد كان الامام الثورى رحمه الله تعالى اذا دخل عليه أمير على غفلة وهو يدرس فى العلم فى المدرسة الاشرفية أو جامع بنى أمية يتكدر لذلك واذا بلغه أن أحدا من الاكابر قد عزم على زيارته فى يوم درسه لا يدرس العلم ذلك اليوم خوفا أن يراه ذلك الامير وهو فى محفله ودرسه العظيم ويقول من علامة المخلص أن يتكدر اذا اطلع الناس على محاسن عمله كما يتكدر اذا اطلعوا على مساويه فان فرح النفس بذلك معصية وربما كان الرياء أشد من كثير من المعاصى وكان الحسن البصرى رحمه الله تعالى يقول قبيح بالعالم أن يشبع فى هذا الزمان من الحلال فكيف بمن يشبع من الحرام والله لو انى أكلت أكلة وصارت فى بطنى كالآجرة تكفينى حتى أموت فقد قيل انها تمكث فى الماء أكثر من ثلثمائة سنة وكان يقول ورع العلماء انما هو فى ترك تناول الشهوات أما المعاصى الظاهرة فتراهم يتركونها خوفا أن تذهب عظمتهم من قلوب الناس وكان رحمه الله تعالى يقول بلغنى انه يأتى فى آخر الزمان رجال يتعلمون العلم لغير الله تعالى كيلا يضيع ثم يكون عليهم تبعة يوم القيامة (قلت) ويؤيده حديث ان الله ليؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر والله أعلم وكان بكر بن عبد الله المزنى رحمه الله تعالى يقول من علامة المرائى بعلمه أن يرغب الناس فى العلم ويذكر لهم ما فيه من الفضائل ثم ان شاوره أحد عن القراءة على أحد من أقرانه لا يرغبه فيه كل الترغيب وكان عبد الله ابن المبارك رحمه الله تعالى يقول قد غلب على القراء فى هذا الزمان أكل الحرام والشبهات حتى غرقوا فى شهوة بطونهم وفروجهم واتخذوا علمهم شبكة يصطادون بها الدنيا وكان الفضيل بن عياض رحمه الله تعالى يقول لولا نقص دخل على أهل القرآن والحديث لكانوا خيار الناس ولكنهم اتخذوا علمهم حرفة ومعاشا ولذلك هانوا فى ملكوت السموات والارض وكان بشر الحافى رحمه الله تعالى يقول من عقل العاقل أن لا يطلب زيادة العلم الا اذا عمل بكل ما علم فيتعلم حينئذ العلم كى يعمل به وكان الشعبى رحمه الله تعالى يقول اطلبوا العلم وأنتم تبكون فانه كله حجة عليكم عند ربكم قال ولما ترك بشر الحافى رحمه الله تعالى الجلوس لاملاء الحديث قالوا له ماذا تقول لربك يوم القيامة فقال أقول يارب انك أمرتنى فيه بالاخلاص ولم أجد عند نفسى اخلاصا وكان سفيان الثورى رحمه الله تعالى يقول اذا رأيتم طالب العلم يطلب الزيادة من العلم دون العمل فلا تعلموه فان من لم يعمل بعلمه كشجرة الحنظل كلما ازداد ريا بالماء ازداد مرارة وكان يقول واذا رأيتموه يخلط فى مطعمه ومشربه وملبسه ونحو ذلك ولا يتورع فكفوا عن تعليمه تخفيفا للحجة عليه غدا وكان الحسن البصرى رحمه الله تعالى يقول لو أن عبدا علم العلم كله وعبد الله حتى صار كهذه السارية أو الشن البالى ثم انه لم يفتش ما يدخل جوفه أحلال هو أم حرام ما تقبل الله منه عبادة وكان بشر الحافى رحمه الله تعالى يقول والله لقد أدركنا أقواما كانوا لا يعلمون أحدا العلم حتى يروضون نفسه سنين كثيرة ويظهر لهم صلاح نيته وكان عبد الرحمن بن القاسم رحمه الله تعالى يقول خدمت الامام مالكا رضى الله عنه عشرين سنة فكان منها ثمانية عشر فى تعليم الادب وسنتان منها فى تعليم العلم فياليتنى جعلت المدة كلها فى تعليم الادب وقد كان الامام مالك رضى الله عنه يقول ليس العلم بكثرة الرواية انما العلم ما نفع وعمل به صاحبه وكان الامام الشافعى رضى الله عنه

وعند جزاء التقوى يفر المرء من أخيه وأمه وأبيه وصاحبته وبنيه الاعلى سبيل الشفاعة ونسوا قوله صلى الله عليه وسلم الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت والعاجز من أتبع نفسه هواها وتمنى على الله وقوله تعالى ان الذين آمنوا والذين هاجروا وجاهدوا فى سبيل الله أولئك يرجون رحمة الله والله غفور رحيم وقال تعالى جزاء بما كانوا يعملون وهل يصح الرجاء الا اذا تقدمه عمل فان لم يتقدمه عمل فهو غرور لا محالة وانما ورد الرجاء لتبريد حرارة الخوف واليأس ولتلك الفائدة نطق به القرآن والترغيب فى الزيادة لا محالة

﴿فصل﴾ ويقرب منهم

يقول قال لى الامام مالك رضى الله عنه يا محمد اجعل علمك دقيقا وعملك ملحا وقد كان عبد الله بن المبارك رحمه الله تعالى يقول من حمل القرآن ثم مال بقلبه الى الدنيا فقد اتخذ آيات الله هزوا ولعبا واذا عصى حامل القرآن ربه ناداه القرآن من جوفه والله ما لهذا حملت أين مواعظى وزواجرى وكل حرف منى يناديك ويقول لا تعص ربك وكان الامام أحمد بن حنبل رضى الله عنه اذا رأى طالب العلم لا يقوم من الليل يكف عن تعليمه وقد بات عنده أبو عصمة ليلة من الليالى فوضع له الامام أحمد ماء للوضوء ثم جاء قبل الفجر فوجده نائما والماء بحاله فأيقظه وقال له لم جئت يا أبا عصمة فقال له جئت أطلب منك الحديث يا امام فقال له الامام أحمد كيف تطلب الحديث وليس لك تهجد فى الليل اذهب من حيث جئت وكان الامام الشافعى رضى الله عنه يقول ينبغى للعالم أن يكون له خبيئة من عمل صالح فيما بينه وبين الله تعالى فان كل ما ظهر للناس من علم أو عمل قليل النفع فى الآخرة وما رأى أحد أحدا فى منامه بعد موته وقال غفر الله لى بعلمى الا القليل من الناس وقد رؤى الامام أبو حنيفة رضى الله عنه بعد موته فقيل له كيف حالك قال غفر الله لى قيل له بالعلم فقال هيهات ان للعلم شروطا وآفات قل من ينجو منها قال ورأى بعضهم الجنيد بعد موته رحمه الله تعالى فقال له ما فعل الله بك فقال قد طاحت تلك الاشارات وفنيت تلك العبارات وما نفعنا الا بعض ركيعات كنا نركعها فى السحر قال ورأى بعضهم أبا سهل الصعلوكى بعد موته رحمه الله فقال له ماذا صنع علمك فقال كل ما كان من دقائق العلوم وجدته هباء منثورا الا بعض مسائل سألنى عنها العوام انتهى ففتش يا أخى نفسك فى علمك وعملك وابك على نفسك ان رأيت عندها رياء أو سمعة مما ينهاك عنه هؤلاء السادة من العلماء العاملين المخلصين والحمد لله رب العالمين

﴿ومن أخلاقهم رضى الله تعالى عنهم﴾ هجرهم لأخيهم اذا خالط الامراء وتردد الى أبوابهم لغير ضرورة شرعية ولا لمصلحة كقيامه بالامر بالمعروف ونحوه عملا بحديث ان فى جهنم واديا يقال له هبهب أعده الله للجبارين وللقراء المداهنين الذين يدخلون على أمراء الجور وقد قال والى البصرة يوما لمالك بن دينار رحمه الله تعالى أتدرى ما الذى أجرأك علينا فى اغلاظك القول وعدم قدرتنا على مقابلتك عدم طمعك فيما بايدينا وزهدك فيه وكان ابن السماك رحمه الله تعالى يقول دخلت يوما على والى البصرة فقال لى عظنى يا ابن السماك فقلت له أف عليك وعلى من ولاك مظالم العباد انما تصلحون أن تسدوا بكم الجسور وقد دخل محمد بن واسع على قتيبة بن مسلم وعليه مدرعة صوف فقال له قتيبة ما الذى دعاك الى لبس مدرعة الصوف فسكت محمد فقال مالى أكلمك وأنت ساكت فقال محمد ان قلت زهدا زكيت نفسى وان قلت فقرا شكوت ربى وكان الفضيل بن عياض رحمه الله تعالى يقول والله لو استأذن على هرون الرشيد ما أذنت له الا ان أغلب على ذلك فكيف بمن يذهب هو اليه من هؤلاء الفقراء وقد جاء محمد بن ابراهيم والى مكة يسلم على سفيان الثورى فى المطاف فقال ماذا تريد بالسلام ان كنت تريد ان أعلم انك تطوف اذهب فقد علمت وكان الفضيل بن عياض رحمه الله تعالى يقول لا يصلح أن يدخل على الامراء ويخالطهم الا مثل أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه وأما أمثالنا فلا يصلح له الدخول عليهم لعجزه عن مواجهتهم بالنصح والانكار عليهم فيما يراه منهم من الظلم والجور ونحوه كفرش الحرير والستائر وغير ذلك وقد ذكر وا مرة عند معاوية رضى الله عنه كلاما وكان الاحنف بن قيس رحمه الله جالسا فلم يتكلم فقال له معاوية مالك لا تتكلم يا أحنف فقال انى أخشى الله تعالى ان كذبت وأخشاك ان صدقت فرأيت السكوت أولى انتهى وسيأتى زيادة على ذلك مفرقا والحمد لله رب العالمين

﴿أخذ علينا العهود فى أخلاقهم فنها﴾ عملهم على ترك النفاق بحيث تتساوى سريرتهم وعلانيتهم فى الخير فلا يكون لاحدهم عمل يفتضح به غدا فى الآخرة * ومن وصية أبى العباس الخضر عليه السلام لعمر بن عبد العزيز لما اجتمع به فى المدينة المشرفة وسأله أن يوصيه بوصية فقال له اياك يا عمر أن تكون ولياً لله فى العلانية وعدوا له فى السر فان من لم تتساو سريرته وعلانيته فهو منافق والمنافقون فى الدرك الاسفل من النار فبكى عمر حتى بل لحيته وفى الحديث يخرج فى آخر الزمان أقوام يختلون أى يطلبون الدنيا بعمل الآخرة أى الدنيا بالدين يلبسون جلود الضأن من اللين ألسنتهم أحلى من العسل وقلوبهم قلوب الذئاب يقول الله تعالى أبى يغترون أم على يجترؤن فبى حلفت لابعثن على أولئك فتنة تدع الحليم فيهم حيران وكان المهلب بن أبى صفرة رحمه الله

غرور طوائف لهم طاعات ومعاص الا أن معاصيهم أكثر وهم يتوقعون المغفرة ويظنون أن ترجح كفة حسناتهم وكفة سيآتهم أكثر وهذا غاية الجهل فترى الواحد يتصدق بدراهم عديدة من الحلال والحرام ويكون ما يتناوله من أموال الناس والشبهات أضعافه فهو كمن وضع فى كفة الميزان عشرة دراهم ووضع فى الكفة الاخرى ألفا وأراد أن تميل الكفة التى فيها العشرة وذلك غاية الجهل

﴿فصل﴾ ومنهم من يظن أن طاعته أكثر من معاصيه لانه لا يحاسب نفسه ولا يتفقد معاصيها واذا عمل طاعة حفظها واعتد بها كالذى يستغفر

تعالى يقول انى لأكره الرجل يكون لسانه فضل على فعله وكان عبد الواحد بن زيد رحمه الله تعالى يقول مابلغ
الحسن البصرى رحمه الله تعالى الى مابلغ الا لكونه كان اذا أمر الناس بشئ يكون أسبقهم اليه واذا نهاهم
عن شئ كان أبعدهم منه وكانوا يقولون ما رأينا أحدا سريرته أشبه بعلانيته من الحسن البصرى وكان معاوية
ابن قرة رحمه الله تعالى يقول بكاء القلب خير من بكاء العين وكان يحيى بن معاذ رحمه الله تعالى يقول القلوب
كالقدور ومغارفها ألسنة أصحابها فكونوا عبيدا بأفعالكم كما أنكم عبيد بأقوالكم وكان مروان بن محمد رحمه
الله تعالى يقول ما وصف لى رجل قط الا وجدته دون ما وصفوه به الا وكيعا رحمه الله تعالى فانى وجدته فوق
ذلك وكان عتبة بن عامر رحمه الله تعالى يقول اذا وافقت سريرة العبد علانيته قال الله تعالى لملائكته هذا
عبدى حقا وكان أبو عبد الله الانطاكى رحمه الله تعالى يقول أفضل الاعمال ترك المعاصى الباطنة فقيل له
ولم ذلك قال لان الباطنة اذا تركت كان صاحبها للمعاصى الظاهرة أترك فمن كانت سريرته أفضل من علانيته
فذلك الفضل ومن تساوت سريرته وعلانيته فذلك العدل ومن كانت علانيته أفضل من سريرته فذلك
الجور وكان يوسف بن أسباط رحمه الله تعالى يقول أوحى الله تعالى الى نبى من الانبياء عليهم الصلاة والسلام
أن قل لقومك يخفوا الى أعمالهم وأنا أظهرها لهم وقد مر مثل ذلك فى الخلق قبله وكان أبو عبد الرحمن الزاهد
يقول فى مناجاته يا وحيى عاملت الناس بالامانة وعاملت ربى بالخيانة فليتنى عكست ثم يبكى وكان مالك بن
دينار رحمه الله تعالى يقول من أمر الناس بشئ لم يبلغه حاله فهو منافق الا أن يسأله أحد عن حكمه وكان يقول
اياك أن تكون فى النهار أبا عبد الله الصالح وفى الليل شيطان طالح وتقدم عن ابراهيم التيمى انه يقول ما عرضت
علمى على عملى الا وجدت نفسى غير عامل بما علمت * كان الزبير بن العوام رضى الله عنه يقول اجعلوا لكم خبيئة
من العمل الصالح كما ان لكم خبيئة من العمل السئ وتقدم قول معاوية بن قرة من يدلنى على رجل يبكى بالليل
ويتبسم فى النهار أى ان ذلك لقليل وكان أبو مسلم الخولانى رحمه الله تعالى يقول من نعمة الله على أننى منذ
ثلاثين سنة مافعلت شيأ يستحى منه الا قربى من أهلى وكان أبو عبد الله السمرقندى رحمه الله تعالى اذا مدحه
الناس يقول والله مامثلى ومثلكم الا كمثل جارية ذهبت بكارتها بالفجور وأهلها لا يعلمون بذلك فهم يفرحون
بها ليلة الزفاف وهى حزينة خوف الفضيحة وكان أبو امامة رضى الله عنه يعيب على الرجل بكاءه فى المسجد
بحضرة الناس وكان ميمون بن مهران رحمه الله يقول علانية بغير سريرة مثل كنيف مزخرف من خارجه ومن
داخله النتن والخبث ومن افتخر بمال لم يصبه كذبه كسبه وكان يحيى بن معاذ رحمه الله تعالى يقول من أراد
أن يعده الناس من الصالحين بالقول فقط دون موافقتهم فى الاعمال فهو كمن دخل وليمة الملك لقوم خاصين
بغير اذن ومن اكتفى بالقول دون العمل جازاه الله بالوعد دون العطاء عقوبة له وكان بلال بن سعد رحمه الله
تعالى يقول اذا ادعى الفقير الزهد بغير حق رقص الشيطان حوله يضحك عليه ويسخر به وكان عبد الله بن عمر
رضى الله عنه يقول لا يجد عبد صريح الايمان حتى يعلم بان الله تعالى يراه فلا يعمل سرا يفتضح به يوم القيامة
وكان مالك بن دينار رحمه الله تعالى يقول لو علمتم ما أغلق بابى عليه دونكم ما جلس أحد منكم حوله (قلت)
وهذا من باب الهضم لنفسه والاتهام لها رضى الله عنه وكان سفيان الثورى رحمه الله تعالى يقول قد غلب على
القراء فى هذا الزمان الرياء يظهرون للناس النسك والعبادة وباطنهم مشغول بالغل والحقد والشحناء لبعضهم
واذا كان لكم حاجة عند قارئ فلا تشفعوا عنده بقارئ مثله يقسو قلبه عليكم ولكن تشفعوا عنده بأحد من
الاغنياء فانه أقضى لحاجتكم انتهى وسيأتى الكلام على هذا الخلق فى مواضع من هذا الكتاب ففتش نفسك
يا أخى هل تساوت سريرتك وعلانيتك أم لا وأكثر من الاستغفار واعلم ان من أظهر للناس خلاف ما فى باطنه
فهو منافق يحشر غدا مع المنافقين فافهم ذلك والحمد لله رب العالمين

﴿ومن أخلاقهم رضى الله تعالى عنهم﴾ كثرة الصبر على جور الحكام وشهودهم ان ذلك دون ما يستحقونه
بذنوبهم وكان صالح المرى رحمه الله تعالى يقول اذا لم تتساو سريرة الناس وعلانيتهم فلا يستغربون ما يحل بهم
من أنواع البلايا والآفات وكان عمر بن عبد العزيز رحمه الله يقول كان الحجاج الثقفى بلاء من الله وافق خطيئة
وكان الامام أبو حنيفة رضى الله تعالى عنه يقول اذا ابتليت بسلطان جائر نفرقت دينك بسببه فرقعه بكثرة

الله بلسانه ويسبح بالليل
والنهار مثلا مائة مرة أو
ألف مرة ثم يغتاب المسلمين
ويتكلم بما لا يرضاه الله
طول النهار ويلتفت الى
ما ورد من فضل التسبيح
ويغفل عما ورد فى عقوبة
الكذابين والنمامين
والمنافقين وذلك محض
الغرور فحفظ لسانه عن
المعاصى آكد من تسبيحه
فسبحان من صدنا عن
التنبيه

﴿فصل﴾ فى بيان
أصناف المغرورين
وأقسام كل صنف
(الصنف الاول من
المغرورين العلماء) وهم
فرق ففرقة منهم لما أحكمت
العلوم الشرعية والعقلية
تعمقوا فيها واشتغلوا بها
وأهملوا تفقد الجوارح

الاستغفار

الاستغفار لك وله أيضا وقد كتب أخ لمحمد بن يوسف رحمه الله تعالى يشكو اليه من جور الولاة فى بلاده فأجابه
محمد بقوله قد بلغنا كتابك ولا يخفى عن علمك يا أخى انه ليس لمن عمل بالمعصية أن ينكر وقوع العقوبة وما أرى
ما أنتم فيه الا من شؤم الذنب والسلام وقد حبس هرون الرشيد رحمه الله تعالى رجلا ظلما فكتب اليه الرجل
اعلم يا هرون انه ما من يوم يمضى من حبسى وبؤسى الا ويمضى من عمرك ونعيمك مثله والامر قريب والحاكم
بينى وبينك الله تعالى قال فلما قرأها الرشيد خلى سبيله وأحسن اليه قال وجاء أمره بمال من السلطان لابراهيم
ابن أدهم رحمه الله تعالى ليفرقه على الفقراء الذين يعرفهم فرده ابراهيم عليهم وقال اذا حاسب الله تعالى الظالم
يوم القيامة على ما اكتسبه من المال يقول أعطيته لابراهيم فيرجع يوم القيامة الظالم على بذلك ولكن من
جمعه فهو أولى بتفرقته وكان مالك بن دينار رحمه الله تعالى يقول مكتوب فى التوراة يقول الله تعالى قلوب
الملوك بيدى فمن أطاعنى جعلتهم عليه رحمة ومن عصانى جعلتهم عليه نقمة فلا تشغلوا أنفسكم بسب الملوك وتوبوا
الى أعطفهم عليكم وكان عبد الملك بن مروان رحمه الله تعالى يقول لرعيته انصفونا يا معاشر الرعية تطلبون منا
أن نسير فيكم سيرة أبى بكر وعمر رضى الله عنهما ولا تسيرون أنتم بسيرة رعاياهما فنسأل الله أن يعين كل واحد
منا على صاحبه وكان ابن السماك رحمه الله تعالى يقول كما ابتليتم بالاعمال التى لا ترضى ربكم وقلتم ان الله
تعالى قدر ذلك فأقيموا العذر لولاتكم فان الله تعالى هو المقدر عليهم ما ظلموكم به فان أحدهم يود أن لا يظلم أحدا
منكم ولكن أعمالكم هى السبب فى ظلمكم قال ولما أفضت الخلافة الى عمر بن عبد العزيز رحمه الله تعالى بكى
ثم خير نساءه وجواريه وقال قد أتانى أمر شغلنى عنكن فلا أتفرغ لكن حتى يفرغ الناس من الحساب يوم
القيامة فبكى عند ذلك أهل بيته حتى ظن جيرانهم انه مات عندهم أحد وكان سفيان الثورى رحمه الله تعالى
يقول لقد أدركنا العلماء وهم يرون جلوسهم فى بيوتهم أفضل فصاروا اليوم وزراء الامراء وقهارمة الظلمة وقد
سئل عطاء بن أبى رباح رحمه الله تعالى عن شخص يكتب بقلمه عند الامراء لا يجاوز ما جعلوه له من الرزق فقال
عطاء أرى أن يترك ذلك أما سمع قول موسى عليه الصلاة والسلام رب بما أنعمت على فلن أكون ظهيرا
للمجرمين وكان وهب بن منبه رحمه الله يقول اذا هم الوالى بالجور أدخل الله النقص فى أهل مملكته حتى فى
الاسواق والارزاق والزروع والثمار والضروع وفى كل شئ وكان أبو ذر رضى الله عنه يقول سيأتى على
الناس زمان تكون أعطيتهم من الولاة أثمان أديانهم وكان سفيان الثورى رحمه الله تعالى يقول من تبسم
فى وجه ظالم أو وسع له فى المجلس أو أخذ من عطائه فقد نقض عرا الاسلام وكتب من جملة أعوان الظلمة والمراد
بعرا الاسلام هنا مخالفة قواعد السلف وقد كان طاوس رحمه الله تعالى يكثر الجلوس فى بيته فقيل له فى ذلك
فقال انما اخترت ذلك لحيف الائمة وفساد الرعية وذهاب السنة فان من فرق بين ولده والعبد فى اقامة الحق
فهو جائر وكان ميمون بن مهران رحمه الله تعالى يقول لم يكن أحد أحب الى من عمر بن عبد العزيز ولأن أراه
ميتا أحب الى من أن أراه ولى عملا وكان مالك بن دينار رحمه الله تعالى يقول اذا سمن الامير بعد الهزال فاعلموا
انه قد خان رعيته وخان ربه قال ودخل أبو العالية يوما على الرشيد رحمهما الله تعالى فقال له احذر دعوة المظلوم
فان الله لا يردها ولو من فاجر وفى رواية ولو من كافر انتهى فتأمل يا أخى فى نفسك وانظر هل وفيت بحق رعيتك
فى زاويتك وحق جوارحك بحيث استعملتها فى مرضاة الله تعالى ومنعتها معاصيه أو غششت نفسك
وجوارحك فان كل راع مسؤل عن رعيته واياك يا أخى والدخول على الامراء ولو بقصد أنك تأمرهم وتنهاهم
فان ذلك لا يتم لك معهم والحمد لله رب العالمين

﴿ومن أخلاقهم رضى الله تعالى عنهم﴾ غيرتهم لله تعالى اذا انتهكت حرماته نصرة للشريعة المطهرة فكانوا
لا يفعلون فعلا ولا يحبون أحدا الا ان علموا رضا الله تعالى فيه فلا يحبون أحدا ولا يبغضونه لعلة دنيوية وقد
ثبت فى الحديث الحب فى الله والبغض فى الله من أوثق عرا الايمان فلو عبد الشخص ربه كعبادة الثقلين طالبا
للثواب وهو غافل عن كون ذلك من مرضاة الله تعالى فهو خارج عن الطريق وقد أوحى الله تعالى الى موسى
عليه الصلاة والسلام هل عملت لى عملا فقال نعم يا رب صليت وصمت وتصدقت وذكر أشياء فقال الله تعالى هذا
لك ولكن هل واليت لاجلى وليا أو عاديت لاجلى عدوا فعلم عند ذلك موسى أن الحب فى الله والبغض فى الله

وحفظها عن المعاصى
والزامها الطاعات واغتروا
بعلمهم وظنوا انهم عند الله
بمكان وانهم قد بلغوا من
العلم مبلغا لا يعذب الله
مثلهم بل يقبل شفاعتهم
فى الخلق ولا يطالبهم
بذنوبهم وخطاياهم وهم
مغرورون فانهم لو نظروا
بعين البصيرة لعلموا أن
العلم علمان علم معاملة وعلم
مكاشفة وهو العلم بالله تعالى
وبصفاته فلابد من علوم
المعاملة لتتم الحكمة
المقصودة وهى المعاملة
بمعرفة الحلال والحرام
ومعرفة أخلاق النفس
المذمومة والمحمودة ومثلهم
مثل طبيب يطب غيره
وهو عليل قادر على طب
نفسه فلم يفعل وهل ينفع
الدواء بالوصف هيهات

من أفضل الاعمال وكان على بن الحسين رضى الله عنهما يقول لا يصطحب اثنان على غير طاعة الله الا تفرقوا على غير طاعة الله وقد كان يوسف بن أسباط رحمه الله تعالى يقول اذا دخلتم على الولاة فلا تخصوهم بالدعاء فانهم حاربوا الله ورسوله ولكن ادعوا للمسلمين فان كانوا منهم لحقتهم الدعوة وكان عبد الله بن مسعود رضى الله عنه يقول اذا صحبت أحدا الا تسأل عن مودته لك ولكن انظر ما فى قلبك له ونفسك فان ما عندك مثل الذى عنده على حد سواء انتهى وكان سفيان الثورى رحمه الله تعالى يقول اذا أحدث الرجل حدثا ولم يبغضه من زعم انه أخوه فمحبته لغير الله اذ لو كانت لله لغضب على من عصاه وكان أبو هريرة رضى الله عنه يقول يؤتى بالعبد يوم القيامة بين يدى الله تعالى فيقول الله عز وجل له هل أحببت لى وليا حتى أهبك له انتهى فأحبوا الصالحين واتخذوا عندهم أيادى فان لهم دولة يوم القيامة وكان الحسن البصرى رحمه الله تعالى يقول مصارمة الفاسق قربة الى الله تعالى (قلت) ومراده مصارمته بالقلب أما فى الظاهر فلا تنبغى مصارمته لاجل تقويم عوجه وتبغيضه فى صفات الفسق فان الفاسق ضالة كل داع الى الله تعالى فافهم ذلك والله أعلم وقد سئل سفيان الثورى رحمه الله تعالى هل نعزى الفاسق اذا مات له ميت قال لا وكان الفضيل بن عياض رحمه الله تعالى يذكر أبا بكر وعمر رضى الله عنهما ويبكى ويترحم على معاوية رضى الله عنه ويقول انه كان من أكابر العلماء الا انه ابتلى بحب الدنيا انتهى (قلت) الذى ينبغى حمل حبه للدنيا على انه يحبها للعمل الآخرة كما عليه السلف الصالح بل هو أولى بقصد ذلك من الاولياء لانه صحابى جليل رضى الله عنه والله أعلم وكان الحسن البصرى رحمه الله يقول من ادعى أنه يحب عبد الله تعالى ولم يبغضه اذا عصى الله تعالى فقد كذب فى دعواه أنه يحبه لله وكان محمد بن الحنفية رضى الله عنه يقول من أحب رجلا من أهل النار لخير ظهر منه آجره الله على ذلك ومن أبغض رجلا من أهل الجنة لشر ظهر منه آجره الله على ذلك وقد كان مالك بن دينار رحمه الله تعالى لا يطرد الكلب اذا جلس بحذائه ويقول هو خير من قرين السوء وكفى بالمرء شرا أن لا يكون صالحا ويقع فى الصالحين وكان أحمد بن حرب رحمه الله تعالى يقول ليس شئ أنفع لقلب العبد من مخالطة الصالحين والنظر الى أفعالهم وليس شئ أضر على القلب من مخالطة الفاسقين والنظر الى أفعالهم وكان يحيى بن معاذ رحمه الله تعالى يقول ولى الله ريحان فى الارض فاذا شمه المريدون ووصلت رائحته الى قلوبهم اشتاقوا الى ربهم انتهى فتأمل يا أخى حالك هل أحببت أحدا لله وأبغضته كذلك لله تعالى أم أحببت بالهوى وأبغضت بالهوى وابك على نفسك واكثر من الاستغفار ليلا ونهارا والحمد لله رب العالمين

﴿ومن أخلاقهم رضى الله تعالى عنهم﴾ قلة الضحك وعدم الفرح بشئ من الدنيا بل كانوا ينقبضون بكل شئ حصل لهم من ملابسها ومراكبها ومناكحها ومناصبها عكس ما عليه أبناء الدنيا كل ذلك خوفا أن يكون من جملة ما عجل لهم من نعيم الآخرة وكيف يفرح بشئ من هو فى السجن محبوس عن لقاء الله عز وجل فكما يحزن المحبوس عن داره وعياله ويتكدر كذلك يحزن أولياء الله تعالى على طول عمرهم وسجنهم فى هذه الدار عن لقاء ربهم عز وجل وفى الحديث ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال والذى نفسى بيده لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا ولما تلذذتم بالنساء على الفرش ولخرجتم الى الصعدات تجأرون الى الله عز وجل وقد كان عبد الله بن مسعود رضى الله عنه يقول عجبت من ضاحك ومن ورائه النار ومن مسرور ومن ورائه الموت وكان الحسن البصرى رحمه الله تعالى لا يراه أحد الا ظن أنه قريب عهد بمصيبة لما يراه به من شدة الحزن والخوف وكان الفضيل بن عياض رحمه الله تعالى يقول رب ضاحك وأكفانه قد خرجت من عند القصار وكان ابن مرزوق رحمه الله تعالى يقول من ادعى أن الذنوب عمته وأحزنته ثم جمع فى ادامه بين عسل وسمن فهو كاذب وكان الاوزاعى رحمه الله تعالى يقول فى قوله تعالى لا يغادر صغيرة ولا كبيرة الا أحصاها الصغيرة هى التبسم فى هذه الدار والكبيرة هى القهقهة فيها (قلت) ولعل مراده رحمه الله تعالى بالتبسم هنا الضحك بصوت يسمعه من فى مجلسه اذ التبسم كان ضحكه صلى الله عليه وسلم وكان ثابت البنانى رحمه الله تعالى يقول ما ضحك مؤمن قط الا وهو فى غفلة عن الموت وكان عامر بن قيس رحمه الله يقول أكثر الناس ضحكا فى الدنيا أكثرهم بكاء فى النار ومكث سعيد بن عبد العزيز رحمه الله تعالى لم يضحك منذ أربعين سنة حتى مات

لا ينفع الدواء الا من شربه بعد الحمية وغفلوا عن قوله تعالى قد أفلح من زكاها وقد خاب من دساها ولم يقل من يعلم تزكيتها وكتب علمها وعلمها الناس وغفلوا عن قوله صلى الله عليه وسلم من ازداد علما ولم يزدد هدى لم يزدد من الله الا بعدا وقوله صلى الله عليه وسلم ان أشد الناس عذابا يوم القيامة عالم لم ينفعه الله بعلمه وغير ذلك كثير وهؤلاء مغرورون نعوذ بالله من حالهم وانما غلب عليهم حب الدنيا وحب أنفسهم وطلب الراحة العاجلة وظنوا أن علمهم ينجيهم فى الآخرة من غير عمل (وفرقة أخرى) أحكموا العلم والعمل الظاهر وتركوا

وكذلك

وكذلك غزوان الرقاشى وكان أنس بن مالك رضى الله عنه يقول مع كل ضحاك فى مجلس شيطان وقد مرت معاذة العدوية رحمها الله تعالى يوما على شبان يضحكون وعليهم ثياب صوف فقالت سبحان الله لباس الصالحين وضحك الغافلين وكان وهيب بن الورد رحمه الله يقول الضحك الذى لا اسراف فيه هو الذى يظهر به السن ولا يسمع له صوت واللباس الذى لا اسراف فيه هو ما وارى العورة ووقاك من الحر والبرد والطعام الذى لا اسراف فيه هو ما سد الجوع وكان دون الشبع وكان عون بن أبى زيد رحمه الله تعالى يقول صحبت عطاء السلمى رحمه الله خمسين سنة فما رأيته ضاحكا قط وقد كان عبد العزيز بن أبى داود رحمه الله تعالى يقول لما ظهر المزاح فى أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أنزل الله تعالى ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله فتركوا المزاح حينئذ وخشعوا رضى الله عنهم انتهى والآثار فى ذلك كثيرة مشهورة فى كتاب الرقائق وما تميز أهل الله عز وجل عن غيرهم الا بالاقبال على الآخرة والتهيؤ لاحوالها فتأمل يا أخى فى نفسك وما أنت منطو عليه من الغفلة والسهو عما يقربك الى الله تعالى وأكثر من الاستغفار والحمد لله رب العالمين

﴿ومن أخلاقهم رضى الله تعالى عنهم﴾ تمنى الموت اذا خافوا على أنفسهم الوقوع فيما يسخط الله عز وجل عليهم وذلك بامارات تظهر لهم من أنفسهم هى كالمقدمات للمعاصى والقرائن معدودة من الادلة فى كثير من المواضع وقد كان عابس الغفارى رضى الله عنه فى أيام الطاعون يقول يا طاعون خذنى ويكرر ذلك فقال له ابن عم له كيف تقول ذلك يا عابس وقد سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لا يتمنى أحدكم الموت فانه انقطاع لعمله فقال عابس نعم سمعته يقول ذلك ولكنى أخاف ستا سمعته صلى الله عليه وسلم يتخوفهن على أمته امارة السفهاء وكثرة الشرط وبيع الحكم وقطيعة الرحم والاستخفاف بالدم ونشوا يتخذون القرآن مزامير يقدمون أحدهم ليس بأفقههم فى الدين ولكن يقدمونه ليغنيهم به غناء انتهى وكذلك تمنى أبو بكرة الموت رضى الله عنه فقيل له فى ذلك فقال أخاف ان أدرك زمانا لا آمر فيه بالمعروف ولا أنهى فيه عن المنكر وقد كان أبو هريرة رضى الله عنه يقول سيأتى على الناس زمان يكون الموت أحب الى العلماء فيه من الذهب الاحمر حتى يأتى الرجل قبر أخيه فيقول ليتنى كنت مكانك وكان يحيى بن معاذ رحمه الله تعالى يقول من أطاع الله لم يتمن الموت وكان عمر بن عبد العزيز رحمه الله تعالى اذا رأى أحدا فيه خير قال له ادع لى بالموت وكان أبو الدرداء رضى الله عنه يقول ما من مؤمن ولا كافر الا والموت خير له فان الله تعالى يقول وما عند الله خير للابرار وقال انما نملى لهم ليزدادوا اثما ولهم عذاب مهين وقد كان سفيان الثورى رحمه الله تعالى يقول لقد أدركت مشايخنا وهم يتمنون الموت رضى الله عنهم فكنت أعجب منهم حتى صرت الآن أتعجب ممن لا يحب الموت وكان عبد الله بن مسعود رضى الله عنه يقول ذهب صفو الدنيا وبقى كدرها فالموت اليوم تحفة لكل مسلم وكان عمر بن عبد العزيز رحمه الله يقول ما أحب أن يخفف عنى الموت لانه آخر شئ يؤجر عليه المؤمن وكان أبو الدرداء رضى الله عنه يقول ما أهدى الى أخ هدية هى أحب الى من السلام ولا بلغنى خبر عنه قط أحب الى من موته وقد كان عطاء السلمى رحمه الله يتمنى الموت فقال له عطاء الازرق رحمه الله كيف تتمنى ما نهى النبى صلى الله عليه وسلم عنه فقال انما يريد الحياة من يزداد كل يوم خيرا وأما مثلى ومثلك فما يرجو بالحياة وكان أبو عتبة الخولانى رحمه الله تعالى يقول كان من صفة أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لقاء الله تعالى أحب اليهم من الشهد ولم يكونوا يخافون عوزا من الدنيا بل كانوا واثقين برزق الله وكانوا يحبون الموت أكثر مما يحب أحدكم الصحة وكان عبد الله بن المبارك رحمه الله تعالى يقول قلت مرة لسهل القسترى رحمه الله أتحب يا سهل أن تموت غدا فقال لا ولكن الساعة وكان سفيان الثورى رحمه الله تعالى يقول لقد أدركنا الناس وهم يخافون من الامراض والبلايا خوفا على أنفسهم أن يقعوا فى كراهة قضاء الله تعالى فلم يكن خوفهم من البلاء الا لما فيه والله ما أدرى ماذا يقع منى لو ابتليت فلعلى أكفر ولا أشعر وقد بلغنى أن لقمان عليه السلام قال لابنه يا بنى انى حملت الصخر والحديد فلم أر شيأ أثقل من الدين وأكلت الطيبات وعانقت الحسان فلم أر شيأ ألذ من العافية وذقت المرارات كلها فلم أذق شيأ أمر من الحاجة الى الناس وكان الفضيل بن عياض رحمه الله تعالى يقول ابكوا على أهل البلاء وان كان جرمكم أعظم من جرمهم فيحتمل انكم تعاقبون على ذنوبكم كما عوقبوا وأشد

المعاصى الظاهرة وغفلوا عن قلوبهم فلم يمحوا منها الصفات المذمومة عند الله كالكبر والرياء والحسد وطلب الرياسة والعلو وارادة السوء بالاقران والشركاء وطلب الشهرة فى البلاد والعباد وذلك غرور سببه غفلتهم عن قوله صلى الله عليه وسلم الرياء الشرك الاصغر وقوله صلى الله عليه وسلم الحسد يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب وقوله صلى الله عليه وسلم حب المال والشرف ينبتان النفاق فى القلب كما ينبت الماء البقل الى غير ذلك من الاخبار وغفلوا عن قوله تعالى الا من أتى الله بقلب سليم فغفلوا عن قلوبهم واشتغلوا بظواهرهم ومن لا يصفى قلبه لا تصح طاعاته وهو

الى صلح مولاه الارابكا والله لو أنى أتيت مكة على الجمر لكان ذلك قليلا انتهى فاعلم ذلك يا أخى واياك أن تتهاون بالاستغفار اذا تقادم عهد الذنب فانك من المعصية على يقين ومن المغفرة على شك وأكثر من الاستغفار ليلا ونهارا والحمد لله رب العالمين

﴿ومن أخلاقهم رضى الله تعالى عنهم﴾ كثرة الخوف من الله تعالى أن يعذبهم على ما جنوه من مظالم نفوسهم ومظالم العباد ولو عود خلال لاحد أو ابرة يخيطون بها لاسيما ان كان أحدهم يستقل أعماله الصالحة فى عينه فانه يشتد خوفه وكربه لعدم أن يكون معه شئ من الحسنات يعطى منها الخصوم يوم القيامة وربما شح أحد المظلومين يوم القيامة فلا يرضى بجميع أعمال الظالم الصالحة فى مظلمة واحدة من مال أو عرض أو لطمة وفى الحديث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أتدرون من المفلس من أمتى يوم القيامة فقالوا المفلس فينا من لا درهم له ولا دينار ولا متاع فقال صلى الله عليه وسلم المفلس من يأتى يوم القيامة بصيام وصلاة وزكاة وحج ويأتى وقد شتم هذا وأكل مال هذا وسفك دم هذا وضرب هذا فيعطى هذا من حسناته وهذا من حسناته فان فنيت قبل أن يقضى ما عليه أخذ من خطاياهم فطرح عليه ثم قذف فى النار وكان عبد الله بن أنيس رضى الله عنه يقول ينادى رب العزة يوم القيامة أنا الملك الديان لا ينبغى لاحد من أهل النار أن يدخل النار ولا ينبغى لاحد من أهل الجنة أن يدخل الجنة ولاحد عنده مظلمة حتى اقتص له منه وقد كان وهب بن منبه رحمه الله تعالى يقول تاب شاب من بنى اسرائيل عن جميع المعاصى ثم صار يتعبد فعبد الله سبعين سنة لا يفطر ولا ينام ولا يستظل بظل ولا يأكل سمينا فلما مات رآه بعض اخوانه فى المنام فقال له ماذا فعل الله بك قال حاسبنى ثم غفر لى كل ذنب الا عودا خللت به أسنانى بغير اذن صاحبه فأنا محبوس عن الجنة بسببه الى وقتى هذا (قلت) ويؤيد ذلك حديث ان الله تعالى أخفى ثلاثا فى ثلاث أخفى رضاه فى طاعته وأخفى سخطه فى معصيته وأخفى أولياءه فى عباده الحديث فربما علق الحق تعالى سخطه على عبد بوقوعه فى ذنب صغير فى عينه كاخذه الخلال المذكور لاسنانه أو غسل يده بتراب جاره بغير اذنه كما مر آنفا والله أعلم وكان الحرث المحاسبى رحمه الله تعالى يقول بلغنا أنه تاب كيال عن الكيل وأقبل على عبادة ربه عز وجل فلما مات رآه بعض أصحابه فى منامه فقال له ما فعل الله بك يا فلان قال أحصى على خمسة عشر قفيزا من أنواع الحبوب التى كنت أكيلها فقال له كيف ذلك قال كنت أغفل عن تعاهد الكيل بالنقص من الغبار فتراكم فى قعره من التراب فكان كل كيلة تنقص بقدر ما فى القعر من التراب قال وكذلك وقع لشخص كان لا يتعاهد الميزان بمسحها من الغبار فكان يعذب فى قبره ويسمع الناس صياحه فى القبر حتى شفع فيه بعض الصالحين رضى الله عنهم وكان أبو ميسرة رحمه الله تعالى يقول بلغنا أن ميتا ضرب فى قبره ضربة التهب قبره منها نارا فقال على ماذا تضربون فقالوا انك مررت على مظلوم فاستغاث بك فلم تغثه وصليت مرة بغير وضوء أى وأنت متحقق وكان شريح القاضى رحمه الله تعالى يقول اياكم والرشوة فانها تعمى عين الحكيم وفى رواية تعمى عين الحكم الحق وقد كان الحسن البصرى رحمه الله تعالى اذا رأى أحدا من الولاة أو أعوانهم يتصدق على أحد من الفقراء يقول له أيها المتصدق على المساكين لترحمهم ارحم أنت الذى ظلمته ورد اليه ظلامته فانه أخلص لذمتك وكان ميمون بن مهران رحمه الله تعالى يقول من ظلم رجلا مظلمة وفاته أن يخرج من مظلمته فليستغفر له دبر كل صلاة فانه يخرج من مظلمته ان شاء الله تعالى وكان حذيفة رضى الله عنه يقول من اقتراب الساعة أن يكون أمراء فجرة وعلماء فسقة وأمناء خونة وكان ميمون بن مهران رحمه الله تعالى يقول ان الرجل ليلعن نفسه فى الصلاة ولا يشعر فقيل له وكيف ذلك قال يقرأ ألا لعنة الله على الظالمين وهو قد ظلم نفسه بالمعاصى وظلم الناس بأخذ أموالهم والوقوع فى أعراضهم وكان الحسن البصرى رحمه الله تعالى يقول اياكم أن تكونوا أوصياء فان الوصى قد لا يقدر على العدل فى وصيته ولو بالغ فى التحرز وكان مالك بن دينار رحمه الله تعالى يقول أمين الخائن خائن وأمين العشار عشار وكان يحيى بن معاذ رحمه الله تعالى يقول اياك أن تكون وصيا فان الموصى يريد أن يستصلح بك المال ويفسد عليك دينك فكن على دين نفسك أحرص منك على حفظ ماله وكان أبو يوسف صاحب أبى حنيفة رضى الله عنهما يقول الدخول فى الوصية أول مرة غلط والمرة الثانية خيانة ولا كلام وقد رأى كعب الاحبار رضى الله عنه رجلا يظلم

من كلامه لم يظن بنفسه أن ذلك حسد ويقول انما هو غضب للحق ورد على المبطل فى عداوته وظلمه وهذا مغرور فانه لو طعن على غيره من العلماء من أقرانه ربما لم يغضب بل ربما يفرح وان أظهر الغضب عند الناس فقلبه ربما يحبه وربما يظهر العلم ويقول غرضى به أن أفيد الخلق وهو به مراء لانه لو كان غرضه صلاح الخلق لاحب صلاحهم على يد غيره ممن هو مثله أو فوقه أو دونه وربما يدخل على السلاطين ويتودد اليهم ويثنى عليهم فاذا سئل عن ذلك قال انما غرضى أن أنفع المسلمين وأدفع عنهم الضرر وهو مغرور فلو كان غرضه ذلك لفرح به اذا جرى على يد

الناس فى يوم الجمعة فقال له أما تخشى من ظلم الناس فى يوم تقوم فيه القيامة وفيه خلق أبوك آدم عليه الصلاة والسلام وكان عبد الله بن مسعود رضى الله عنه يقول من أعان ظالما على ظلمه أو لقنه حجة يدحض بها حق امرئ مسلم فقد باء بغضب من الله وكان الفضيل بن عياض رضى الله عنهما يقول بلغنا أن الله تعالى اذا أراد أن يتحف عبده سلط عليه من يظلمه انتهى وفى الحديث من دعا على ظالم فقد انتصر وكان يحيى بن معاذ رحمه الله تعالى يقول لو ظلمنى أحد ولم أكافئه كان أحب الى وكان أمير المؤمنين على رضى الله تعالى عنه يقول ما ظلم أحد أحدا ولا أساء أحد أحدا حقيقة لان الله تعالى قال من عمل صالحا فلنفسه ومن أساء فعليها وكان أحمد بن حرب رحمه الله تعالى يقول يخرج من الدنيا أقوام أغنياء من كثرة الحسنات فيأتون يوم القيامة مفاليس من أجل تبعات الناس وكان سفيان الثورى رحمه الله تعالى يقول لان تلقى الله تعالى بسبعين ذنبا فيما بينك وبينه أهون عليك من أن تلقاه بذنب واحد فيما بينك وبين العباد انتهى فتأمل يا أخى فى خوف السلف واقتد بهم فى ذلك فانك على شفير الهلاك ومن خاف سلم والحمد لله رب العالمين

﴿ومن أخلاقهم رضى الله تعالى عنهم﴾ كثرة الخوف من الله تعالى اذا ذكروا أهوال يوم القيامة وكثرة الغشيان والصعق اذا سمعوا القرآن والذكر وقد قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما قوله تعالى ان لدينا أنكالا وجحيما وطعاما ذا غصة وعذابا أليما وكان وراءه حمران بن أعين فخر ميتا رضى الله عنه وقد دخل يزيد الرقاشى على عمر بن عبد العزيز رحمهما الله تعالى يوما فقال له عظنى يا يزيد فقال له يا أمير المؤمنين انك أول خليفة يموت فبكى عمر وقال له زدنى فقال له ليس بينك وبين أبيك آدم أب حى فبكى عمر وقال له زدنى فقال له ليس بين الجنة والنار منزلة أخرى فسقط عمر مغشيا عليه وكان الحسن بن صالح رحمه الله تعالى يؤذن مرة فقال أشهد أن لا اله الا الله فغشى عليه فحملوه من المنارة ونزلوا به وصعد أخوه فأذن وصلى بالناس والحسن فى غشيته وكان أبو سليمان الدارانى رحمه الله تعالى يقول ما رأيت أحدا أكثر خشوعا من الحسن يعنى ابن صالح رحمه الله قام ليلة الى الصباح بسورة عم يتساءلون يرددها ويغشى عليه الى الفجر ولم يتم السورة وكان كلما غشى عليه يجدد طهارة وقد مر داود الطائى يوما على امرأة تبكى على قبر لها وتقول ليت شعرى بأى خديك بدا الدود فخر داود مغشيا عليه وقد كانت شعوانة العابدة رحمة الله عليها تقول فى مناجاتها الهى أنت أكرم الكرماء وسيد السادات ورجاء المسلمين فأسألك أن تغفر اليوم لكل من تعرض لمعصيتك بعد معرفته بعقوبتك ثم تصرخ ويغشى عليها وتقول هاه وقد قرأ أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه يوما اذا الشمس كورت حتى بلغ قوله تعالى واذا الصحف نشرت فخر مغشيا عليه وصار يضطرب على الارض ساعة طويلة قال وسمع الربيع بن خيثم رحمه الله تعالى قارئا يقرأ قوله تعالى اذا رأتهم من مكان بعيد سمعوا لها تغيظا وزفيرا فخر مغشيا عليه ثم حمل الى بيته ففاته الظهر والعصر والمغرب والعشاء وكان هو الامام فى حارته وفى رواية كان القارئ عبد الله ابن مسعود وقد كان أبو سليمان الدارانى رحمه الله تعالى يقول صلى سفيان الثورى رحمه الله تعالى ركعتين خلف المقام ثم نظر الى السماء فانقلب مغشيا عليه قال الدارانى وما فعل به ذلك مجرد نظره الى السماء وانما ذلك من التفكر فى أهوال القيامة وكان وهب بن منبه رحمه الله تعالى يقول كان ابراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام اذا ذكر خطيئته يغشى عليه ويسمع وجيب قلبه من مسيرة ميل فيقال له تفعل ذلك وأنت خليل الرحمن فيقول اذا ذكرت خطيئتى نسيت خلتى قال وصلى الفضيل بن عياض رحمه الله الفجر يوما فقرأ يس فلما بلغ قوله تعالى ان كانت الا صيحة واحدة فاذا هم جميع لدينا محضرون فسقط ابنه على رحمه الله فلم يفق حتى طلعت الشمس وقد كان على هذا اذا أراد أن يقرأ سورة لم يقدر أن يتمها وكان لا يقدر يسمع سورة اذا زلزلت الارض ولا سورة القارعة أبدا قال ولما مات ضحك أبوه الفضيل فقيل له فى ذلك وكان كثير الحزن فقال ان الله أحب موته فأحببت ذلك لحب الله وكان يقول لوالده ادع الله لى أن يقدرنى على سماع سورة كاملة أو على ختم القرآن ولو مرة قبل موتى وكان الحسن البصرى رحمه الله تعالى يقول كان أحدهم يقرأ القرآن فى الليل فاذا أصبح عرف الناس ذلك فى وجهه من شدة التغير والاصفرار والنحول والذبول فصار الناس اليوم يقرأ أحدهم القرآن كله فى الليل فاذا أصبح لا يظهر على وجهه منه شئ وكأنه حمل رداءه وكان ميمون بن مهران رحمه الله تعالى يقول سمع

غيره ولو رأى من هو مثله عند السلطان يشفع فى أحد لغضب وربما أخذ من أموالهم فاذا خطر بباله انه حرام قال له الشيطان هذا مال بلا مالك وهو لمصالح المسلمين وأنت امام المسلمين وعالمهم وبك قوام الدين وهذه ثلاث تلبيسات أحدها أنه مال لا مالك له والثانى انه لمصالح المسلمين والثالث انه امام وهل يكون اماما الا من أعرض عن الدنيا كالانبياء والصحابة وأفاضل علماء هذه الامة ومثله كما قال عيسى عليه السلام العالم السوء كصخرة وقعت فى فم الوادى فلا هى تشرب الماء ولا هى تترك الماء يخلص الى الزرع وأصناف غرور أهل العلم كثيرة وما يفسد هؤلاء

سلمان الفارسى رضى الله عنه قارئا يقرأ قوله تعالى وان جهنم لموعدهم أجمعين فصاح ووضع يده على رأسه وخرج هائما لا يدرى أين يتوجه مدة ثلاثة أيام فتأمل يا أخى فى أحوال سلفك فهل غشى عليك قط عند سماع كلام ربك عز وجل خالصا أم لم يغش عليك لا خالصا ولا مرائيا لقسوة قلبك فخذ حذرك وعليك بالجوع فانه يرقق القلب والحمد لله رب العالمين

﴿ومن أخلاقهم رضى الله تعالى عنهم﴾ انخلاع قلوبهم من أجسامهم فى كل مرضة يمرضونها لاحتمال أن تكون تلك المرضة آخر آجالهم فلا يمكنهم التوبة ولا تدارك الحقوق فيذهبون الى الآخرة وهم عصاة كالعبد المجرم الذى فسق فى حريم سيده وأتوا به حال اشتداد غضبه عليه ولله المثل الاعلى وقد مرض مرة حسان بن سنان رحمه الله فدخل عليه أصحابه يعودونه فقالوا له كيف تجدك فقال بخير ان نجوت من النار فقالوا له ماذا تشتهى فقال ليلة طويلة أحييها بالصلاة والاستغفار قبل أن أموت وكان مالك بن دينار رحمه الله تعالى يقول دخلت على جار لى وهو فى مرض موته وكان مسرفا على نفسه فقلت له ألا تعاهد الله تعالى على انك لا تعصيه فلعلك تموت على ذلك قال مالك فسمعت النداء من داخل البيت ان كان عهده مثل عهودك التى تعاهدنا عليها ثم تنقضها فلا فائدة فيه بل يزاد به مقتا وطردا فخر مالك مغشيا عليه وقالوا للربيع بن خيثم فى مرض موته ألا تدعو لك طبيبا فسكت ساعة ثم قال أين عاد وثمود وأصحاب الرس وقرونا بين ذلك كثيرا وكلا ضربنا له الامثال وكلا تبرنا تتبيرا مع أنهم كان فيهم المعالجون والاطباء ومع ذلك ماتوا جميعا ثم قال والله لا أدعو لى طبيبا أبدا ودخلوا على مغيرة الخراز فى مرض موته فقالوا له كيف تجدك قال موقرا بالذنوب فقالوا هل تشتهى شيأ فقال نعم أن يمن على بالتوبة عن كل ما يكره قبل موتى ولما مرض وهيب بن الورد سير اليه أمير مكة بطبيب نصرانى فقال له ما تجد فقال معاذ الله ان أخبرك بما بى فقال له القوم أخبرنا ونحن نخبره فقال سبحان الله أين هذه العقول أتأمروننى أن أشكو ربى الى عدو من أعدائه قوموا عنى أجمعون وكان سفيان بن عيينة يقول دخلنا على الفضيل بن عياض نعوده فقال لو لم تجيئوا لكان أحب الى من مجيئكم انى أخاف أن أشكو لكم ربى وكان يحيى بن معاذ يقول عدنا مرة مريضا فقلنا له كيف تجدك فقال أخرجت الى الدنيا وأنا راغم وقد عشت فيها وأنا ظالم وأفارقها وأنا نادم ودخل الحسن البصرى على عطاء السلمى وهو مريض قد علاه الصفار فقال له يا عطاء لو خرجت الى صحن الدار فقال انى أستحى أن يرانى ربى أسعى فى حظ نفسى ولما مرض عمر بن عبد العزيز أتوه بطبيب فنظر اليه الطبيب وقال هذا رجل قد قطع الخوف من الله كبده فلا أقدر على دوائه ولما مرض أبو بكر ابن عياش دخل عليه طبيب نصرانى فمنعه أن يمس يده فلما قام النصرانى أتبعه أبو بكر بصره ثم قال يا رب كما عافيتنى من بلائه الذى هو الكفر فافعل بى ما شئت وكان سفيان الثورى يقول قل أن ينفك مريض من غير الاكابر عن هذه الاربع الطمع والكذب والشكوى والرياء وكان شداد بن حكيم اذا حم بالمرض يتصدق بمائة درهم شكر الله تعالى على المرض وكان عمر بن الخطاب رضى الله عنه اذا مرض لا يتداوى باشارة طبيب وقالوا له مرة ألا ندعو لك طبيبا فقال تالله لو علمت ان شفائى فى مس أذنى ما مسستها نعم ما يفعله ربى عز وجل ولما عادوا يحيى بن معاذ قالوا له كيف تجدك قال عشت فى الدنيا ظالما وقيل للامام الشافعى كيف تجدك قال أصبحت من الدنيا راحلا ولسوء أعمالى ملاقيا وعلى فضل ربى معوّلا ودخل بعض الامراء على داود الطائى فى مرضه فوضع الى جنبه ألف دينار فقال له خذها عافاك الله فقال له ألك من حاجة قال نعم أن لا تأتينى بعد اليوم ثم التفت للحاضرين وقال هذا يريد أن يزيدنى دنسا على دنسى قبل موتى (ودخلوا) على الفضيل بن عياض يعودونه فقالوا له ما تشتهى قال نظرة الى أخى يوسف بن أسباط قبل موتى وكان حاتم الاصم اذا رأى بخيلا يتصدق فى مرض موته يقول اللهم أدم مرضه فانه تكفير لخطاياه وأفضل للفقراء وقالوا لمحمد بن سيرين فى مرض موته كيف تجدك فقال أجدنى فى بلاء شديد أجوع فلا أستطيع أن أشبع وأعطش فلا أستطيع أن أروى وأرقد فلا أذوق الكرى وقالوا وكان قليل الشكوى فى مرضه ولكنه اشتد عليه فلم يطق حمله فشكا الى اخوانه ليدعوا له باللطف ومرض الفضيل بن عياض مرة فقالوا له كيف تجدك فقال بخير ولكن ادعوا لى بطول المرض حتى لا أرى الناس ولا يرونى ودخلوا على أبى بكر بن عبد الله يعودونه فخرج اليهم يهادى بين

أكثر مما يصلحونه (وفرقة أخرى) أحكموا العلوم وطهروا الجوارح وزينوها بالطاعات واجتنبوا ظاهر المعاصى وتفقدوا أخلاق النفس وصفات القلب من الرياء والحسد والكبر والحقد وطلب العلو وجاهدوا أنفسهم فى التبرى منها وقلعوا من القلب منابتها الجلية القوية ولكنهم مغرورون اذ فى زوايا القلب بقايا من خفايا مكايد الشيطان وخبايا خدع النفس ما دق وغمض فلم يتفطنوا لها وأهملوها ومثلهم كمثل من يريد تنقية الزرع من الحشيش فدار عليه ونفش عن كل حشيش فقلعه الا أنه لم يفتش عما لم يخرج رأسه بعد من تحت الارض ويظن أن الكل

رجلين فقالوا ادع الله لنا فقال رحم الله من اشتغل بطاعة ربه قبل أن يصير الى مثل حالى هذا ودخلوا على المأمون فى مرضه الذى مات فيه فاذا هو قد أمر خدامه أن يفرشوا تحته جل الدابة ويبسطوا عليه الرماد وصار يتمرغ عليه وقال يا من لا يزول ملكه ارحم من قد زال ملكه ودخلوا على عتبة الغلام فى مرض موته فقالوا كيف تجدك فأنشد يقول

خرجت من الدنيا وقامت قيامتى * غداة يقل الحاملون جنازتى
وعجل أهلى حفر قبرى وصيروا * خروجى وتعجيلى اليه كرامتى
كأنهم لم يعرفوا قط صورتى * غداة أتى يومى على وليلتى

قال عمر بن عبد العزيز ولما طعن عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه دعا بلبن فشرب منه فخرج اللبن من طعنته فقال الله أكبر فجعل جلساؤه يثنون عليه خيرا فقال والله لوددت أنى خرجت من الدنيا كفافا كما دخلت فيها ولو كان الى اليوم جميع ما طلعت عليه الشمس وما غربت لافتديت به من هول المطلع ولما حضرت الوفاة سلمان الفارسى بكى وقال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد عهد الينا وقال ليكن بلغة أحدكم من الدنيا كزاد الراكب وها أنا قد جمعت هذه الامتعة وأشار اليها فلما مات قوّموها بخمسة عشر درهما ولما حضرت ابراهيم النخعى الوفاة بكى فقيل له فى ذلك فقال انى أنتظر رسولا يأتينى من ربى لا أدرى هل يبشرنى بالجنة أو بالنار ولما حضرت محمد بن المنكدر الوفاة بكى فقيل له ما يبكيك فقال أبكى على ذنوبى التى رأيتها فى عينى هينة وهى عند الله عظيمة ولما حضرت محمد بن سيرين الوفاة بكى فقيل له ما يبكيك فقال أبكى على تفريطى فى الايام الخالية وادخالى للنار الحامية ولما حضرت عمر بن عبد العزيز الوفاة قال اللهم انى أذنبت فان غفرت لى فقد مننت وان عذبتنى فقد عدلت وما ظلمت لكنى أشهد أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله ثم قضى نحبه رضى الله عنه ولما حضرت عامر بن قيس الوفاة بكى وقال انى لم أبك جزعا من الموت ولا حرصا على الدنيا ولكنى أبكى على عدم قضاء وطرى من طاعة ربى وقيام الليل فى أيام الشتاء ولما حضرت عبد الله بن المبارك الوفاة قال لغلامه اجعل رأسى على التراب فبكى الغلام قال ما يبكيك قال ذكرت ما كنت فيه من النعيم وأنت هو ذا تموت على هذا الحال فقال انى سألت ربى أن أموت على هذا الحال ثم قال لقنى يا أخى لا اله الا الله اذا الحال تغير ولا تعد على ذلك الا ان تكلمت بعده بكلام وكان عطاء بن يسار يقول وقف ابليس تجاه أحمد بن حنبل وقال يا أحمد خرجت من الدنيا وأنت آمن منى فقال له ما أمنتك بعد ودخل الحسن البصرى على رجل وهو يجود بنفسه فقال ان أمرا هذا آخره لحقيق أن يزهد فى أوله ولما حضرت أبا ذر الوفاة قال يا موت اخنق وعجل فانى أحب لقاء الله ودخل أبو الدرداء على محتضر فوجده يقول الحمد لله فقال له أصبت يا أخى ان الله اذا قضى أمرا أحب من عبده أن يحمده عليه (ودخل) سفيان الثورى على ولد يجود بنفسه وأبواه يبكيان عنده فقال لهما لا تبكيان فانى قادم على من هو أرحم بى منكما (ولما حضرت) معاوية بن أبى سفيان الوفاة قال اللهم ارحم الشيخ العاصى ذا القلب القاسى اللهم أقل عثرتى واغفر زلتى وعد بحلمك على جهل من لم يثق بأحد سواك ولم يرج غيرك ثم بكى حتى علا نحيبه ولما حضرت هشام بن عبد الملك الوفاة نظر الى أولاده وهم يبكون حوله فقال قد جاد لكم هشام بالدنيا وجدتم عليه بالبكاء وترك لكم ما جمع وتركتم عليه ما اجترم فما أعظم منقلب هشام ان لم يغفر الله له ولما حضرت أبا هريرة الوفاة بكى فقالوا له ما يبكيك فقال بعد السفر وقلة الزاد وضعف اليقين وخوف الوقوع من الصراط فى النار انتهى فتأمل يا أخى نفسك فانك محتضر على الدوام ليس فى يدك نفس واحد يطلع أو ينزل وأكثر من الاستغفار آناء الليل وأطراف النهار فانك على شفا جرف هار والله يتولى هداك وهو يتولى الصالحين والحمد لله رب العالمين وعليه الاعتماد

﴿ومن أخلاقهم رضى الله عنهم﴾ كثرة الاعتبار والبكاء والاهتمام بأمر الموت اذا رأوا جنازة وقد كان أبو هريرة رضى الله عنه اذا رأى أحدا يحمل جنازة يقول لها امض الى ربك فانا على أثرك ماضون وكان مكحول الدمشقى يقول اذا رأى جنازة اغدوا فانا رائحون موعظة بليغة قليلة وغفلة شنيعة يذهب الاول والآخر لم يعتبر وكان يظل كأنه لا عقل له مدة أيام وكان أسيد بن حضير يقول ما حدثتنى نفسى قط عند رؤية الجنازة الا بما الميت صائر اليه وربما ترك الاكل والشرب أياما وخرج مرة فى جنازة فلما أدخلوا الميت القبر غشى عليه فارجعوا به الى بيته

قد ظهر وبرز فلما غفل عنها ظهرت وأفسدت عليه الزرع فهؤلاء ان غيروا تغيروا وربما تركوا مخالطة الخلق استكبارا عنهم وربما نظروا الى الخلق بعين الحقارة وربما يجتهد بعضهم فى تحسين منظره كيلا ينظر اليه بعين الركاكة (وفرقة أخرى) تركوا المهم من العلوم واقتصروا على علم الفتاوى فى الحكومات والخصومات وتفاصيل المعاملات الدنيوية الجارية بين الخلق لمصالح المعايش وخصصوا اسم الفقه وسموه الفقه وعلم المذهب وربما ضيعوا مع ذلك علم الاعمال الظاهرة والباطنة ولم يتفقدوا الجوارح ولم يحرسوا اللسان عن الغيبة والبطن عن الحرام والرجل

الا فى النعش وخرج مالك بن دينار فى جنازة أخ له فبكى وقال والله لا تقر عينى حتى أعلم ماصار اليه أخى وكان الاعمش يقول كنا نشهد الجنائز ولا نعرف من يعزى لان الحزن قد عم الناس كلهم وكان ثابت البنانى يقول كنا نشهد الجنائز فلا نرى الا متلفعا باكيا ومر ابراهيم الزيات على جماعة يترحمون على ميت فقال لهم خافوا على أنفسكم خير لكم فان ميتكم قد جاوز ثلاثا رؤية ملك الموت وذوق مرارة الموت وأمن من سوء الخاتمة وحضر عمرو بن ذر جنازة رجل كان مسرفا على نفسه وتحاشى الناس أن يحضروا جنازته من شدة اسرافه فلما أدلوه فى القبر قال له عمرو رحمك الله يا فلان صحبت التوحيد وعفرت وجهك بالتراب وان كانوا قالوا عليك انك مذنب كثير الخطايا فمن هو منا لم يذنب ولم يخطئ فبكى من كان حامل النعش فاعلم يا أخى ذلك واعتبر كما اعتبر هؤلاء وأكثر من البكاء والنحيب فان بين يديك من الاهوال مالا يوصف والحمد لله رب العالمين

﴿ومن أخلاقهم رضى الله تعالى عنهم﴾ كثرة الحزن والهم كلما تذكروا الموت وسكراته خوف سوء الخاتمة حتى تزلزل عقولهم من شدة الالم وقد كان كعب الاحبار يقول لما أتى البشير الى يعقوب عليه السلام قال يعقوب ماعندى شئ أكافئك به ولكن هون الله عليك سكرات الموت (قلت) قد تقدم عن بعضهم انه كان يقول لعلى أكره تخفيف طلوع روحى وانما أحب التشديد لانه آخر عمل يثاب عليه المؤمن فاهنا فى حق من يخاف عليه السخط اذا شدد الله عليه والله أعلم وكان يقول مثل الموت كشجرة الشوك أدخلت فى جوف ابن آدم فأخذت كل شوكة بعرق ثم اجتذبها رجل شديد الجذب فقطع ماقطع وأبقى ما أبقى وكان سلمان الفارسى يقول اذا رشح جبين المؤمن عند الموت وذرفت عيناه وانتشر منخراه فهو فى رحمة الله قد نزل واذا غط غطيط المخنوق وخمد لونه وأزبدت شفتاه فهو فى عذاب الله قد نزل وكان الحسن البصرى اذا حضر قبض روح أحد من اخوانه يمكث أياما لا يذوق طعاما ولا شرابا انما هو البكاء والنحيب وكان يقول ثلاثة لا ينبغى للمؤمن أن يتساهل الدنيا وتصرم أحوالها والموت وكان سفيان الثورى اذا ذكر وا بين يديه الموت لا ينتفع به أحد أياما واذا سأله أحد عن شئ يقول لا أدرى وكان شقيق الزاهد يقول قد خالف الناس فى السنة أمورا قالوا ان الله تعالى تكفل بأرزاقنا ثم لم تطمئن قلوبهم الا بشئ يجمعونه عندهم وقالوا ان الآخرة خير من الاولى وتراهم يجمعون المال ولا ينفقونه فكأنهم لم يدخلوا الدنيا الا ليحملوا الذنوب وقالوا لابد لنا من الموت وهم يعملون أعمال من ليس على باله موت ولما حضرت الوفاة عطاء السلمى نظر الى أصحابه وهم يدعون له بالتهوين فقال كفوا عن الدعاء فوالله انى أود أن روحى تتردد بين لهاتى وحنجرتى الى يوم القيامة خوفا مما أهجم عليه بعد الموت وكان يقول من أراد أن ينظر الى الارض بعد أهلها فلينظر الى منازل الحجاج حين يرتحلون عنها وأنشد أبو العتاهية

نفنى وتبقى الارض بعد كمثل ما * يبقى المناخ وترحل الركبان

وكان الحسن بن عمران يقول الموت أشد من نشر المناشير ومن طبخ القدور ولو أن ألم شعرة واحدة من الميت وضع على أهل الدنيا لوجدوا من ذلك ألما يشغلهم عن الاكل والشرب ومر الحسن بن على رضى الله عنهما على باب دار فقال مالى أرى هذه الدار ساكنة بعد ان كانت ناطقة فأجابته امرأة من وراء الباب قد صار أهلها يتامى وأيامى فبكى الحسن حتى بل لحيته ولما طعن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قالوا له انا نرجو أن لا تمسك النار فقال والله انكم لجاهلون انى لاخشى أن أصير فحمة من فحم جهنم ودخل عليه جماعة وهو مطعون قالوا له استخلف ولدك عبد الله بعدك فانه عبد صالح فقال رضى الله عنه أما يكفى من آل الخطاب واحد يأتى يوم القيامة ويداه مغلولتان الى عنقه وكان ابن أبى مليكة يقول لما قبض الخليل عليه الصلاة والسلام رآه بعض ولده فقال يا أبت كيف وجدت الموت فقال ابراهيم عليه الصلاة والسلام وجدت نفسى كأنها تنزع بالسلاسل وقد سألنى ربى عن ذلك فأجبته بهذا فقال الله تعالى أما أنا قد هوناه عليك وكان ابن عباس يقول لما جاء ملك الموت الى موسى عليه السلام ليقبض روحه قال يا موسى أشربت خمرا اليوم فقال سبحان الله انى صائم فاستنكهه فقبض روحه فى نكهته فقيل له بعد موته كيف وجدت الموت يا موسى فقال كشاة يسلخ جلدها وهى حية وكان الربيع بن خيثم يقول تمنوا الموت فى هذه الدار جهدكم قبل أن تصيروا الى دار تتمنوا الموت فيها فلا تجابون يعنى النار وكان ابن سيرين اذا ذكروا الموت عنده مات كل عضو منه وكان كعب الاحبار يقول لما

عن السعى الى السلاطين وكذا سائر الجوارح ولم يحرسوا قلوبهم عن الكبر والرياء والحسد وسائر المهلكات وهؤلاء مغرورون من وجهين أحدهما من حيث العمل وقد ذكرنا وجه علاجه فى كتاب الاحياء وان مثلهم كمثل المريض الذى تعلم الدواء من الحكماء ولم يعلمه أو يعمله فهؤلاء مشرفون على الهلاك من حيث انهم تركوا تزكية أنفسهم وتخليها واشتغلوا بكتاب الحيض والديات واللعان والظهار وضيعوا أعمارهم فيها وانما غرهم تعظيم الخلق لهم واكرامهم ورجوع أحدهم قاضيا ومفتيا ويطعن كل واحد منهم فى صاحبه واذا اجتمعوا زال الطعن والثانى من

أحيا عيسى بن مريم سام بن نوح قال له عيسى مذ كم أنت ميت قال منذ أربعة آلاف سنة قال كيف وجدت الموت قال الى الآن لم تذهب عنى سكرته ولا حرارته (وقيل) لرابعة العدوية أتحبين الموت فقالت لو عصيت آدميا ما أحببت لقاءه خجلا منه فكيف وقد عصيت ربى عز وجل (وسمع) يحيى بن معاذ نائحة فى دار رجل من الاغنياء فقال ويح المغترين بالدنيا الى متى يسمعون صيحة الآخرة فى دورهم فلا ينتبهون وكان حامد اللفاف يقول من أكثر ذكر الموت أكرم بثلاثة أشياء تعجيل التوبة وقناعة النفس والنشاط فى العبادة وقال وهب بن منبه لما مات موسى عليه الصلاة والسلام جاءت الملائكة فى السموات بعضهم الى بعض واضعى أيديهم على خدودهم وهم يقولون مات موسى كليم الله فأى الخلق لا يموت وكان رضى الله عنه يقول لا يموت عبد حتى يرى الملكين الكاتبين فان كان صحبهما بخير قالا له جزاك الله من صاحب خيرا فنعم الصاحب كنت فكم أحضرتنا معك فى مجالس الخير وكم شممنا منك الروائح الطيبة حال طاعتك الخالصة وان كان قد صحبهما بسوء قالا له لا جزاك الله عنا من صاحب خيرا فكم أحضرتنا معك حال معاصيك وكم شممنا منك رائحة النتن وكان رضى الله عنه يقول لا يقدر على رضا الله الا من يعلم أن الله تعالى يراه على الدوام (قلت) قد ذكر المحققون ان مراقبة الله تعالى مع الانفاس ليست من مقدور البشر فليتأمل ماهنا وكان سفيان الثورى يقول ما استعد للموت من ظن أنه يعيش غدا وكان يقول الطاعات تتفرع عن ذكر الموت والمعاصى تتفرع من نسيانه فاعلم يا أخى ذلك وعليك بالوحدة ومجالسة العباد والزهاد والعلماء العاملين واياك ومجالسة الغافلين والراغبين فان مخالطتهم ظلمة على القلب وحجاب عن شهود أهوال يوم القيامة والحمد لله رب العالمين

﴿ومن أخلاقهم رضى الله تعالى عنهم﴾ النظر الى الدنيا بعين الاعتبار لا بعين المحبة لها وشهواتها كما تدرج عليه جمهور السلف الصالح رضى الله عنهم وقد جاء سعد بن أبى وقاص يوما الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له أين كنت يا سعد فقال كنت عند قوم فى البادية همتهم لذات بطونهم وفروجهم فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ألا أخبرك بما هو أعجب من ذلك فقال بلى فقال من عرف مثل هذا الذى أنكرت عليهم ثم فعل كفعلهم وكان سفيان الثورى رضى الله عنه يقول من أعمل الفكرة والعبرة فى الدنيا لم ينقص له عمل صالح (وقيل) لحاتم الاصم متى يكون أحدنا من أهل الاعتبار فى الدنيا فقال اذا رأى كل شئ فى الدنيا عاقبته الى الخراب وصاحبه يذهب الى التراب وكان يحيى بن معاذ يقول ليكن نظرك الى الدنيا اعتبارا وسعيك لها اضطرارا ورفضك لها اختيارا وكان حاتم الاصم يقول من خرجت من داره جنازة ولم يعتبر لها لم ينفعه علم ولا حكمة ولا موعظة وكان أحمد بن حرب يقول تعجب الارض من رجلين ممن يمهد مضجعه للنوم ويوطئ فراشه تقول له الارض يا ابن آدم لم لا تذكر طول بلائك فى بلا فراش وتعجب ممن تشاجر مع أخيه فى قطعة منها تقول له الارض لم لا تتفكر فى أربابها قبلك فكم مضى من الناس رجل ملكها ولم يقم فيها وكان مالك بن دينار يقول كل من لم يعتبر ببصره وبصيرته من هذه الدار الى الدار الآخرة فهو محجوب القلب قليل العمل وقال ابراهيم بن أدهم كان ابراهيم التيمى يبول فى صحن داره فخرج ليلا من حجرته ليبول فيه فلم يزل شاخصا الى الصباح فقيل له فى ذلك فقال لما أردت أن أبول تذكرت أهل النار وما هم فيه لم يزالوا يعرضون على بسلاسلهم وقيودهم الى الصباح فلم يأخذنى نوم (وكانت) فاطمة امرأة عمر بن عبد العزيز تقول والله ما سم عمر ولا قتل كما قيل وانما مات من خشية الله وخوف النار وكان ثابت البنانى يقول مر داود عليه السلام بتنور يوقد فتذكر النار الكبرى فاضطرب وصعق وكادت تتخلص أعضاؤه وأوصاله وكانوا يشدونها بالحبال حتى يقدر على أن يحركها فلا تزال كذلك مشدودة أياما وكان يقول فى أيام الحر الهى لا صبر لنا على حر شمسك فكيف نصبر على حر نارك وكان يزيد بن مرثد لا يزال عيناه تهملان بالدموع فقيل له فى ذلك فقال لو أذن الله تعالى على أن يدخلنى فى ماء الحمام ان عصيته لكان يحق لى ان أبكى الدم فكيف وقد وعد من عصاه ان يحرقه بالنار ومر عيسى عليه الصلاة والسلام على مقبرة فسمع قائلا يقول كم من بدن صحيح ووجه مليح ولسان فصيح بين اطباق الثرى يصيح وكان أحمد بن حرب يقول ما رأيت أسخف من عقولنا نؤثر الظل على الشمس ولا نؤثر الجنة على النار فاعلم ذلك يا أخى واجعل نظرك للوجود عبرة والحمد لله رب العالمين

حيث العلم وذلك انهم ظنوا انه لا علم الا بذلك وانه الموصل المنجى وانما الموصل المنجى حب الله تعالى ولا يتصور حب الله تعالى الا بمعرفته ومعرفته ثلاث معرفة الذات ومعرفة الصفات ومعرفة الافعال وهؤلاء مثل من اقتصر على بيع الزاد فى طريق الحاج ولم يعلموا أن الفقه هو الفقه عن الله ومعرفة صفاته المخوفة والمزجرة ليستشعر القلب الخوف ويلازم التقوى كما قال تعالى فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة الآية ومن هؤلاء من اقتصر من علم الفقه على الخلافيات ولم يهمه الا تعلم طريق المجادلة والالزام وافحام الخصم ودفع الحق لاجل الغلبة والمباهاة فهو طول الليل

﴿ومن أخلاقهم رضى الله تعالى عنهم﴾ تحذيرهم للناس أن يتبعوهم على أفعالهم الرديئة نصحا للعباد فى حياتهم وبعد مماتهم لئلا يلحقهم الاثم بسبب من اتبعهم على تلك الصفات الرديئة التى ربما تقع منهم فى غفلة أوسهو وقد بلغنا ان السيل كشف عن قبر أيام اسكندر ذى القرنين من ذهب طوله عشرة أذرع وعرضه كذلك فكشفوا الغطاء فاذا فى ذلك القبر شخص نائم على سرير قوائمه من ذهب وهو مغطى بالحرير وفى عنقه لوح من زبرجد مكتوب فيه اسم واجب الوجود وعلة العلل كل ماله ابتداء فله انتهاء قد ملكت الربع المسكون من الدنيا ألف سنة وبلغ خراجى كل يوم زنة قبرى هذا ذهبا وسخر لى الشمس والقمر والافلاك وأطاعنى الريح والماء والنار والحديد ثم صعدت الى الجو العلوى وتركت هذا الجسد بينكم يتلاشى ليعتبر به من بعدى فلا مخلوق الاسفنى والباقى الله رب العالمين ذكره الغزالى ففى ذلك تحذير هذا الملك للناس من أن يتبعوه فى الغفلة عن الموت اشتغالا بالدنيا وكان وهب بن منبه يقول دخل داود عليه السلام غارا من اغوار بيت المقدس فاذا فيه سرير عليه رجل ميت وعند رأسه لوح مكتوب فيه أنا فلان الملك ملكت الدنيا ألف عام وتزوجت ألف بكر وبنيت ألف مدينة وهزمت ألف جيش وهذا مصرعى فاعتبروا بى يا أهل الدنيا وكان الفضيل بن عياض يقول كم أراد عدو الانسان أن يضره فيصرفه الله عنه ولا يشعر ثم يقرأ قوله تعالى اذكروا نعمة الله عليكم اذهم قوم أن يبسطوا اليكم أيديهم فكف أيديهم عنكم وكان أنس بن مالك يقول لا تذهب الايام والليالى حتى يكون سماع الشعر أحب الى الناس من سماع القرآن وكان يحيى بن معاذ يقول عجبت من أقوام يعيبون على الصالحين المباح ولم يعيبوا على أنفسهم الذنوب القباح فترى أحدهم يقع فى الغيبة والنميمة والحسد والحقد والغل والكبر والعجب ولا يستغفر من ذلك ثم ينكر على الصالحين لبس أحدهم الثوب المباح أوأكل الحلاوة أوالسكر المباح وكان أبو حمزة البغدادى يقول لا تنظروا الشكر العامة فى العلماء اذا ما تواولكن انظروا الى شكر الزهاد والعباد لهم وقال صالح المرى يوما من أدمن قرع الباب يوشك أن يفتح له فقالت امرأة وهل أغلق بابه تعالى قط فقال صالح امرأة عقلت وشيخ جهل وكان عيسى عليه الصلاة والسلام يقول لا يسب النبى والصالح الا أهل مدينته أوجيرانه لانه ينصحهم فيكرهونه ويسبونه وكان يحيى بن معاذ يقول اذا رأيت العالم فى مكان من الاماكن التى تزرى به فلا تعجل باللوم عليه فربما كان أحذر منك فى حضوره وأقل لوما منك على لومك (قلت) وسيأتى فى هذا الكتاب ان من الصالحين من لا يفارق مواضع المعاصى يشفع فى أهلها ويحوطهم من أن ينزل عليهم بلاء ولا ينبغى المبادرة بالانكار عليه الا بعد الفحص عن حاله والله أعلم (وكان) يحيى بن معاذ يقول اذا صادفت النفس مالا فقد صادف الذئب غنما فى البرية وكان أبو الدرداء يقول لا تجعلوا عبادته تعالى بلاء عليكم فقيل كيف ذلك قال يوقف أحدكم على نفسه العمل ثم لا يفى به وكان عيسى عليه الصلاة والسلام يقول كل كلام الله يرجع معناه الى أن الآخرة خير من الاولى ولا ينبغى لاحد أن يشك فى ذلك قال وكان حاتم الاصم يقول من أحب الدرهم لذاته فقد أحبه للآخرة فاعلم ذلك يا أخى وقل اللهم لا تجعلنا عبرة لغيرنا وبصرنا بعيوبنا والحمد لله رب العالمين

﴿ومن أخلاقهم رضى الله عنهم﴾ رؤيتهم نفوسهم أنهم من أفسق الناس وان مثلهم لا يستحق أن يجيب الله له دعاء ولذلك كان أحدهم يمتنع من أن يخرج مع الناس للاستسقاء ودفع الوباء وقد كان سعيد بن جبير يقول قحط الناس فى زمن ملك من ملوك بنى اسرائيل فاستسقوا فلم يسقوا فقال الملك ان لم يرسل الله علينا السماء والا آذيته قيل كيف تقدر أن تؤذيه وهو الحق تعالى مستحيل عليه أن يكون فى السماء لانه تعالى منزه عن المكان والزمان قال أقتل أولياءه وأهل طاعته فيكون ذلك له أذى فأرسل الله تعالى عليهم السماء فضلا منه وحلما وقالوا لمالك بن دينار ألا تخرج معنا للاستسقاء فقال أخاف أن تمطر عليكم حجارة لاجلى وكان يقول انكم تستبطئون المطر وأنا أستبطئ الحجر وكان وهب بن منبه يقول خرج عيسى عليه السلام يستسقى فخرج فضجر ولم يسق فقال من أذنب منكم ذنبا فليرجع فرجع الناس كلهم الا واحدا فقال له أمالك ذنب فقال نعم نظرت مرة الى امرأة فلما ولت أدخلت أصبعى فى عينى هذه فقلعتها فقال له عيسى عليه السلام فادع الله للقوم فدعا فجللت السماء لوقتها وأمطروا وخرج موسى عليه السلام ثلاثة أيام يستسقى فلم يسق فأوحى الله اليه ان

والنهار فى التفتيش فى مناقضات أرباب المذاهب والتفقد لعيوب الاقران وهؤلاء لم يقصدوا العلم وانما قصدوا امباهاة الاقران ولو اشتغلوا بتصفية قلبهم كان خيرا لهم من علم لا ينفع الا فى الدنيا ونفعه فى الدنيا التكبر وذلك ينقلب فى الآخرة نارا تلظى وأما أدلة المذهب فيشتمل عليها كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم فما أقبح غرور هؤلاء (وفرقة أخرى) اشتغلوا بعلم الكلام والمجادلة والرد على المخالفين وتتبع مناقضاتهم واستكثروا من علم المقولات المختلفة واشتغلوا بتعلم الطريق فى مناظرة أولئك وافحامهم ولكنهم على فرقتين احداهما ضالة مضلة

فيكم رجلا نماما فلا أستجيب لكم وهو فيكم فقال موسى يارب من هو حتى نخرجه من بيننا فقال ياموسى أنهاكم عن النميمة وأكون نماما فقال موسى عليه السلام توبوا كلكم عن النميمة فتابوا فسقوا فى الساعة وكان سفيان الثورى يقول قحط بنو اسرائيل سبع سنين حتى أكلوا الميتة والاطفال فكانوا يخرجون الى الجبال ويتضرعون فلا يجابون فأوحى الله الى موسى ان قل لهم لو عبدتمونى حتى صرتم كالسوط البالى ماقبلت لكم دعاء حتى تردوا المظالم الى أهلها وأصاب بنى اسرائيل مرة أخرى قحط فاستسقوا فلم يسقوا فأوحى الله تعالى الى موسى عليه السلام كيف أستجيب لهم وقد خرجوا بأبدان نجسة ورفعوا الى أكفا قد أكلوا بها الحرام حتى ملؤا بطونهم فلا يزدادون منى الا بعدا وقحطا فليتوبوا وأنا أرفع عنهم القحط وقحطوا مرة أخرى حتى أكلوا الكلاب والميتة وكانوا يستسقون فلا يسقون فأوحى الله تعالى الى موسى قل لهم لو مشيتم بأقدامكم حتى تحثوا على ركبكم ويبلغ عملكم عنان السماء وتكل ألسنتكم من الدعاء فانى لا أجيب لكم داعيا ولا أرحم فيكم باكيا حتى تردوا المظالم لاهلها فقال موسى لهم ذلك فقالوا نحن لا نحصى عدد المظالم حتى نردها فماتوا عطشا وجوعا فانظر يا أخى الى كثرة اتهام السلف أنفسهم واياك والمبادرة الى الخروج الى الاستسقاء الا ان كنت تظن ان الله غفر لك ذنوبك كلها فان لم تظن ذلك فتربص ثم تب الى الله تعالى واخرج والحمد لله رب العالمين

﴿ومن أخلاقهم رضى الله تعالى عنهم﴾ كثرة العفو والصفح عن كل من آذاهم بضرب أوأخذ مال أووقوع فى عرض أونحو ذلك تخلقا بأخلاق رسول الله صلى الله عليه وسلم فانه صلى الله عليه وسلم كان لا ينتقم بنفسه وانما ينتقم اذا انتهكت حرمات الله وكان جعفر بن محمد يقول لان أندم على العفو أحب الى من أن أندم على العقوبة وكان حاتم الاصم يقول من عدم انصافك أن تبغض الناس اذا عصوا ربهم ولا تبغض نفسك اذا عصت ربها قلت المراد ببغض الانسان نفسه معاقبتها بالجوع والعطش وعدم النوم على فراش ونحو ذلك فيعاملها معاملة الشخص لمن يكره بالغضب وعدم الشفقة لا كمعاملة المحب لمحبوبه وقد قال الشيخ أبو يزيد البسطامى رضى الله عنه دعوت نفسى الى العبادة مرة فأبت فعاقبتها فمنعتها الماء سنة وكان المداينى يقول أقبح المكافأة المجازات بالاساءة وكان التيمى يقول كثرة الاحتمال تورث المحبة قال وأدخلوا على ابن الزبير رجلا قد أحدث أى أذنب فدعا بالسياط ليضربه فقال له الرجل أسألك بمن تكون يوم القيامة بين يديه أذل منى بين يديك الا عفوت عنى فنزل ابن الزبير عن سريره وألصق خده بالارض وقال قد عفوت قلت ولعل تركه للتأديب على من أقسم عليه لعذر شرعى كان خاف من اقامته مفسدة أعظم من اقامته التأديب عليه والله أعلم وسئل قتادة من أعظم الناس قدرا قال أكثرهم عفوا * وسرقت امرأة مصحف مالك بن دينار ولحقته فجعل يتبعها أنا مالك خذى الملحفة وهاتى المصحف لا تخافى وكان أبو سعيد المقبرى يقول من تمام العفو ترك مكافأة الظالم والترحم عليه وكثرة سؤال الله أن يعفو عنه ولما ضرب الامام مالك جعل ضاربه فى حل من أول سوط ضربه به وكذلك بلغنا عن الامام أحمد لما ضرب وكان يقول وماذا على رجل أن لا يعذب الله أحدا بسببه وكان كعب الاحبار يقول من صبر على أذى امرأته أعطاه الله من الاجر ما أعطى أيوب عليه السلام ومن صبرت على أذى زوجها أعطاها الله تعالى من الاجر مثل ما أعطى آسية بنت مزاحم رضى الله عنها وسيأتى أواخر هذا الكتاب بسط الكلام على هذا الخلق ان شاء الله تعالى والحمد لله رب العالمين

﴿ومن أخلاقهم رضى الله تعالى عنهم﴾ كثرة تعظيمهم حرمة المسلمين ومحبة الخير لهم لانها من جملة شعائر الله تعالى وقد كان أبو بكر الصديق رضى الله عنه يقول لا يحقرن أحد أحدا من المسلمين فان صغير المسلمين عند الله كبير وكان عبد الله بن عباس يقول أفضل الحسنات اكرام الجلساء وكان ينظر الى الكعبة ويقول ان الله حرمك وشرفك وكرمك والمؤمن أعظم حرمة عند الله تعالى منك وكان عكرمة رضى الله عنه يقول اياكم أن تؤذوا أحدا من العلماء فان من آذى عالما فقد آذى رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان أبو هريرة رضى الله عنه يقول المؤمن أكرم على الله تعالى من بعض الملائكة الذين عنده وقيل لحاتم الاصم لم كانت يد السارق المسلم تقطع فى خمسة دراهم مع ان ديتها خمسمائة دينار فقال لهتكه الستر وفعله الجور وتركه الحرمة فتأمل يا أخى فى نفسك هل عظمت حرمات المسلمين فضلا عن العلماء والصالحين كما ذكرنا أم احتقرتهم ووقعت فى

والاخرى محقة أما غرور الفرقة الضالة فلغفلتها عن ضلالتها وظنها بنفسها النجاة وهم فرق كثيرة يكفر بعضهم بعضا وانما ضلوا من حيث انهم لم يحكموا لشروط الادلة ومنهاجها فرأوا الشبهة دليلا والدليل شبهة وأما غرور الفرقة المحقة فمن حيث انهم ظنوا بالجدل انه أهم الامور وأفضل القربات فى دين الله وزعموا أنه لا يتم لاحد دينه مالم يفحص ولم يبحث وان من صدق الله من غير بحث وتحرير لدليل فليس بمؤمن ولا بكامل ولا بمقرب عند الله تعالى ولم يلتفتوا الى القرن الاول وان النبى صلى الله عليه وسلم شهد لهم بأنهم خير الخلق ولم يطلب

اعراضهم وصرت من الفاسقين بذلك فاستغفر الله

﴿ومن أخلاقهم رضى الله تعالى عنهم﴾ صبرهم على أذى زوجاتهم وشهودهم ان كل مابدا من زوجة أحدهم من المخالفات له صورة معاملته لربه فلما خالف ربه كذلك خالفته زوجته وهى قاعدة أكثرية لا كلية فتخرج الانبياء عليهم الصلاة والسلام من ذلك لعصمتهم وكان عوام السلف اذا لم يشهدوا ماذكرناه صبروا على أذاها لشهودهم ان نفعها أكثر من ضررها وكانوا رضى الله عنهم يؤدون الى المرأة حقها على الكمال ولا يمنعهم مخالفتها لهم عن ذلك عملا بنحو حديث أدّ الامانة لمن ائتمنك ولا تخن من خانك وان كان على كل من الزوجين الحق للآخر كما هو مقرر فى كتب الحديث والفقه وتقدم فى الخلق قبله قول كعب الاحبار من صبر على أذى زوجته له أعطاه من الاجر ما أعطى أيوب عليه السلام وكان على بن أبى طالب كرم الله وجهه يقول من جهاد المرأة حسن التبتل لزوجها وكان الحسن البصرى يقول أربعة من الشقاء كثرة العيال وقلة المال وجار السوء فى دار الاقامة وزوجة تخون زوجها وكان سفيان الثورى يقول من تزوّج فقد أدخل الدنيا بيته ومن أدخل الدنيا بيته فقد تزوّج ابنة ابليس ومن تزوّج ابنة ابليس أكثر ابليس التردد الى بيته لاجل ابنته فاحذروا من التزويج قلت كلام سفيان رضى الله عنه فى حق من تزوّج بغير نية صالحة فان فى الحديث من تزوّج لله كفى ووقى لابد من هذا الحمل ليخرج من تزوّج من الانبياء والمحفوظين والاولياء والله أعلم وفى الحديث لولا ان الله ستر المرأة بالحياء لكانت لا تساوى كفا من تراب وكان على بن أبى طالب يقول من سعادة المرء خمسة أشياء أن تكون زوجته موافقة وأولاده أبرارا واخوانه أتقياء وجيرانه صالحين ورزقه فى بلده وقد كان صلى الله عليه وسلم يقول اللهم انى أعوذ بك من صاحب غفلة ومن جار سوء ومن زوج يؤذى ولما ماتت زوجة مالك بن دينار لم يتزوّج بعدها وكان يقول لو أنى قدرت على طلاق نفسى لطلقتها وكان أحمد بن حرب يقول اذا اجتمع فى المرأة ست خصال فقد كمل صلاحها المحافظة على الخمس وطواعية زوجها ومرضاة ربها وحفظ لسانها من الغيبة والنميمة وزهدها فى متاع الدنيا وصبرها عند المصيبة وكان عبد الله بن المبارك يقول من فتنة النساء التى حذر النبى صلى الله عليه وسلم منها أنهنّ يدخلن على الازواج القطيعة للقرابة ويحوجونهم لادنى المكاسب الزائدة على فتنة الشهوة والميل وكان حاتم الاصم يقول المرأة الصالحة عماد الدين وعمارة البيت وعون على الطاعة والمرأة المخالفة تذيب قلب صاحبها وهى ضاحكة وكان عبد الله بن عمرو يقول علامة كون المرأة من أهل النار أن تضحك لزوجها اذا أقبل وتخونه اذا أدبر وكان شقيق البلخى يقول لامرأته لو كان أهل بلخ كلهم معى وأنت علىّ ما قدرت على حفظ دينى وكان المدائنى يقول شكا نبى من الانبياء الى ربه سوء خلق امرأته فأوحى الله اليه انى جعلت ذلك حظك من العقاب وكان عبد الملك بن عمير يقول اذا طعنت المرأة فى السن تعقم رحمها واحتدّ لسانها وساء خلقها واذا طعن الرجل فى السن استجمع رأيه وذهبت حدته وحسن خلقه وكان حاتم الاصم يقول من علامة المرأة الصالحة أن يكون حسنها مخافة الله وغناها القناعة بقسمة الله وحليها السخاوة بما تملك وعبادتها حسن خدمة الزوج وهمتها الى استعداد الموت وكان يقول كن مع زوج ابنتك أو أختك تقم دينهما بذلك ولا تكن مع ابنتك أو أختك على زوجها تفسد عليها دينها وشكا أبو مطيع البلخى الى أيوب بن خلف زوجته فقال له أيوب من لم يصبر على أذى زوجته كيف يدعى أن له درجة عليها وكان حاتم الاصم فى بيته كالدابة المربوطة ان قدموا له شيأ أكل والا سكت وطوى وفى الحديث المرأة الفاجرة كألف فاجر وكان اياس بن معاوية يقول اثنان لا أدرى لهما دواء حاقن البول والمرأة السوء وسيأتى بسط هذا الخلق فى مواضع من هذا الكتاب ان شاء الله تعالى وقد درج السلف كلهم على الصبر على الزوجة وعدم مقابلتها وأدبها الا لمصلحتها والحمد لله رب العالمين ولا حول ولا قوة الا به

﴿ومن أخلاقهم رضى الله عنهم﴾ ترك طلب الرياسة حتى تفجأهم وتقدمهم الناس على أنفسهم ويصير أحدهم يقول ما أنا بأهل للامامة مثلا فيقول الناس له بل أنت أهل لذلك وزيادة وقد كان سفيان الثورى رضى الله عنه يقول من طلب الرياسة قبل مجيئها فرت منه وفاته علم كثير وكان يقول لا يطلب أحدكم الرياسة الا بعد مجاهدة نفسه سبعين سنة وكان عيسى عليه الصلاة والسلام يقول اذا جعلكم الناس رؤسا فكونوا أذنابا وكان

منهم الدليل وروى أبو أمامة الباهلى رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال ما ضل قوم قط الا أوتوا الجدل (وفرقة أخرى) اشتغلوا بالوعظ واعلاء رتبة من يتكلم فى أخلاق النفس وصفات القلب من الخوف والرجاء والصبر والشكر والتوكل والزهد واليقين والاخلاص والصدق وهم مغرورون لانهم يظنون انهم اذا تكلموا بهذه الصفات ودعوا الخلق اليها فقد اتصفوا بها وهم منفكون عنها الا عن قدر يسير لا ينفك عنه عوام المسلمين وغرور هؤلاء أشد الغرور لانهم يعجبون بأنفسهم غاية الاعجاب ويظنون انهم ما تبحروا فى علم المحبة الا

حجاج بن أرطاة يقول قد قتلنى طلب الرياسة وحبها وكان الانطاكى يقول الرياسة رأس حب الرياء ومعشوق النفس وقرة العين للشيطان وكان ابراهيم بن أدهم يقول كونوا أذنابا ولا تكونوا رؤسا فان الذنب ينجو والرأس يهلك وكان الفضيل بن عياض يقول ما أحب أحد الرياسة الا أحب ذكر الناس بالنقائص والعيوب ليتميز هو بالكمال ويكره أن يذكر الناس أحدا عنده بخير ومن عشق الرياسة فقد تودع من صلاحه وكان سفيان الثورى يقول ترك الرياسة وترك محبة المرأة أمرّ من الصبر وكان ميمون بن مهران يقول اياكم أن تدعوا أحدا يمشى معكم أو فى ركابكم اذا ركبتم لقضاء حاجة فان ذلك معدود من الفتنة للمتبوع والمذلة للتابع قال وأوّل من مشى معه الرجال يشيعونه من المسجد الى الدار الاشعث بن قيس فكان يركب والغلمان بين يديه فقال الناس قاتله الله من جبار فاياك يا أخى وحب الرياسة فى شئ من أمور الدنيا أو ما يؤول اليها وسيأتى بسط ذلك فى مواضع من هذا الكتاب ان شاء الله تعالى والحمد لله رب العالمين

﴿ومن أخلاقهم رضى الله تعالى عنهم﴾ نصح بعضهم بعضا فكان الكبير لا يتكدر من نصح الصغير له وبالعكس وهذا بخلاف ما عليه أهل الرعونات اليوم وقد نصحت أنا مرة شيخا من مشايخ هذا الزمان فهجرنى الى أن مات وكان أنس بن مالك رضى الله عنه يقول ما من شئ أحب الى الله من شاب ينصح شيخا وشيخ ينصح شابا وبذلك صار الشاب التائب حبيب الله وقال صلى الله عليه وسلم أوصيكم بالشباب خيرا فانهم أرق أفئدة ألا وان الله تعالى أرسلنى شاهدا ومبشرا ونذيرا فحالفنى الشباب وخالفنى الشيوخ وأنشدوا فى ذلك

ان الغصون اذا لاينتها اعتدلت * ولن يلين اذا لاينته الخشب

قال أنس وكان الشباب على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يتعبدون الا قليلا فلما توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم زادوا فى العبادة وقالوا انا كنا فى أمان من نزول العذاب بنا فى حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما مات رسول الله صلى الله عليه وسلم ذهب ذلك الامان وكان أحمد بن حرب يقول ينبغى للرجل أن يرتدع عن اللهو والمعاصى اذا بلغ الاربعين سنة واذا طلع الشيب فى رأسه واذا حج الى بيت الله الحرام واذا تزوّج فان الزنا بعد التزويج أقبح من كل قبيح قلت والمعنى ان ما ذكر يشتد قبحه على من تخلق بهذه الصفات لانها كانت مباحة لمن لم يبلغ الاربعين نظير ما قالوا يستحب للصائم ترك الغيبة وكان يحيى بن معاذ يقول ما أمر الانسان فى هذه الدار ولو طال الا كنفس واحد فى جنب عيش الجنة ومن ضيع نفسا واحدا يعيش به عيش الأبد انه والله من الخاسرين وكان كعب الاحبار يقول الشاب المتعبد أحب الى الله من الشيخ المتعبد ومر رجل على حذيفة بن اليمان وحوله فتيان جلوس فقال ما هؤلاء الاحداث حولك فقال وهل الخير الا فى الشباب أما سمعت قول الله تعالى قالوا سمعنا فتى يذكرهم يقال له ابراهيم وقوله تعالى انهم فتية آمنوا بربهم وقوله تعالى قال لفتاه آتنا غداءنا وان الله لم يبعث نبيا الا وهو شاب وفى الزبور ما بلغ أحد سبعين سنة الا اشتكى من غير علة وكان محمد بن حسان يقول لا تطلب من نفسك العمل فى هذه السنة مثل عملها فى السنة التى قبلها لان الانسان كل يوم فى نقص وقد قيل لشيخ كيف حالك فقال صار يسبقنى من هو معى ويدركنى من هو خلفى وصرت أنسى كل شئ سمعته من الخير وصرت اذا قمت دنت منى الارض واذا قعدت تباعدت وصرت أبصر الواحد اثنين واسودّ منى ما كنت أحب انه يبيض وابيض منى ما كنت أحب انه يسود واشتدّ منى ما كنت أحب انه يلين ولان منى ما كنت أحب انه يشتد انتهى فتأمل يا أخى ما ذكرته لك واستغنم شبابك ورقع مشيبك بكثرة الاستغفار فلعلك تجبر ما انصدع من دينك والحمد لله رب العالمين

﴿ومن أخلاقهم رضى الله عنهم﴾ حسن أدبهم مع الصغير فضلا عن الكبير ومع البعيد فضلا عن القريب ومع الجاهل فضلا عن العالم وقد قال تعالى لموسى وهرون فقولا له قولا لينا مع ان فرعون كان من أفسق الكفار وأجمعوا على أن علوّ الدرجات انما يكون بزيادة الادب والاصل فى الادب شهود النقص فى أنفسهم والكمال فى غيرهم عكس من كان قليل الادب وقد كان صلى الله عليه وسلم يكره للرجل أن يحدّ النظر الى أخيه وكان ميمون بن مهران اذا دعى الى وليمة جلس مع الصبيان والمساكين من الرجال وترك الاغنياء وكان سعيد بن عامر يقول من وصف انسانا بما ليس فيه لعنته الملائكة فقال له رجل يوما وهو لا يعرفه يا أصلع فقال له

وهم من الناجين عند الله وانهم مغفور لهم بحفظهم لكلام الزهاد مع خلوهم من العمل وهؤلاء أشد غرورا ممن كان قبلهم لانهم يظنون انهم يحبون فى الله ورسوله وما قدروا على تحقيق دقائق الاخلاص الا وهم مخلصون ولا وقفوا على خفايا عيوب النفس الا وهم عنها منزهون وكذلك جميع الصفات وهم أحب فى الدنيا من كل أحد ويظهرون الزهد فى الدنيا لشدة حرصهم عليها وقوة رغبتهم فيها ويحثون على الاخلاص وهم غير مخلصين ويظهرون الدعاء الى الله وهم منه فارون ويخوفون بالله وهم منه آمنون ويذكرون بالله وهم له ناسون ويقربون الى الله



ياأخى ان كنت لعناعن لعن الملائكة لك وكان على بن أبى طالب رضى الله عنه يقول اعلم الناس بالله أشدهم تعظيما لاهل لا اله الا الله وكان بكر بن عبد الله المزنى يقول اذا رأيت من هو أكبر منك فعظمه وقل انه سبقنى الى الاسلام والعمل الصالح واذا رأيت من هو أصغر منك فعظمه وقل فى نفسك انى قد سبقته الى الذنوب واذا أكرمك الناس فقل هذا من فضل الله على لا أستحقه واذا أهانوك فقل هذا بذنب أحدثته واذا رميت كلب جارك بحصاة فقد آذيته وكان وهب بن منبه يقول لما أكثر بنو اسرائيل المسائل على موسى عليه الصلاة والسلام وأبرموه أوحى الله تعالى فى يوم واحد الى ألف نبى ليكونوا أعوانا له تكرمة لموسى فقال الناس اليهم فوجد موسى من نفسه غيرة فأماتهم الله فى يوم واحد قلت غيرة الانبياء عليهم الصلاة والسلام محمودة لخروجهم من حظ النفوس بالعصمة وليست اماتة الله تعالى لهؤلاء الانبياء عقوبة وانما ذلك لما سبق فى علمه تعالى من انتهاء آجالهم بعد معاونتهم موسى عليه الصلاة والسلام وكان محمد بن واسع يقول لا يبلغ العبد مقام الاحسان حتى يحسن الى كل من صحبه ولو ساعة وكان اذا باع شاة يوصى بها المشترى و يقول قد كان لها معنا صحبة وكان حاتم الاصم يقول قد قلت أخلاق الرجال فى ثلاث تعظيم أخلاق الاخوان وستر معايبهم واحتمال أذاهم وكان يحيى بن معاذ يقول بئس القوم قوم ان استغنى بينهم المؤمن حسدوه وان افتقر أذلوه وما مشى صغير قدام كبير الا عوقب بحرمان الخيرات ومدحوا عند الفضيل بن عياض رجلا وقالوا انه لا يأكل الخبيص فقال وما ترك أكل الخبيص انظروا كيف صلته للرحم انظروا كيف كظمه للغيظ انظروا كيف عطفه على الجار والارملة واليتيم انظروا كيف حسن خلقه مع اخوانه وكان أحمد بن حرب يقول مثل الذى يعلم الناس الخير و يرشدهم اليه مثل من استأجر أجراء يعملون له بأبدانهم وأموالهم الليل والنهار فى حياته وبعد مماته وسمع يحيى ابن معاذ رجلا يتمنى مالا فقال له ماذا تصنع به فقال أجود به على المقلين فقال دع المقلين تكون مؤنتهم على الله لتصير تحبهم فانهم اذا صارت مؤنتهم عليك أبغضتهم وثقلوا على قلبك وكان يقول من تعظيم أخيك المسلم اذا مات له ميت فى بلد أخرى أن تسافر الى تعزيته وقد خرج أبو معاوية الاسود من الشام الى مكة ليعزى الفضيل فى ولده على ولم يخرج لحج ولا عمرة وكان أبو بكر الصديق رضى الله عنه يقول من سره ان يظله الله تعالى من نار جهنم يوم القيامة فليكن بالمؤمن رحيما رقيق القلب وكان محمد بن المنكدر يقوم الليل واذا طلبت أمه انه يغمز رجلها الى الصباح يرى ذلك أفضل من صلاته قلت وقد قالوا مثل ذلك فى حق شيخ الانسان وكان كهمس ابن الحسن يقول كنت أخدم أمى وأرفع القذر من تحتها فأرسل الى سليمان بن على بصرة وقال اشتر بها خادما يخدم أمك فأبيت وقلت ان والدتى لم ترض غيرها لخدمتى وأنا صغير فكذلك لا أرضى غيرى لخدمتها وأنا كبير وكان مورق العجلى رضى الله عنه يفلى رأس أمه ولا يدع أحدا يفليها غيره وكان الحسن البصرى يقول فى قوله تعالى ولا تقل لهما أف قال اذا بلغا سن الكبر وولى من قذرهما ما كانا يليان من قذره فى الصغر فلا يقل لهما أف ولا ينهرهما ولا يمسك بأنفه من رائحة قذرهما كما كانا لا يمسكان أنفهما من رائحة قذره وسيأتى فى هذه الاخلاق بسط الادب مع الوالدين فى مواضع وان من نادى أباه أو أمه باسمهما فقد عقهما الا أن يقول ياأبى أو ياأماه وان مشى بين يدى والديه فقد عقهما الا ان كان يميط الاذى بين يديهما كما قاله ابن مخيريز رضى الله عنه فتأدب ياأخى مع جميع اخوانك المسلمين لاسيما الفقراء والمساكين والحمد لله رب العالمين

﴿ومن أخلاقهم رضى الله تعالى عنهم﴾ شدة خوفهم من الله تعالى أن يختم لهم بسوء فيكونوا من المحجوبين عنه فى النار وكان أحدهم يأخذ فى التفكر والحزن حتى يغيب عن الحاضرين وكان الحسن البصرى رضى الله عنه اذا سمع بحديث آخر من يخرج من النار رجل يخرج بعد ألف سنة يقول الحسن ياليتنى كنت ذلك الرجل وقيل له يوما فى ذلك فقال أليس يخرج من النار وكان سفيان الثورى رضى الله عنه يقول ما أمن أحد على دينه يعنى غالبا الا سلبه وكان الامام أبو حنيفة رضى الله عنه يقول أكثر ما يسلب من الناس الايمان عند الموت وكان بشر الحافى رحمه الله تعالى يقول اذا صعدت الملائكة بروح المؤمن وقد مات على الاسلام تعجبت الملائكة منه وقالوا كيف نجا هذا من الدنيا وقد هلك فيها خيارنا وكان الربيع بن خيثم رحمه الله تعالى يقول تطلع روح العبد على ما كان الغالب عليه قبل موته قال وقد دخلت على محتضر فكنت كلما أقول لا اله

وهم منه متباعدون ويذمون الصفات المذمومة وهم بها متصفون و يصرفون الناس عن الخلق وهم على الخلق أشدهم حرصا لو منعوا عن مجالسهم التى يدعون فيها الناس الى الله لضاقت عليهم الارض بما رحبت ويزعمون ان غرضهم اصلاح الخلق ولو ظهر من أقران أحدهم من أقبل الخلق عليه ومن صلحوا على يديه لمات غما وحسدا ولو أثنى واحد من المترددين اليه على بعض أقرانه لكان أبغض خلق الله اليه فهؤلاء أعظم غرورا وأبعد عن التنبه والرجوع الى السداد (وفرقة أخرى) عدلوا عن المهم الواجب فى الوعظ وهم وعاظ أهل هذا الزمان كافة الا من عصمه الله

الا الله يحسب الدراهم وكان مطرف بن عبد الله يقول انى لا أعجب ممن هلك كيف هلك وانما أعجب ممن نجا كيف نجا وما من الله على عبد بنعمة أفضل من أن يميته على الاسلام وكان زيد بن أسلم يقول لو كان الموت بيدى لاذقته نفسى وأنا محب للاسلام ولكنه ليس بيدى * وبكى سفيان الثورى مرة حتى غشى عليه فقيل له علام تبكى فقال بكينا على الذنوب زمانا ونحن الآن نبكى على الاسلام أى خوفا أن يذهب منا وكان يقول ربما يعبد الرجل الاوثان وهو فى علم الله سعيد وربما يطيع وهو فى علم الله شقى لحديث ان أحدكم ليعمل بعمل أهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها الا ذراع فيعمل بعمل أهل النار فيدخلها الحديث وهذا هو الذى أذهل العقول وفى الحديث أصدق المؤمنين ايمانا أكثرهم تفكرا فى الدنيا وأشد الناس فرحا فى الجنة أكثرهم بكاء فى الدنيا وكان يحيى بن معاذ يقول التفكر والاعتبار يخرجان من قلب المؤمن عجائب الحكمة فتسمع منه أقوالا ترضاها الحكماء وتخضع لها رقاب العلماء وتعجب منها الفقهاء و يسارع الى حفظها الادباء وكان سفيان الثورى يقول خوف المؤمن وحزنه على قدر نور بصيرته وكان وجه محمد بن واسع كأنه وجه ثكلاء فقدت ولدها وكان لا يراه أحد الا زالت من قلبه القسوة وكان يقول لا تصحب من الناس الا من يفضلك برؤيته قبل كلامه وكان وهيب بن الورد يقول أوحى الله تعالى الى ابراهيم عليه الصلاة والسلام اغسل قلبك فقال يارب الماء لا يصل اليه فكيف أغسله فقال اغسله بطول الهم والغم والحزن على ما فاتك منى وما يفوت وكان ابراهيم بن أدهم يقول ان الاسقام التى تصيب القلب أصلها من الذنوب كما ان الاسقام فى البدن تنشأ من الامراض وقد جعل الله تعالى لكل داء دواء فاذا اشتد حزن الرجل رجعت دموع عينيه الى قلبه فأنحلت بدنه وقيل لابراهيم ألا تخضب شيب لحيتك فقال الخضاب معدود من الزينة ونحن فى مأتم وحزن ليلا ونهارا وقالوا لبشر بن الحرث ما لنا لم نزل نراك مهموما فقال لانى رجل مطلوب من الحاكم بالحقوق وكان يقول كل حزن سوف ينقضى الا حزن الذنوب فانه يتجدد مع الانفاس وكان حاتم الاصم يقول فى قوله تعالى أن لا تخافوا ولا تحزنوا انما يقال ذلك لمن طال خوفه وحزنه فى الدنيا وأما من أذنب و بطر ولم يندم فلا يقال له شئ من ذلك وكان معاذ بن جبل يقول لا ينبغى لعبد أن يظهر الفرح حتى يجاوز جسر جهنم يعنى الصراط وكان على بن أبى طالب رضى الله عنه يبكى و يقول تستريح البهائم والطيور والحيتان وأنا مرتهن بعملى وكان صالح بن عبد الجليل رضى الله عنه يجمع عياله وأهله فى كل يوم عيد و يجلسون فيبكون فقيل له فى ذلك فقال انى عبد أمرنى الله تعالى بطاعته ونهانى عن معصيته فلا أدرى هل وفيت بهما أم لا وانما يليق الفرح والسرور يوم العيد لمن كان آمنا من عذاب الله وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ما أتانى جبريل عليه السلام قط الا وهو خائف يرعد من هيبة الله تعالى وكان وهب بن منبه يقول انما اتخذ الله ابراهيم خليلا لكونه كان شديد الخوف منه وكانوا يسمعون خفقان قلبه من مسيرة ميل وكان موسى بن مسعود يقول كنا اذا جلسنا عند سفيان الثورى فكأنما نارا أحاطت بنا لما نرى عليه من شدة الخوف والجزع وكان الفضيل بن عياض يقول ان لله عبادا اذا ذكروا عظمة الله تقطعت قلوبهم فى بطونهم ثم تندمل ثم تنقطع ثم تندمل أبدا ما عاشوا وكان يقول خوف العبد من الله على قدر معرفته به وكان ابراهيم بن الحرث لا يرفع طرفه الى السماء أبدا خوفا وحياء من الله تعالى من حيث ان السماء قبلة الدعاء قالوا وكان الخوف كثيرا ما يغلب على سفيان الثورى ومالك بن دينار والفضيل بن عياض فيخرجون على وجوههم لا يدرون أين يذهبون وكان عمران بن حصين يقول والله انى لوددت أن أصير رمادا تنسفنى الريح فى يوم عاصف وكان اسحق بن خلف يقول ليس الخائف الذى يبكى و يمسح دموعه وانما الخائف من ترك فعل الامور التى يخاف أن يعذبه الله عليها وكان الحسن البصرى يقول قرأت قوله تعالى كل نفس ذائقة الموت وصرت أرددها فاذا بهاتف يهتف و يقول كم تردد هذه الآية وقد قتلت أربعة آلاف من الجن لما سمعوها فلم يرفعوا طرفهم الى السماء حتى ماتوا (ووقف الفضيل بن عياض) فى يوم عرفة قابضا لحيته يبكى من الزوال الى غروب الشمس وهو يقول واسوأتاه وان غفرت لى وكان حماد بن زيد لا يجلس قط الا مستوفزا فقيل له فى ذلك فقال انما يجلس مطمئنا من كان آمنا من عذاب الله وأنا غير آمن من نزوله على ليلا ونهارا وكان عمر بن عبد العزيز يقول لولا الغفلة لمات الخلق كلهم من خشية الله عز وجل

فاشتغلوا بالطاعات والشطح وتلفيق كلمات خارجة عن قانون الشرع والعدل طلبا للاغراب وطائفة اشتغلوا بطامات النكت وتسجيع الالفاظ وتلفيقها وأكثر همهم فى الاسجاع والاستشهاد باشعار الوصال والفراق وغرضهم ان يكثر فى مجلسهم التواجد والزعقات ولو على اغراض فاسدة فهؤلاء شياطين الانس ضلوا وأضلوا فان الاولين ان لم يصلحوا أنفسهم فقد أصلحوا غيرهم وصححوا كلامهم ووعظهم وأما هؤلاء فانهم يصدون عن سبيل الله و يجرون الخلق الى الاغراض والغرور بالله بلفظ الحرافة جراءة عن المعاصى ورغبة فى الدنيا لاسيما اذا كان

وكان مالك بن دينار يقول والله لقد هممت أن أوصى أهلى اذا أنا مت أن يقيدونى و يغلونى ويدخلونى القبر كذلك كما يفعل بالعبد المجرم الآبق من سيده كيف يمنى أحدكم نفسه بدخول الجنة والتنعم بالحور والقصور وهو مستوجب للسعير والثبور وكان الفضيل بن عياض يقول والله انى لا أغبط نبيا مرسلا ولا ملكا مقربا لان كل هؤلاء يشاهدون أهوال يوم القيامة وانما أغبط من لم يخلق بعد وتقدم قول سفيان بن عيينة ينبغى للعبد أن يكون عند الله من أجل عبيده وعند نفسه من أشر العبيد وعند الخلق من وسطهم وكان فرقد السنجى يقول دخل بيت المقدس خمسمائة بكر نعض عليهن بعض الاحبار شيأ من أمور الآخرة فمتن جميعا فى ساعة واحدة وكان لباسهن المسوح وكان عطاء السلمى رضى الله عنه يقول اللهم انى أسألك العفو والصفح ولا يتجرأ قط أن يقول اللهم أدخلنى الجنة قال فرقد السنجى ودخلنا مرة على عطاء السلمى فوجدناه قد وضع خده على الارض فى الشمس فنظرنا اليه فاذا بمجرى دموعه فى خديه قد انسلخ من البكاء ورأينا ما تحت خده من الارض قد صار طينا ووحلا وكان كثيرا ما يتلقى دموعه بيده و يرشها حوله حتى يظن الداخل ان ذلك ماء الوضوء و بلغنا أنه مكث لم يرفع طرفه الى السماء أربعين سنة فرفع طرفه يوما غفلة ووقع على بطنه فانفتق فى بطنه فتق فلم يزل مريضا به الى أن مات وكان اذا أصاب أهل بلده بلاء يقول هذا بذنوب عطاء لو أنه خرج من بلادهم لما نزل عليهم بلاء وكان غالب الليل يمس جلده مخافة أن يكون قد مسخ وكان يقول خرجنا مرة مع عتبة الغلام فمررت على مكان فسقط مغشيا عليه فلما أفاق قال هذا مكان عصيت الله فيه وأنا دون البلوغ وكان ذلك بعد ان صلى الصبح بوضوء العشاء نحو أربعين سنة هو وأصحابه حتى نحلت أبدانهم وتغيرت ألوانهم حتى صارت كأنها قشور البطيخ الهندى وسيأتى فى هذا الكتاب زيادة على ذلك وانه كان يغشى على أحدهم من البكاء و بعضهم يبكى بكاء الميت الى أن مات رحمه الله والحمد لله رب العالمين

﴿ ومن أخلاقهم رضى الله عنهم ﴾ مواظبتهم على قيام الليل صيفا وشتاء ورؤيتهم تأكده عليهم كأنه فرض حتى قالوا كل فقير نام فى الليل من غير غلبة فلا يجىء منه شئ فى الطريق وقد أغفل هذا الخلق كثير من الفقراء فينامون فى الليل على طراريح كما ينام العامة وأبناء الدنيا و بعضهم يدخل كل يوم الحمام فلا يخرج منه حتى تطلع الشمس من غير ضرورة بل ترفها وما أقبح الشيخ وهو ذاهب الى الحمام كل يوم بكرة النهار والعامة والمريدون يرونه وكان آخر من أدركت من فرسان الليل الشيخ محمد بن عنان كان ورده كل ليلة خمسمائة ركعة وهى ورد المهدى على نبينا وعليه أفضل الصلاة والسلام وكان الشيخ الصالح ذو الاحوال والكرامات الشيخ فرج بناحية شان شلمون بالشرقية يجىء لسيدى محمد هذا و يقول له أهلا براعى الصهيب لاجل كونه كان مواظبا على قيام الليل وكان لا يتم تهجد ليالى الشتاء الافوق السطح رضى الله عنه وفى الحديث عليكم بقيام الليل فانه دأب الصالحين قبلكم ومقربة الى ربكم وتكفير لخطاياكم ومنهاة عن الاثم ومطردة للداء عن الجسد وقالت أم سليمان بن داود يا بنى لا تنم الليل فان من نام الليل جاء يوم القيامة وهو مفلس من الحسنات وأوحى الله تعالى الى داود عليه السلام ياداود كذب من ادعى محبتى فاذا جنه الليل نام عنى وفى الحديث ان الله تعالى يباهى ملائكته بالعبد اذا قام يتهجد من الليل فى الليلة الباردة و يقول انظروا الى عبدى خرج من تحت لحافه وترك الدنيا وامرأته الحسنى يناجينى بكلامى أشهدكم أنى قد غفرت له قاله نافع وكان عبد الله بن عمر يقوم من الليل ثم يقول يانافع أسحرنا فيقول له لا فيقوم لصلاته ثم يقول يانافع اسحرنا فيقول نعم فيقعد فيأخذ فى الاستغفار حتى يطلع الفجر وكان الامام زين العابدين رضى الله عنه يقول نام يحيى بن زكريا عليهما السلام ليلة عن ورده وكان قد شبع من خبز الشعير فأوحى الله تعالى اليه يايحيى لو اطلعت على جنة الفردوس اطلاعة لذاب جسمك ولبكيت الصديد بعد الدموع وللبست الحديد بعد المسوح وكان عمر بن الخطاب رضى الله عنه ربما تمر عليه الآية فى ورده من الليل فيسقط مغشيا عليه حتى يصير يعاد أياما كما يعاد المريض وكان رضى الله عنه أيام خلافته لا ينام ليلا ولا نهارا وانما هى خفقات برأسه وهو جالس وكان يقول اذا نمت فى الليل ضيعت نفسى وان نمت فى النهار ضيعت رعيتى وأنا مسؤل عنهم وكان عبد الله بن مسعود يقوم للتهجد اذا هدأت العيون فيسمع له دوى كدوى النحل حتى يصبح وكان سفيان الثورى اذا غفل عن نفسه فأكل كثيرا يقوم الليلة كلها و يقول

الواعظ متزينا بالثياب والخيلاء والمرائى و يعظهم بالقنوط من رحمة الله حتى يئسوا من رحمته (وفرقة أخرى) منهم قنعوا بكلام الزهاد وأحاديثهم فى ذم الدنيا فيعيدونها على نحو ما يحفظون من كلام من حفظوه من غير احاطة بمعانيه فيعظهم الواحد منهم بذلك على المنابر و بعضهم يعظون الناس فى الأسواق مع الجلساء و يظن انه ناج عند الله وانه مغفور له بحفظه كلام الزهاد مع خلوه من العمل وهؤلاء أشد غرورا من كان قبلهم (وفرقة أخرى) استغرقوا أوقاتهم فى علم الحديث أعنى فى سماعه وجمع الروايات الكثيرة منه وطلب الاسانيد الغريبة العالية فهم أحدهم

ان

ان الحمار اذا زيد فى علفه زيد فى تعبه فى بقية الاحمال الشاقة وكان طاوس رحمه الله يفرش فراشه من العشاء ويصير يتقلب عليه ويئن الى الصباح لا ينام وكثيرا ما كان يقوم من العشاء الى الفجر شاخصا وكثيرا ما يمكث جالسا مطرقا الى الفجر لا يتكلم وكان يقول ان خوف جهنم أطار نوم العابدين وكان السلف الصالح رضى الله عنهم يعرفون وجه من نام عن قيام الليل و يقولون ما رأيناك فى الحضرة الالهية وقد حضر فلان وفلان وفرقوا عليهم التحف وكان يعيب بعضهم على بعض النوم على فراش وطئ له وكان بعضهم قعد على فراش حين قدم من سفر فنام عن ورده تلك الليلة فحلف أنه لا ينام على فراش حتى يموت وكان عبد العزيز بن أبى داود يفرش له الفراش فيضع يده عليه و يقول ما ألينك ولكن فراش الجنة ألين منك ثم يقوم الى صلاته فلا يزال يصلى الى الفجر وكان الفضيل بن عياض يقول انى لاقوم الليلة فيطلع الفجر فيرجف قلبى وأقول جاء النهار بما فيه من الآفات وكان بشر الحافى وأبو حنيفة و يزيد الرقاشى ومالك بن دينار وسفيان الثورى وابراهيم بن أدهم يقومون الليل كله على الدوام الى أن ماتوا وقالوا مرة لبشر الحافى ألا تستريح لك فى الليل ساعة فقال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد قام حتى تورمت قدماه وقطر منهما الدم مع أن الله تعالى قد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر فكيف أنام أنا ولم أعلم ان الله غفر لى ذنبا واحدا وكان الحسن البصرى يقول ما ترك أحد قيام ليلة الا بذنب أذنبه تفقدوا نفوسكم كل ليلة عند الغروب وتوبوا الى ربكم لتقوموا الليل وكان كثيرا ما يقول انما يثقل قيام الليل على من أثقلته الخطايا وكان أبو الاحوص يقول أدركنا العلماء والعباد وهم لا ينامون الليل وكنت اذا طفت بدار أو بمسجد فى الليل سمعت فيه دويا كدوى النحل فما بال هؤلاء أهل زماننا يأمنون مما كان أولئك يخافون منه وكان صلة بن أشيم رضى الله عنه يصف قدميه للصلاة من العشاء الى الفجر ثم يقول اذا فرغ من صلاته يارب أجرنى من النار فان مثلى لا ينبغى له سؤال الجنة وقال رجل لابراهيم بن أدهم انى لا أقدر على قيام الليل فصف لى دواء فقال له لا تعصه بالنهار وهو يقيمك بين يديه فى الليل فان وقوفك بين يديه فى الليل من أعظم الشرف والعاصى لا يستحق ذلك الشرف وكان عتبة الغلام يقول اذا توضأ من الليل قبل أن ينتصب للصلاة اللهم انى قد حملت نفسى ما لا أطيق من المعاصى والقبائح حتى استحقيت الخسف والمسخ ودخول النار وها أنا أريد أن أقف بين يديك خلف كل عارض على وجه الارض رجاء أن تغفر لاحد منهم فيصيبنى شئ من المغفرة وكان الحسن بن صالح يقوم الليل هو وجاريته فباعها لقوم فلما صلت العشاء افتتحت الصلاة فما زالت تصلى الى الفجر وكانت تقول لاهل الدار كل ساعة تمضى من الليل يا أهل الدار قوموا يا أهل الدار صلوا فقالوا لها نحن لا نقوم الى الفجر فجاءت الى الحسن بن صالح وقالت بعتنى لقوم ينامون الليل كله وأخاف أن أكسل من شهود نومهم فردها الحسن اليه رحمة بها ووفاء بحقها وكانت رابعة العدوية تتوضأ كل ليلة وتتطيب وتقول لزوجها ألك حاجة فان قال لا قامت الى الصباح وكانت تقول أول الليل الهى نامت العيون وغارت النجوم وأغلقت ملوك الدنيا أبوابها وبابك لا يغلق فاغفر لى ثم تصف قدميها للصلاة وتقول وعزتك وجلالك هذا موقفى بين يديك الى الصباح ما عشت وكان سفيان الثورى يقول عليكم بقلة الاكل تملكوا قيام الليل وكان ثابت البنانى يصلى الليل كله و يقول لاهله قوموا فصلوا فان قيام الليل أهون من مكابدة أهوال يوم القيامة وكان أبو الجويرية يقول صحبت الامام أبا حنيفة لا أفارقه ستة أشهر فما رأيته وضع جنبه الى الارض فى ليلة منها قالوا ولم يكن لابى حنيفة فراش فى الليل وكان سفيان الثورى يقول ما رأيت أعبد من أبى حنيفة ولا أزهد ولا أورع منه وكان الفضيل بن عياض يقول بلغنا أن الله تعالى يقول حين يتجلى من الليل أين المدعون لمحبتى فى النهار أليس كل محب يحب الخلوة بحبيبه فها أنا الآن مطلع على أحبابى يكلمونى على الحضور و يخاطبونى على المشاهدة وغدا أقر أعينهم فى جنتى وكان المغيرة بن حبيب يقول رمقت عيناى ليلة مالك بن دينار وقد انتصب بين يدى الله تعالى من العشاء قابضا على لحيته فما زال يبكى و يقول يارب ارحم شيبة مالك الى أن طلع الفجر قال ورمقت عبد الواحد بن زيد شهرا فرأيته لا ينام من الليل شيأ وكان يقول لاهل الدار كل ساعة مضت من الليل يا أهل الدار انتبهوا فما هذه دار نوم عن قريب يأكلكم الدود وكان صهيب العابد رقيقا لامرأة بالبصرة وكان يقوم الليل كله فقالت له سيدته يوما ان طول

أن يدور فى البلاد و يروى عن الشيوخ ليقول أنا أروى عن فلان ولقيت فلانا ومعى من الاسانيد ما ليس مع غيرى وغرورهم من وجوه منها أنهم كحملة الاسفار فانهم لا يصرفون العناية الى فهم السنة وتدبر معانيها وانما هم مقتصرون على النقل و يظنون ان ذلك يكفيهم وهيهات بل المقصود من الحديث فهمه وتدبر معانيه فالاول فى الحديث السماع ثم الحفظ ثم الفهم ثم العمل ثم النشر وهؤلاء اقتصروا على السماع ثم لم يحكموه وان كان لا فائدة فى الاقتصار عليه والحديث فى هذا الزمان يقرأه الصبيان وهم غرة غافلون والشيخ الذى يقرأ عليه ربما يكون

القيام بالليل يضرك بخدمتك بالنهار فقال لها ماذا أصنع واذا ذكرت جهنم طار نومى وكان أزهر بن مغيث رضى الله عنه يقول رأيت ليلة حوراء من أجمل النساء فقلت لها لمن أنت فقالت لمن يقوم الليل فى ليالى الشتاء وكان العلاء بن زياد يقوم الليل كله فقالت له امرأته ألا تستريح لك لحظة فأطاعها فأتاه آت فى منامه وأخذ بمقدم شعر رأسه وقال قم فصل ولا تضع حظك من عبادة ربك فقام فوجد تلك الشعرات واقفة فلم تزل واقفة حتى مات ونام ابراهيم بن أدهم ليلة فى بيت المقدس فسمع صوتا من جانب الصخرة يقول قيام الليل يطفئ لهب النار ويثبت الاقدام على الصراط فلا تتساهل فى قيام الليل فما تركه بعد ذلك حتى مات فاعلم ذلك يا أخى واعمل به والحمد لله رب العالمين

﴿الباب الثانى فى جملة أخرى من الاخلاق﴾

﴿فمن أخلاقهم رضى الله تعالى عنهم﴾ شدة هضمهم لنفوسهم بحيث يصير أحدهم يتبرك بتلميذه و يحمله الجملة ولا ينظر الى كونه أعلم من مريده أو أكثر عملا منه بطريقه الشرعى اذا كان لا يخشى عليه فتنة بذلك قد بلغنا أن الامام الشافعى رضى الله عنه لما أرسل قاصدا للامام أحمد بن حنبل بأنه سيقع فى محنة عظيمة و يخلص منها سالما يعنى مسئلة هل القرآن مخلوق أو غير مخلوق فلما أخبره القاصد نزع الامام أحمد له قميصه سرورا بقدوم رسول الشافعى فلما رجع الرسول بالقميص وأخبر الشافعى به قال له هل كان هذا القميص على جسده من غير حائل قال نعم قال فقبله الامام الشافعى ووضعه على عينيه ثم صب عليه الماء فى اناء وعركه فيه ثم عصره ووضع غسالته عنده فى قارورة فكان كل من مرض من أصحابه يرسل له شيأ من تلك الغسالة فاذا مسح به جسده عوفى من مرضه لوقته فانظر يا أخى تواضع الامام الشافعى مع الامام أحمد مع كونه من تلامذته وهذا يدلك على أن القوم مع كثرة أعمالهم الصالحة كانوا رضى الله عنهم لا يرون نفوسهم على أحد من المسلمين عكس ما عليه المتمشيخون فى هذا الزمان وكان آخر من أدركته يعتقد فى تلميذه و يتبرك به و يرسل له الارمد والمريض ليرقيه الشيخ محمد بن عنان والشيخ محمد السروى رحمهما الله تعالى فكان الشيخ محمد بن عنان يرسل من يريد الدعاء لمريضه الى الشيخ يوسف الحريثى رحمه الله وكان الشيخ محمد السروى يرسله الى الشيخ على الحديدى رحمه الله مع أن الشيخ يوسف والشيخ على المذكورين من تلامذة هذين الشيخين فرضى الله تعالى عن الصادقين فاعلم ذلك والحمد لله رب العالمين

﴿ومن أخلاقهم رضى الله تعالى عنهم﴾ كثرة الغيرة على ذكر الله تعالى أن يذكره أحد وهو غافل وذلك كقصد الوالدة بالذكر تنويم ولدها اذا سهرت به فى الليل فان ذكر الله يجل عن مثل ذلك وقد قال بعض الصالحين يوما لمريض قل يا لطيف وهو غافل عن كونه بين يدى الله تعالى فعاتبه ربه عز وجل على ذلك فى المنام وقال له قد جعلت ذكر اسمى لعبا ولهوا انتهى فاعلم ذلك يا أخى واعمل عليه والحمد لله رب العالمين

﴿ومن أخلاقهم رضى الله تعالى عنهم﴾ أن يكون أحدهم هينا لينا ينقاد للصغير كما ينقاد الجمل وفى الحديث الذى فيه الامر بتسوية الصفوف ولينوا فى يد اخوانكم وفى القرآن العظيم ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك اذا علمت ذلك فاعلم أن من جملة لين الفقراء ان أحدهم اذا دخل على جماعة يذكرون الله تعالى كذكر الاعجام أو المغاربة أو الشناوية أو المطاوعة أو الرفاعية مثلا أن يذكر معهم كهيئتهم فى الصورة بطريقه الشرعى وكذلك يوافقهم فى ذكرهم الذى لقنوه حين دخلوا فى الطريق من نفى أو اثبات ولا يقول أن هذه الكيفية ليست طريقة شيخنا كما يقع فى ذلك كثير من الناس فيفوتهم الاجر مع وقوعهم فى الجفاء وغلظ الطبع فاعلم ذلك واعمل عليه والحمد لله رب العالمين

﴿ومن أخلاقهم رضى الله تعالى عنهم﴾ شدة الجوع بطريقه الشرعى وان لم يجدوا شيأ حلالا يأكلوه طووا الايام والليالى وقد جربوا فوجدوا النور كله والخير فى خلو الباطن حتى قالوا فى المثل السائر فى الطبل انما كان صوته قويا جهوريا لكونه خالى الجوف وقد قالوا ينبغى للعالم أن لا يشبع قط لا سيما أيام التأليف وذلك لئلا يحجب عن كمال الفهم فى القرآن والحديث والفقه وغير ذلك وذلك لان فهم الشبعان يكون ضعيفا ومن شك فليجرب وقد أدركنا جماعة كثيرة من الفقراء كانوا رضى الله عنهم على قدم الصدق فى الجوع حتى كان أحدهم لا يدخل الخلاء الا كل سبعة أيام مرة حياء من الله تعالى أن يكثر تردده للخلاء وهو مكشوف العورة وقد

انتهى

غافلا حتى يصحف الحديث ولا يعلم وربما ينام ويروى عنه الحديث وهو لا يعلم وكل ذلك غرور وانما الاصل فى استماع الحديث أن يسمعه من رسول الله صلى الله عليه وسلم فيحفظه كما سمعه ويؤديه كما حفظه فتكون الرواية عن الحفظ والحفظ عن السماع فان عجز عن سماعه من رسول الله صلى الله عليه وسلم سمعه من الصحابة أو من التابعين فيصير سماعه منهم كسماعه من رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو أن يصغى ويحفظ ويرويه كما حفظه حتى لا يشك فى حرف واحد منه وان شك فيه لم يجز له أن يرويه أو يعلم به ويخاطئ به ان أخطأ وحفظ الحديث يكون بطريقين

انتهى أمر سيدى الشيخ تاج الدين الذاكر رحمه الله تعالى الى أن صار يتوضأ فى كل اثنى عشر يوما مرة وقد كان سيدى على الشهاوى المشهور بالذويب رحمه الله تعالى يأمر كل من لقيه بالجوع و يقول انه سلاح المؤمن وصاحب الجوع ان لم يطع الله لم يعصه لعدم وجود داعية تدعوه الى المعاصى وممن صام الدهر كله أخى الشيخ عمر النبتيتى المكشوف الرأس وولد عمه الشيخ عبد القادر المكشوف الرأس أيضا وصار كل منهما فى غاية النورانية وعلو الهمة رحمهما الله تعالى فاتبع يا أخى سلفك فى ذلك ولا تأكل الا بعد جوع شديد وهو أن تشتعل أمعاؤك وتصير تلذعك لعدم وجود طبيعة تشتغل بطبخها فاعلم ذلك يا أخى واعمل عليه والحمد لله رب العالمين

﴿ومن أخلاقهم رضى الله تعالى عنهم﴾ اذا علموا بالقرائن عدم اخلاص من يتعلم منهم العلم أن يدوموا على تعليمه ولكن يتوجهوا الى الله تعالى فى الدعاء له باصلاح النية فيؤجرون هم واياه ولا يتركون تعليمه فان ذلك مراد الشارع وذلك لان العلم يحمل لامرين للعمل به ولاحياء الشريعة به فصاحبه مأجور على كل حال اما أجرا كاملا أو أجرا ناقصا وقد كان سيدى على الخواص رحمه الله تعالى يقول ما من حامل علم الا وهو يعمل به ولو فى حق نفسه اذا ارتكب المعاصى لانه يتوب و يندم اذا وقع فيها فلولا علمه بالحكم ما اهتدى لكون ذلك ذنبا ولا تاب منه فقد عمل هذا بعلمه من تلك الحيثية وان كان من ارتكب المعاصى لم يعمل بعلمه على مصطلح الناس فافهم فالعلم نافع لصاحبه على كل حال ولم يزل علم كل انسان أكثر من عمله فى كل عصر والحمد لله رب العالمين

﴿ومن أخلاقهم رضى الله تعالى عنهم﴾ عزمهم على العمل بعلم كل عالم رأوه لا يعتنى بالعمل بما علم فيجعلون تعليمهم يجعلون ثواب ذلك فى صحائف هذا العالم ويطلبون أجرهم من الله تعالى من باب المنة والفضل كما أنهم اذا قرؤا فى علم من العلوم يجعلون ثواب ذلك للمؤلف ولا يزاحمونه فى ذلك لان ثواب كل قول لقائله فافهم ولكن هذا الامر لا يتخلق به الا من كان أشفق على المؤمنين من أنفسهم بحكم الارث لرسول الله صلى الله عليه وسلم كما بسطنا الكلام على ذلك فى كتابنا المنن الكبرى والحمد لله رب العالمين

﴿ومن أخلاقهم رضى الله تعالى عنهم﴾ مخالطتهم لمن كان عدوا لهم فى السر و يدعى محبتهم ظاهرا وايهامهم ان أحدهم صدقه فى دعواه المحبة له ولم يلحق لما عنده من عدم الصدق ولا يكذبونه قط فى دعواه وكذلك لا يمتنع قط من تقريبه اذا طلب منه القرب فان ذلك يزيده عداوة وتعظيما للفتنة لكن يحتاج هذا المخالط للعدو الى حفظ جوارحه من سائر المخالفات لان العدو ربما كان قصده من المخالطة اطلاعه على عورة أخيه ليصير يهجوه بذلك فى المجالس أيام ظهور عداوته له كما هو واقع كثيرا فليكن المخالط لعدوه على حذر ولا يخالط الا من يعتقد فيه الصداقة والمحبة فان البعد من العدو أولى لكل من لم يكن عنده كمال سياسة وكثرة دين فاعلم ذلك والحمد لله رب العالمين

﴿ومن أخلاقهم رضى الله تعالى عنهم﴾ رؤية محاسن الناس والتعامى عن مساويهم حتى ان أحدهم لا يكاد يرى فى أخيه المسلم عيبا يهجوه به أبدا و يصير الناس كلهم عنده صالحين فعلم أن الصالحين لا يعادون أحدا لحظ نفس وانما الناس هم الذين يعادونهم حسدا وعدوانا فان قيل ان صاحب هذا المقام يقل نفعه لاصحابه من حيث عدم النصح والتحذير من المنكر فيصير هذا مرتكبا للمعاصى على الدوام ولا يهتدى لتحذيره عنها لعدم شهودها فيه اذ حمله على المحامل الحسنة فالجواب أنه يهتدى للتحذير بالالهام الصحيح بواسطة رابطته به أو بقياسه على نفسه و يقول كما انى أرتكب المعاصى مثلا فكذلك أخى قد لا يخلو منها فان ما جاز فى حقى جاز فى حق غيرى ومعلوم عند القوم ان ذكرهم نقائص اخوانهم لا يكون الا على وجه التحذير دون التشفى لبراءتهم عن مثل هذا الفعل لان الكامل يكنى عند القوم أبا العيون فلكل شئ عنده عين يراه بها فيشهد سلامة أخيه من النقائص كالرياء والنفاق ونحوهما بعين و يحتاط له كاحتياط من يتهمه بالنقائص فعلا أو تقديرا بالعين الاخرى و يحذره منها بالعين الاخرى والله أعلم

﴿ومن أخلاقهم رضى الله تعالى عنهم﴾ كثرة شكرهم لله تعالى اذا كثر حسادهم وأعداؤهم ثم كثرة استغفارهم بعد ذلك فيشكرون الله تعالى على تلك النعمة التى حسدهم الناس عليها ويستغفرونه عز وجل من حيث انه لولا وجودهم ووجود النعمة التى عليهم ما وقع أحد فى حسدهم المحرم فاستغفارهم المذكور انما هو

أحدهما بالقلب مع الاستدامة والذكر والثانى بكتب ما يسمع و يصحح المكتوب ويحفظه كيلا تصل اليه يد من يغيره ويكون حفظه للكتاب أن يكون فى خزانته محروسا حتى لا تمتد اليه يد غيره أصلا ولا يجوز أن يكتب سماع الصبى والغافل والنائم ولو جاز ذلك لجاز أن يكتب سماع الصبى فى المهد وللسماع شروط كثيرة والمقصود من الحديث العمل به ومعرفته وله مفهومات كثيرة كما للقرآن وروى عن أبى سفيان بن أبى الخير المنهى أنه حضر فى مجلس زاهر بن أحمد السرخسى فكان أول حديث روى قوله صلى الله عليه وسلم من حسن اسلام

تورع من حيث اللازم للنعمة والا فوجود النعمة ليس بيدهم ويسمى هذا استغفار الاكابر وكذلك كثرة استغفارهم لمن يحسدهم ورحمتهم له وشفقتهم عليه لكونه أهلك دينه بكثرة حسده لهم فيقول أحدهم اللهم اغفر لحاسدينا فانهم لما عندهم من الضيق لا يحتملون رؤية النعم التى علينا دونهم ولو اتسعت نفوسهم لم يقعوا فى حسدنا وهذا الخلق لا يكاد يتخلق به الا القليل من الناس بل غالبهم يتمنى لحاسده كل سوء والله أعلم

﴿ومن أخلاقهم رضى الله تعالى عنهم﴾ انصافهم لكل من سعى لهم عند الاكابر والامراء فى تحصيل رزقه أو حوالى أو هدية ونحو ذلك فيقاسمونه بالنصف أو الربع بقدر ما يرونه يرضيه لا سيما ان وصف أحدهم بالصلاح والزهد والورع حتى أعطوه ما أعطوه فان ذلك من باب النصب والتلبيس فلا ينبغى للشيخ أن يشح عليه بما يطلبه من ذلك لانه معدود من كسب ذلك الناصب حقيقة فالاولى له عدم أخذ شئ منه مطلقا الا بطريق شرعى وقد كثر النصب فى أهل هذا الزمان فصار أحدهم يوقف النقيب مثلا ينصب له عند الامراء أو مشايخ العرب ثم اذا أتاه به يختص به ولا يعطى النقيب الذى نصب وتعب شيأ وذلك حيف عظيم وقد رأيت بعضهم رفع الشيخ الى الحاكم وذكر فيه العجر والبجر حتى قال القاضى وجماعته للشيخ انك يا رجل طماع عظيم فاياك يا أخى ان تظن فى مشايخ العصور المتقدمة انهم كانوا كذلك فتسىء بهم الظن بل كانوا على جانب عظيم من الزهد والورع فاعلم ذلك يا أخى والحمد لله رب العالمين

﴿ومن أخلاقهم رضى الله تعالى عنهم﴾ عملهم بالسنة اذا خطبوا امرأة فيرون منها الوجه والكفين قال بعضهم ويكون ذلك بغير شهوة لانها ليست بمحل الاستمتاع بها الآن ولكن الجمهور على خلافه لاذن الشارع له فى النظر ولا يتعلل أحدهم بالحياء فان فى ترك النظر مفاسد وحصول شرور اذا لم تعجبه ثم اذا رأى أحدهم المخطوبة لا يرى منها الا بقدر الحاجة فان علم من نفسه الطغيان فلينظر دون القدر المأذون فيه ويفوض أمره الى الله تعالى أو يأذن لامرأة يثق بها تنظرها له بحكم النيابة فعلم ان من ترك النظر وتعلل بالحياء فهو جاهل بالسنة جافى الطبع وان حياءه الذى تعلل به طبيعى لا شرعى والحمد لله رب العالمين

﴿ومن أخلاقهم رضى الله تعالى عنهم﴾ كثرة أدبهم مع من علمهم سورة أو آية من القرآن وهم أطفال فلم يزل أحدهم يتأدب مع من علمه السورة أو الآية أو الباب من العلم حتى انه لا يقدر يمر عليه راكبا ولا يتزوج له مطلقة ولو صار من مشايخ الاسلام أو من مشايخ الطريق ومن جملة أدبهم معه أيضا افتقاده بالهدايا والكسوة له ولعياله ومن يلوذ به اكراما له وكذلك من أخلاقهم عدم البخل على الفقيه الذى يعلم أطفالهم القرآن ولا يستكثرون عليه شيأ يعطونه له من الدنيا وقد حكى عن ابن أبى زيد القيروانى صاحب الرسالة رحمه الله تعالى انه أعطى فقيه ولده لما علمه حزبا من القرآن مائة دينار فقال له الفقيه أنا يا سيدى ما عملت شيأ أستحق به هذا كله قال فحول الشيخ ولده من عنده الى فقيه آخر وقال هذا رجل مستهين بالقرآن (قلت) وقد عملت أنا بهذا الخلق بحمد الله تعالى مع فقيهى الشيخ حسن الحلبى رحمه الله تعالى فكنت أكسوه هو وأولاده الى أن مات ولم أرانى قمت بواجب حقه رحمه الله وقد كنت مارا يوما مع الشيخ شمس الدين الدمياطى رحمه الله تعالى فى سنة ثمان عشرة وتسعمائة فرأى الشيخ رجلا أعمى تقوده ابنته فنزل الشيخ من على دابته وقبل يده وماشاه طويلا فلما رجع سألته عنه فقال هذا رجل قرأت عليه وأناصبى شيأ من القرآن فلا أقدر أمر عليه وأنا راكب مع أن الشيخ شمس الدين المذكور كان قد أعطى من الجاه والاعتقاد والعلم والصلاح عند الملوك فمن دونهم ما لم نر أحدا أعطى مثله من أقرانه حتى انى رأيته بين القصرين يوما والناس يزدحمون عليه لتقبيل يديه ومن لم يصل اليه نشر رداءه وحذفه عليه حتى يصيب من ثياب الشيخ ثم يصير يقبل ذلك الرداء كما يفعل الناس ذلك بكسوة الكعبة حين تمر عليهم بالقاهرة فرضى الله تعالى عن أهل الادب فاعلم ذلك واقتد بهم والحمد لله رب العالمين

﴿ومن أخلاقهم رضى الله تعالى عنهم﴾ عدم شهودهم فى نفوسهم ان لهم نوافل من العبادات ولو قاموا حتى تورمت أقدامهم وانما يرون ذلك كالجابر لبعض النقص الحاصل فى فرائضهم اذ النوافل حقيقة انما تكون لمن كملت فرائضه كما أشار اليه قوله سبحانه وتعالى ومن الليل فتهجد به نافلة لك فذكر تعالى انها نافلة له لكمال فرائضه صلى الله عليه وسلم اذ هو معصوم من النقص فى عباداته كما ذكره الحافظ الجلال السيوطى رحمه الله

المرء تركه ما لا يعنيه فقام وقال يكفينى هذا حتى أفرغ منه ثم اسمع غيره فهكذا هو سماع الناس (وفرقة أخرى) اشتغلوا بعلم النحو واللغة والشعر وغريب اللغة واغتروا به وزعموا أنهم قد غفر لهم وانهم من علماء الامة اذ قوام الدين والسنة بعلم النحو واللغة فافنوا أعمارهم فى دقائق النحو واللغة وذلك غرور عظيم فلو عقلوا لعلموا ان لغة العرب كلغة الترك والمضيع عمره فى لغة العرب كالمضيع عمره فى لغة الترك والهند وغيرهم وانما فارقهم من أجل ورود الشرع وكفى من اللغة علم الغريبين فى الكتاب والسنة ومن النحو ما يتعلق بالكتاب والسنة وأما التعمق فيه

فى الخصائص وغيره أيضا وان قدر أن أحدا من الاولياء أتى بعباداته على الكمال فذلك بحكم الارث لرسول الله صلى الله عليه وسلم وقد رأيت فى كلام بعض العلماء ان الملائكة عليهم الصلاة والسلام لا تعرض على الله تعالى صلاة أحد الا بعد تكملتها له من نوافله أدبا مع الله تعالى وقد فعل جماعة الملوك مثل ذلك فيمن كان ببدنه عاهة مثلا فلا يعرضونه على السلطان أبدا صيانة له ان يقع بصره على ناقص وان حدث ذلك فى وزير أو دفتردار أو نحوهما عزلوه واستنابوا غيره وما جعله الناس أدبا مع الملوك فهو أدب مع الله تعالى فان الشرع قد يتبع العرف فى كثير من المسائل كما هو معلوم فاعلم ذلك يا أخى واعمل عليه والحمد لله رب العالمين

﴿ومن أخلاقهم رضى الله تعالى عنهم﴾ عدم استشراف نفوسهم الى هدية أحد جاء من الحجاز أو من الشام مثلا فلا يحدث أحدهم نفسه بأن فلانا سيهدى الى شاشا أو مداسا أو فاكهة أو نحو ذلك أبدا بل هم غافلون عن مثل ذلك وكذلك اذا أهدوا هم الى أحد جاء من السفر المذكور شيأ ابتداء لا تحدثهم أنفسهم بأنه سيكافئهم على ذلك بل هم غافلون عن ذلك بالكلية وليس ذلك من باب سوء الظن بأخيهم انما هو من باب ترك الطمع فهو وان لزم من ظنهم بأخيهم انه لا يكافئهم سوء الظن فليس ذلك مقصودا لهم ولا يؤاخذ الشخص الا بما قصده وقد كان سيدى على الخواص رحمه الله تعالى اذا سمع أحدا يذكر أشعب الطماع وانه كان يفتش على الدخان يترحم عليه ويقول انه كان حسن الظن بجيرانه فجزاه الله تعالى خيرا يعنى انه محمود فى ظنه الخير بالجيران وان لزم منه الطمع فافهم واعلم انه ينبغى لك اذا أرسلت هدية وعلمت من أخيك المكافأة عليها لما هو عليه من المعروف ان تخبره بذلك على لسان القاصد وتقول له قل لاخى فلان ان هذا أمر لا يستحق مكافأة عليه وقد أقسم عليك أخوك بعدم المكافأة فيه جبرا لخاطره وذلك لاجل أن يستريح من تعب المكافأة ولو لحظة وقد أرسلت مرة لاخى الشيخ شمس الدين البرهمتوشى رحمه الله تعالى هدية قليلة فأرسل الى أضعافها فعلمت بذلك كبر مروأته لكن لا يخفى ان البداءة بالهدية مطلوبة شرعا لا سيما لمن بينهما عداوة وفى الخبر تهادوا تحابوا وخبر الهدية تذهب وحر الصدر أى غشه وشؤمه فابدأ بالهدية يا أخى بطريقه الشرعى واحذر من استشراف نفسك الى هدية ممن جاء من سفر أو الى مكافأة ممن أهديت أنت اليه ومتى خالفت ذلك فقد خرجت عن طريق سلفك فاعلم ذلك والحمد لله رب العالمين

﴿ومن أخلاقهم رضى الله تعالى عنهم﴾ أن يشددوا فى العزومة على الضيف فانه لا يأكل بعد ذلك الا رزقه الذى قسمه الله له وقد كان الشيخ عبد الحليم بن مصلح رحمه الله تعالى يحلف على الضيف أنه لا يأكل عند أحد غيره ما دام فى بلده فكان الضيف بعد ذلك لا يأتيه الا نادرا وقد قلت له مرة فى ذلك فقال لى قد استفدنا فى التشديد على العزومة بياض الوجه ولم يأكل الا ما قسم له ولو أنى لم أشدد فى العزومة لربما أكل عندى على رغم أنفى وأكون مذموما عنده وعند الله وعند الخلق وقد فعلت أنا بذلك مع أولاد سيدى الشيخ محمد الشناوى وأولاد الشيخ عبد الرزاق البخارى رحمهما الله تعالى لما أقاموا عندى مرة نحو ثلاثة أشهر فكنت أغضب منهم اذا أكلوا عند غيرى وكان يحصل لهم بذلك انشراح قلب ويزول ما كانوا يتوهمونه من حصول ثقل عندى أو حصول ثقل منهم فاعلم ذلك يا أخى والحمد لله رب العالمين

﴿ومن أخلاقهم رضى الله تعالى عنهم﴾ شدة ورعهم فى أمر الطعام والشراب حتى ان أحدهم كان لا يأكل الا بعد أن يرى سبعة أيد قد تداولت على ذلك الطعام أو ثلاثة أيد فى الحل فان لم يجدوا ذلك طووا حتى يجدوا حلالا يناسبهم وقد كان أخى الشيخ أفضل الدين رحمه الله تعالى من آخر من رأيته من المتورعين فكان لا يأكل من طعام الا ان تداولت عليه سبعة أيد فى الحل وكان ان لم يجد طعاما على هذا الحكم طوى الايام المتوالية حتى تأكل الامعاء بعضها ويخاف على عقله ودينه فهناك يأكل كالمضطر وكان رحمه الله تعالى يعرف تداول تلك الايدى من طريق الكشف وقد من الله تعالى على باقتفاء أثره لكن بتداول ثلاثة أيد فقط ثم ان حصل عندى شك فى ذلك تقايأته وتارة يطلع هو بنفسه فالحمد لله رب العالمين

﴿ومن أخلاقهم رضى الله تعالى عنهم﴾ تفقد نفوسهم كل ساعة ليخرجوا منها صفات المنافقين ويدخلوا فيها صفات المؤمنين لانها عكسها فمن جملة صفات المؤمنين ما ذكره الله تعالى فى كتابه العزيز بقوله عز وجل

الى درجة لا تتناهى فهو فضول مستغنى عنه وصاحبه مغرور (الصنف الثانى) من المغرورين أصحاب العبادات والاعمال والمغرورون منهم فرق كثيرة منهم من غروره فى الصلاة ومنهم من غروره فى تلاوة القرآن ومنهم من غروره فى الحج ومنهم من غروره فى الجهاد ومنهم من غروره فى الزهد ومنهم فرقة أهملوا الفرائض واشتغلوا بالنوافل وربما تعمقوا فيها حتى يخرجوا الى السرف والعدوان كالذى تغلب عليه الوسوسة فى الوضوء فيبالغ ولا يرتضى الماء المحكوم بطهارته فى الشرع ويقدر الاحتمالات البعيدة قريبة فى النجاسة واذا آل الامر الى أكل الحرام قدر الاحتمالات القريبة بعيدة وربما أكل

التائبون العابدون الى آخر الآيه ومنها قوله تعالى قد أفلح المؤمنون الذين هم فى صلاتهم خاشعون الخ ونحوهما من الآيات وفى الحديث لا يؤمن أحدكم حتى يحب لاخيه ما يحب لنفسه وفى حديث آخر لا يؤمن أحدكم حتى يأمن جاره بوائقه قالوا وما بوائقه يارسول الله قال غشه وظلمه وكان أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه يقول اذا رأيتمونى زغت عن الطريق فقومونى وانصحونى فان المؤمن لا يكون الا ناصحا لاخيه وقد جمع يحيى بن معاذ رحمه الله تعالى جملة من صفات المؤمن فى بعض رسائله فقال ان يكون كثير الحياء قليل الاذى كثير الخير قليل الفساد صدوق اللسان قليل الكلام كثير العمل قليل الزلل قليل الفضول كثير البر للرحم وصولا وقورا شكورا كثير الرضا عن الله اذا ضيق عليه الرزق حليما رفيقا باخوانه عفيفا شفوقا لا لعانا ولا سبابا ولا عيابا ولا مغتابا ولا نماما ولا عجولا ولا حسودا ولا حقودا ولا متكبرا ولا معجبا ولا راغبا فى الدنيا ولا طويل الامل ولا كثير النوم والغفلة ولا مرائيا ولا منافقا ولا بخيلا هشاشا بشاشا لا فحاشا ولا جساسا يحب فى الله ويبغض فى الله ويرضى فى الله ويغضب لله زاده تقواه وهمته عقباه وجليسه ذكراه وحبيبه مولاه وسعيه لاخراه وذكر نحو ثلثمائة وصف وكان مالك بن دينار رحمه الله يقول لو نبتت للمنافقين أذناب ما وجد المؤمنون أرضا يمشون عليها يعنى لكثرتهم وكان حذيفة رضى الله عنه يقول كان الرجل يتكلم بالكلمة الواحدة على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فيصير بها منافقا وانى لاسمعها من أحدكم فى المجلس الواحد عشر مرات وهو لا ينتبه لها وفى الحديث المنافق همته فى الطعام والشراب والمؤمن همته فى الصيام والصلاة وكان عمر بن عبد العزيز رحمه الله تعالى يقول قوة المؤمن فى قلبه وقوة الكافر والمنافق فى يده وكان حاتم الاصم رحمه الله تعالى يقول من علامة المؤمن أن يفعل الطاعات ومع ذلك يبكى ومن علامة المنافق أن ينسى العمل ثم يضحك وكان الفضيل بن عياض رحمه الله تعالى يقول المؤمن يزرع نخلا ويخاف أن يثمر شوكا والمنافق يزرع شوكا ويطلب أن يثمر رطبا اه فاعلم ذلك يا أخى وفتش نفسك قبل موتك وابك عليها ان وجدت فيها أخلاق المنافقين وأكثر من الاستغفار والحمد لله رب العالمين

﴿ومن أخلاقهم رضى الله تعالى عنهم﴾ عدم امساك الدينار والدرهم فى بداية أمرهم ثم جمعه للانفاق فى نهاية أمرهم وذلك لان الشخص فى بداية أمره فى الطريق حكم الطفل الرضيع فيحتاج عند الفطام الى وضع الصبر ونحوه على الثدى ليصير يكره الرضاع من اللبن الذى يضره فاذا وثقنا كراهية مصه لذلك صار هو يكره شرب اللبن وتعافه نفسه وكذلك الفقير فى حال نهايته يصير يعاف الدنيا وهناك يكون الكمال فى امساكها ليعف بها نفسه عن سؤال الناس وينفق منها فى سبيل الله كما أمره الله وعلى هذا التقدير ينزل قول من نهى عن الدنيا من السلف ومن أمر بامساكها وقد كان مسلم الخواص رحمه الله يقول لما ضرب الدينار والدرهم وضعهما ابليس على جبهته وقبلهما وقال من أحبكما فهو عبدى حقا (قلت) لابد من استثناء من أحب الدنيا للانفاق من هذه الاخلاق والله أعلم لانه اطلاق فى محل تفصيل وقد كان كهمس بن الحسن رحمه الله تعالى لا يمسك بيده دينارا ولا درهما ويقول والله لجراب بعر أحب الى من جراب ذهب وقد كان ابراهيم بن أدهم رحمه الله تعالى يقول لا يكمل مقام الفقير الا برفض الدنيا وعدم تقديم نفسه فيها على اخوانه الا أن يكون أحوج منهم وقد طلب رجل صحبة ابراهيم بن أدهم رحمه الله فقال له بشرط أن لا تكون أحق بمالك منى فقال لا طاقة لى على ذلك ثم ذهب وفى التوراة حرام على قلب يحب الدنيا أن يقول الحق وكان يحيى بن معاذ رحمه الله تعالى يقول اعلموا ان الدرهم عقرب فمن لم يحسن رقيته قتله سمه فقيل له وما رقيته قال أن يؤخذ من حله ويوضع فى محله وقد كان سميط بن عجلان رحمه الله تعالى يقول الدراهم أزمة المنافقين يقادون بها الى المهالك وكان عيسى عليه الصلاة والسلام يقول لا يكون الرجل صالحا حتى يتساوى عنده الذهب والتراب وكان شقيق البلخى رحمه الله تعالى يقول من انشرح لدخول الدنيا عليه فهو منافق يعنى بذلك من تظاهر للناس بالزهد فى الدنيا وأما من لم يتظاهر بذلك فلا والله أعلم وكان أمير المؤمنين على رضى الله عنه يضع الدرهم فى كفه ويقول أف لك من درهم لا تنفعنى الا ان خرجت عنى وكان سفيان الثورى رحمه الله تعالى يقول اذا دخل الدرهم الحرام من الباب خرج الحق من الكوة فقيل له فان سدت الكوة فقال يخرج من حيث يأتى ملك الموت وكان العلاء ابن زياد رحمه الله يقول لا يكمل العالم الا ان عف عن الدنيا وعن النساء وقد كان سفيان الثورى رحمه الله كثيرا

الحرام المحض ولو انقلب هذا الاحتياط من الماء الى الطعام لكان أولى بدليل سير الصحابة رضى الله عنهم فقد توضأ عمر رضى الله عنه بماء فى جرة نصرانية مع احتمال ظهور النجاسة وكان مع هذا يدع أبوابا من الحلال خوفا من الوقوع فى الحرام (وفرقة أخرى) غلبت عليهم الوسوسة فى نية الصلاة فلا يدعه الشيطان يعقد نية صحيحة بل يوسوس عليه حتى تفوته الجماعة وربما أخرج الصلاة عن الوقت وان تم تكبيرة الاحرام يكون فى قلبه تردد فى صحة نيته وقد يتوسوس فى التكبير حتى يغير صفة التكبير لشدة الاحتياط ويفوته الاستماع للفاتحة ويفعل

ما ينشد قوله

انى وجدت فلا تظنوا غيره * ان التورع عند هذا الدرهم

فاذا قدرت عليه ثم تركته * فاعلم بأن تقاك تقوى المسلم

اه فاحذر يا أخى من فضول الدنيا واقتد بسلفك الظاهر فى الزهد تسلم من آفاتها والحمد لله رب العالمين

﴿ومن أخلاقهم رضى الله تعالى عنهم﴾ محبتهم لتقديم مريدهم خدمة الله تعالى على خدمتهم فاذا دعوا أحدا الى حاجتهم ولم يأت لاشتغاله بتلاوة القرآن مثلا أو بذكر الله تعالى كان ذلك أرجح عندهم من حاجتهم ولو كانت ضرورية كطحن القمح وطبخ الطعام ونحو ذلك وهذا الخلق لا يعمل به الا من خلص من رعونات النفس وصحت له محبة مرضاة الله تعالى حتى صار يقدمها على جميع أهوية نفسه وقد كان لى ورد فى الصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم فطاب لى الذكر ليلة واستمريت فيه حتى فاتنى وردى فى الصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم فخجلت بعد ذلك منه عليه الصلاة والسلام حياء منه فلما أصبحت أعرضت ذلك على شيخنا سيدى على الخواص رحمه الله تعالى فقال لى لا ينبغى الخجل منه صلى الله عليه وسلم لاجل ذلك فانه صلى الله عليه وسلم يحب ربه سبحانه وتعالى أكثر من نفسه بيقين فلا ينبغى أن يتوهم فيه صلى الله عليه وسلم انه يتكدر منك لاجل ذلك بل هو صلى الله عليه وسلم أفرح بذكر الله عز وجل من الصلاة عليه على أن الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم لابد فيها من ذكر الله تعالى اه والله أعلم وكذلك ينبغى أن يكون الشيخ ينشرح لاشتغال المريد بالصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم أكثر مما ينشرح اذا صار المريد يقول اللهم ارحم شيخى واغفر له ونحو ذلك لكون النبى صلى الله عليه وسلم أحب الى كل شيخ من نفسه ومن أهله فافهم ذلك يا أخى والحمد لله رب العالمين

﴿ومن أخلاقهم رضى الله تعالى عنهم﴾ تقديم أعمال الآخرة دائما على أعمال الدنيا فيقدم أحدهم ورده بعد صلاة الصبح على سائر مهماته كما يقدم التهجد فى الليلة الباردة على نومه تحت اللحاف وعلى ذلك درج السلف الصالح كلهم رضى الله عنهم فمن أصبح وهمته الدنيا فهو خارج عن طريقهم وقد رأيت مرة شيخا أراد التنزه فى بستان فترك ذلك اليوم الورد وصلاة الصبح مع الجماعة وكان له عمامة صوف وعذبة فقلت له يا أخى لو لبست تلك عمامة مخططة وثوبا مخططا مما يلبسه العشاق وصليت الصبح فى جماعة وقرأت الورد لكان ذلك أفضل لك عند الله تعالى فلم يرد جوابا وكان يونس بن عبيد رحمه الله تعالى يقول من لم تكن عنده تسبيحة أو تهليلة واحدة خير من الدنيا وما فيها فهو ممن آثر دنياه على آخرته وكان مالك بن دينار رحمه الله تعالى يقول ومن خطب الدنيا طلبت منه دينه كله فى صداقها الا يرضيها منه الا ذلك وكان سيدى الشيخ أبو الحسن الشاذلى رحمه الله تعالى يقول الدنيا ابنة ابليس فمن خطبها كثر تردد أبيها اليه فان دخل بها أقام عنده بالكلية (قلت) المراد بخطبته الدنيا تمنيها وبالدخول بها امساكها أى امساك الفاضل منها عن حاجته لغير غرض شرعى فعلم ان من أراد أن ابليس لا يسكن عنده مع تزويجه ابنته فقد رام المحال ولذلك كان يتوسوس فى الصلاة والوضوء والنيات كلها كثير من الناس الذين يحبون الدنيا بقلوبهم والحمد لله رب العالمين

﴿ومن أخلاقهم رضى الله تعالى عنهم﴾ عدم خوفهم من ضياع ذريتهم من بعدهم ولذلك كانوا ينفقون كلما دخل يدهم من الدنيا ولا يدخرون شيأ ولو أنهم خافوا على ذريتهم الضياع لحكم عليهم الحرص والبخل والشح وخرجوا عن صفات القوم وفى الحديث الولد مبخلة مجبنة أى يدع أباه بخيلا جبانا عن الجهاد وغيره وفى الحديث أيضا مالك ما قدمت ومال وارثك ما أخرت وكان الحسن البصرى رحمه الله يقول أنفق يا ابن آدم ولا يغرنك من حولك من هذه السباع الضارية ابنك وحلائلك وكلالتك وخادمك فان ابنك مثل الاسد ينازعك فيما فى يدك ليختص به دونك فلا هو يتصدق به عنك ولا هو يدعه فى يدك لتنفق منه فى مرضاة الله تعالى وأما حلائلك فهن مثل الكلبة فى البصبصة والهرير وأما كلالتك فوالله لدرهم يصل اليهم بعد موتك أحب اليهم من حياتك وأما خادمك فمثل الثعلب فى الحيل والسرقة فلا تطلب المحبة من هؤلاء وتدخر مالك لهم وتوقر ظهرك فانهم انما هم معك على غلالة فاذا وضعوك فى اللحد رجعوا الى بيوتهم فبخروا الثياب وعانقوا النساء وأكلوا وشربوا وبطروا بمالك وأنت المحاسب بذلك وكان أبو حازم رحمه الله تعالى يقول أنفقوا ولا تخشوا الضيعة على أولادكم فانهم ان كانوا مؤمنين فان الله يرزقهم بغير حساب وان كانوا فاسقين فلا تساعدوهم على الفسق

ذلك فى أول الصلاة ثم يغفل فى جميعها ولا يحضر قلبه ويغتر بذلك ولم يعلم أن حضور القلب فى الصلاة هو الواجب وانما غره ابليس وزين له ذلك وقال له ذلك الاحتياط تتميز به عن العوام وأنت على خير عند ربك (وفرقة أخرى) غلبت عليهم الوسوسة فى اخراج حروف الفاتحة من مخارجها وكذلك سائر الاذكار فلا يزال يحتاط فى التشديدات والفرق بين الضاد والظاء لا يهمه غير ذلك ولا يتفكر فى أسرار فاتحة الكتاب ولا فى معانيها ولم يعلم أنه لم يكلف الخلق فى تلاوة القرآن من تحقيق مخارج الحروف الا بما جرت به عادتهم فى الكلام وهذا غرور عظيم ومثلهم من حمل الرسالة الى

بأموالكم وكان سالم بن أبى الجعد رحمه الله تعالى ينفق كلما دخل يده أولا فأولا فلامته امرأته على ذلك فقال لها الان أذهب بخير وأتركهم بشر أحب الى من أن أذهب بشر وأتركهم بخير وكان محمد بن يوسف رحمه الله يقول أنفق على أخيك الصالح فانه خير لك من ورثتك وذلك لانه يدعو لك وأنت بين أطباق الثرى حتى ربما تخرج من قبرك وليس عليك ذنب بدعائه وأما ورثتك فانهم يقتسمون مالك وينسونك ولا يرون لك فضلا عليهم ويقولون ان الله تعالى جعل لنا ذلك وكان مالك بن دينار رحمه الله تعالى لا يقتنى فى بيته شيأ سوى الحصير والمصحف والابريق وقد أعطاه شخص مرة ركوة جديدة فلما أصبح أعطاها مالك لشخص من أصحابه وقال له خذها يا أخى فانها أشغلت قلبى خوفا أن يسرقها أحد من بيتى وكان الحسن البصرى رحمه الله تعالى يقول دخلت يوما على أخ لى أزوره فرأيت عينيه قد غارتا من الجوع فأخرجت له درهمين وقلت له خذهما واشترلك بهما شيأ تقتات به يقويك على العبادة فأبى أن يقبلهما وقال فى قدرة الله تعالى أن يقوينى على عبادة هذه الليلة بلا طعام ولا شراب وانى أخاف أن آخذهما منك فيبيتا عندى فأموت ولم أشتر بهما شيأ وان رسول الله صلى الله عليه وسلم قبض ولم يجدوا فى بيته دينارا ولا درهما قال ولما حضرت الوفاة محمد بن كعب القرظى رحمه الله تعالى أنفق ماله كله فقالوا له هلا ادخرت شيأ منه لذريتك فقال ادخاره لنفسى أولى وأماذريتى فادخرت لهم فضل ربى وقد كان يحيى بن معاذ رحمه الله تعالى يقول يخاف أحدنا من فضيحة الدنيا وفقرها ولا يخاف من فضيحة الآخرة وفقرها مع أن فقر الشخص من الاعمال الصالحة فى الآخرة يكون به أشد خجلا من الناس فبئس ما فعلنا وكان يقول ان هم النفقة والاكل والشرب قد منع قلوب الغافلين عن كل خير ولدرهم واحد يتصدق به العبد فى حياته خير له من ألف دينار بعد موته وكان المداينى رحمه الله تعالى يقول توريث الاولاد الادب خير لهم من توريث المال لان الادب يكسبهم المال والجاه والمحبة للاخوان ويجمع لهم بين خيرى الدنيا والآخرة وأما المال فانه يعدم سريعا ويصيرون لا دنيا ولا آخرة وقد جربنا المال الموروث غالبا فوجدناه لا خير فيه ولا بركة لكونه ليس هو بكسب الوارث وربما كان المورث بخيلا به على ورثته وغيرهم فاعلم يا أخى ذلك والحمد لله رب العالمين

﴿ومن أخلاقهم رضى الله تعالى عنهم﴾ زيارتهم لقبور المسلمين كل قليل عملا بقوله صلى الله عليه وسلم زوروا القبور فانها تذكركم الآخرة وهذا الخلق قل من يعمل به الآن من الناس وان وقع أنهم دخلوا تربة فليس فى دخولهم اعتبار وانما ذلك الامر عادى كزيارتهم للميت فى أول جمعة أو عند تمام الشهر خوفا من تغير خاطر أهل الميت مثلا لاسيما ان كان لهم عليهم حق فى زيارتهم ولده أو والده لما مات وهو غرض آخر أجنبى عما قلناه وكان آخر من رأيته عاملا بهذا الخلق سيدى الشيخ محمد بن عنان كان رحمه الله تعالى يزور القرافة كل يوم جمعة فكان يزور من عرف من الاموات ومن لم يعرف وكان عندما يرى القبور يبكى ويقول الذكر الوارد فى ذلك ثم يقول ما منهم أحد الا وهو يشتهى أن يصلى ركعتين أو يقول لا اله الا الله ولو مرة واحدة فاستغنموا عمركم وكان يزيد الرقاشى رحمه الله تعالى اذا زار المقبرة يبكى ويقول ليت شعرى بأى أعمالكم اغتبطتم واستبشرتم ثم يصرخ كما يصرخ الثور وكان هشام الدستوائى رحمه الله تعالى اذا زار المقابر ورجع الى داره مكث أياما لا يستضىء بسراج ويقول أتذكر ظلمة القبر وكان عمر بن عبد العزيز رحمه الله تعالى يزور قبور آبائه من بنى أمية ويقول كأنكم يا آبائى لم تشاركوا أهل الدنيا فى لذة ولا نعيم وكان يقول ما أحسن ظواهر هذه القبور وانما الدواهى فى بواطنها وقد رأى الحسن البصرى رحمه الله تعالى رجلا يضحك فى المقابر فقال له أما يكفيك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يكره ذلك وكان سفيان الثورى رحمه الله تعالى يقول ان الميت يفتن فى قبره سبعة أيام ولذلك استحبوا التصدق عنه تلك المدة مساعدة له حتى يلقن حجته وكان عبد الله بن عمر رضى الله عنهما يقول مررت على مقبرة فرأيت شخصا خارجا من قبر وهو يتلهب نارا من فوقه الى قدمه فقال لى يا عبد الله اسقنى ماء فلا أدرى أعرفنى باسمى أم نادانى كما ينادى الرجل من لا يعرفه فأردت أن أسقيه فقال لى الموكل به لا تسقه ولا زال يضربه بالسوط حتى رجع الى قبره فانطبق عليه وكان عطاء السلمى رحمه الله تعالى كثيرا ما يخرج بعد العشاء الى المقابر فلا يزال يناجيهم الى الصباح ويرجع وكان يقول يا أهل المقابر متم فواموتاه وعاينتم أعمالكم

مجلس السلطان وأمر أن يؤديها على وجهها فأخذ يؤدى الرسالة ويتأنق فى مخارج الحروف ويعيدها مرة بعد أخرى وهو مع ذلك غافل عن مقصود الرسالة ومراعاة حرمة المجلس فهذا لاشك أنه تقام عليه السياسة ويرد الى دار المجانين ويحكم عليه بفقد العقل (وفرقة أخرى) اغتروا بتلاوة القرآن فيهدرونه به هدرا ربما يختمون فى اليوم والليلة ختمة وألسنتهم تجرى به وقلوبهم تتردد فى أودية الامانى والتفكر فى الدنيا ولا تتفكر فى معانى القرآن لينزجر بزواجره ويتعظ بمواعظه ويقف عند أوامره ونواهيه ويعتبر بمواضع الاعتبار منه ويتلذذ به من حيث المعنى

فواعملاه اه وقد مر عبد الله بن عمر رضى الله عنهما يوما على مقبرة ففرش رداءه وصلى ركعتين هناك فقيل له فى ذلك فقال ذكرت أهل القبور وقد حيل بينهم وبين العبادة فأحببت أن أتقرب الى الله تعالى بركعتين بينهم وكان أبو الدرداء رضى الله عنه يقول ان أعمالكم تعرض على موتاكم فتارة يسرون وتارة يحزنون وكان كثيرا ما يقول اللهم انى أعوذ بك أن أعمل عملا تخزى به أمواتى بين الاموات وكان الحسن البصرى رحمه الله تعالى اذا حضر دفن ميت يكاد يغشى عليه ويقول والله ان أمرا هذا آخره لحقيق أن يزهد فى أوله ويخاف من آخره * واعلم يا أخى انه ليس من أخلاق القوم حفر قبورهم فى حال حياتهم أدبا مع الله سبحانه وتعالى فى قوله عز وجل وما تدرى نفس بأى أرض تموت أى وتدفن ولكن قد بلغنا أن عمر بن عبد العزيز رحمه الله تعالى حفر قبره بدير سمعان هو وفتيانه فجعل يحفر والفتيان ينقلون التراب حتى فرغ من حفره فدفن فيه يوم السابع وكذلك قد بلغنا عن رجلين من بنى خولان أنهما حفرا قبريهما بباب القرافة بمصر ونقشا اسميهما على لوح رخام هناك وانهما يشهدان أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله وقد قرأته أيام سياحتى ولم يكن أحدهم يبنى على قبره قبة ولا يعمل له مقصورة ولا يزخرف له حائطا ولا يجعل له فى طبقات قبته قرية خلاف ما حدث من بعض متصوفة زماننا وربما كان من مال بعض الظلمة فاحذر أيها الاخ الصالح من مثل ذلك فقد قالوا كم من ضريح يزار وصاحبه فى النار وقد رأيت شيخا من مشايخ العجم باع كتبه وثيابه وأمتعة داره وعمل له قبة وتابوتا وسترا وشخاشيخ ونحو ذلك صرف عليها جملة كثيرة ثم كتب على بابها يقول

قف على الباب خاضعا * واحسن الظن وارتج فهو باب مجرب * لقضاء الحوائج

وصار كل من رأى تلك القبة وتلك الكتابة يضحك على ذلك الفقير ويقول انه خاف أن لا يعتنى به أحد بعد موته فعمل هو ذلك حتى يقال شيخ وهذا كله غرور وفتح باب للاستهزاء بالصالحين فلا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم والحمد لله رب العالمين

﴿ومن أخلاقهم رضى الله تعالى عنهم﴾ عدم غفلتهم عن ذكر الله تعالى وعن الصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم فى كل مجلس جلسوه عملا بقوله صلى الله عليه وسلم لا يجلس قوم مجلسا لم يذكروا الله فيه ولم يصلوا على نبيهم محمد صلى الله عليه وسلم الا كان عليهم ترة أى تبعة ونقصا يوم القيامة وأيضا عملا بقوله صلى الله عليه وسلم ليس يتحسر أهل الجنة الا على ساعة مرت بهم لم يذكروا الله فيها اه وكان الحسن البصرى رحمه الله تعالى يقول قد خفف الله تعالى علينا بقوله عز وجل اذكرونى أذكركم ولم يخص مكانا دون مكان ولو أنه تعالى عين لنا مكانا نذكره فيه لكان الواجب علينا السعى له ولو كان مسيرة مائة سنة كما صنع فى دعاء الناس الى الكعبة فله الحمد والمنة وكان الفضيل بن عياض رحمه الله تعالى يقول اذا ذكرتم الخلق فى مجالسكم فاذكروا الله تعالى فان ذكره دواء لداء ذكر الخلق وقد كان ابراهيم بن أدهم رحمه الله تعالى يشترط على من يريد مجالسته أن لا يغفل عن ذكر الله سبحانه وتعالى وكان عطاء السلمى رحمه الله تعالى يقول لا ينبغى لمن ظلم نفسه أن يذكر الله تعالى الا بعد التوبة والاستغفار فان الله تعالى يلعن الظالم اذا ذكره ما دام مصرا (قلت) وهو يريد ما ذهب اليه القوم من التوبة كلما أرادوا أن يذكروا ربهم عز وجل احتياطا لنفوسهم ولاحتمال ظلمهم لها ولو بارتكاب مكروه أو غفلة أو خاطر مذموم ونحو ذلك اه والله أعلم وكان داود الطائى رحمه الله تعالى يقول كل نفس تخرج من الدنيا عطشانة الا نفس الذاكرين وكان وهيب بن الورد رحمه الله تعالى يقول ان أولى الناس بالله من افتتح المجلس بالذكر وكان ثابت البنانى رحمه الله تعالى يقول انى لاعرف متى يذكرنى الله تعالى قيل له وكيف ذلك قال اذا ذكرته سبحانه وتعالى ذكرنى قال تعالى فاذكرونى أذكركم وكان أبو المليح رحمه الله تعالى اذا ذكر الله تعالى يحصل له طرب ويقول انما طربى بذكر الله تعالى لى فانه سبحانه وتعالى يقول فاذكرونى أذكركم وكان اذا مشى فى طريق وهو غافل عن ذكر الله تعالى رجع ثانيا وذكر الله تعالى فيها ولو مرحلة ويقول انى أحب أن تشهد لى البقاع التى أمر فيها كلها يوم القيامة وقد كان داود عليه الصلاة والسلام يقول اللهم اجعلنى من الذاكرين لك واذا رأيتنى جاوزت مجلس الذاكرين الى مجلس الغافلين فاكسر رجلى فانها نعمة منك على وكان يحيى بن معاذ رحمه الله تعالى يقول حادثوا القلوب بذكر الله تعالى فانها سريعة الغفلة

لا من حيث النظم فمن قرأ كتاب الله فى اليوم والليلة مائة مرة ثم ترك أوامره ونواهيه يستحق العقوبة وربما كان له صوت طيب فهو يقرأ ويتلذذ به ويغتر باستلذاذه ويظن أن ذلك لذة مناجاة الله سبحانه وسماع كلامه وهيهات ما أبعده اذ لذته فى صوته

وكان وهب بن منبه رحمه الله تعالى يقول واعجبا من الناس يبكون على من مات جسده ولا يبكون على من مات قلبه وهو أشد وقد كان بشر بن منصور رحمه الله تعالى يقلل من مجالسة الناس ويقول الاجتماع بالناس محل الغفلات ووالله ما جلس عندي أحد الا رأيت ترك مجالسته أفضل لانها تصير خيرا لي وله انتهى فاعلم ذلك يا أخي والحمد لله رب العالمين

﴿ومن أخلاقهم رضي الله تعالى عنهم﴾ عدم وضع جنبهم في الارض الا عند العجز عن الجلوس وعلمهم بالقرائن ان الله سبحانه وتعالى يسامحهم بمثل ذلك وكان آخر من أدركته على هذا القدم سيدي الشيخ تاج الدين الذاكر رحمه الله تعالى فانه أخبر أصحابه ليلة وفاته ان له سبعا وعشرين سنة ما وضع جنبه الى الارض وكذلك سيدي الشيخ أبو السعود الجارحي رحمه الله وقد كان على هذا القدم من السلف عمر بن عبد العزيز وبشر الحافي ومحمد بن اسمعيل البخاري والامام أحمد بن حنبل والامام أبو حنيفة ورابعة العدوية والاوزاعي وجماعة ذكرناهم في الطبقات رضي الله عنهم وكان عمر بن عبد العزيز رحمه الله اذا غلبه النوم يقوم فيجول في الدار وينشد قوله

وكيف تنام العين وهي قريرة * ولم تدر في أي المحلين تنزل

وكذلك كانت رابعة العدوية وشعوانة وفاطمة الرملية رحمة الله عليهن كن يقلن نخاف أن نؤخذ على بغتة فعلم ان كل من ادعى الصلاح ونام في الاسحار بلا عذر فهو كاذب فاعلم ذلك والحمد لله رب العالمين

﴿ومن أخلاقهم رضي الله تعالى عنهم﴾ رقة قلوبهم وكثرة بكائهم على تفريطهم في حقوق الله تعالى لعل الله أن يرحمهم وكان على هذا المقام الامام أبو بكر الصديق رضي الله عنه وعمر بن الخطاب وأبو الدرداء رضي الله عنهم وكان لعمر بن الخطاب رضي الله عنه خطان أسودان في وجهه من مجرى الدموع وكذلك عبد الله بن عباس رضي الله عنهما وكذلك كان لعمر بن عبد العزيز ويزيد الرقاشي والفضيل بن عياض وبشر الحافي ومعروف الكرخي رضي الله عنهم وكان يزيد الرقاشي رحمه الله اذا دخل بيته يبكي واذا قدم اليه الطعام بكى واذا جلس اليه اخوانه بكى وأبكاهم ويقول وهل خلقت النار الا لمثلي وكان عمر بن عبد العزيز رحمه الله طول ليله يبكي ويجول في داره ويصرخ الى الصباح وكثيرا ما يقع مغشيا عليه وكان يصلي في سطح غرفته فيبكي في سجوده حتى تجري دموعه وتتقاطر من الميزاب على النائمين تحته حتى كانوا يظنون أنها سحابة مارة فأمطرت عليهم وقد كانت رابعة العدوية رحمة الله عليها تبكي وترش دمعها حولها حتى كان يظن الداخل اليها أن ذلك من ماء الوضوء وكان ابن السماك رحمه الله تعالى اذا حمي مجلسه وتباكى الناس يذكر لهم بكاء داود عليه الصلاة والسلام وبكاء سفيان الثوري وداود الطائي والفضيل بن عياض وعمر بن عبد العزيز وأضرابهم فيستصغر الناس عند ذلك بكاءهم وكان كعب الاحبار رضي الله عنه يقول لان أبكي من خشية الله حتى تخرج من عيني قطرة واحدة أحب الي من أن أتصدق بجبل من ذهب وأنا غليظ القلب وكان علي رضي الله عنه يقول علامة الصالحين صفرة الالوان وعمش العيون وذبول الشفاه أي من كثرة سهرهم وبكائهم وجوعهم وكان الفضيل بن عياض رحمه الله تعالى يقول ليس البكاء بكاء العين انما البكاء بكاء القلب فان الرجل قد تبكي عيناه وقلبه قاس لان بكاء المنافق يكون من رأسه لا من قلبه وكان سفيان الثوري رحمه الله تعالى يقول البكاء عشرة أجزاء فواحد منها لله تعالى والتسعة كلها رياء فاذا جاء ذلك الجزء الذي لله تعالى في السنة مرة واحدة نجا صاحبه من النار ان شاء الله تعالى (قلت لا يكمل مقام الرجل في البكاء الا ببكاء عينه وقلبه وأما الباكي بأحدهما ناقص لاسيما ان كان له أتباع فان بكاءه بالقلب لا يذوقه أتباعه فيحتاج الى بكاء العين ضرورة وان كان مقامه قد ارتقى عن ذلك والله تعالى أعلم وقد بكى رجل رياء في مجلس صلة بن أشيم فرحمه الناس فقيل له في المنام خذ أجر بكائك ممن أحببت الى أن يراك باكيا وكان سميط بن عجلان رحمه الله تعالى يقول كان سفيان بن عيينة رحمه الله تعالى اذا بكى يردد الدمع في عينه ويقول انه أبقى للكمد وكان عمر بن عبد العزيز رحمه الله تعالى اذا بكى بكت زوجته وعياله وخدمه ولا يدرون لم ذلك البكاء وكان صالح المري رحمه الله تعالى يقول الذنوب تطمس القلوب ولا يزيل ذلك الا البكاء وقد بكى شعيب بن حرب رحمه الله تعالى في مجلس طاوس رحمه الله تعالى حتى أبكى الناس وظن أنه فعل أمرا عظيما فقال له طاوس اعلم يا أخي أنه لو

فلو أدرك لذة كلام الله ما نظر الى صوته وطيبه ولا تعلق خاطره به ولذة كلام الله انما هي من حيث المعنى فهو في غرور عظيم (وفرقة أخرى) اغتروا بالصوم وربما صاموا الدهر وصاموا الايام الشريفة وهم في ذلك لا يحفظون ألسنتهم عن الغيبة ولا

بكى معك أهل السماء وأهل الارض لاجل ذنب واحد فعلته لكان ذلك قليلا فكيف تظن أن ذنوبك تمحى ببكائك وحدك وقد قيل لمالك بن دينار رحمه الله تعالى ألا نأتيك بقارئ يسمعك القرآن فقال الثكلاء لا تحتاج الى نائحة وكان الضحاك رحمه الله تعالى يبكي كل عشية حتى يغشى عليه ويقول اني لا أدري ما صعد اليوم من عمل القبيح هل غفر لي أو هو باق في صحيفتي حتى أقف عليه غدا وكان مكحول الدمشقي رحمه الله تعالى يقول اذا رأيتم أحدا يبكي فابكوا ولا تظنوا به الرياء فاني ظننت ذلك مرة برجل فحرمت البكاء سنة اه فعلم أن كل من ادعى الصلاح ولم يبك بقلبه عند سماع القرآن فهو كاذب لان قسوة القلب تنافي أخلاق الصالحين فاعلم ذلك والحمد لله رب العالمين

﴿ومن أخلاقهم رضي الله تعالى عنهم﴾ ظنهم بنفسهم الهلاك بسبب تقصيرهم في الطاعات فضلا عن وقوعهم في المعاصي ويقولون الرجاء في الله سبحانه وتعالى أن يعفو عنا هو تحصيل الحاصل وانما الشأن في ظن أحدهم أن الله تعالى يؤاخذه على النقير والقطمير ليخاف وقوفه للحساب يوم القيامة فان من لم يحاسب نفسه هنا يطول وقوفه للحساب هناك نسأل الله تعالى اللطف وقد كان عبد الرحمن بن هرمز الاعرج رحمه الله تعالى يقول فتشوا أنفسكم فيما هي عليه من القبائح فان كل أحد يحشر غدا مع جنسه فمن وقع في سائر المعاصي فله مع كل قوم حشر وكان رحمه الله تعالى كثيرا ما يعاتب نفسه ويوبخها ويقول لها ان المنادي ينادي يوم القيامة يا أهل خطيئة كذا قوموا فتقوم يا أعرج معهم ثم ينادي يا أهل خطيئة كذا قوموا فتقوم يا أعرج معهم ثم ينادي يا أهل خطيئة كذا قوموا فتقوم يا أعرج معهم فأراك يا أعرج تقوم مع كل طائفة وقد كان سيدي علي الخواص رحمه الله تعالى يقول لا يكمل الفقير حتى يكون ليلا ونهارا كأن أهوال القيامة نصب عينيه لاجل أن يستعد لها من هذه الدار وكان رحمه الله تعالى كثيرا ما يقول من أراد هدو السر في القبر فلا يجعل له سريرة يفتضح بها يوم القيامة ومادام له سريرة سيئة فالرعب من لازمه الى أن يبعث من قبره مرعوبا ولذلك كان لقمان عليه السلام يقول لابنه يا بني كما تنام كذلك تموت وكما تستيقظ كذلك تبعث فاعمل عملا صالحا لاجل أن تنام وتستيقظ كالعروس ولا تعمل سوءا فتنام وتستيقظ مرعوبا كالمجرم الذي طلبه السلطان ليسفك دمه وكان أويس القرني رحمه الله يقول استعمل الخوف في هذه الدار فانه أنجى لك من العذاب وكان سيدي علي الخواص رحمه الله تعالى يقول اعمل لنفسك ولا تعول على غيرك من صاحب أو شيخ فان لكل منهم يومئذ شأن يغنيه وصف أعمالك من الرعونات فان نورها يوم القيامة على قدر اخلاصك فيها واعلم أنه لا يستضيء منافق في نور مؤمن كما لا يستضيء الاعمى بنور البصير وكان كعب الاحبار رضي الله عنه يقول من أغلق بابه وعصى الله تعالى واستحيا من المخلوقين دونه عز وجل حاسبه الله تعالى حسابا شديدا ووبخه توبيخا منكرا ثم نظر اليه نظر الغضب ويقول للملائكة خذوه فيبتدره ألف ملك أو يزيدون ويسحبونه على وجهه قال فيستفتت في أيديهم فانظر يا ابن آدم هل وقعت في ذلك وتشفع بأنبياء الله ورسله عسى أن يغفر لك لاجل من استشفعت بهم وكان الربيع بن خيثم رحمه الله تعالى يقول لنفسه كيف بك يا ربيع اذا حملت الارض والجبال فدكتا دكة واحدة وقد كان أبو عمران الجوني رحمه الله تعالى يقول ان البهائم اذا رأت ما يصنع ببني آدم يوم القيامة تقول الحمد لله الذي لم يجعلنا من بني آدم وكان يحيى بن معاذ رحمه الله يقول لا تكن ممن يفضحه الميزان والحساب يوم القيامة فقد بلغني أن أهل الجمع يعضون كلهم أناملهم خجلا وحياء من الله تعالى كل واحد حزنه على قدر ما فرط في جنب الله وقد سمعت سيدي عليا الخواص رحمه الله تعالى يقول يسهل الله تعالى على العبد طلوع روحه بقدر ما ذاق من الغصص في مرضاة الله تعالى فقلت له يا سيدي ان الانبياء عليهم الصلاة والسلام أكثر الناس بلاء ومع ذلك فقد ورد أن أحدهم يشدد عليه المرض وغيره فقال تشديد المرض على الاكابر قد يكون تعظيما لاجورهم لا لعلاقة دنيوية تجذبهم اليها بل لا يجوز حملهم على ذلك وبعضهم يصعب عليه طلوع روحه لاجل تلامذته فيريد عدم الخروج من الدنيا حتى يكملهم ويرشدهم الى كمال مقام المعرفة مع محبته للقاء الله تعالى أيضا فلما تجاذب عنده الامران حصل بذلك صعوبة طلوع الروح ولولا ما عنده من كمال الشفقة على تلامذته لكان أسرع الناس خروجا لروحه طلبا للقاء الله تعالى اه وكان وهب بن منبه رحمه الله تعالى

خواطرهم عن الرياء ولا بطونهم عن الحرام عند الافطار ولا من الهذيان بأنواع الفضول فهؤلاء تركوا الواجب واتبعوا المندوب وظنوا أنهم يسلمون وهيهات انما يسلم من أتى الله بقلب سليم فهم مغرورون أشد الغرور (وفرقة أخرى) اغتروا

يقول سأل بنو اسرائيل عيسى صلى الله عليه وسلم أن يحيى لهم سام بن نوح عليهما الصلاة والسلام فقال أروني قبره فذهبوا به اليه فوقف على قبره وقال ياسام قم باذن الله تعالى قال فقام حيا واذا برأسه ولحيته بيضاء فقال له عيسى ياسام انك قدمت وشعرك أسود فقال سام نعم ولكني لما سمعت النداء ظننت أنها القيامة فلذلك شابت رأسي ولحيتي الآن فقال له عيسى كم لك من السنين ميت فقال خمسة آلاف سنة والى الآن لم تذهب عني حرارة طلوع الروح وقد كان عيسى صلى الله عليه وسلم اذا ذكر يوم القيامة بين يديه يصيح كصياح الثكلاء ويقول لا ينبغي لابن مريم أن يسكت عند ذكر القيامة وكان وهيب المكي رحمه الله تعالى يقول كيف ينبغي لاحد أن يضحك في الدنيا وهو يعلم أن بين يديه يوم القيامة صرخات وجولات ووقفات يكاد الانسان أن تنقطع مفاصله من شدة الرعب والخوف وكان عبد الله بن مسعود رضي الله عنه يقول في قوله تعالى في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة قال هو من طلوع شمس يوم السبت الى نصف النهار فلا ينتصف النهار حتى يفرغ الخلائق من الحساب ويستقر أهل الجنة في الجنة وأهل النار في النار وكان سيدي علي الخواص رحمه الله تعالى يقول من وجد في نفسه داعية للتفرج في البساتين والنوم مع النساء الحسان في الفرش الوطيئة ولبس الثياب المبخرة فهو غافل عن أهوال يوم القيامة الا أن يكون من كمل الاولياء الذين لا يشغلهم عن الله تعالى شاغل في الدارين فاعلم ذلك يا أخي والحمد لله رب العالمين

﴿ومن أخلاقهم رضي الله تعالى عنهم﴾ عدم الاعتناء ببناء الدور ونحوها ثم ان وقع أن أحدهم بنى دارا اقتصر منها على ما يدفع الضرورة من غير زخرفة وذلك لعدم وجود ما يكفي ذلك من الحلال وعدم طول أمل فلا يدعهم قصر أملهم يفعلون ذلك وقد بنى سيدي أحمد الزاهد رحمه الله تعالى جامعه وداره بطين وطوب وسقف ذلك بالجريد فعلم ان كل من ادعى الصلاح وبنى البناء المحكم فرحا بالدنيا فهو كاذب في دعواه لاسيما من ادعى الانقطاع الى الله تعالى فان ذلك لا يليق به بحال الا ان كان يرصد ذلك على جهات بر وصدقة ونحو ذلك فيكون الباعث له على أحكام البناء دوام الصدقة بعد موته كما وقع لسيدي مدين وسيدي أبي العباس الغمري وأضرابهما رحمهما الله تعالى فلا حرج على مثل ذلك اه وقد مر سيدي الشيخ عبد القادر الجيلي رحمه الله على شخص يبني دارا ويحكمها فأنشد يقول

أتبني بناء الخالدين وانما * مقامك فيها لو عقلت قليل
لقد كان في ظل الاراك كفاية * لمن كان يوما يقتفيه رحيل

وممن أدركته على هذا القدم شيخنا سيدي علي الخواص رحمه الله تعالى كان يعيب على الفقير اذا رآه يبني دارا ويقول له ان الذي تصرفه على هذا البناء لا تلحق تسكن به ولما بنى أخي أبو العباس رحمه الله له بيتا في جامع البشير صرف عليه سبعمائة دينار فزجره الشيخ وقال له لو سكنت بأجرة لكفاك العشر مما صرفته في هذا البناء وكنت تتصدق بالباقي ثم مات أخي أبو العباس بعد سبع سنين أو نحو ذلك وكان الشيخ رحمه الله تعالى يقول اذا عمر الفقير بيتا من أموال اخوانه فمن الاولى له نصحهم في عدم صرفهم مالهم في ذلك وارشادهم الى ما يكون أثقل في ميزانهم يوم القيامة هذا لو أنهم سألوه في ذلك فكيف لو فعلوا ذلك عن سؤال منه تعريضا أو تصريحا وقد درج السلف الصالح كلهم على عدم الحرص وطول الامل حتى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بلغه ان اسامة بن زيد رضي الله عنهما اشترى وليدة الى شهر فصار صلى الله عليه وسلم يقول ألا تعجبون من أسامة المشتري الى شهر والله ان اسامة لطويل الامل ثم قال صلى الله عليه وسلم والله ما رفعت قدمي وظننت اني أضعها حتى أقبض ولا فتحت عيني وظننت اني أغمضها حتى أقبض ولا لقمت لقمة وظننت أني أسيغها حتى أقبض وفي رواية حتى أغص بالموت وكان يحيى بن معاذ رحمه الله تعالى يقول من جاع وقصر أمله لم يجد الشيطان محلا من قلبه وكان سفيان الثوري رحمه الله تعالى يقول يا ابن آدم انما أنت أيام فكل يوم يمضي فقد مضى بعضك وقد أقاموا الصلاة مرة بحضرة معروف الكرخي رحمه الله تعالى فقدموه فقيرا ليصلي بهم فأبى وقال أخاف أن أموت في الصلاة فأشوش على الناس صلاتهم فعزموا عليه فقال بشرط أن لا أصلي بكم صلاة أخرى فقال له معروف عند ذلك تأخر يا أخي فانك رجل مخلط تخاف أولا أنك تموت في الصلاة ثم تحدثك نفسك انك

بالحج من غير خروج عن المظالم وقضاء الديون واسترضاء الوالدين وطلب الزاد الحلال وربما ضيعوا الصلاة المكتوبة في الطريق وربما عجزوا عن طهارة الثوب والبدن ويتعرضون لمكس الظلمة حتى يؤخذ منه ولا يحترزون في الطريق من الرفث

تعيش الى صلاة أخرى ثم قدم غيره فصلى بالناس وكان داود الطائي رحمه الله تعالى يقول من لازم من طال أمله أن ينسى العمل غالبا ويسوف بالتوبة وكان الحسن البصري رحمه الله تعالى يقول من شأن قصير الامل أن يظن في كل شئ أكله انه لا يخرج من بطنه الا على يد الغاسل بعد موته وان ما جمعه لا ينتفع به الا غيره ومتى ظن خلاف ذلك فهو طويل الامل وكان أبو عثمان النهدي رحمه الله يقول ان عمري الآن مائة وثلاثون سنة فما من شئ الا وتغير علي الا أملي فاني أجده كما هو فلا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم وكان يحيى بن معاذ رحمه الله تعالى يقول الدنيا مطلقة الزهاد لا تنقضي عدتها منهم أبدا وكل من طلق الدنيا تزوجته الآخرى على الفور وقد سمعت سيدي عليا الخواص رحمه الله تعالى يقول لا يسلم انسانا منا من طول أمله لكن كل بمقامه فأعلاهم من كان أمله نفسا واحدا فطول الامل من رحمة الله لكل أحد ولولاه ما هنا أحدا منهم العيش وكان عبد الله ابن عباس رضي الله عنهما يقول مكتوب على ظهر الحوت في البحر وعلى ظهر النواة من التمر هذا رزق فلان بن فلان لا يأكله غيره ومع ذلك فالحريص يجتهد ويخاف على رزقه أن يأخذه غيره فاعلم ذلك يا أخي والحمد لله رب العالمين

﴿ومن أخلاقهم رضي الله تعالى عنهم﴾ كثرة الشفقة على المسلمين الطائع والعاصي وعلى سائر الحيوانات والعمل على حصول عدم نقص لدين أحد بسببهم وهذا من أشرف أخلاقهم ولا يقدر على العمل به الا من نور الله تعالى بصيرته وكان أشفق على الناس من أنفسهم بحكم الارث لرسول الله صلى الله عليه وسلم وهناك يرغب الناس في القرب منه حتى ربما زادوا في الدار المجاورة له أكثر من المجاورة لاهلهم وكان عبد الله بن عمر رضي الله عنهما يقول يزاد في ثمن الدار اذا كان جارها طلق الوجه حلو اللسان وقد كان أبو مسلم الخولاني رحمه الله تعالى من المبالغين في التخلق بالرحمة حتى أنه ربما كان يمر بالقوم فلا يسلم عليهم ويقول أخاف أن يحتقروني فلا يردوا على السلام فيأثموا بسببي وكان أبو عبد الله الانطاكي رحمه الله يقول اذا علمت من الناس الوقوع في عرضك اذا رأوك فلا تجتمع بهم رحمة لهم الا في أوقات الصلاة وكان أبو عبد الله المغاربي رحمه الله تعالى يقول من لم ينظر للعصاة بعين الرحمة فقد خرج عن الطريق وقد كان معروف الكرخي رحمه الله تعالى اذا رأى عاصيا دعا له بالمغفرة ورجا له الرحمة ويقول ان الله تعالى أرسل محمدا صلى الله عليه وسلم وبعثه لنجاة الناس والرحمة لهم والشيطان لعنه الله بعث لاهلاكهم والشماتة فيهم قال ومر على معروف رحمه الله قوم في زورق في الدجلة وبين أيديهم الخمر ونحوه فقيل له ألا تدعو الله على هؤلاء القوم العصاة فقال اللهم كما فرحتهم في الدنيا ففرحهم في الآخرة فقالوا له انما سألناك أن تدعو عليهم وها أنت تدعو لهم فقال معاذ الله أن أدعو على مسلم وأن الله تعالى لا يفرحهم في الآخرة الا ان تاب عليهم في الدنيا وغفر لهم وهذا من حسن سياسته رحمه الله وكان ابراهيم التيمي رحمه الله لا يدعو قط على من ظلمه ويقول يكفيه ما حل عليه من وزر ظلمه وكان عمر بن عبد العزيز رحمه الله تعالى اذا نزل بفناء داره رفقة وناموا يسهر يحرس متاعهم الى الصباح من غير علمهم بذلك وقد روي أن موسى عليه الصلاة والسلام قال يارب دلني على أحب الخلق اليك فقال الله تعالى يا موسى أحب الخلق الي من اذا سمع بأن أخاه المؤمن شاكته شوكة حزن لها كأنها شاكته هو اه وكان سالم بن أبي الجعد رحمه الله تعالى يقول بلغنا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم جلس يوما في الظل وأصحابه رضي الله عنهم في الشمس فنزل جبريل عليه الصلاة والسلام فقال يا محمد أتجلس في الظل وأصحابك في الشمس أي عاتبه صلى الله عليه وسلم على ذلك تشريعا للامته وكان أبو عبد الله بن عون رحمه الله تعالى يقول أول ما يرفع من هذه الامة الرحمة والشفقة وقد كان سفيان الثوري رحمه الله تعالى اذا حصل لاحد من المسلمين أمر يهتم به سفيان حتى ربما يبول الدم من شدة الحصر وكان الحسن البصري رحمه الله تعالى يقول من علامة الابدال كثرة الشفقة والرحمة لعامة المسلمين وكان معروف الكرخي رحمه الله تعالى يقول من قال كل يوم اللهم ارحم أمة محمد اللهم أصلح أمة محمد اللهم فرج عن أمة محمد كتبه الله من الابدال اه فاعلم ذلك يا أخي واقتد بسلفك في الرحمة والحمد لله رب العالمين

﴿ومن أخلاقهم رضي الله تعالى عنهم﴾ موافقة الفقيه اذا أنكر شيأ من أحوال أهل الطريق أو أمرهم بشئ ولا يقيم أحدهم عليه الحجة الا ان علم أنه يرجع الى قوله وذلك لان الفقيه في دائرة لا يعرف غيرها فاذا قال ان

والحصام وربما جمع بعضهم الحرام فأنفقه على الرفقاء في الطريق وهو يطلب به الرياء والسمعة فيعصى الله في كسب الحرام أولا وفي انفاقه للرياء ثانيا ثم يبلغ الى الكعبة ويحضرها بقلب ملوث برذائل الاخلاق وذميم الصفات وهو مع ذلك يظن انه على خير من ربه وهو

القطب مثلا أو البدل أو الوتد لا حقيقة له فقل له نعم واقصد بذلك أنه ليس له حقيقة عنده واذا قال ان الاولياء قد انقرضوا ولم يبق منهم أحد فقل له صدقت أى على معتقده هو وكذا ان قال الخضر لا وجود له فقل له نعم لاسيما ان أتى بكلام أحد ممن ينكر ذلك كابن تيمية وقد خالف جماعة هذا الخلق وخالف الفقيه فوقع بينهم شرور وقذف أعراض وسب للطائفة وما هكذا كان الاشياخ السابقون وكان أخى الشيخ أفضل الدين رحمه الله تعالى اذا جلس اليه فقيه وأراد أن يبحث معه فى علم يقول له قال الامام الغزالى كذا وكذا فقلت له فى ذلك فقال انما ننقل لهؤلاء الفقهاء عن الغزالى لانه من دائرتهم فى الاصل قبل التصوف ولو أنى نقلت لهم شيأ عن أحد ممن ليس هو من دائرتهم لما قبلوه منا (قلت) ومما يدل على وجود الابدال قوله صلى الله عليه وسلم ان بدلاء أمتى لم يدخلوا الجنة بكثرة صوم ولا صلاة وانما دخلوها بسخاوة النفوس والنصح للامة وكان أمير المؤمنين على رضى الله عنه يقول الابدال بالشام والنقباء بالعراق والنجباء بمصر وقد سئل الامام أبو عبد الله ابن ماجد الجريمى رحمه الله تعالى أيكون من النساء أبدال قال نعم وكان الحسن البصرى رحمه الله تعالى يقول لولا الابدال لخسفت الارض بمن فيها ولولا الصادقون لفسدت الارض ولولا العلماء لكان الناس كالبهائم ولولا السلطان لاهلك الناس بعضهم بعضا ولولا الحمقى لخربت الدنيا ولولا الريح لانتن ما بين السماء والارض وكان الفضيل بن عياض رحمه الله يقول ما من نبى الا وله نظير من أمته اه والحمد لله رب العالمين

﴿ومن أخلاقهم رضى الله تعالى عنهم﴾ كثرة رياضة نفوسهم حتى يصير أحدهم ينظر الذى عليه ببادئ الرأى دون الذى له فاذا سمع نحو قوله تعالى هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون يرى نفسه جاهلا ويرى جميع أقرانه علماء ببادئ الرأى وانه لا يستوى مع واحد منهم ولا يقاربه فى مقام ولا حال عكس ما يتبادر الى الذهن لاسيما ذهن من لم يجاهد نفسه فاعلم ذلك واعمل عليه تجد فيه راحة عظيمة والحمد لله رب العالمين

﴿ومن أخلاقهم رضى الله تعالى عنهم﴾ كثرة عملهم على رقة الحجاب حتى يروا كل شئ فى الوجود حيا ويعاملونه معاملة الاحياء فلذلك كانوا لا يجد أحدهم له خلوة يعصى الله فيها أبدا لانه يرى كل شئ ناظرا اليه بعينه فيستحى منه ويصير يعطيه حقه من الادب وذلك لان كل أحد يعلم أن المكان الذى عصى الله تعالى فيه لابد أن يشهد عليه بين يدى الله يوم القيامة فاذا عصى فى محل فقد عرضه لوجوب الشهادة عليه ولو ذكر أحدهم كلاما قبيحا يكاد أن يذوب من شدة الحياء ويود أن الارض ابتلعته ولا كان يتلفظ بذلك وهذا خلق غريب والحمد لله رب العالمين

﴿ومن أخلاقهم رضى الله تعالى عنهم﴾ انهم لا يطلبون من الله تعالى اجابة دعائهم فى حق أنفسهم أو فى حق أحد من الخلق الا ان كان أحدهم مستقيم القلب مع الله تعالى الاستقامة الممكنة فى حقه بحيث لا يصير له سريرة يفتضح بها فى أحد الدارين أو فيهما ليأتى للاجابة من بابها وكان سيدى على الخواص رحمه الله تعالى يقول من أراد أن لا يرد له دعاء فليكن على قدم الملائكة عليهم الصلاة والسلام فى عدم العصيان وقد كان أبو نجيح رحمه الله تعالى يقول لو أن المؤمن لم يعص ربه عز وجل لكان اذا أقسم على الله تعالى أن يزيل له الجبل لاجابه وكان خالد الربعى رحمه الله تعالى يقول كان ابراهيم بن أدهم رحمه الله تعالى جالسا فى ظل الكعبة يوما فقام اليه رجل وقال يا أبا اسحق ما علامة المستقيم فقال علامته لو أومأ الى جبل أبى قبيس أن زل عن مكانك لازاله الله تعالى له قال فعند ذلك تحرك أبو قبيس للازالة فأومأ اليه ابراهيم أن قف فانه لم أعنك بهذا فوقف وقد بلغنا عن الجنيد رحمه الله تعالى أنه كان يقول شهد شخص على الوليد زورا فقال الوليد اللهم ان كان كاذبا على فأمته الساعة قال فانكب الرجل على وجهه ولا زال يضطرب حتى مات فى الوقت وكان الاعمش رحمه الله تعالى يقول نعم الرب ربنا عز وجل لو أنا أطعناه فى كل ما أمرنا لاجابنا فى كل ما سألناه سبحانه وتعالى قال وكان ابراهيم بن أدهم رحمه الله تعالى يوما جالسا تحت قنطرة فى بلد تسمى مرو الروذ فوقع رجل من أعلى القنطرة فقال ابراهيم اللهم أمسكه فى الهواء حتى يأتى من ينقذه من الهلاك قال فوقف فى الهواء حتى أتاه الناس فأنزلوه سالما اه ضرب رجل من أعوان الولاة مالك بن دينار بالسوط فقال مالك اللهم اقطع يده فقطعت يد الرجل من الغد ومر عليه وهى معلقة قال وكذب رجل على مطرف بن عبد الله رحمه الله تعالى فقال مطرف

اللهم

مغرور (وفرقة أخرى) أخذت فى طريق الخشية والامر بالمعروف والنهى عن المنكر وينكر أحدهم على الناس ويأمرهم بالخير وينسى نفسه واذا أمرهم بالخير عنف وطلب الرياسة والعز واذا باشر منكرا وأنكر عليه أحد غضب وقال أنا المحتسب فكيف تنكر على وقد يجمع

اللهم ان كان كاذبا فأمته الساعة قال فوقع الرجل ميتا فى الحال والناس ينظرونه فتعلق الناس بمطرف وأخذوه الى البصرة وقصوا عليه القصة فلما سمع الوالى ذلك قال ان هى الا دعوة رجل صالح صادفت منية الرجل والحمد لله رب العالمين

﴿ومن أخلاقهم رضى الله تعالى عنهم﴾ أن لا يدعى أحد منهم محبة أحد الا بعد أن يعرض على نفسه مقاسمته فى ماله واذا أصابه بلاء فى جسده يتألم كما يتألم المصاب فان طابت النفس بما ذكر فليقل له انى محب والا فليكف عن الكذب فانه نفاق وهذا الخلق قل من يتخلق به الآن وقد تخلقت أنا به فى حق بعض أصحابى دون البعض فاعلم ذلك يا أخى والحمد لله رب العالمين

﴿ومن أخلاقهم رضى الله تعالى عنهم﴾ رحمة العصاة وعدم ازدرائهم وفداؤهم بأنفسهم حتى يود أحدهم أن جلده يقرض بالمقاريض ولا يعصى أحد منهم ربه وكانوا يرون كثرة الشفقة على العصاة أفضل من الدعاء عليهم وكان مطرف بن عبد الله رحمه الله يقول من لم يجد عنده رحمة للعصاة فليدع لهم بالتوبة والمغفرة فان من أخلاق الملائكة عليهم الصلاة والسلام انهم يستغفرون لمن فى الارض وكان زهير بن نعيم رحمه الله تعالى يقول وددت والله أن جلدى يقرض بالمقاريض ولا يعصى أحد ربه تبارك وتعالى وكان حبيب العجمى رحمه الله تعالى اذا قرأ آية فيها ان الله غضب على قوم يبكى عند قراءتها ويقول يا رب انك قد أدخلت قلبى الرحمة لهم فان شئت فاغفر لهم وان شئت عذبنى عنهم (قلت) ولعل مراده رحمه الله بالرحمة التى دخلت قلبه فتح باب سؤاله ربه أن يرضى عنهم لا التحجير على الحق تعالى فى غضبه عليهم فان الكامل من شأنه أن يغضب لغضب الحق ويرضى لرضاه عز وجل وقد كان حبيب هذا رحمه الله معدودا عند التابعين ممن غلبت عليه أحوال الفقراء وأرباب الاحوال لا يقتدى بأفعالهم عند أهل الطريق فان الله تعالى أرحم بعباده من حبيب هذا والله أعلم وكان منصور بن محمد رحمه الله تعالى يرحم الرجل أن يأمره ويقول أخاف أن يخالف أمرى فيأثم ويقع فى العقوبة وأكون أنا السبب وكان سفيان بن عيينة رحمه الله تعالى يقول لولا أن يأثم الناس فى لقلت ان من يغتابنى ويذمنى أحب الى ممن يمدحنى لان المادح لى قد يكذب وقد كان شقيق البلخى رحمه الله تعالى يقول من لم يرحم الرجل السوء فهو أسوأ حالا منه ومن ذكر عنده رجل صالح فلم يجد لذكره حلاوة فهو رجل سوء وكان ميمون بن مهران رحمه الله تعالى اذا سمع بقوم ظلموا فى بعض أقطار الارض يمرض لاجلهم حتى يصير يعاد كما تعاد المرضى فاذا قيل له قد فرج الله عنهم يزول مرضه لوقته وقد كان ثابت البنانى رحمه الله تعالى اذا سأله أحد حاجة يصير لا يصلى صلاة الا دعا له فى سجوده حتى تقضى حاجته وقد رد بشر بك رحمه الله تعالى غلة فارسية رآها فى سفرته من مقدار أربعة فراسخ رحمة لها وكان رحمه الله تعالى يفت الخبز للنمل ويدر لهم الدقيق على بيوتهم وكان أبو الدرداء رضى الله عنه يشترى العصافير الصغار التى تمسكها الاطفال ويرسلها الى عشها وكذلك الامهات يرسلها الى أولادها اذا صيدت (قلت) وليس هذا من باب تسييب السوائب وانما كان الغرض رحمة الام أو الولد والله أعلم وكان معاوية اذا سأله أحد فى حاجة فقضى بعضها يحس بتخفيف الهم بقدرها من شدة ارتباطه باخوانه رحمه الله تعالى اه ففتش يا أخى نفسك هل وجدت شيأ من ذلك لاجل اخوانك وابك على نفسك حيث لم يكن لك نصيب فى مقام الصالحين والحمد لله رب العالمين

﴿ومن أخلاقهم رضى الله تعالى عنهم﴾ القناعة بالموجود وعدم طلبهم الزيادة فى الدنيا من مطعم أو مشرب أو ملبس أو مركب أو منكح أو مسكن أو غير ذلك وكان وهب بن منبه رحمه الله تعالى يقول خرج الغنى والعز يجولان يطلبان من يقيمان عنده فلقيا القانع فاستقرا عنده وكان محمد بن واسع رحمه الله تعالى يأكل الخبز بالملح أو الخل ويقول من رضى من الدنيا بمثل هذا لم يذل نفسه للناس وكان سفيان الثورى رحمه الله تعالى يقول من لم يقنع بخبز الشعير فى هذا الزمان ابتلى بالذل والهوان وقد استأذنه مرة شخص فى جمع المال فقال له من جمع المال ابتلى بخمس خصال طول الامل وشدة الحرص وكثرة الشح ونسيان الآخرة وقلة الورع وقد كان حامد اللفاف رحمه الله تعالى يقول من طلب الغنى بالقناعة فقد أصاب الطريق ومن طلبه بالمال فقد أخطأ الطريق وقد أدركت بحمد الله تعالى من أصحاب هذا المقام خلقا كثيرا منهم شيخنا شيخ الاسلام زكريا

الناس فى المسجد ومن تأخر عنه أغلظ عليه فى القول وربما عرض له الرياء والسمعة والرياسة وعلامته انه لو قام بالمسجد غيره تجرأ عليه ومنهم من يؤذن ويظن انه يؤذن لله ولو جاء غيره وأذن فى وقت غيبته قامت عليه القيامة وقال لم آخذ حقى وزوجت ومنهم

وشيخنا الشيخ أمين الدين امام جامع الغمرى والشيخ عبد الحليم بن مصلح والشيخ على النبتيتى والشيخ على البحيرى والشيخ محمد بن عنان والشيخ محمد المنير والشيخ محمد العدل وغيرهم رضى الله عنهم ورأيتهم يفتون الخبز اليابس فى الماء ويكتفون به وكان الشيخ تاج الدين الذاكر رحمه الله تعالى يقول ليس القناعة بأن يأكل الشخص كلما وجد من غير كلفة وانما القناعة ان يكون عنده المال الكثير والطعام ومع ذلك لا يأكل الا كل خمسة أيام أكلة صغيرة أو ثلاثة أيام وقد كان سيدى على الخواص رحمه الله اذا أكل لا يجاوز تسع لقم ويقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم حسب ابن آدم لقيمات يقمن صلبه واللقيمات من الثلاث الى التسع وقوله صلى الله عليه وسلم حق وصدق فمن آمن به صلى الله عليه وسلم الايمان الكامل كفته التسع لقم ولا يحتاج الى زيادة عليها وقد سمعته رحمه الله مرة يقول من لم يكتف بالتسع لقم فى اليوم والليلة فهو لم يؤمن الايمان الكامل لقوله صلى الله عليه وسلم حسب ابن آدم الخ (قلت) وينبغى حمل ذلك على غير أصحاب الاعمال الشاقة أما أصحابها كالحراث والحصاد والتراس والنوتى والفاعل ونحوهم فلا يكفيه مثل ذلك الا ان كانت تصير قوته ملكية وغلبت روحانيته على جسمانيته كما قلع جبريل عليه الصلاة والسلام مدائن قوم لوط عليه الصلاة والسلام ورفعها الى نحو السماء حتى سمع أهل السماء صياح الديكة ونباح الكلاب كما ورد مع أن جبريل عليه الصلاة والسلام لا يأكل ولا يشرب فافهم والحمد لله رب العالمين

﴿ومن أخلاقهم رضى الله تعالى عنهم﴾ شدة عمائهم على رقة حجابهم حتى يصير أحدهم يرى الآخرة ونعيمها بعين قلبه وذلك ليصح زهده فى الدنيا ويتفرغ للآخرة والا فمن حجب رؤية الآخرة فبعيد عليه الزهد فى الدنيا وكان عبد الله بن سلام رضى الله عنه يقول من أراد أن يزهد فى الدنيا من غير أن يرى الآخرة بين يديه فقد رام المحال وكان أبو واقد الليثى رحمه الله تعالى يقول لقد كابدنا الاعمال فلم نجد فى أعمال الآخرة عملا أبلغ من الزهد فى الدنيا وقد سمع مالك بن دينار رحمه الله تعالى رجلا يقول لو أعطانى الله تعالى فى الجنة بيتا صغيرا لرضيت به فقال له مالك ليتك يا أخى زهدت فى الدنيا كما زهدت فى الجنة وقد سمعت سيدى عليا الخواص رحمه الله تعالى يقول انما طلب سليمان بن داود عليهما الصلاة والسلام ملكا لا ينبغى لاحد من بعده الا ليتحقق بمقام الزهد لان الزهد مع وجود الدنيا أعظم ممن كان زهده فيها مع الفقد وكان أبو الدرداء رضى الله عنه يقول لو حلف حالف ان الزاهد فى الدنيا خير الناس لقلت له صدقت لا تكفر عن يمينك وكان الامام الشافعى رضى الله عنه يقول لو أوصى رجل بمال الى أعقل الناس لصرفته الى الزاهد فى الدنيا اه وكان الحسن البصرى رحمه الله تعالى يقول يحشر الناس كلهم عراة الا الزاهد فى الدنيا وكان شقيق البلخى رحمه الله تعالى يقول الزاهد الصادق يقيم زهده بفعله والمتفعل يقيم زهده بقوله من غير فعل وقد قال رجل لسفيان ابن عيينة رحمه الله تعالى أشتهى أن أرى عالما زاهدا فى الدنيا فقال له تلك ضالة لا توجد الآن لان الزهد لا يكون الا فى الحلال المحض وأين يوجد ذلك حتى ان الانسان يزهد فيه (قلت) ان الحلال موجود والمقامات موجودة ولكن حلال كل انسان ومقامه على قدر حاله ولذلك طلب الشارع صلى الله عليه وسلم منا أن نأكل حلالا ونتأسى به فى الاخلاق والمقامات ولولا وجود الحلال وامكان الترقى لبطلت الاحكام الشرعية من قرون متعددة فما ثم الا من يأكل حلالا ويخاف الله عز وجل ويزهد ويتورع ولكن على قدر حظه ونصيبه فلعل قوله لم يوجد الحلال على سبيل المبالغة والله أعلم وقد كان عبد الله بن مسعود رضى الله عنه يقول من كان أكثر الناس زهدا فى الدنيا فهو أكثرهم عملا صالحا اه وكان ابراهيم بن أدهم رحمه الله تعالى يقول من ادعى الزهد فى الدنيا ثم غضب ممن ينقصه عند أهلها فهو كاذب فى دعواه وكان حماد بن زيد رحمه الله تعالى يقول ليس شئ أقطع لظهر ابليس من الزهد فى الدنيا وكان ابن السماك رحمه الله يقول قد صار الزهد فى الدنيا مذكورا فى الكتب ولا نجد له فاعلا وقد سئل يونس بن عبيد رحمه الله تعالى عن غاية الزهد فى الدنيا فقال هو عدم الراحة فيها بالكلية (قلت) وممن أدركته من رجال هذا المقام شيخنا سيدى على الخواص والشيخ عبد الله الفيومى المدفون بتربة الامير يشبك خارج مصر والشيخ على المفتى بالصالحية بمصر والشيخ شمس الدين السمنودى والشيخ محمد المنير والشيخ أبو الحسن الغمرى والشيخ عبد الحليم بن مصلح والشيخ محمد بن داود وشيخنا الشيخ أمين الدين امام جامع

من يتقدم امام مسجد ويظن انه خير وغرضه أن يقال أنه امام مسجد كذا وكذا وعلامته انه لو قدم غيره وان كان أورع منه وأعلم ثقل عليه ذلك (وفرقة أخرى) جاوروا بمكة والمدينة واغتروا بهما ولم يراقبوا قلوبهم ولم يطهروا ظواهرهم وبواطنهم وربما كانت

الغمرى فكل هؤلاء رضى الله عنهم كانت الدنيا فى أيديهم لا فى قلوبهم وكانوا لا يردون سائلا ولو طلب عمامة أحدهم أعطاها له وقد لقى الشيخ محمد المنير رحمه الله تعالى شخصا هرب جماله فى طريق الحج فأعطاه خمسمائة دينار فلما وصل الرجل الى مكة أتاه بعوضها فأبى الشيخ أن يأخذها وقال له انى لم أعطها لك وآخذ بدلها مع انه لم يكن بينهما معرفة قبل ذلك فانظر يا أخى فى فقراء زمانك هل يفعل أحد منهم مثل ذلك مع صاحبه الا كيد فى طريق الحج من غير رجوع عليه مع أن أحدهم ربما يقول أو يظن ان الشيخ محمد المنير دونه فى المقام فابك على نفسك فى تخلفها عن مقامات الصالحين والحمد لله رب العالمين

﴿ومن أخلاقهم رضى الله تعالى عنهم﴾ سرعة المبادرة للاحرام خلف الامام ان كان اذ فى ذلك تعظيم لامر الله عز وجل أن يتهاون أحدهم فى تأخيره لكن لا لعلة ثواب ولا للذة مجالسة للحق عز وجل فى تلك الصلاة فان المبادر لاجل ذلك انما هو ساع فى حظ نفسه بخلاف من كان الباعث له على تلك المبادرة تعظيم أمر الله سبحانه وتعالى وعدم التهاون به ولذلك لما أمر ابراهيم عليه الصلاة والسلام بالاختتان ولم يجد الموسى اختتن بالقدوم فقيل له هلا صبرت حتى تجد الموسى فقال ان تأخير أمر الله عز وجل لعظيم فاعلم ذلك يا أخى واعمل عليه والحمد لله رب العالمين

﴿ومن أخلاقهم رضى الله تعالى عنهم﴾ هوان الدنيا عندهم وشدة رفضهم لها عملا بقول رسول الله صلى الله عليه وسلم ان للدنيا بنين وللآخرة بنين فكونوا من أبناء الآخرة ولا تكونوا من أبناء الدنيا وقد روى الطبرانى وغيره عن أنس رضى الله عنه قال دخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما فوجدته يدفع شيأ بيديه فقلت يا رسول الله ما هذا الذى تدفعه فقال الدنيا تطاولت لى فقلت لها اليك عنى وفى الحديث أيضا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم وقف على مزبلة قوم فرأى شاة ميتة فمسك بأذنها وقال أترون هذه هانت على أهلها قالوا من هوانها عندهم ألقوها يا رسول الله فقال صلى الله عليه وسلم للدنيا أهون على الله من هذه على أهلها وفى حديث آخر لو أن الدنيا تزن عند الله جناح بعوضة ما سقى كافرا منها شربة ماء وكان محمد بن المنكدر رحمه الله تعالى يقول تجىء الدنيا يوم القيامة تتبختر فى زينتها فتقول يا رب اجعلنى لاحسن عبادك دارا فيقول الله تعالى لا أرضاك له اذهبى يا لا شئ كونى هباء منثورا وفى رواية فيقول لها اذهبى الى النار فتقول يا رب ومن يحبنى معى فيقول لها ومن يحبك فتأخذهم جميعا الى النار وكان أبو حازم رحمه الله تعالى يقول يوقف من يعظم الدنيا بين يدى الله فيقال له هذا الذى عظم ما حقره الله فيسقط لحم وجهه من الخجل فمن ادعى أنه يحب الله تعالى وهو يحب الدنيا فهو كاذب لان من شرط المحب أن يكره ما كرهه محبوبه وان الله يكره الدنيا وكان مالك بن دينار رحمه الله تعالى يقول بلغنا أن الله تعالى يقول ان أهون ما أنا صانع بالعالم اذا آثر شهوته على طاعتى أن أحرمه لذيذ مناجاتى وقد كان وهب بن منبه رحمه الله يقول لاصحابه تعالوا بنا نتوب من الذنب الذى ترك الناس التوبة منه فيقولون وما هو فيقول حب الدنيا وسوف يحب الدنيا رجال حتى يعبدوها ويعبدوا أهلها وكان الحسن البصرى رحمه الله تعالى يقول من لم يجعل حب الدنيا من الكبائر فقد أخطأ الطريق وذلك لان الكفر ينبنى على الرغبة فى الدنيا (قلت) وذلك لان سبب الكفر بالله تعالى عصيان ما جاءت به الرسل عليهم الصلاة والسلام حسدا أو كبرا وكلاهما من حب الدنيا والله أعلم وقد كان عيسى عليه الصلاة والسلام يقول للحواريين بحق أقول لكم ان حب الدنيا رأس كل خطيئة وكان مالك بن دينار رحمه الله تعالى يقول اتقوا السحارة التى تسحر قلوب العلماء وتلهيهم عن الله تعالى يعنى الدنيا وهى أسحر وأقبح من سحر هاروت وماروت لان ذاك يفرق بين المرء وزوجه وهذا يفرق بين العبد وربه وكان الحسن البصرى رحمه الله تعالى يقول لقد أدركنا الناس وهم يرون الدنيا عندهم كوديعة يؤدونها الى صاحبها ليس لهم فيها ملك ولذلك ذهبوا الى الآخرة خفافا وكان أبو سليمان الدارانى رحمه الله يقول كل الخبز الحاف وأنت خائف من الدنيا واياك أن تعد نفسك بعد ذلك انك من الزاهدين فان صغير الدنيا يجر الى كبيرها من حيث لا يشعر العبد وكان سفيان بن عيينة رحمه الله تعالى يقول انما أكثر القوم من ذكر الله تعالى لتبعد عنهم الدنيا فانهم اذا ذكروا الله بعدت واذا تفرقوا عن الذكر أخذت بأعناقهم فاعلم ذلك والحمد لله رب العالمين

قلوبهم متعلقة ببلادهم ومنازلهم وتراهم يتحدثون بذلك ويقولون جاورت بمكة كذا وكذا سنة وهذا مغرور لان الاقوم له أن يكون فى بلده وقلبه متعلق بمكة وان جاور فليحفظ حق الجوار فان جاور بمكة حفظ حق الله وان جاور بالمدينة حفظ حق النبى صلى الله عليه

﴿ومن أخلاقهم رضى الله تعالى عنهم﴾ استحياؤهم من كثرة ترددهم الى الخلاء وذلك بدوام الجوع الشرعى مع الجد ذا اقتداء برسول الله صلى الله عليه وسلم فقد كان صلى الله عليه وسلم يشد الحجر على بطنه الشريف من الجوع قالت عائشة رضى الله عنها ولو شاء صلى الله عليه وسلم لأكل ولكنه كان يؤثر على نفسه (قلت) قد كان له صلى الله عليه وسلم مقام آخر أكمل من هذا وهو أنه كان يبدأ بنفسه ولا يجوع الا اضطرارا لان الكامل من شأنه أن يوفى طبيعته حقها لانه مسؤل عنها فما جاع صلى الله عليه وسلم اختيارا وآثر على نفسه الا ليقتدى به فى ذلك فافهم وكان عبد الرحمن بن أبى نعيم رحمه الله لا يأكل الاكل خمسة عشر يوما أكلة فبلغ ذلك الحجاج بن يوسف فدعاه ثم أمر به فوضع فى بيت وأغلق عليه الباب خمسة عشر يوما ثم فتح عليه فاذا هو قائم يصلى وكان عبد الله بن الزبير رضى الله عنهما يطوى الاسبوع فكان لا يأكل الا يوم السبت وكان الامام أبو حنيفة رضى الله عنه مقللا فى الاكل جدا كان يأكل كما يأكل الطير فى القلة ولم يكن فى بيته الا الحصير وقد كان أبو سليمان الدارانى رحمه الله تعالى يقول أحلى ما تكون لى العبادة اذا ألصقت بطنى بظهرى فان الحكمة كالعروس تطلب البيت الخالى تنام فيه لتخلو فيه بصاحبها وكان الحسن البصرى رحمه الله تعالى يقول لا تجمعوا بين أدمين فانه طعام المنافقين وقد رأى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه رجلا قد تدلت جلدة بطنه فعلاه بالدرة وقال ان هذه تشبه جلدة بطن كافر وكان رضى الله عنه اذا رأى رجلا يشترى اللحم كثيرا يضربه بالدرة ويقول له أما علمت أن لهذا اللحم ضراوة كضراوة الخمر وقد كان الامام الاوزاعى رحمه الله تعالى يدخل الخلاء كل شهر مرة فصار يدخل فى الشهر مرتين فكانت أمه تقول لاصحابه ادعوا لعبد الرحمن فانه قد صار مبطونا وكان مالك بن دينار رحمه الله تعالى يقول والله قد استحيت من ترددى الى الخلاء كل ثلاثة أيام مرة وكذلك كان الامام مالك بن أنس والامام البخارى رضى الله عنهما وكان مالك بن دينار رحمه الله تعالى يقول بلغنا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال شرار أمتى الذين يأكلون مخ الحنطة والله لقد خلطت دقيقى بالرماد وأكلته مدة حتى ضعف جسدى ولو انى قويت عليه ما تركته أبدا وكان سفيان الثورى وابراهيم بن أدهم رضى الله عنهم اذا لم يجدا طعاما حلالا استفا الرمل الخمسة عشر يوما أو أكثر وكان سفيان الثورى رحمه الله تعالى يقول بت عند الحجاج بن فرافطة رحمه الله أحد عشر يوما فما رأيته ذاق طعاما ولا شرابا ولا قام لشئ سوى الصلاة اه فان قيل ان ما ذكرتموه فى هذا الخلق من الطى أكثر من ثلاثة أيام لم يفعله النبى صلى الله عليه وسلم وقد قيد تم هذا الخلق أولا بالجوع الشرعى فما وجه الزيادة على ثلاثة أيام فأجاب بعضهم بقوله ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان رحمة على أمته وكان يقول اقدروا القوم بأضعفهم مع انه صلى الله عليه وسلم قد ورد أنه كان يواصل الصوم فيحتمل أن هؤلاء القوم الذين جاعوا تلك المدد الطويلة كانوا من الورثة له صلى الله عليه وسلم ويحمل نهيه صلى الله عليه وسلم عن الوصال على من لم يطق ذلك فنهاه عن أن يعذب نفسه لئلا تصير نفسه تكره العبادة وقد بلغنا أن أبا عقال المغربى رحمه الله تعالى كان يأكل فى كل ستة أشهر أكلة وقد سمعت سيدى عليا المرصفى رحمه الله يقول قد وقع لسيدى عيسى بن نجم المدفون بساحل بحر البرلس رحمه الله تعالى انه مكث سبعة عشر سنة لا يأكل ولا يشرب ولا ينام وهو على وضوء واحد اه وقد أجاب أيضا بعض المحققين ان هؤلاء الذين كانوا يطوون تلك المدد الطوال أن أحدهم كان يتناول نحو الزبيبة ونحو القطرة من الماء ليخرج بذلك عن الوصال المنهى عنه وذلك هو الظن بهم والله أعلم وقد أجمع القوم على أن الجوع من أعظم أركان الطريق حتى قالوا اذا طلب المريد الاكل بعد خمسة أيام فأمروه بالكسب فانه لا يصح منه فى الطريق وكان أبو عثمان الجيزى رحمه الله تعالى يقول كنت أمكث السنة كاملة فى بداية أمرى وسياحتى لا يخطر الاكل على بالى الا ان حضر بين يدى اه فانظر يا أخى جوعك تجده كلاشئ بالنسبة لجوع هؤلاء القوم رضى الله عنهم مع أن جوعهم لم يخرج عن السنة كما مر تقريره لقوتهم عليه وما نهى عن الجوع بالاصالة الا لخوف الضرر على النفس وكان سهل بن عبد الله التسترى رحمه الله تعالى يقسم عقله وقوته ومعرفته الى سبعة أجزاء فكان لا يأكل حتى يذهب من كل واحد ستة ويقول لولا أخاف الهلاك كنت لا آكل حتى تفنى السبعة أجزاء فاعلم ذلك والحمد لله رب العالمين

وسلم ومن يقدر على ذلك وهؤلاء مغرورون بالظواهر فظنوا أن الخيطان تنجيهم وهيهات وربما لم تسمح نفسه بلقمة يتصدق بها على فقير وما أصعب المجاورة فى حق الخلق فكيف مجاورة الخالق وما أحسن مجاورته بحفظ جوارحه وقلبه (وفرقة

(ومن

﴿ومن أخلاقهم رضى الله تعالى عنهم﴾ تقديمهم السلامة على الغنيمة من حيث رفض الدنيا وفراغ يدهم منها فكانوا يقدمون فراغ يدهم من الدنيا على جمعها وانفاقها فى سبيل الله تعالى خوفا أن يمنعوا منها حقها حتى كان أحدهم يقول يا طالب الدنيا لتبر بها غيرك تركك لها أبر وأبر وكان الجنيد رحمه الله يقول تجريد العبد من الدنيا أفضل من جمعها وانفاقها وقد كانوا اذا قيل لاحدهم خذ هذه الدراهم ففرقها على المساكين يأبى ذلك ويقول ان من جمعها أولى بتفرقتها وربما يكون فيها حرام وشبهة فتكون الهناة للفقراء والتبعة على من فرق وكان الحسن البصرى رحمه الله تعالى يقول ان من تفرغ لعبادة ربه أفضل ممن تركها وسعى على عياله وقد كان ابراهيم بن أدهم رحمه الله تعالى يقول ان بينكم وبين القوم بعدا أقبلت عليهم الدنيا ففروا منها وأدبرت عنكم فتبعتموها وكان الفضيل بن عياض رحمه الله تعالى يقول تجرع مرارة الدنيا أشد من تجرع مرارة الصبر وكان مالك بن دينار رحمه الله تعالى يقول لا يبلغ أحد منازل الصديقين حتى يترك زوجته كأنها أرملة وأولاده كأنهم يتامى وقد بلغنا أن عيسى عليه الصلاة والسلام مر ليلة على شخص نائم والناس قائمون يصلون فقال له قم فصل قال له انى قد عبدت الله تعالى بأفضل العبادة فقال له عيسى وما هى قال قد عبدت الله بأفضل العبادة وهو انى زهدت فى الدنيا فقال له عيسى نم فقد فقت العابدين ومن أدلة القوم فى هذا الخلق ما ورد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج يوما على أهل الصفة رضى الله عنهم فقال أيكم يحب أن يغدو كل يوم الى بطحان فيأتى بناقتين كوماوتين فقالوا كلنا نحب ذلك يا رسول الله فقال صلى الله عليه وسلم لان يترك أحدكم ذلك ثم يذهب الى المسجد فيتعلم آيتين من كتاب الله خير له من اثنين وثلاث خير من ثلاث وأربع خير من أربع من اعدادهن من الابل اه ولكل مقام رجال ومن شأن الشارع أن يرغب كل أحد فيما أقامه الله تعالى فيه لئلا تتعطل المراتب والحمد لله رب العالمين

﴿ومن أخلاقهم رضى الله تعالى عنهم﴾ اذا رأوا شخصا انقطع عن الناس فى الجبل مثلا ثم رأوه صار ينزل للناس ويحضر ولائمهم ويزور أمواتهم أن لا يحملوه على علة فاسدة كأن يقولوا عنه انه لا يقدر على الوحدة التى شهر نفسه بها أو يقولوا انه يفعل ذلك مع الناس لاجل أن يصيروا يحضروا مولده أو نحو ذلك بل يجب حمله على أنه يفعل ذلك خالصا لوجه الله من باب حسن الظن وحسن الخلق مع اخوانه المسلمين فاياك يا أخى أن تظن فى أحد من عباد الله المنقطعين فى تربة أو جبل سوأ اذا رأيت أحدهم خالط الناس وتقول ان هذا انما انقطع عن الناس فى اله ولمخالطتهم بل الواجب أن تظن به خيرا فاعلم ذلك والحمد لله رب العالمين

﴿ومن أخلاقهم رضى الله تعالى عنهم﴾ عدم اهتمامهم بأمر الرزق وانشراح صدورهم اذا لم يبت عند أحدهم دينار ولا درهم وكانوا يكرهون ادخار قوت غد واذا وقع ان أحدهم ادخر قوت الغد أو الجمعة أو الشهر أو نحو ذلك كان ذلك على اسم العائلة لا على اسم نفسه تسكينا للاضطراب الذى ربما يقع فى قلب العائلة اذا لم يكن عندهم شئ يأكلونه فربما وقع أحدهم فى سوء الظن بربه عز وجل وقال بعضهم ربما ادخر القوت الذى علم من طريق كشفه أنه رزقه ولا يصح لاحد غيره أن يتناول منه شيأ ولكن قد سمعت سيدى عليا الخواص رحمه الله تعالى يقول من كمال العارف اذا اطلع على أن الشئ الفلانى من رزقه أن لا يخزنه بل يصبر حتى يأتيه فى الوقت الذى جعله الله تعالى فيه ايثارا لفراغ اليد من الدنيا على امساكها اذ لا فائدة للادخار اه وقد سمعت الشيخ عليا النبتيتى البصير رحمه الله تعالى يقول من شرط من يجتمع بالخضر عليه السلام من الاولياء أن لا يدخر قوت غد فمن خبأ قوت غد لم يجتمع به ولو كان على عبادة الثقلين قال ومن شأن الخضر عليه السلام أن يأتى للعارفين فى اليقظة وللمريدين فى المنام لان المريد لا يقدر على صحبته يقظة فلذلك يأتيه مناما يعلمه الآداب التى جهلها وقد كان أبو عبد الله البسرى أحد رجال الرسالة رحمه الله تعالى يجتمع به يقظة ويحادثه طويلا ثم انقطع عنه بعد ذلك فى اليقظة وصار يأتيه فى المنام قال فسأله عن سبب انقطاعه عنه يقظة فقال له نحن لا نصحب من يخبأ رزق غد وأنت قد قلت لزوجتك فى الوقت الفلانى خذى هذا الدرهم فاجعليه على الرف الى غد فقال أبو عبد الله صحيح ذلك ولكنى تبت الى الله تعالى عن الادخار قال وبعد ذلك لم يأته فى اليقظة الى أن مات كما أخبر عن نفسه فى مرض موته رحمه الله تعالى وكان أويس القرنى رحمه الله تعالى يقول لا يقبل الله من عبده عملا وهو يهتم بأمر

أخرى) زهدت فى المال وقنعت من الطعام واللباس بالدون ومن المسكن بالمساجد وظنوا أنهم أدركوا رتبة الزهاد وهم مع ذلك راغبون فى الرياسة والجاه والرياسة انما تحصل بأحد أشياء اما بالعلم أو بالوعظ أو بمجرد الزهد فقد تركوا أهون الامرين

عنه الدنيا ثلاثة أيام وهو عنه راض وجبت له الجنة وكان عبدالله بكر المزني رحمه الله تعالى يقول ان الله عز وجل ليجرع عبده المؤمن ويذيقه مرارة الدنيا محبة فيه كما تجرع المرأة ولدها الصبر لاجل العافية اه ومن أدلة القوم في هذا الخلق ما ورد أن رجلا قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم اني أحبك يا رسول الله فقال له النبي صلى الله عليه وسلم ان كنت تحبني فأعد للفقر تجفافا فان الفقر أسرع الى من يحبني من السيل الى منتهاه وقد كانت عائشة رضي الله عنها تقول ما زالت الدنيا علينا عسرة كدرة حتى قبض النبي صلى الله عليه وسلم فصبت علينا الدنيا صبا أي لانا كنا ببركته صلى الله عليه وسلم في حماية من الدنيا فلما توفي النبي صلى الله عليه وسلم ذهبت تلك الحماية ودخل علينا النقص وقد سمعت سيدي عليا الخواص رحمه الله تعالى يقول اذا ترقى العبد في مقامات العرفان صارت الدنيا تزداد منه نفرة ولو أنه طلبها لما أجابته وذلك لعدم رؤيتها محلا من قلبه تمكث فيه اه فعلم أن من علامة من ادعى الفقر كذبا أن يزداد من أمتعة الدنيا وزينتها كلما طعن في السن فاعلم ذلك والحمد لله رب العالمين

﴿ومن أخلاقهم رضي الله تعالى عنهم﴾ شدة الفرح في الدنيا كلما حيل بينهم وبين الوصول الى شهواتهم فيها فيقولون لولا أن الله تعالى يحبنا ما حال بيننا وبين ما يحجبنا عنه وكان مالك بن دينار رحمه الله تعالى يقول قال لي معلمي عبدالله الرازي رحمه الله تعالى ان أردت القرب من الله تعالى فاجعل بينك وبين الشهوات حائطا من حديد وقد أوحى الله تعالى الى داود عليه الصلاة والسلام حرام على قلب أحب الشهوات أن أجعله اماما للمتقين وكان عمر بن عبد العزيز رحمه الله تعالى يقول أميتوا الشهوات في أنفسكم ولا تميتوا أنفسكم في الشهوات فان من جعل شهوته تحت رجليه فر الشيطان من ظله كما أن من جعلها في قلبه ركبه الشيطان فصرفه كيف شاء بتسليط الله تعالى وقد كان عيسى عليه الصلاة والسلام يقول الجنة ترجع بجملتها الى شيئين الراحات والشهوات ولا يدخل أحد الجنة الا بترك الراحات والشهوات في الدنيا وكان عبدالله بن عباس رضي الله عنهما يقول سيأتي على الناس زمان يكون همة أحدهم بطنه ودينه هواه وسيفه لسانه وكان الحسن البصري رحمه الله تعالى يقول ليست الدابة الجموح بأحوج الى اللجام من نفسك وكان سفيان الثوري رحمه الله يقول ما عالجت شيأ أشد من نفسي مرة معي ومرة علي وكان يقول كفوا أنفسكم عن الشهوات قبل أن يخاصم بعضكم بعضا ومن أدلة القوم في هذا الخلق قول النبي صلى الله عليه وسلم حفت الجنة بالمكاره وحفت النار بالشهوات وقد ورد أنه قدم الى رسول الله صلى الله عليه وسلم مرة سويق اللوز فرده وقال هذا طعام المترفهين في الدنيا وكان أبو هريرة رضي الله عنه يقول ما زاد على لون واحد فهو طعام الفساق اه وسيأتي زيادة على ذلك في محله ان شاء الله تعالى والحمد لله رب العالمين

﴿ومن أخلاقهم رضي الله تعالى عنهم﴾ عدم التغالي في الثياب بل كانوا يلبسون ما وجدوا من الحلال ولو خشنة واذا لبس أحدهم جبة أو عمامة صوف لا يتغالى في ثمنها عكس ما عليه فقراء هذا الزمان فربما تكون جبة أحدهم أو عمامته الصوف أغلى ثمنا من ثياب التجار اللهم الا أن يكون أحدهم ممن لا تدبير له مع الله تعالى فهذا يلبس ما شاء من المباح وقد كان حاتم الأصم وأصحابه رضي الله عنهم لا يلبسون من الدنيا الا ما خلق من الثياب وصارت فيه رقع كثيرة وقد كان أويس القرني رضي الله عنه يلتقط الخرق من المزابل ثم يخيطها بعد غسلها ويلبسها وكان ابراهيم بن أدهم رحمه الله تعالى يلبس الجبة السوداء حتى تنشق عليه وقالوا له مرة كم لهذه الجبة عليك فقال تسع سنين ما نزعتها قط وقد كان الحسن البصري رحمه الله يلبس الثوب حتى يتسخ جدا فاذا قيل له ألا تغسل ثوبك يقول الامر أعجل من ذلك وقد قال علي بن أبي طالب لعمر بن الخطاب رضي الله عنهما ان أردت اللحوق بصاحبيك فرقع قميصك واخصف نعالك وقصر أملك وكل دون الشبع وقد كان أبو ذر رضي الله عنه بيته خال من المتاع ليس فيه سوى المطهرة التي يتوضأ منها فقيل له يوما ألا تجعل في بيتك متاعا فقال ان رب البيت لا يدعنا نقيم فيه وان لنا بيتا آخر سنوجه اليه صالح أعمالنا ان شاء الله تعالى وكان أبو ادريس الخولاني رحمه الله تعالى يقول لاصحابه لا تعتنوا بغسل ثيابكم فلقلب نقي في ثوب دنس أحب الى الله تعالى من قلب دنس في ثوب نقي (وكان عبدالله بن مسعود) رضي الله عنه يقول كان أصحاب رسول الله صلى

يؤثر الخلوة والعزلة وهو عن شروطها خال ومنهم من يعطى له المال فلا يأخذه خيفة أن يقال بطل زهده وهو راغب في المال والناس خائف من ذمهم ومنهم من شدد على نفسه في أعمال الجوارح حتى يصلي في اليوم والليلة مثلا ألف ركعة ويختم القرآن وهو

رزقه اذ المهتم بأمر رزقه مهتم لله عز وجل والمهتم لربه لا يرفع له عمل (قلت) قد يهتم العبد لرزقه ويسعى في طلبه بكل وجه اهتماما بأمر الله تعالى بالكسب لاشكا في أنه يضيعه وعلى ضد ذلك يحمل كلام أويس رضي الله عنه (وقد قيل) مرة لابي يزيد البسطامي رحمه الله تعالى أنت من أين تأكل وتشرب فقال من حيث يرزق الله الذبابة والبعوضة أفتراه يطعمها وينسى أبا يزيد قال وصلى خلف امام مدة فسأله الامام يوما وقال له اني أراك لا كسب لك فمن أين تأكل فقال له أبو يزيد دعني أعيد الصلاة التي صليتها خلفك ثم أجيبك فانك لا تعرف الله تعالى ولا تصح صلاة من لم يعرف الله سبحانه وتعالى (قلت) وهذا لا ينافي حديث صلوا خلف كل بر وفاجر لان الحديث ورد في سد باب الخروج على الائمة وهذا في مقام الكمال للامام واعلم أن دليل القوم في عدم الادخار ما روى أن شخصا أهدى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث طوائر فأطعم خادمه طائرا منها فلما كان الغد أتته بها فقال صلى الله عليه وسلم ألم أنهك أن ترفعي شيأ لغد فان الله يأتي برزق كل غد اه فامتحن نفسك يا أخي لعدم ادخار شئ لغد فان رأيتها مضطربة فقل لها ليس لك في مقام الصالحين نصيب والحمد لله رب العالمين

﴿ومن أخلاقهم رضي الله تعالى عنهم﴾ اختيارهم الشدة والبلاء على النعمة والرخاء لان بذلك يدوم توجههم الى الله تعالى ومن أحب الله أحب ما يقربه اليه ويذكره به وكان وهب بن منبه رحمه الله يقول من لم يعد البلاء نعمة والرخاء مصيبة فليس هو بفقيه وقد دخل جماعة على مالك بن دينار رحمه الله تعالى وهو جالس في بيت مظلم وفي يده رغيف فقالوا له يا مالك ألا سراج ألا شئ تضع عليه الرغيف فقال دعوني فاني والله نادم على ما مضى وكان الحسن البصري رحمه الله تعالى يقول من وسع الله عليه في الدنيا ولم يخف أن يكون ذلك مكرا به فقد أمن مكر الله تعالى وكان أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول من وجد كل ليلة كسرة يابسة يأكلها فليس هو بفقير انما الفقير من لم يجد شيأ وقد كان الربيع بن أنس رحمه الله تعالى يقول ان البعوضة تحيا ما جاعت فاذا شبعت سمنت واذا سمنت ماتت وكذا ابن آدم اذا امتلأ من الدنيا مات قلبه وكان حفص بن حميد رحمه الله يقول أجمع العلماء والفقهاء والحكماء والشعراء على أن كمال النعيم في الآخرة لا يدرك الا بنقص النعيم في الدنيا اه واعلم أن من أدلة القوم على هذا الخلق ما ورد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال كيف أنعم وصاحب الصور قد التقمه وأصغى بسمعه وحنى بجبهته ينتظر متى يؤمر فينفخ اه فعلم أن الكاملين ينظرون الى أهوال يوم القيامة من هذه الدار فذلك هو الذي منعهم لذة الاكل والشرب والنوم والجماع وغير ذلك فافهم والحمد لله رب العالمين

﴿ومن أخلاقهم رضي الله تعالى عنهم﴾ اذا سألهم أحد في حاجة وهو في حارة شيخ من مشايخ عصرهم أن يردوا صاحب تلك الحاجة الى ذلك الشيخ الذي هو في حارته ويحسنوا اعتقاد صاحب تلك الحاجة فيه ومتى قضوا لذلك المحتاج حاجته فقد أساؤا الادب مع ذلك الشيخ وقد كان ذلك دأب شيخنا سيدي علي الخواص كان رحمه الله تعالى اذا جاءه أحد وسأله في حاجة يقول له أنت من أي حارة فاذا أخبره قال له ارجع الى شيخ حارتك فان الله تعالى لم يجعله في حارتك الا ليتحمل هموم أهلها فاعلم ذلك يا أخي واعمل عليه والحمد لله رب العالمين

﴿ومن أخلاقهم رضي الله تعالى عنهم﴾ انشراح صدورهم اذا صرف الله تعالى عنهم الدنيا وذلك لانهم يحبون الله ورسوله ومن أحب الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم كره الدنيا ضرورة لانها تشغل عن كمال العبادة فلذلك كان من أكرم أخلاقهم انقباض قلوبهم من اقبال الدنيا عليهم وتأمل يا أخي لما كان الصحابة رضي الله عنهم أكثر الناس محبة لرسول الله صلى الله عليه وسلم كيف كان أكثرهم يبيت ويصبح وليس عنده دينار ولا درهم وقد دعا صلى الله عليه وسلم لاهل بيته رضي الله عنهم لشدة محبته لهم ومحبتهم له فقال اللهم اجعل رزق آل محمد قوتا وذلك ليكون العبد مقبلا على الله تعالى لا يعوقه عنه عائق لا سيما ان كان ليس عنده صبر على الجوع مثلا فانه يصير مقبلا على الله تعالى ليلا ونهارا يسأله قوته لا يفتر عن ذلك وكان عبدالله بن المبارك رحمه الله تعالى يقول الدنيا سجن المؤمن وأعظم أعماله في السجن الصبر وكظم الغيظ وليس للمؤمن في الدنيا دولة وانما دولته غدا في الآخرة وقد كان عبدالله بن مسعود رضي الله عنه يقول سيأتي على الناس زمان يكون المؤمن فيه أذل من الامة فيعيش كدودة الخل في الخل وكان عبدالله بن عباس رضي الله عنهما يقول من حبس الله

وبادروا الى أعظم المهلكات لان الجاه أعظم من المال ولو ترك أحدهم الجاه وأخذ المال كان الى السلامة أقرب وهؤلاء مغرورون ظنوا أنهم من الزهاد في الدنيا وهم لم يعلموا معنى الدنيا وربما يقدم الاغنياء على الفقراء ومنهم من يعجب بعلمه ومنهم من

الله عليه وسلم أخشن منكم ثيابا وأرق قلوبا وسيأتى زمان يكون أهله أرق ثيابا وأخشن قلوبا وكان أبو عبيدة رضى الله عنه يقول رب مبيض لثيابه مدنس لدينه وقد قيل مرة لابى سليمان الدارانى رحمه الله تعالى ألا تسرح لحيتك فقال له انى اذا لفارغ القلب وقيل لابراهيم بن أدهم رحمه الله تعالى ألا تخضب لحيتك فقال الخضاب زينة وما نحن من أهلها الآن وكان ثابت البنانى رحمه الله تعالى يقول ربما أريد أن أغسل ثوبى فأفكر فى قلبى فأتركه وكان يغسل ثوبه بالاشنان فقط دون الصابون وكان مالك بن دينار رحمه الله تعالى لا يزيد على العباءة صيفا وشتاء ليلا ونهارا وكان أبو اسحق السبيعى رحمه الله تعالى يقول كانت طيالس الناس قعر بيوتهم ولم يكن يلبس الطيلسان على عمامته الاشهر بن حوشب فقط رحمه الله وقد كان أنس بن مالك رضى الله عنه يقول ما شبهت الناس اليوم فى المساجد وعليهم الطيالسة الا بيهود خيبر اهـ (قلت) المطلوب من الطيلسان على الرأس انما هو كف النظر عن فضول النظر للحيطان وغيرها وليس هو بكبير أمر وانما الشان أن يلبس على قلبه طيلسانا يمنعه أن يمد بصره الى شئ من شهوات الدنيا قال تعالى لا تمدن عينيك الى ما متعنا به أزواجا منهم ولكل مقام رجال والله أعلم وقد كان عروة بن الزبير رضى الله عنهما يقول رأيت رداء رسول الله صلى الله عليه وسلم الذى كان يخرج به الى الوفود طوله أربعة أذرع وعرضه ذراعان وشبر فكان عند الخلفاء بعده صلى الله عليه وسلم حتى خلق كانوا يلبسونه يومى العيدين وكان مالك بن دينار رحمه الله يقول يا قارئ مالك وللطيلسان انما ينبغى لك مدرعة صوف وعصا كراع تفر من الله الى الله وتشوق اخوانك الى الله وقد كان يوسف بن أسباط رحمه الله تعالى يقول رأيت سفيان الثورى رحمه الله تعالى فى طريق مكة فقومت ما عليه من الثياب حتى نعله فوجدت ذلك يساوى درهما واحدا وأربع دوانق واعلم يا أخى ان دليل القوم فى هذا الخلق قوله صلى الله عليه وسلم البذاذة من الايمان والبذاذة لبس الخلق من الثياب فلا يبالى الشخص بأى ثوب لبس والحمد لله رب العالمين

﴿ومن أخلاقهم رضى الله تعالى عنهم﴾ عدم اسرافهم فى الحلال اذا وجدوه وذلك لان الحلال غريب فى كل زمان بحسب تفاوت أهله فى المقام فربما كان حلالا عند قوم وغير حلال عند قوم آخرين وقد كان السلف يقدمون كسب الدراهم الحلال على سائر مهماتهم وذلك لانهم من أبناء الآخرة بيقين والاعمال الاخروية الخالصة لا تقع على يدى من أكل حراما أو شبهات فان من أكل حراما نشأ عنه فعل الحرام ومن أكل شبهة نشأ عنه فعل الشبهة حتى لو أراد من أكل الحرام أن يطيع الله لما قدر على ذلك وكان يونس بن عبيد رحمه الله تعالى يقول ما ثم اليوم أقل من درهم طيب ولو وجدناه لاستشفينا به مرضانا وكان سفيان الثورى رحمه الله تعالى يقول دين الرجل حيث رغيفه من حل وان أهل بيت يوجد على مائدتهم الآن رغيف من حل لغرباء فى هذا الزمان وكان عبد الله بن عباس رضى الله عنهما يقول كسب الحلال أشد على المؤمن من نقل جبل الى جبل وقد كان وهيب بن الورد رحمه الله تعالى يقول ان لم ير العبد الحلال فى زمانه كالميتة للمضطر والا هلك وقد سمع الحسن بن على رضى الله عنهما شخصا يقول اللهم ارزقنى حلالا صافيا فقال له يا هذا سل ربك رزقا لا يعذبك عليه فان الحلال الصافى انما هو رزق الانبياء عليهم الصلاة والسلام وكان ابراهيم بن أدهم رحمه الله تعالى كثيرا ما يعمل الى آخر النهار فاذا أعطوه أجرته نظر اليها وقال لاصحابه انى أخاف أن أكون لم أبذل قوتى كلها التى طلبها منى صاحب الزرع ثم يتركها ويذهب طاويا تلك الليلة وكان يرى الحضور مع الله تعالى فى عمل الحرفة شرطا للعمل وكل شئ عمله بلا حضور لا يأخذ له أجرة وكان سعد بن كدام رحمه الله تعالى يقول لا أعرف اليوم بقى من الحلال الا ما يشرب به الرجل من الدجلة أو النيل بكفه قال وطلب رجل الحلال فما صفا له الا الحشيش الذى على حافات الانهار فصار يأكل منه حتى أخضر جلده ثلاثين سنة فاذا هو بهاتف يقول له الآن قد صفا لك أكل الحلال وخلصت من الحرام قال وامتنع بعضهم من الاكل مما يدخل أيدى بنى آدم ثم ذهب الى البرية يأكل من حشيشها فنودى فى سره هب انك تتورع من اليوم فما تفعل فى القوة التى اكتسبتها حتى مشيت الى هنا فانظر عن أين حصلتها (وقد سئل مالك بن دينار) رحمه الله تعالى عن نبيذ الجرار فقال للسائل ويحك انظر الى التمر من أين هو قبل أن ينبذ فى الماء وكان ابراهيم بن أدهم رحمه الله تعالى يقول رأيت عابدا

فى جميع ذلك لا تخطر له مراعاة القلب وتفقده وتطهيره من الرياء والكبر والعجب وسائر المهلكات وربما يظن ان العبادات الظاهرة ترجح بها كفة الحسنات وهيهات ذرة من ذى تقوى وخلق واحد من خلق الاكياس أفضل من أمثال الجبال عملا بالجوارح

يقوم الى الصلاة مثقل فنظرت فاذا هو من عدم صفاء ما أكله ولو انه أكل حلالا لم يحصل له ثقل وكان سفيان الثورى رحمه الله اذا ذهب الى وليمة أخذ معه رغيفا يأكل منه فاذا قال له صاحب الوليمة هلا تأكل من خبزى يا سيدى يقول له انك تدرى خبزك من أين هو وأنا أدرى خبزى من أين هو فكل واحد يأكل مما يدرى (قلت) وممن أدركته من أصحاب هذا المقام سيدى الشيخ محمد بن عنان كان رحمه الله تعالى اذا دعى الى وليمة يأخذ معه رغيفا يأكل منه اذا نصب السماط وقد سئل سفيان الثورى عن فضل الصف الاول فقال انظر رغيفك من أين هو فكله وصل فى أى صف شئت ولا حرج عليك وكان عبد الله بن عباس رضى الله عنهما يقول لا يقبل الله صلاة العبد وفى جوفه شئ من الحرام وكان السرى السقطى رحمه الله تعالى يقول النجاة فى ثلاث سبيل الهدى وكمال التقى وطيب الغذاء وكان وهيب بن الورد رحمه الله يقول لو صمت وصليت حتى صرت مثل هذه السارية ما ينفعك ذلك الا بعد ان تنظر ما يدخل جوفك واعلم ان دليل القوم فى هذا الخلق قوله تعالى كلوا من الطيبات واعملوا صالحا وهو خطاب للرسل وقد صرح فى الحديث بأن الله تعالى أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين اهـ ومن أدلتهم أيضا ما ورد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا يكتسب عبد مالا من حرام فيبارك له فيه ولا يتصدق منه فيؤجر عليه ولا يتركه خلف ظهره الا كان دافعاله الى النار ان الله لا يمحو السيئ بالسيئ ولكن يمحو الخبيث بالطيب اهـ فانظر يا أخى الى طعامك فى هذا الزمان وعليك بالجوع المفرط واياك ان تأكل من طعام أميرا أو مباشرا أو قاض فضلا عن أطعمة الظلمة والمكاسين من غير تفتيش فانك تهلك فى دينك ولو كان على رأسك عمامة صوف وجبة لك عذبة فافهم والحمد لله رب العالمين

﴿ومن أخلاقهم رضى الله تعالى عنهم﴾ كثرة الوصايا من بعضهم لبعض وقبولهم المواعظ وشكرهم الواعظ وعدم رؤية أحدهم فى نفسه انه قام بواجب حق من نصحه ولو أحسن اليه مدى الدهر وذلك لان الامور الاخروية لا تقابل بالاعراض الدنيوية وقد قال رجل للحسن البصرى رحمه الله تعالى أوصنى فقال له أعز أمر الله حيثما كنت يعزك الله حيثما كنت وقال رجل لعمر بن عبد العزيز رحمه الله تعالى أوصنى فقال له احذر أن تكون ممن يخالط الصالحين ولا ينتفع بهم أو يلوم المذنبين ولا يجتنب الذنوب أو ممن يلعن الشيطان فى العلانية ويطيعه فى السر وقال رجل للفضيل بن عياض رحمه الله تعالى أوصنى فقال له هل مات والدك قال نعم فقال له قم عنى فان من يحتاج الى من يعظه بعد موت والده لا تنفعه موعظة وقال رجل لمحمد بن واسع رحمه الله أوصنى فقال له كن ملكا فى الدنيا والآخرة قال كيف ذلك قال ازهد فى الدنيا فقال له الرجل زدنى قال له اجعل نفسك ذنبا واجلس الى الناس ولا تجعل نفسك رأسا وتطلب منهم أن يجلسوا اليك وقد دخل عمر بن عبد العزيز رحمه الله تعالى يوما على عابد وقال له جئتك لاجل أن تعظنى فقال له العابد لو علمت انك ممن يخاف الله تعالى لوعظتك فغشى على عمر من كلامه وكان عمر بن عبد العزيز رحمه الله تعالى يقول رأيت أبا العباس الخضر عليه السلام بالمدينة المشرفة فقلت له أوصنى فقال اياك يا عمر أن تكون ولياً لله تعالى فى العلانية وعدوا له فى السر وقال رجل لعيسى عليه الصلاة والسلام عظنى يا روح الله فقال له الى كم يوعظ أحدكم ولا يتعظ لقد كلفتم الواعظين شططا وتعبا (وقال رجل) للحسن البصرى رحمه الله تعالى أوصنى فقال له لا تذنب فتلقى نفسك فى النار مع انك لو رأيت أحدا يلقى برغوثا فى النار لانكرت عليه وأنت تلقى نفسك فى النار كل يوم مرات كثيرة ولا تنكر عليها (وقال رجل) لعبد الله بن المبارك رحمه الله تعالى أوصنى فقال له اترك فضول النظر توفق للخشوع واترك فضول الكلام توفق للحكمة واترك فضول الطعام توفق للعبادة واترك التجسس على عيوب الناس توفق للاطلاع على عيوب نفسك واترك الخوض فى ذات الله توق الشك والنفاق وقال رجل لمحمد بن سيرين رحمه الله تعالى أوصنى فقال لا تحسد أحدا فانه ان كان من أهل النار فكيف تحسده على دنيا فانية يصير بعدها الى النار وان كان من أهل الجنة فأتبعه فى أعمالها واغبطه عليها فان ذلك أولى من حسدك له على الدنيا (وقال رجل) للحسن البصرى رحمه الله تعالى عظنى فقال واعجبا من ألسنة تصف وقلوب تعرف وأعمال تخالف (وقال رجل) لابى الدرداء رضى الله عنه أوصنى فقال له اذكر يوما تصير السريرة فيه علانية (وقال رجل) لسفيان بن عيينة رحمه الله تعالى أوصنى فقال له اياك أن تتكبر أو تأكل شيأ من أموال الناس بغير

ثم قد يغتر بقول من يقول له انك من أوتاد الارض أو من أولياء الله وأحبابه فيفرح بذلك ويظهر له تزكية نفسه ولو شوتم يوما واحدا مرتين أو ثلاثا لكفر وجاهد من فعل ذلك به وربما قال لمن سبه لا يغفر الله لك أبدا (وفرقة أخرى) حرصت على النوافل ولم

حتى فان من تكبر على الناس ذل ومن اغتنم أموال الناس افتقر (وقد سمع الحسن البصرى) رحمه الله تعالى مرة رجلا يقول المرء مع من أحب فقال له لا يغرنك يا أخى هذا القول فانك لن تلحق بالابرار الا ان عملت بمثل أعمالهم فان اليهود والنصارى يحبون أنبياءهم وليسوا معهم فى الجنة لتخلفهم عنهم فى الاعمال ومخالفتهم لهم ثم قال واعجبا من قوم أمروا بالزاد ونودوا بالرحيل وهم جلوس يضحكون فان من كان الليل والنهار مطيته فهو يسار به ولا يشعر (وكان شقيق البلخى) رحمه الله تعالى يأمر أصحابه بالتهيؤ كل وقت للموت و يقول ربما يأتيهما الواحد منا خمسين سنة للموت ولا يصح له تهيؤ انما التهيؤ لمن زهد فى الدنيا كعمر بن الخطاب رضى الله عنه فانه كان يقول للموت كل يوم صباحا ومساء ياملك الموت خذنى أى وقت شئت اه ومن أدلة القوم فى هذا الخلق قوله صلى الله عليه وسلم اغتنم خمسا قبل خمس شبابك قبل هرمك وصحتك قبل سقمك وغناك قبل فقرك وفراغك قبل شغلك وحياتك قبل موتك اه فاعلم ذلك يا أخى وانتبه لنفسك والحمد لله رب العالمين

﴿ومن أخلاقهم رضى الله تعالى عنهم﴾ انهم لا ينصحون و يوصون الا من علموا منه بالقرائن قبول النصح والوصايا منهم وأما من علموا منه انه تتحرك نفسه اذا نصحوه ونحو ذلك فالاولى الاعراض عنه وتأخير ذلك حتى يجد أحدهم طريقا شرعيا يدخل اليه منها وكان حامد اللفاف رحمه الله تعالى يقول لا تنصح أحدا الا ان علمت منه القبول والا فربما أعقبك ذلك النصح ضررا لا تطيقه واياك أن تطلب الرياسة على أحد فى هذا الزمان فان كل أحد قد عد نفسه أبا فلان واياك ان تقتدى بكل أحد فان الاهواء قد انتشرت انتشارا عظيما واياك ان تفشى سرك الى أحد فان الامانة قد ارتفعت (قلت) وقد صدق رحمه الله فانه وقع لى انى نصحت مرة شيخا من مشايخ العصر بأنه لا يأكل من بيوت الظلمة وكان ذلك بينى و بينه فمكث سبع عشرة سنة لا يكلمنى وما صالحته الا بجهد عظيم فكيف حالى معه لو كنت نصحته فى الملأ لعله كان يسعى فى قتلى فاعلم ذلك يا أخى واعرف زمانك وانصح اخوانك بسياسة والحمد لله رب العالمين

﴿ومن أخلاقهم رضى الله تعالى عنهم﴾ تقليل أعمالهم فى عيونهم من حيث كسبهم لها ولو كانوا على عبادة الثقلين فكانوا لا يرون أنهم قاموا بذرة واحدة من حقوق الله عز وجل وقد قام رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى تورمت قدماه الشريفان وقطر منهما الدم فقالوا له تفعل ذلك يارسول الله وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر فقال أفلا أكون عبدا شكورا وقد كانت امرأة مسروق رحمهما الله تقول كان مسروق رحمه الله يصلى حتى تنتفخ ساقاه من طول القيام حتى كنت أجلس خلفه أبكى رحمة له وكان الحسن البصرى رحمه الله تعالى يقول لقد أدركت أقواما كان أحدهم أشح على دينه وعمره من أحدكم على ديناره ودرهمه وكان عمر ابن عتبة رحمه الله تعالى يخرج الى المقابر كل ليلة فيصلى تجاهها من العشاء الى الفجر ثم يرجع فيصلى الصبح فى المسجد وكان يقول لاهل المقابر اذا أقبل عليها يا اخوانى قد طويت صحفكم وكان أويس القرنى رحمه الله تعالى يحيى الليل كله فى سجدة واحدة فكان لا يرفع رأسه حتى يحس بعظمه قد ذاب من شدة البكاء من بين يدى ربه عز وجل قال ولما تاب عتبة الغلام رحمه الله تعالى كان لا يهنأ بأكل ولا شرب ولا نوم حتى مات قال ولما حج مسروق رحمه الله تعالى كان لا يضع جنبه الى الارض أبدا وانما كان يغفل وهو جالس فى بعض أوقات وكان مجاهد رحمه الله يقول لعباد أهل زمانه أنتم لستم عبادا ولكنكم متلذذون بالعبادة ولقد أدركنا أقواما كانوا اذا بلغ أحدهم أربعين سنة طوى فراش النوم حتى يموت رضى الله عنهم وكان كهمس بن الحسن رحمه الله تعالى يصلى كل يوم ألف ركعة فما يفرغ منها حتى يصير يزحف من الضعف ثم يقول لنفسه بعد ذلك قومى لهذه العبادة الاخرى يامأوى كل شر فلما ضعف آخر عمره كان يصلى كل يوم خمسمائة ركعة ثم يبكى و يقول ياويلى من ربى عز وجل وقد نقصت نصف عبادتى وقد كان أويس القرنى رحمه الله تعالى اذا غلبه النوم انتبه فزعا مرعوبا ثم يقول اللهم انى أعوذ بك من عين نوامة ونفس لوامة و بطن لا تشبع وكان ابن الجويرية رحمه الله تعالى يقول صحبت أقواما كابدوا الليل فما رأيت أحسن مكابدة من أبى حنيفة رضى الله عنه أقمت عنده ستة أشهر فما رأيته وضع جنبه الى الارض فى ليلة من الليالى وكان ابن مقاتل رحمه الله يقول صلى أبو حنيفة رضى الله عنه الصبح بوضوء العشاء عشرين سنة وفى رواية أربعين سنة وفى رواية سبعا وأربعين سنة وفى رواية خمسين

سنة

يعظم اعتدادها بالفرائض فترى أحدهم يفرح بصلاة الضحى وصلاة الليل وأمثال هذه النوافل ولا يجد لصلاة الفرض لذة ولا خيرا من الله تعالى لشدة حرصه على المبادرة بها فى أول الوقت و ينسى قوله صلى الله عليه وسلم ما تقرب المتقربون

سنة ولعل كل واحد أخبر عنه بما فى زمنه وكان يوسف بن خالد رحمه الله تعالى يقول كان أبو حنيفة رضى الله عنه يحيى نصف الليل فقط فمر يوما على قوم فسمعهم يقولون هذا يحيى الليل كله وأشاروا اليه فقال أرانى أوصف بما لا أفعل ثم قام الليل كله من ذلك الوقت حتى مات وكان أبو مطيع رحمه الله تعالى يقول لم يكن لابى حنيفة رضى الله عنه فراش فى الليل انما كان يغفل وهو جالس غفلة يسيرة وكان سفيان بن عيينة رحمه الله تعالى يقول ما رأيت أورع من أبى حنيفة ولا أعبد منه رضى الله تعالى عنه وكان أبو مسهر رحمه الله تعالى لا يضع جنبه الى الارض لا ليلا ولا نهارا لدوام شهوده أنه فى حضرة ربه عز وجل وكانت وسادته ركبته فكان ينام لحظة يسيرة بين الظهر والعصر وكان مالك بن دينار رحمه الله تعالى يقول ما نمت قط الا وخفت أن ينزل على عذاب وأنا نائم ولو قدرت أن لا أنام ما نمت أبدا وكان الحسن البصرى رحمه الله تعالى يقول لو أدركت سبعين رجلا من أهل بدر رضى الله عنهم لو رأوكم لقالوا هؤلاء مجانين ولو رأوا ما فعله الناس اليوم لقالوا هؤلاء لا يؤمنون بيوم الحساب أو ليس لهم فى الآخرة من نصيب وكان أحدهم لا يخرج من بيته الا للوضوء وصلاة الجماعة فى المسجد وكان المغيرة رحمه الله تعالى يقول رمقت مالك بن دينار رحمه الله تعالى ليلة فتوضأ بعد العشاء ثم قام يريد أن يصلى فقبض على لحيته وصار يبكى و يتضرع الى الفجر ولم يقدر يركع شيأ وقد كان أحدهم يحن الى الليل اذا أقبل ليخلو فيه بحضرة ربه عز وجل و يتكدر من النهار اذا أقبل خوفا من الناس أن يشغلوه عن عبادة ربه وكانوا قد بلغوا من العبادة الغاية القصوى بحيث لو قيل لاحدهم ان القيامة تقوم غدا لا يجد زيادة على ما هو فيه وكان ابراهيم بن أدهم رحمه الله تعالى كثيرا ما يصلى العشاء ثم يضطجع الى الصباح و يقول ان خوف النار لم يدعنى هذه الليلة أنام ولا أصلى ولا أتكلم ثم يقوم لصلاة الصبح بوضوء العشاء وكان شداد بن أوس رحمه الله تعالى كأنه حبة قمح فى مقلاة الى الصباح و يقول ان خوف النار منعنى أن أنام أو أصلى أو أتكلم هذه الليلة (قلت) انما خاف الاكابر من النار لما فيها من الحجاب عن الله تعالى لا لذاتها لانهم لا يخافون الا من الله تعالى وحده كما أن من أحب الجنة من الاكابر لم يحبها للنعيم الاكل ونحوه وانما أحبها لكونها دار المشاهدة لله تعالى والله أعلم وكان مالك بن دينار رحمه الله تعالى يقول لقد أدركت أقواما كان أحدهم يصلى حتى يأتى الى فراشه زحفا وكان يحيى بن معاذ رحمه الله تعالى يقول لو كانت العبادة طائرا لكان جناحاها الصوم والصلاة وكانوا لا ينامون فى الشتاء الا فوق الاسطحة كما انهم كانوا يلبسون رقاق الثياب حتى يبرد أحدهم فلا ينام وقد كانت فاطمة بنت عبد الملك تقول ما أعلم ان عمر بن عبد العزيز رحمه الله اغتسل من جنابة منذ ولى الخلافة وكان الاسود بن يزيد رحمه الله يصوم فى شدة الحر حتى يصفر بدنه تارة و يخضر أخرى فقيل له الى كم تعذب هذا الجسد فقال انما أطلب راحته ونعيمه وكان مالك بن دينار رحمه الله تعالى قد حفر فى بيته قبرا فكان ينزله كل ليلة فيصلى فيه الى الصباح قال ولما أفضت الخلافة الى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه كان لا ينام ليلا ولا نهارا و يقول ان نمت فى الليل ضيعت نفسى وان نمت فى النهار ضيعت رعيتى وأنا مسؤل عنهم فانظر يا أخى الى حالك وتأمل قول بعض هؤلاء الجماعة الذين برزوا فى هذا الزمان فأكلوا الحرام والشبهات ولبسوا الثياب المحرمات وصار أحدهم أكثر ما يجرى على لسانه فضل الله تعالى واسع يعنى ان أكلنا الحرام لا ينقص لنا مقاما فاعلم يا أخى ذلك وناقش نفسك ان قبلت النصح والحمد لله رب العالمين

﴿ومن أخلاقهم رضى الله تعالى عنهم﴾ كثرة خوفهم من دخول الآفات فى علمهم وعملهم وفى ارشادهم الامة الى ما فيه صلاح الدنيا والاخرى فلا تظن يا أخى أن أحدا منهم كان يحب التقدم فى أمر من أمور الدنيا بل كان أحدهم يكره الفتيا و يقول ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان المفتى يدخل فيما بين الله و بين عباده وقد كان عبد الرحمن بن أبى ليلى رحمه الله تعالى يقول أدركت مائة وعشرين من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فما كان منهم رضى الله تعالى عنهم محدث الا و يود أن أخاه كان كفاه الحديث ولا مفت الا و يود أن أخاه كان كفاه الفتيا وكان يزيد بن أبى حبيب رحمه الله تعالى يقول ان من فتنة العالم فى دينه أن يكون الكلام أحب اليه من السكوت والاستماع وقد قيل للامام مالك رضى الله عنه ان فلانا كثير العبادة فقال نعم ولكنه يتكلم كلام شهر فى جمعة وفى رواية فى يوم وقد كان الشعبى رحمه الله تعالى يقول جهدنا كل الجهد فى ابراهيم

بأفضل من أداء ما افترضه الله عليهم وترك الترتيب بين الخيرات من جملة الشرور بل قد يتغير على الانسان فرضان أحدهما يفوت والآخر لا يفوت أو نفلان أحدهما يضيق وقته والآخر يتسع وقته فان لم يحفظ الترتيب كان مغرورا ونظائر ذلك أكثر

التيمى رحمه الله تعالى أن يجلس للناس فى المسجد ليحدثهم فأبى وكان اذا دخل المسجد لا يستند الى سارية ولا
الى جدار وكان الزهرى رحمه الله تعالى مع وفور علمه لا يفتى و يقول من أفتى بغير وفور كان للامام معاقبته لان
المفتى على شفير جهنم (قلت) ولذلك لم يتصدر غالب القوم للفتيا احتياطا لانفسهم وكان الفضيل بن عياض
رحمه الله تعالى يقول بذل الدنانير للناس أحب الىّ من بذل الحديث لهم وأهون على نفسى اه وكان الحسن
البصرى رحمه الله تعالى يقول ان خفق النعال حول الرجال قل ما تثبت معه قلوب الحمقى من أمثالنا قال
والتفت عبد الله بن مسعود رضى الله عنه يوما فرأى الناس يمشون خلفه فقال والله لو رأيتهم ما أصنع اذا
أغلقت بابى من الغفلة عن الله تعالى واشتغالى بالعيال ما تبعنى منكم أحد وقد نظر عمر بن الخطاب رضى الله
عنه الى أبىّ بن كعب رضى الله عنه والناس حوله فعلاه بالدرة وقال انها فتنة للمتبوع وذلة للتابع وكان سلمان
الفارسى رضى الله عنه اذا رأى الناس يمشون خلفه يقول هذا خير لكم وشر لى فان شئتم فارجعوا عنى وكان
الربيع بن خيثم رحمه الله تعالى اذا مشى خلفه أحد يقول والله لولا أتقى ألسنتكم ما حدثتكم فقيل له يا أبا محمد
لعل الله أن ينفع بك و يعلمك الناس فقال هذا بعيد فانى اذا لم أنتفع أنا بعلمى فكيف ينتفع به غيرى وكان يقول
من أحب أنكم تجلسون اليه فلا تجلسوا اليه كما أن من أحب انكم تقومون له فلا تقوموا له وكان يحيى بن
سعيد رحمه الله تعالى يقول لاصحابه اذا استحلى أحدكم الحديث فلا يحدث وكان الحسن البصرى رحمه الله
تعالى يقول لقد أدركنا أقواما كانت الكلمة من الحكمة تبدو لاحدهم فيكتمها خوف الشهرة ولو أنه كان نطق
بها لنفعته ونفعت أصحابه وكان الناس اذا اجتمعوا يكره أحدهم أن يخرج أحسن ما عنده من الكلام وقد
كان عبد الله بن عباس رضى الله عنهما يقول ان لله تعالى عبادا أسكتتهم خشية الله تعالى وانهم لفصحاء وقد
كان حاتم الاصم رحمه الله تعالى يقول لا يجلس فى الجامع الا جامع للدنيا وقد قال اسمعيل بن خلف لسفيان
الثورى رحمهما الله تعالى يوما انى أراك لنشطا اذا حدثت الناس و يعلو صوتك واذا كنت لا تحدث أراك
كالميت فقال له يا أخى أما علمت أن للكلام فتنة ووالله ما جلس الى أكثر من ثلاثة أنفس الا وتنكرت على
نفسى وقد كان أنس بن مالك رضى الله عنه يقول همة السفهاء الرواية وهمة العلماء الدراية وكان ابراهيم
النخعى رحمه الله تعالى يكره القصص يعنى الوعظ و يقول بلغنا أن أمير المؤمنين عليا رضى الله عنه دخل مسجد
الكوفة فرأى قاصا يقص على الناس فقال ما هذا قالوا شخص يحدث فقال هذا رجل يقول اعرفونى أنا فلان
وقد مر ابراهيم بن أدهم على حلقة الاوزاعى رحمهما الله تعالى فرأى ازدحاما كثيرا فقال لو كان هذا الازدحام
على أبى هريرة رضى الله عنه لعجز عنه فبلغ ذلك الاوزاعى فترك الجلوس من ذلك اليوم قال ولما قدم عيسى بن
يونس رحمه الله تعالى الى مكة فأحاط به الناس فى المسجد الحرام وازدحموا عليه فرّ به الفضيل بن عياض رحمه
الله تعالى فدنا منه وقال له يا أخى انظر الى قلبك فلعله تغير من كثرة الازدحام عليك فنظر عيسى الى نفسه ساعة
ثم قام فورا وترك المجلس من ذلك اليوم وقد كان سفيان الثورى رحمه الله تعالى يقول ان استطعت أن تكون
عالما لا يعرفك الناس فافعل فان الناس لو عرفوا ما فى نفسك لا كلوا الحك وقد طلب الناس من سفيان بن
عيينة رحمه الله تعالى أن يجلس يحدثهم فأبى وقال ما أنا بأهل أن أحدث ولا أنتم بأهل أن تسمعوا وما مثلى
ومثلكم الا كما قال القائل افتضحوا فاصطلحوا وقد قيل لعلقمة رحمه الله تعالى ألا تجلس فتحدث الناس فتؤجر
على ذلك فقال أما يرضى المتكلم أن ينجوا كفافا يعنى لا له ولا عليه قال ولما ترك بشر الحافى رحمه الله تعالى
الجلوس للحديث قالوا له ماذا تقول لربك يوم القيامة اذا قال لك لم تركت تحديث الناس بأحاديث نبى محمد
صلى الله عليه وسلم فقال أقول يارب انك أمرتنى فيه بالاخلاص ولم أجده عند نفسى وقد كان سفيان الثورى
رحمه الله يحدث فكان اذا وجد لذة فى نفسه من حسن كلامه وكبر حلقته مثلا قام فزعا مرعوبا وترك التحديث
وقال أخذنا والعياذ بالله تعالى ولم نشعر وكان ميمون بن مهران رحمه الله تعالى يقول لا يخلو القاص من احدى
ثلاث اما أن يسمن قوله بما يهزل دينه واما أن يعجب بقوله واما أن يقول ما لا يفعل (قلت) وما قاله رحمه الله
تعالى محمول على الغالب والا فالعارف مطلوب منه أن يسمن قوله وأن يعجب به من حيث كونه شرعا لغيره
ويتهم نفسه بأنه يقول ما لا يفعل اذ لا يخرج أحد عن اللوم ولو بالغ فى الاخلاص فى عمله وذلك محمول على

من أن تحصى فان المعصية
ظاهرة وانما الغامض
تقديم بعض الطاعات على
بعض كتقديم الفرائض
كلها على النوافل وتقديم
فروض الاعيان على
فروض الكفايات التى
لا قائم بها على ما قام بها غيره
وتقديم الاهم من فروض
الاعيان على ما دونه وتقديم

الخلق وكان أبو مسلم الخولانى رحمه الله تعالى يقول كثير من الناس يعيش الناس بعلمهم و يهلكون فى
نفوسهم يعنى بالعجب ورؤية النفس وكان الحسن البصرى رحمه الله يقول لا تكن ممن يجمع علم العلماء
و يفعل أفعال السفهاء وكان مالك بن دينار رحمه الله تعالى يقول كنت آتى أنس بن مالك رضى الله عنه أنا
وثابت البنانى و يزيد الرقاشى نسمع منه الحديث فكان يقول لنا ما أشبهكم بأصحاب رسول الله صلى الله عليه
وسلم ثم يقول رؤسكم ولحاكم وقد كان عيسى عليه الصلاة والسلام يقول مثل الذى يحمل العلم ولا يعمل به كمثل
الاعمى يحمل سراجا يستضىء به غيره وكان وهيب بن الورد رحمه الله تعالى يقول لو أن العلماء اذا لم يعملوا بعلمهم
قالوا للناس خذوا منا علمنا ولا تقتدوا بنا فى ترك الاعمال الصالحة لتنجوا كان ذلك خيرا ولكنهم لبسوا على
الناس وادّعوا العمل فجروا الناس الى أعمالهم الخبيثة وقد كان عيسى عليه الصلاة والسلام يقول ان كنتم علماء
حكماء فلا تجعلوا أسماعكم غرابيل تمسك النخالة وترسل الطحين وكان أبو سليمان الدارانى رحمه الله تعالى يقول
اذا ناظرت عالما فغضب فلا تخف منه فانه لم يبق له رأس مال من دين وقد كان عبد الله بن عمر رضى الله عنهما
يقول لعلماء زمانه لقد أزريتم العلم وأذهبتم قدره ووالله لو رأى عمر يعنى أباه أحدا مثلى وهو يحدثكم لاوجعنى
واياكم ضربا اه وكان الاعمش رحمه الله تعالى يقول ان لى نحو عشرين سنة ما رأيت عالما مخلصا فى علمه انما
صار العلم حرفة للمفاليس وكان شعبة رحمه الله تعالى يقول ما رأيت أحدا طلب الحديث خالصا الا هاشم
الدستوائى رحمه الله تعالى وكان أبو حازم رحمه الله تعالى يقول قد رضى الله علماء زماننا هذا بالكلام وتركوا
العمل وقد كان السلف رضى الله عنهم يفعلون ولا يقولون ثم صار الذين بعدهم يفعلون و يقولون ثم صار الذين
بعدهم يقولون ولا يفعلون وسيأتى زمان أهله لا يقولون ولا يفعلون وقد كان عبد الرحمن السلمى رحمه الله تعالى
يقول لقد أدركنا الناس وهم يتعلمون القرآن عشر آيات عشر آيات فلا ينتقلون من عشر حتى يعملوا بها وقد قيل
للشعبى رحمه الله تعالى مرة أفتنا أيها العالم فقال لا تقولوا لمثلى عالم فان العالم هو الذى تقطعت مفاصله من خشية
الله تعالى وكان سفيان الثورى رحمه الله تعالى يقول العالم طبيب الدين مالم يجلب الدنيا بعلمه فاذا جلب الدنيا
بعلمه فقد جلب الداء الى نفسه واذا جاب الداء الى نفسه فكيف يطب غيره وقد كان الفضيل بن عياض رحمه
الله تعالى يقول لن تهلك أمة الا من جهة علمائها السوء جلسوا على طريق الرحمن فقطعوا الطريق على عباد
الله بأعمالهم الخبيثة اه وكان مالك بن مغول رحمه الله تعالى يقول سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم أى
الناس شر فقال العلماء اذا فسدوا وكان سفيان الثورى رحمه الله تعالى يقول من علامة من يطلب العلم لله
تعالى أن يتخلق بالزهد والورع والخشية من الله و يحتمل الاذى من الناس وقد كان محمد بن سيرين رحمه الله
تعالى يقول قد ذهب العلماء ولم يبق من علمهم الا غبرات فى أوعية سوء وكان يحيى بن معاذ رحمه الله تعالى
يقول ان العالم اذا لم يكن زاهدا فهو عقوبة لاهل زمانه وفتنة وكان يقول يا أهل العلم قد صارت بيوتكم
كسروية وأخلاقكم شيطانية فأين المحمدية وكان أبو الدرداء رضى الله عنه يقول انى أخاف أن يقال لى يا عويمر
ماذا صنعت فيما علمت وقد سئل الامام مالك رضى الله تعالى عنه عن الراسخين فى العلم من هم فقال هم العاملون
به المتبعون لآثار من قبلهم وقد سئل مرة الشعبى رحمه الله تعالى عن مسئلة فقال لا أدرى فقالوا له ألا تستحى
من قولك لا أدرى وأنت عالم العراق فقال ان الملائكة عليهم الصلاة والسلام أكثر أدبا وعلما منا ولم تستحى
من قولها سبحانك لا علم لنا الا ما علمتنا وكان كعب الاحبار رضى الله عنه يقول يكون فى آخر الزمان علماء
يتغايرون على القرب من الامراء كتغاير الرجال على النساء أولئك شرار خلق الله سبحانه وتعالى وكان المعتمر
ابن سليمان رحمه الله تعالى يقول اياكم أن تقولوا ان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم لعبوا الشطرنج أو
لبسوا المعصفر أو شربوا النبيذ المثلث فتكونوا فاسقين انما فعل أحدهم ذلك قبل بلوغ النهى فأين أنتم منهم
وأنتم تفعلون بما يخالف كتاب ربكم عز وجل وسنة نبيكم صلى الله عليه وسلم وكان حاتم الاصم رحمه الله تعالى
يقول من اكتفى بالكلام من العلم دون الزهد والفقه تزندق ومن اكتفى بالزهد دون الفقه والكلام تبدع ومن
اكتفى بالفقه دون الزهد والكلام تفسق ومن جمع بينها تخلص اه وقد كان الامام الاوزاعى رحمه الله تعالى
يتكلم بالكلام العارى من الاعراب و يقول اذا جاء الاعراب ذهب الخشوع ولقد أعربنا فى الكلام ولحنا فى

ما يفوت مثل تقديم حق
الوالدة على الوالد وتقديم
نفقة الابوين على الحج
وتقديم الجمعة اذا حضر
وقتها على العيد وتقديم
الدين على فروض غيره
وما أعظم العبد أن ينفذ
ذلك و يتنبه له ولكن الغرور
فى الترتيب دقيق خفى
لا يقدر عليه الا العلماء

العمل وكان أبو حفص الحداد رحمه الله تعالى يقول لعلماء زمانه الى متى تكتبون الكراريس والدواوين انما العلم آلة فاذا حضر العدو وأنت تجمع الآلة فمتى تقاتل وكان الامام مالك رضى الله عنه يقول اذا أحب العالم أن يعرف بالعلم فهو شر من ابليس (قلت) ولعل مراده رضى الله عنه أن يعرف لغير غرض شرعى وكان ابن السماك رحمه الله تعالى يقول لعلماء زمانه كم من مذكر لله تعالى منكم وهو له ناس وكم من مخوف من الله تعالى منكم وهو جرىء على معاصيه وكم من مقرب الى الله تعالى وهو بعيد منه وكم من داع الى الله وهو فار منه وقد وقفت امرأة يوما على ابراهيم بن يوسف رحمه الله تعالى تنظر اليه فقال لها هل لك حاجة فقالت لا غير أنكم ترون أن النظر الى وجه العالم عبادة فأنا أنظر اليك لاجل ذلك قال فبكى ابراهيم حتى خنقته العبرة ثم قال ان هذه المرأة قد غلطت فى ان الذين كان النظر الى وجوههم عبادة قد صاروا فى المقابر بين أطباق الثرى منذ أربعين سنة مثل أحمد بن حنبل وخلف بن أيوب وشقيق البلخى وأضرابهم رضى الله عنهم فسيرى الى مقابرهم وتأملى فيها وكان بشر بن الحرث رحمه الله تعالى يقول ما رأيت أحدا فى زماننا هذا أوتى العلم الا أكل بدينه ما عدا أربعة ابراهيم بن أدهم ووهيب بن الورد وسليمان الخواص ويوسف بن أسباط رضى الله عنهم وكان سفيان الثورى رحمه الله تعالى يقول من أبكاه علمه فهو العالم قال تعالى ان الذين أوتوا العلم من قبله اذا يتلى عليهم يخرون للاذقان سجدا وقال تعالى اذا تتلى عليهم آيات الرحمن خروا سجدا وبكيا اه فانظر يا أخى نفسك هل وفيت بحق علمك وعملك كما وفى هؤلاء أم أنت عنهم بمعزل وأكثر من الاستغفار ليلا ونهارا والحمد لله رب العالمين

﴿ومن أخلاقهم رضى الله تعالى عنهم﴾ كثرة الحط على أصحابهم اذا خالطوا الامراء وكثرة شكرهم لمن نصحهم وكثرة اعتقادهم الفسق فى نفوسهم كلما كثر علمهم وذلك لعلمهم بعجز الانسان غالبا عن العمل بكل ما علم واذا لم يعمل الانسان بكل ما علم انسحب عليه اسم الفسق فيما لم يعمل به فان من العمل بالعلم البعد عن الامراء وعدم اتخاذ العلم شبكة يصطاد أحدهم بها الدنيا والمناصب وعدم الفرح بكبر حلقة درسه وعدم اللذات بقول الناس فلان عالم عامل أو فلان أعلم أهل هذا البلد ونحو ذلك كما أن من عدم العمل بالعلم أن يغتم من اضداد هذه الصفات وكان سيدى على الخواص رحمه الله تعالى يقول من علامة عدم العمل بالعلم محبة الصيت بالصلاح والاشمئزاز من قول الناس فلان محب فى الدنيا أو مراء بعلمه وعمله ونحو ذلك مما ذكرناه فى كتابنا البحر المورود فى المواثيق والعهود فعلم بذلك أن من فرح بما ذكرناه أو انقبض خاطره من ضده فهو لم يعمل بعلمه فليبك على نفسه وقد روى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أكثر منافقى أمتى قراؤها وكان وهب بن منبه رحمه الله تعالى يقول كان فى بنى اسرائيل قراء فسقة وسيكون فى هذه الامة أمثالهم وكان سفيان الثورى رحمه الله يقول استعيذوا بالله من أمور تحدث فى القراء بعد مائتى سنة واعلموا أن من يدخل النار تفسقا أخف ممن يدخلها تبدعا وأخف ممن يدخلها تقربا وهو مراء بعلمه وعمله وكان عبد الله بن المبارك رحمه الله تعالى يقول من دخل النار بالمعاصى الظاهرة أخف ممن دخلها بالرياء والسمعة وقد كان حبيب العجمى رحمه الله تعالى يقول ما كنا نظن أن نعيش الى زمان صار الشيطان يلعب بالقراء فيه كما يلعب الصبيان بالاكرة وكان عبد العزيز بن أبى رواد رحمه الله تعالى يقول كان فسقة الجاهلية أكثر حياء من قراء زماننا وقد كان سفيان الثورى رحمه الله تعالى يقول والله انى لاخشى اذا قيل يوم القيامة أين القراء الفسقة أن يقال وهذا منهم نخذوه وقد قال رجل لحماد بن زيد رحمه الله تعالى أوصنى فقال له اياك أن تجعل لك اسما مع القراء فى صحيفة وكان سفيان الثورى رحمه الله تعالى يقول احذروا القراء واحذرونى معهم فانى لو خالفت أكثرهم ودالى فى رمانة فقلت هى حامضة وقال هو بل حلوة لا آمن أن يسعى فى قتلى عند سلطان جائر وكان الفضيل بن عياض رحمه الله تعالى يقول أشتهى أن تكون دارى بعيدة عن القراء مالى ولقوم اذا رأونى فى نعمة حسدونى وان رأونى فى زلة هتكونى وقد كان ذو النون المصرى رحمه الله تعالى يقول اياك والقرب من القراء فانهم ربما حسدوك فرموك بالزور والبهتان وقبل ذلك منهم وكان الفضيل بن عياض رحمه الله تعالى يقول ما أقبح قلة ورع العالم وما أقبح قول الناس ان العالم الفلانى قدم حاجا بمال الامير الفلانى أو بمال المرأة الفلانية وفى الحديث سيأتى على أمتى زمان يكون سماعكم باسم الرجل خيرا من أن تلقوه ولو لقيتموه خيرا لكم من أن تجربوه فانكم ان

الراسخون فى العلم (الصنف الثالث) من المغرورين أرباب الاموال وهم فرق كثيرة فرقة منهم يحرصون على بناء المساجد والمدارس والرباطات والقناطر والصهاريج للماء وما يظهر للناس ويكتبون أسماءهم بالآجر عليه ليتخلد ذكرهم ويبقى بعد

جربتموه أبغضتموه وأبغضتم عمله وقد كان الفضيل بن عياض رحمه الله يقول كيف تحمدون القراء مع غلظ رقابهم ورقة ثيابهم وأكلهم مخ الحنطة والله ان سف الرماد كثير على من يخشى الله ويتقه وكان يوسف بن أسباط رحمه الله تعالى يقول لما مات سفيان الثورى رحمه الله قال الناس للقراء معاشر القراء كلوا الآن الدنيا بالدين فقد مات الثورى أى لكونه كان أشد الناس حطا على القراء ولكثرة مناقشته لهم رحمه الله تعالى وكان الحسن البصرى رحمه الله يقول لن تزال العلماء فى كنف الله تعالى ما لم يمل قراؤهم الى أمرائهم بالمحبة فاذا مالوا اليهم رفع الله تعالى يده عنهم وسلط عليهم الجبابرة فساموهم سوء العذاب وقذف فى قلوبهم الرعب وكان فرقد السبخى رحمه الله تعالى لم يزل يلبس الكساء فقال له الحسن البصرى رحمه الله تعالى أتحب أن لك فضلا على الناس بكسائك هذا انه قد ورد أن أكثر أهل النار أصحاب الاكسية وقد قيل مرة لمالك بن دينار رحمه الله تعالى ما لنا نراك تعرض عن الشاب القارئ الناسك فقال انما أعرض عنه لكثرة تجريبى للقراء وقد كان حذيفة بن اليمان رضى الله عنه يقول انى لاكره للعالم أن يقرب من أبواب الامراء فانها مواقف الفتن فى دار الدنيا وكان الفضيل بن عياض رحمه الله تعالى يقول كنا نتعلم اجتناب أبواب السلطان كما نتعلم السورة أو الآية من القرآن وكان سعيد بن المسيب رحمه الله تعالى يقول اذا رأيتم العالم يغشى أبواب السلطان فهو لص وكان ميمون بن مهران رحمه الله تعالى يقول صحبة السلطان مخاطرة عظيمة فانك ان أطعته خاطرت بدينك وان عصيته خاطرت بنفسك فالسلامة أن لا تعرفه ولا يعرفك قال ولما خالط الزهرى رحمه الله تعالى السلطان قام عليه الزهاد وقالوا قد آنست وحشته وكان الفضيل بن عياض رحمه الله تعالى يقول من يأتى بالفرائض فقط ولا يدخل على السلطان خير ممن يصوم النهار ويقوم الليل ويجاهد ويحج ويدخل على السلطان وكان سفيان الثورى رحمه الله تعالى يقول اذا رأيتم العالم يأتى القاضى لغير حاجة فلا تشهدوا فيه بالخير ولا تسلموا عليه واتهموه فى دينه وكان الضحاك بن مزاحم رحمه الله يقول مكثت ليلة كاملة أتفكر فى كلمة ترضى السلطان ولم تسخط الله تعالى فلم أجدها وكان الاصمعى رحمه الله تعالى يقول شرار الامراء أبعدهم من العلماء وشرار العلماء أقربهم من الامراء اه وقد ذكرنا جملة من الاحاديث المحذرة من قرب الامراء فى كتاب العهود المحمدية فراجعها وتأمل فى نفسك هل أنت متخلق بالاخلاق الحسنة كما كان سلفك والحمد لله رب العالمين

﴿ومن أخلاقهم رضى الله تعالى عنهم﴾ اذا لم يكن لهم مال وكان اخوانهم يكسونهم وينفقون عليهم أن لا يكثروا من اعطاء الناس الثياب والطعام بل يحملون كلفتهم عن اخوانهم ما أمكن وذلك لانهم لا يدعون أحدا عريانا ولا جيعانا وقد كنت سلكت هذا المسلك فتوبنى عنه شيخى سيدى محمد بن عبد الله وشيخى سيدى نور الدين السنونى رحمه الله تعالى فقلت له يا سيدى فان أقسم على السائل بالله أو برسوله صلى الله عليه وسلم فقال لا تعطه وقل بدل ذلك جل الله العظيم أو صل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فان القسم انما يستحب للعبد ابراره اذا كان له مال وأما من ينفق عليه الناس فلا يؤمر بابرار القسم الا بطريقه الشرعى كأن لا يكون فى اعطائه مانع أشد ضررا من ابرار القسم ولما علم اخوانى انى أعطى السائل جوختى أو فروتى أو عمامتى ولا أتوقف صار أحدهم يوقف على ما يعطيه لى من الثياب وبعضهم يجعله عارية عندى وبعضهم يعلق طلاق زوجته على اعطاء ذلك لاحد بغير اذنه فلهذا العذر تجدنى أشح فى بعض الاوقات على السائل ولا أعطيه ولو أنه كان سألنى ما هو لى لم أشح عليه بحمد الله تعالى ولو كان جوختى الجديدة أو صوفى الجديد فى أول يوم لبسته فاياك يا أخى والمبادرة الى سوء الظن بأحد من أشياخ الطريق اذا دخل عليه عريان وسأله ثوبا من ثيابه مثلا فلم يعطه ويقول هذا خروج عن طريق الفقراء بل افحص قبل ذلك عن القضية فربما كان ذلك الشيخ له عذر مما قدمناه ولم يمنع ذلك السائل لشح عنده والحمد لله رب العالمين

﴿ومن أخلاقهم رضى الله تعالى عنهم﴾ كتمانهم عن أهل عصرهم كل ما ينكرونه من الكرامات فان اظهارها لا فائدة فيه اللهم الا أن يترتب على ذلك مصلحة شرعية فلا حرج على الولى فى اظهارها وفى حال كتابتى لهذا الموضع رأى شخص رسول الله صلى الله عليه وسلم فى المنام وأرسل الى السلام معه بامارة صحيحة وسأله الرائى عن مسئلة فأجابه صلى الله عليه وسلم عنها فلم يفهم الرجل الجواب فلما رآه صلى الله عليه وسلم قد توقف فى فهمها

الموت أثرهم وهم يظنون أنهم استحقوا المغفرة بذلك وقد اغتروا فيه من وجهين أحدهما أنهم اكتسبوها من الظلم والشبهات والرشا والجهات المحظورة فهؤلاء قد تعرضوا لسخط الله فى كسبها فاذا عصوا الله فى كسبها فالواجب عليهم التوبة ورد الاموال

قال له اذهب الى مصر واسأل عن الشعرانى فانه يشرحها لك وكان ذلك الرجل فى ناحية جرجه فسافر على أثر الرؤية الى مصر وسأل عنى فاجتمع بى وقال لى لم يكن لى فى مصر حاجة الا الاجتماع بك امتثالا لامره صلى الله عليه وسلم ثم قال لى على المسئلة ففسرتها له بحمد الله تعالى وقد كنت ذكرت فى هذا الكتاب أن من أخلاق القوم رضى الله عنهم انهم يصلون الصلوات الخمس خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم فى قبره الشريف وانهم يسمعون رده عليهم السلام حين يقولون فى تشهدهم السلام عليك أيها النبى ورحمة الله وبركاته فتوقف فى ذلك بعض أصحابنا من طلبة العلم وقالوا ما من كرامة الا وهى موروثة من أحد ممن سبق ولم يصل الينا ان أحدا من الصحابة رضى الله عنهم ولا من التابعين أنه رد عليه السلام من النبى صلى الله عليه وسلم من القبر الشريف بعد موته فلما وقع ذلك التوقف ولم أر أحدا يطلب الوصول الى هذا المقام بالمجاهدة والرياضة رفعت ذلك من الكتاب على أنه ما من عام الا ويصح أن يخص منه أمر كما هو مقرر فى علم الاصول الا ما استثنى شرعا وقد نقل العلامة ابن زهرة فى تفسيره ان من الكرامات التى لم تورث ولم يقع مثلها لاحد قبل صاحبها اتيان آصف بن برخيا بعرش بلقيس وقال هذه كرامة لم تكن موروثة عن أحد قبله من الانبياء عليهم الصلاة والسلام ولا غيرهم وقد سمعت سيدى عليا الخواص رحمه الله تعالى يقول لا يحق لاحد قدم الولاية المحمدية حتى يجتمع برسول الله صلى الله عليه وسلم وبالخضر والياس عليهما السلام وقد درج الصادقون كلهم على ذلك فلا يقدح فيه انكار بعض المحجوبين عنه وقد كان سيدى الشيخ أبو العباس المرسى رحمه الله تعالى يقول لاصحابه هل فيكم أحد اذا سلم على رسول الله صلى الله عليه وسلم يسمع رده عليه بأذنه فيقولون لا ليس فينا أحد يقع له ذلك فيقول ابكوا على قلوب محجوبة عن الله ورسوله صلى الله عليه وسلم ثم يقول والله لو احتجبت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم لحظة من ليل أو نهار لما عددت نفسى من المسلمين (قلت) ولكن بين الفقير وبين مقام الآخذ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وسماع صوته بالرد على من سلم عليه مائة ألف مقام وسبعة وأربعون ألف مقام وتسعمائة وتسعة وتسعون مقاما فمن ادعى ذلك طالبناه بهذه المقامات فاذا رأيناه لا يعرفها كذبناه فى دعواه ذلك وقد ادعى هذا المقام جماعة من أهل العصر فى حياة سيدى على المرصفى رحمه الله تعالى فأمر بحضورهم الى عنده فلما رآهم قال لهم مقصدى أسمع منكم الكلام على بعض مقامات مما ذكرتم أن الله تعالى خصكم بها فلم يدر أحدهم ما يقول فزجرهم عند ذلك وأمر باخراجهم من حضرته فماتوا على أسوأ حال والعياذ بالله فاياك يا أخى ان تدعى شيأ من المقامات التى لم تصل اليها فتعاقب بحرمانها (قلت) وقد أخذ جماعة من أهل عصرنا بجانب عن هذا المقام بالكلية وجعلوا علو مقامهم بالاجتماع على الباشا والدفتردار وقاضى العسكر ونحوهم وصار أحدهم اذا كان فى مجلس تراه يقول (قلت) للباشا قال لى الباشا قال لى الدفتردار ونحو ذلك ولكن على كل حال هم أخف ضررا ممن يقول قال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم كذا وكذا وهو غير صادق فاعلم ذلك يا أخى والحمد لله رب العالمين

﴿ومن أخلاقهم رضى الله تعالى عنهم﴾ أن لا يمكنوا أحدا ممن ينقاد لهم أن يلى القضاء أو شيأ من الامانات التى لا خلاص فيها غالبا الا ان تعين عليه ذلك بطريق شرعى لما ورد من التحذير من مثل ذلك وقد كان سفيان الثورى رحمه الله تعالى يقول لا تكن فى هذا الزمان اماما ولا مؤذنا ولا عريفا ولا تأخذ من أحد مالا لتفرقه على الفقراء وكان محمد بن واسع رحمه الله تعالى يقول أول من يدعى للحساب يوم القيامة القضاة فلا ينجو منهم الا القليل وكل من ساعدهم فهو شريكهم فى الشدة وقد استقضى هرم بن حيان رحمه الله تعالى مرة فأوقد حوله نارا فمنعت الناس أن يأتوه فى ذلك اليوم حتى عزل نفسه قال ولما أكرهوا الامام أبا حنيفة رضى الله عنه على القضاء وحبسوه كانوا يخرجونه من السجن فيضربونه أياما ليدخل فى أمرهم له بالقضاء فلم يفعل حتى انه بكى فى بعض الايام كبكاء الاطفال ثم صار يقول كم من حق يبطله القاضى وكم من باطل يحققه وكان الحابس له ابن هبيرة الوزير وكان سفيان بن عيينة رحمه الله يقول سمعت مناديا ينادى على جبل أبى قبيس أمان الله تعالى على كل أسود وأبيض ما عدا اثنين سفيان وفلانا الزنديق وكان مسروق رحمه الله يقول فى قوله تعالى أكالون للسحت انما الهدية للقاضى ومن أراد أن لا تستعبده الولاة فليقنع بالخل والملح وقد سمعت سيدى عليا الخواص رحمه الله تعالى يقول صارت الولايات فى هذا الزمان غالبها جور وظلم حتى لو أراد الشخص أن يعدل

الى أهلها ان كانوا أحياء والى ورثتهم ان لم يبق منهم أحد وانقرضوا فان لم يبق لهم ورثة فالواجب عليهم أن يصرفوها فى أهم المصالح وربما يكون الاهم التفرقة على المساكين فأى فائدة فى بنيان يستغنى عنه ويموت ويتركه وانما غلب على هؤلاء الرياء والشهرة ولذة

لا يقدر على العدل لعدم استحقاق الناس ذلك وقد ولى القضاء رجل من معارف الشيخ رحمه الله فلامه الشيخ على ذلك فقال له يا سيدى ما وليت ذلك الا لآمر بالمعروف وأنهى عن المنكر فقال له الشيخ ان هذا من غرور ابليس لك فان من كان قبلكم من القضاة لم يصح لهم ذلك مع أن زمانهم كان قابلا للنصح وأما فى هذا الزمان فقد صار الولاة يدعى أحدهم الولاية والصلاح ويقول نحن الاولياء لان الناس يحتاجون الينا ونحن لا نحتاج الى أحد منهم اه وقد سمعت أنا أن بعض الولاة دخل اليه شيخ من مشايخ العصر شفع عنده شفاعة فردها ولم يقبلها ثم جعل يقول انما يشفع عندنا هؤلاء المدعون للصلاح طلبا للشهرة لا مصلحة ومحبة للمشفوع فيه فتسول لاحدهم نفسه أنه اذا شفع وقبلت شفاعته يصير الناس يقولون ما فى مصر الآن الا فلان فانه هو الذى يحمل هموم المسلمين ويشفق عليهم فاذا اشتهر بذلك تسامع به الملوك والوزراء فرتبوا له الجوالى والارزاق فهذا هو سبب ردى شفاعته وفى ذلك مصلحة له خوفا عليه من الاعجاب الذى فيه هلاك دينه اه وقد رأيت بعض القضاة يبيع أمتعة داره فى اليوم الذى لا يأتيه فيه محصول كثير ويقول أخاف أن يعزلنى من أنا تحت حكمه حتى صار فقيرا من أمتعة الدنيا وقد سمعت عن بعض قضاة الارياف أنه اذا لم يأته محصول فى بعض الايام سلط على من يراه ذا مال الدعاوى الباطلة ليأتيه المحصول من ذلك فمثل هذا كيف يصح له أن يحق الحق ويبطل الباطل فالسلامة فى هذا الزمان أن لا يتولى الانسان الولايات الا أن تعين عليه ذلك شرعا أو يكون مكرها فى ذلك والحمد لله رب العالمين

﴿ومن أخلاقهم رضى الله تعالى عنهم﴾ كثرة سؤالهم عن أحوال أصحابهم وذلك لاجل أن يواسوهم بما يحتاجون اليه من الطعام والثياب والنقود ووفاء الديون وتحمل الهموم لا مجانا وهذا الخلق صار أهله غرباء فى هذا الزمان فان الناس اليوم على خلاف ذلك وربما يقول أحدهم لصاحبه ايش حالكم فيقول طيب ويكتم أمره لعلمه بفراغ قلب صاحبه منه وان قوله ايش حالكم كلام بحكم العادة من غير ثمرة كما هو مشاهد بل وكثيرا ما يقول المار على أخيه ايش حالكم ولا ينتظر الجواب فلا السائل يتربص حتى ينتظر الجواب ولا المسؤل يكلف نفسه النطق بالجواب ومن هنا كان سيدى على الخواص رحمه الله تعالى يقول ان لم يكن أحدكم عازما على مواساة أخيه أو تحمل همومه أو الدعاء له والا فلا يقولن له ايش حالكم لانه يصير نفاقا وكان حاتم الاصم رحمه الله تعالى يقول اذا قلت لصاحبك كيف أصبحت وقال لك انى محتاج الى شئ فتلاهيت عنه ولم تعطه حاجته فقولك له كيف أصبحت سخرية به وهذا هو الغالب على اخوان هذا الزمان وقد سمعت سيدى عليا الخواص رحمه الله تعالى يقول انما كانوا يسأل بعضهم بعضا عن أحوالهم لينبهوا الغافل على شكر الله تعالى فيشكره فيحصل له ولهم الخير بذلك وفى الحديث ان رجلا قال للنبى صلى الله عليه وسلم كيف أصبحت يا رسول الله فقال صلى الله عليه وسلم أصبحت خيرا من أناس لم يعودوا مريضا ولم يشيعوا جنازة وقد قيل لابى بكر الصديق رضى الله عنه كيف أصبحت فقال أصبحت عبدا ذليلا لرب جليل أصبحت مأمورا بأمره وقيل للحسن البصرى رحمه الله كيف أصبحت فقال أصبحت حنيفا مسلما لا أشرك بالله شيأ وقيل لمالك بن دينار رحمه الله تعالى كيف أصبحت فقال أصبحت لا أدرى أأنقلب الى جنة أو الى نار وقيل للامام الشافعى رضى الله عنه كيف أصبحت فقال أصبحت آكل رزق ربى ولا أقوم بشكره وقد قيل لعيسى عليه الصلاة والسلام كيف أصبحت فقال أصبحت لا أملك نفع ما أرجو ولا أستطيع دفع ما أحاذر وأنا مرتهن بعملى والامر كله بيد غيرى ولا فقير أفقر منى وقيل للربيع بن خيثم رحمه الله تعالى كيف أصبحت فقال أصبحت ضعيفا مذنبا آكل رزق ربى وأعصى أمره وقيل لابى الدرداء رضى الله عنه كيف أصبحت فقال أصبحت بخير ان نجوت من النار وقيل لمالك بن دينار رحمه الله تعالى كيف أصبحت فقال أصبحت فى عمر ينقص وذنوب تزيد وقيل لحامد اللفاف رحمه الله تعالى كيف أصبحت قال سالما معافى فقال له حاتم الاصم يا حامد السلام والعافية انما يكونان بعد مجاوزة الصراط ودخول الجنة فقال حامد صدقت فاعلم ذلك والحمد لله رب العالمين

﴿ومن أخلاقهم رضى الله تعالى عنهم﴾ عدم الغفلة عن محاربة ابليس والتجسس على معرفة مكائده ومصائده وهذا الخلق قد أغفله اليوم غالب الناس فان ابليس كما لم يغفل عنا فينبغى لنا أن لا نغفل عنه فانه

الذكر والوجه الثانى انهم يظنون بأنفسهم الاخلاص وقصد الخير فى الانفاق وعلو الانسة ولو كلف واحد منهم أن ينفق دينارا على مسكين لم تسمح نفسه بذلك لان حب المدح والثناء مستكن فى باطنه (وفرقة أخرى) ربما اكتسبوا المال الحلال

بالمرصاد حريص على وقوع العبد فى سخط الله تعالى وفى الحديث ان ابليس يضع عرشه فى البحر ويرسل سراياه وجنوده فأعظمهم عنده منزلة أعظمهم فتنة للناس اه وكان وهب بن منبه رحمه الله تعالى يقول بلغنا أن ابليس لعنه الله قال يارب أما ترى حب عبادك لك ومع ذلك يعصونك وكثرة بغضهم لى مع كثرة طاعتهم لى فأوحى الله تعالى الى الملائكة انى قد غفرت لهم كثرة عصيانهم لى بحبهم لى وتجاوزت عن كثرة طاعتهم لابليس بكثرة بغضهم له وكان الفضيل بن عياض رحمه الله تعالى يقول انا ابليس اذا ظفر من ابن آدم باحدى ثلاث قال لا أطلب منه غيرها اعجابه بنفسه واستكثاره عمله ونسيانه ذنوبه وفى رواية باحدى أربع وهى زيادة الشبع وهو أعظمها فان الثلاثة تنشأ عنه وكان وهب بن منبه رحمه الله تعالى يقول اياكم أن تعادوا الشيطان فى العلانية وتطيعوه فى السر فان كل من بات عاصيا بات الشيطان لاجله عروسا وقد كان محمد بن واسع رحمه الله تعالى يغلس الى المسجد فتمثل له الشيطان يوما فى صورة انسان يحمل له السراج بين يديه وكانت ليلة باردة مظلمة فأشرفت عليه امرأة من شباك لها فقالت ما أقسى قلب هذا الشاب يكلف هذا الشيخ أن يحمل له السراج فى مثل هذه الليلة فسمعها محمد بن واسع فقال لها دعيه يشقى أشقاه الله تعالى فعرف ابليس انه عرفه فأطفأ السراج وهرب وقد بلغنا أن ابليس لعنه الله دخل على الجنيد رحمه الله تعالى فى صورة انسان وعليه مرقعة وفى عنقه سبحة وفى وسطه منطقة على شكل خدام المشايخ وقال له ياسيدى انى أحببت أن أخدمك لعل أن تنالنى بركتك فمكث يخدمه ويوضيه نحو عشرين سنة فلم يجد له عليه طريقا يدخل اليه منها فى وقت من الاوقات فلما أراد الانصراف قال له أما تعرفنى فقال له الجنيد بلى قد عرفتك فى أول دخولك علىّ وانك أبو مرة ابليس فقال له ابليس ما رأيت أحدا على قدمك يا أبا القاسم فقال له الجنيد اذهب عنى يا ملعون أردت أن لا تفارقنى الا بشئ تتلف به دينى وهو الاعجاب بحالى وقد كان محمد بن واسع رحمه الله تعالى يقول كل يوم بعد الصبح اللهم انك سلطت علينا عدوا لنا بصيرا بعيوبنا مطلعا على عوراتنا يرانا هو وقبيله من حيث لا نراه اللهم فآيسه منا كما آيسته من رحمتك وقنطه منا كما قنطته من عفوك وباعد بيننا وبينه كما باعدت بينه وبين مغفرتك وجنتك انك على كل شئ قدير قال فتمثل له ابليس يوما وقال له يا محمد لا تعلم هذا الدعاء لاحد وأنا لا أعود أتعرض لك بسوء أبدا فقال له محمد والله لا أمنعه من أحد واصنع أنت ما شئت قال وقد تراءى يوما ابليس لعنه الله لعيسى عليه الصلاة والسلام وقال له يا روح الله قل لا اله الا الله فقال عيسى كلمة حق أقولها ولكن لا لقولك لا اله الا الله قال سيدى على الخواص رحمه الله تعالى أراد ابليس بذلك أن يكون عيسى تلميذا له فى كلمة التوحيد فلم يفعل عيسى عليه السلام ومنعته العصمة وكان كعب الاحبار رضى الله عنه يقول ذكر الله تعالى فى جنب الشيطان كالاكلة فى جنب ابن آدم وكان عبد العزيز بن أبى رواد رحمه الله تعالى يقول لقد حججت ستين حجة وعملت أعمالا كثيرة من القربات ومع ذلك فما حاسبت نفسى قط الا وجدت نصيب الشيطان من ذلك أقوى من نصيب ربى عز وجل فليتنى خرجت من الدنيا كفافا لا علىّ ولا لى وكان سفيان الثورى رحمه الله تعالى يقول اياكم وخوف الفقر فانه ليس للشيطان سلاح يقاتل به ابن آدم أشد من خوفه الفقر لانه اذا خاف الفقر أخذ من الباطل ومنع من الحق وتكلم بالهوى وظن بربه سوء الظن فلقى كل سوء وقد كان الامام الشافعى رضى الله عنه يقول من نعم الله علىّ انى ما فرقت من الفقر قط وكان الفضيل بن عياض رحمه الله تعالى يقول ما قطع ظهر ابليس شئ مثل من أحسن عمله قال تعالى ليبلوكم أيكم أحسن عملا ولم يقل أكثر عملا وكان رحمه الله تعالى يقول اذا بلغ العبد أربعين سنة ولم يتب من جميع المعاصى والذنوب مسح الشيطان بيده على جبهته وقال فديت وجها لا يفلح (قلت) ويؤيد ذلك ما رواه الطبرانى مرفوعا من بلغ أربعين سنة ولم يغلب خيره شره فليتبوأ مقعده من النار اه وكان مجاهد رحمه الله تعالى يقول ليس عندى شئ أقطع لظهر ابليس عند النكبة والعثرة مثل قول لا اله الا الله لانك اذا لعنته لم يتأثر لذلك وانما يقول لعنت ملعنا وكان سفيان بن عيينة رحمه الله تعالى يقول ان ابليس له ثلثمائة وستون صكا فيها غروره ومكايده بنى آدم فلا بد كل يوم أن يعرضها على قلوبهم واحدا بعد واحد وكان محمد بن سيرين رحمه الله تعالى يقول ليس لابليس كيد أعظم من رؤية العبد نفسه على اخوانه فانه اذا مات على ذلك مات وربه ساخط عليه لم ينفعه شئ من أعماله وقد كان ميمون بن مهران رحمه الله تعالى

واجتنبوا الحرام وأنفقوه على المساجد وهم أيضا مغرورون من وجهين أحدهما الرياء وطلب السمعة والثناء فانه ربما يكون فى جواره أو بلده فقراء وصرف المال اليهم أهم فان المساجد كثيرة والغرض منها الجامع وحده فيجزئ عن غيره

يقول

يقول من أعظم الاعداء عدو لا تراه حتى تكيده وكان حبيب العجمى رحمه الله يقول لو أقامنى الله عز وجل بين يديه وقال ائتنى بسجدة واحدة لاحظ للنفس أو الشيطان فيها الا دخلك بها الجنة لقلت له يارب لا أجد ذلك اه فتنبه يا أخى لنفسك واياك أن تظن ان ابليس انقطع عنك حين ترى توالى عباداتك بل انظر فيها وابحث كل البحث والحمد لله رب العالمين

﴿ومن أخلاقهم رضى الله تعالى عنهم﴾ مجانبتهم للامور التى فيها رائحة تكبر على الاخوان كعدم حضور جنائز أطفالهم أو خدمهم وأرقائهم وعدم عيادتهم اذا مرضوا وذلك لان الفقراء ما سادوا على الناس فى الدارين الا بالذل وخفض الجناح ثم ان أحدهم اذا حضر الجنازة يكون حزينا نادما على ما فرط فى جنب الله تعالى وفى الحديث كفى بالموت واعظا ولم يكن أحد منهم يذكر شيأ من حديث الدنيا فى طريق الجنازة ولا يتكلم بالمباح فضلا عن المذموم وهذا الخلق قد صار غريبا فى هذا الزمان فى الناس فأكثرهم لا يعتبر بحضور الجنائز وان قدر أنه حضر صار حكو يا بل وربما حكى الحكايات المضحكة عند السرير كما شاهدت ذلك من شيخ بعمامة صوف فالله تعالى يغفر لنا وله وقد كانوا يخرجون للجنائز فى الثياب البذلة لانها شفاعة فى الميت وكلما كان الى الذل أقرب كان الى قبول الشفاعة أقرب كما قالوا فى الخروج للاستسقاء ورفع الوباء فينبغى اجتناب الثياب النفيسة لا سيما ان كانت معطرة فعلم ان كل فقير خرج الى الجنائز وهو لابس محاسن ثيابه بغير نية صالحة فهو بعيد عن أحوال القوم غافل عن تذكر الموت لحديث ومن أراد الآخرة ترك الدنيا وفى الحديث أيضا عودوا المريض واتبعوا الجنائز تذكركم الآخرة يعنى واذا ذكرتم الآخرة زهدتم فى ملاذ الدنيا اه وقد كانوا اذا حضروا جنازة يستغرقون فى التفكر فى ذكر الموت وأحوال الناس فى القبور حتى يظل أحدهم محزونا الايام المتوالية يعرفون ذلك الحزن فى وجهه وقد كان يحيى بن أبى كثير رحمه الله تعالى اذا شيع جنازة يرجعون به فى النعش لا يستطيع المشى ولا الركوب ويمكث الايام لا يقدر أحد أن يكلمه من شدة خوفه وقد كان أهل الزمن الاول يستحبون خفض الصوت عند الجنازة ويزجرون من يرفع صوته ويقولون له ما أنت الا جبارا أما فى رؤيتك للموت موعظة (قلت) وانما سكت العلماء عن رفع الصوت بالذكر والصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم حتى علموا كثرة لغط الناس فى الجنائز فرأوا أن ذكر الله تعالى أولى من حديث الدنيا من باب ظلم دون ظلم والله تعالى أعلم وقد رأى عبد الله بن مسعود رضى الله عنه رجلا يضحك فى جنازة فزجره ثم هجره أياما قال ورأى الحسن البصرى رحمه الله تعالى رجلا يأكل فى المقبرة فزجره وقال له انك منافق وكان الاعمش رحمه الله تعالى يقول كنا نحضر الجنائز فلا ندرى من نعزى من شدة عموم الحزن للقوم وبكائهم وقد كان حاتم الاصم رحمه الله تعالى يقول مداوات القلب بحضور الجنائز فريضة وكان ابراهيم الزيات رحمه الله تعالى اذا رأى أحدا يبكى فى الجنازة يقول له ابك على نفسك يا أخى وترحم عليها فان هذا الميت قد نجا من ثلاث رأى ملك الموت عليه السلام وذاق حرارة الموت وأمن من سوء الخاتمة بخلافك أنت اه وسيأتى أيضا زيادة على ذلك والحمد لله رب العالمين

﴿ومن أخلاقهم رضى الله تعالى عنهم﴾ تنزيل الناس منازلهم فى الايمان والنفاق فللمنافق عندهم مقام دون مقام المؤمن السالم من النفاق فان قيل فبم يعرف المنافق فالجواب أنه معروف بالعلامات التى أخبر بها رسول الله صلى الله عليه وسلم نحو قوله علامة المنافق ثلاث اذا حدث كذب واذا وعد أخلف واذا ائتمن خان وفى رواية أربع فزاد واذا خاصم فجر ونحو قوله صلى الله عليه وسلم ان للمنافقين علامات فادعوهم بها الا يأتون المساجد الا هجرا ولا يشهدون الصلاة الا دبرا ولا يألفون ولا يؤلفون مستكبرين جيفة بالليل بطالون بالنهار ونحو ذلك من الاحاديث الواردة اه وكان الاوزاعى رحمه الله تعالى يقول علامة المنافق أن يكون كثير الكلام قليل العمل وكان الفضيل بن عياض رحمه الله يقول من علامة المنافق أن يحب المدح بما ليس فيه ويكره الذم بما فيه ويبغض من يبصره بعيوبه ويفرح اذا سمع بعيب أحد من أقرانه وكان يونس بن عبيد رحمه الله تعالى يقول من أراد أن ينظر الى رجل منافق فلينظر الىّ فقيل له وكيف ذلك قال لانى كثيرا ما أعد المائة خصلة من خصال الخير فلا أجد واحدة منهن فىّ وأعد خصال السوء فأجدها كلها فىّ فيا ويحى من فضيحة

وليس الغرض بناء مسجد فى كل سكة وفى كل درب والمساكين والفقراء محتاجون وانما خف عليهم دفع المال فى بناء المساجد لظهور ذلك بين الناس ولما يسمع من الثناء عليه من عند الخلق فيظن أنه

يوم القيامة وكان سفيان الثورى رحمه الله تعالى يقول اذا ذكر الصالحون كانوا عنهم بمعزل واذا ذكر الطالحون كنا فى جوف المنزل وكان مالك بن دينار رحمه الله تعالى يقول من علامة المنافق أن يخبأ رزق غدو يزاحم غيره على الدنيا و يحب أن ينفرد بالصيت وفى رواية من علامة المنافق أن يحسد الناس و يكون فى قلبه الحقد والضغائن لمن أذاه أو زاد عليه فى الجاه اه فانظر يا أخى فى نفسك وفتشها ونقها من النفاق والحمد لله رب العالمين

﴿ومن أخلاقهم رضى الله تعالى عنهم﴾ اجتناب الشبع الموجب لقساوة القلب وذلك حتى يخشعوا فى صلاتهم فان من شبع وطلب الخشوع فى صلاته فقد أخطأ الطريق وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يطوى الايام والليالى ويشد على بطنه الشريف الحجر من الجوع وكان صلى الله عليه وسلم اذا صلى يسمع لجوفه أزيز فى الصلاة كأزيز المرجل على النار كما ورد وكان ابن عباس رضى الله عنهما يقول ركعتان مع تفكر وتدبر خير من قيام ليلة كاملة والقلب ساه عن ربه عز وجل (قلت) ومراده رضى الله عنه بالتفكر هنا تفكر العبد فى الآداب المتعلقة بالصلاة وبحضرة الله عز وجل وليس مراده التفكر فى استنباط الاحكام كما يتوهم فان الصلاة ليست بمحل لذلك ولذلك صرح بعض العلماء رضى الله عنهم بكراهته وكان ابن مسعود رضى الله عنه اذا قام الى الصلاة كأنه ثوب ملقى وكان اذا سمع أهله يقولون لا تتكلموا فان عبد الله يصلى يقول لهم تحدثوا ما شئتم فانى لست أسمع حديثكم وأنا فى الصلاة وكان الحكم بن عيينة رحمه الله يقول من تلفت عن يمينه وعن شماله فلا صلاة له وقد كان ابراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام اذا قام الى الصلاة يسمع وجيب قلبه من ميلين وقد كان سلمان الفارسى رضى الله عنه يقول من لم يحضر فى صلاته فهو من المطففين وقد علمتم ما قال الله فيهم فان الصلاة مكيال من وفى وفى له وقد بلغنا أن يعقوب القارئ رحمه الله سرق رداؤه من على كتفه وهو فى الصلاة فأخذه الناس من اللص وزجروه وطردوه ثم وضعوا الرداء على عنق يعقوب كل ذلك وهو لا يشعر (قلت) وكذلك وقع فى عصرنا للسيدى محمد بن عنان رحمه الله تعالى وهو يصلى فى جامع الغمرانهم سرقوا رداءه من على عنقه وأخذ من اللص وضرب وطرد ووقعت ضجة عظيمة كل ذلك وهو لا يشعر وهو آخر من أدركناهم من أهل الخشوع رضى الله عنه وكان سعيد التنوخى رحمه الله تعالى اذا وقف يصلى سالت دموعه كالمطر وقد دخل عود فى عين رابعة العدوية رحمة الله عليها وهى تصلى فما شعرت به حتى سلمت من الصلاة فقالت انظروا هذه الخشونة التى فى عينى فانتزعوا العود من عينها الا بمشقة من شدة ما ارتشق وكان مجاهد رحمه الله تعالى يقول لقد أدركنا العلماء وأحدهم كان اذا قام الى الصلاة هاب الرحمن حتى لا يقدر يشد بصره الى شئ أو يحدث نفسه بشئ من أمور الدنيا وقد انهدم الجامع مرة ومسلم بن يسار رحمه الله يصلى فيه فخرج كل من فى المسجد الى السوق ووقعت ضجة كبيرة ومسلم لم يشعر وقد كان الذباب لم يزل يأكل فى عين خلف بن أيوب رحمه الله تعالى وهو يصلى فلا يطرده عن نفسه فقيل له يوما فى ذلك فقال بلغنى أن الفساق يتصبرون تحت سياط الحاكم اذا ضربوا ليقال فلان صبور ويفتخرون بذلك وأنا قائم بين يدى رب العزة سبحانه فكيف أتحرك لذباب وكان سميط بن عجلان رحمه الله تعالى يقول كيف يدعى أحدكم الحضور مع الله تعالى فى صلاته وهو يحس بقرصة البرغوث اذا قرصه والله لقد طعن أحدهم بالسنان وما درى حتى ساخت نفسه من خروج الدم ووقع على الارض وقد كان أمير المؤمنين على رضى الله عنه اذا حضر وقت الصلاة يصير يتغير ويتلون ويرتعد فاذا قيل له فى ذلك يقول أما تعلمون أنه وقت أمانة عرضها الله تعالى على السموات والارض والجبال فأبين أن يحملنها وقد حملتها أنا فلا أدرى هل أحسنت ما حملت أم لا وكان الحسن البصرى رحمه الله تعالى يقول لا تصلوا خلف محب الدنيا وقد كان السلف اذا بلغهم أن أحدا تلفت فى صلاته يذهبون اليه ولو فى داره ويسألونه عن سبب ذلك لما كان عندهم رضى الله عنهم من معرفة عظمة الله تعالى وقد صلى عمر بن عبد العزيز رحمه الله تعالى خلف امام مرة فسمعه يلحن فقال له لولا فضل الجماعة ما صليت خلفك لم لا تقرأ العربية على العلماء وكان الفضل بن عباس رضى الله عنهما يقول عجبت من هؤلاء الناس أراهم اذا مات لى ولد يعزينى فيه أكثر من ألف انسان وتفوتنى صلاة الجماعة فلا يعزينى فى ذلك أحد ووالله ان فوات صلاة الجماعة عندى أعظم من موت ولدى البالغ العاقل العالم الصالح وكان محمد بن واسع رحمه الله يقول لأصحابه انى أشتهى من الدنيا

يعمل لله وهو يعمل لغير الله ونيته اعلم بذلك وانما نيته عليه غضب وقال انما قصدت الله عز وجل والثانى أنه يصرف ذلك فى زخرفة المساجد وتزيينها بالنقوش المنهى عنها الشاغلة قلوب المصلين

شيئين الاول أخا صالحا فى الله تعالى يقومنى اذا تعوجت والثانى أن لا تفوتنى صلاة الجماعة أبدا ما عشت وكان شقيق البلخى رحمه الله تعالى يقول لاصحابه اعلموا أن الشيطان لعنه الله تعالى لا يغيظه من ابن آدم الا شيآن الاول عدم الاكتراث بوسوسته والثانى عدم التفكر فى ذات الله سبحانه وتعالى اه فانظر يا أخى فى نفسك وتأمل حالك هل خشعت فى صلاتك كما خشع هؤلاء القوم رضى الله عنهم فى وقت من الاوقات أم أنت بالضد من ذلك وأكثر من الاستغفار ليلا ونهارا والحمد لله رب العالمين

﴿الباب الثالث فى جملة أخرى من الاخلاق﴾

﴿فمن أخلاقهم رضى الله تعالى عنهم﴾ شدة خوفهم من سوء الخاتمة والعياذ بالله تعالى ولو كان أحدهم على عبادة الثقلين وذلك لان الله تعالى يفعل ما يشاء وليس مع أحد من الخلق علم بخاتمته على وجه الجزم انما غاية أمر أحدهم حسن الظن بربه عز وجل فى الحالة الراهنة فقط وليس معه علم بدوام الشهادتين معه حتى تطلع روحه عليها وقد ورد فى الحديث أن أحدكم ليعمل بعمل أهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها الا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل النار فيدخلها وكان حبيب العجمى رحمه الله تعالى يقول أن من ختم له بقول لا اله الا الله دخل الجنة ثم يبكى و يقول من لى بأن يختم لى بقول لا اله الا الله وكان الربيع بن خيثم رحمه الله تعالى يقول دخلنا على رجل بالاهواز وهو فى النزع فكنا نقول له قل لا اله الا الله فيقول ده يازده مشترى طيب قطعة مليحة أى لان ذلك كان الغالب عليه فى حال الصحة وكان الحسن البصرى رحمه الله تعالى يقول بلغنا أن رجلا يخرج من النار بعد ألف سنة ثم يقول ليتنى كنت ذلك الرجل لانه مقطوع له بالخروج من النار اه فاياك يا أخى من أن تسامح نفسك فى الاشتغال بأمور الدنيا الا بقدر الضرورة الشرعية فربما أتاك الموت على غفلة فتخسر الدارين والعياذ بالله تعالى فاعلم ذلك يا أخى وتأمله والله يتولى هداك

﴿ومن أخلاقهم رضى الله تعالى عنهم﴾ عدم مبادرتهم بالدعاء بالشفاء اذا دخلوا على مريض بل كان أحدهم يتربص حتى يعلم سبب مرض هذا المريض وانتهاءه ثم يدعو بعد ذلك فان المرض ربما كان رفع درجات فلا ينبغى الدعاء برفعه وكذلك القول فيه اذا كان عقوبة فالاولى أن يصبر العابد حتى تبلغ العقوبة حدها أدبا مع الله تعالى وان كان أحدهم له حال مع الله تعالى فله أن يسأل الشفاء من باب الفضل والمنة فاعلم ذلك يا أخى والحمد لله رب العالمين

﴿ومن أخلاقهم رضى الله تعالى عنهم﴾ محبتهم فى سكنى البيوت الملاصقة للمسجد ليسهل عليهم الجلوس فى المسجد فى أغلب أوقاتهم اذا عملوا بآداب المساجد وذلك لما ورد مرفوعا المساجد بيوت المتقين ومن كانت المساجد بيته ضمن الله له الروح والراحة والجواز على الصراط وكان أبو صادق الازدى رحمه الله تعالى يقول الزموا الجلوس فى المساجد فانه بلغنى أنها كانت مجالس الانبياء عليهم الصلاة والسلام وكان حكم بن عمير رضى الله عنه يقول اتخذوا المساجد بيوتا وكان أبو ادريس الخولانى رحمه الله تعالى يقول المساجد بيوت الكرام على الله تعالى من الناس ومحل جلوسهم فقد ورد المسجد بيت كل تقى وقد كان عيسى عليه الصلاة والسلام ينهى من لم يعرف أدب المساجد أن يكثر الجلوس فيها وقد رأى عليه السلام مرة قوما يلغون فى المسجد فلف رداءه وضربهم به وأخرجهم منه وقال اتخذتم بيوت الله أسواقا للدنيا وانما هى أسواق الآخرة وقد كان المسجد بيت عطاء بن أبى رباح رحمه الله تعالى مدة أربعين سنة وكان مالك بن دينار رحمه الله تعالى يقول لولا البول ما خرجت من المسجد فى ليل ولا نهار فقد بلغنى أن الله عز وجل يقول انى لأهم بعذاب عبادى فأنظر الى عمار المساجد وقراء القرآن وولدان الاسلام فيسكن غضبى وكان خلف بن أيوب رحمه الله تعالى يوما جالسا فى المسجد فأتاه غلامه فسأله عن شئ من حوائج الدنيا فقام حتى خرج من المسجد وأجابه ثم رجع وقال كرهت أن أتكلم بكلام الدنيا فى المسجد وقد كان أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه اذا سمع صوتا عاليا فى المسجد يضرب صاحبه بالدرة و يقول له تدرى أين أنت فان من جلس فى المسجد فانما يجالس ربه عز وجل وقد سئل سعيد بن المسيب رحمه الله تعالى أيما أحب اليك حضور الصلاة على الجنازة أم الجلوس فى المسجد فقال الجلوس فى المسجد أحب الى لان الملائكة عليهم الصلاة والسلام تستغفر لى ما دمت فى المسجد

لانهم ينظرون اليها فتشغلهم عن الخشوع فى الصلاة وعن حضور القلب وهو المقصود من الصلاة فكل ما طرأ فى صلاتهم وفى غير صلاتهم فهو فى ميزان الذى بناه اذ لا يحل تزيين المسجد بوجه

وذلك أفضل من حصول القيراط أو القيراطين أو الثلاث من الاجر الذى ورد لمن صلى على جنازة وكان الفضيل بن عياض رحمه الله تعالى يقول لقد أدركنا الناس وهم لا يكلم بعضهم بعضا ماداموا جالسين فى المسجد فى شئ من أمور الدنيا اه فتأمل يا أخى ماذكرته لك ولا تتكلم مادمت فى المسجد الا بنية صالحة تسلم وتغنم والحمد لله رب العالمين

﴿ومن أخلاقهم رضى الله تعالى عنهم﴾ معاتبة من انقطع عن زيارتهم من اخوانهم من حيث حرمانه من الثواب العائد نفعه عليه لا من حيث الخلل بحقوقهم كما قد يتوهم ذلك بقطع النظر عن عود فائدة ذلك عليهم وذلك حتى يكون أحدهم ممن سعى فى مصالح اخوانه لا فى مصالح نفسه فقط وهذا خلق ما رأيت له فاعلا من أقرانى الا القليل جدا والحمد لله رب العالمين

﴿ومن أخلاقهم رضى الله تعالى عنهم﴾ اجتناب الجلوس فى السوق لبيع أو شراء الا بعد معرفة أحكام الشرع فى المعاملات وغلبة ظنهم أن أحدهم لا يشتغل بذلك عن أعمال آخرته لان كل ما يشغل عن الله فهو مشوم على صاحبه فى الدنيا والآخرة وقد ورد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذا دخل السوق قال اللهم انى أسألك من خير هذه السوق وأعوذ بك من الكفر والفسوق وكان أبو الدرداء رضى الله عنه يقول اياكم ومجالسة السوقة فانها تلهى وتلغى وقد كان سفيان الثورى رحمه الله تعالى يقول لا تنظروا الى ظاهر ثياب التجار والسوقة فان تحتها ذئابا كاسرة وكان مالك بن دينار رحمه الله تعالى يقول السوق مكثرة للمال مفسدة للدين وقد كان سفيان الثورى رحمه الله تعالى يقول اياكم ومجالسة الاغنياء وقراء الامراء والسوقة وكان ابن السماك رحمه الله اذا دخل الى السوق يقول يا أهل السوق سوقكم كاسد وخياركم حاسد وبيعكم فاسد فاستيقظوا لانفسكم وكان حماد بن زيد رحمه الله تعالى يقول ما افتقر تاجر قط الا بوقوعه فى شئ من هذه الخصال وهى اللغو والكذب والحلف والغل والخيانة والحسد وتفويت صلاة الجماعة ومجالس العلم واتباع الشهوات الدنيوية وقد كان الامام مالك رضى الله عنه يأمر الأمراء فيجمعون التجار والسوقة ويعرضونهم عليه فاذا وجد أحدا منهم لا يفقه أحكام المعاملات ولا يعرف الحلال من الحرام أقامه من السوق وقال له تعلم أحكام البيع والشراء ثم اجلس فى السوق فان من لم يكن فقيها أكل الربا شاء أم أبى وكان قتادة رحمه الله يقول عجبا للتاجر كيف يسلم وهو بالنهار يحلف وبالليل يحسب وكان الحسن البصرى رحمه الله تعالى يقول نعم التاجر الذى تكون الدنيا عليه ساخطة والآخرة عنه راضية فقد بلغنى أن ابليس لعنه الله قال يا رب أين أجعل بيتى قال الحمام قال فما مصائدى قال النساء قال فما مزاميرى قال الشعر قال فأين أجعل مجلسى قال الاسواق اه فانظر يا أخى فى ذلك ولا تمدح تاجرا حتى تراه يسلم من الآفات والشبهات والحمد لله رب العالمين

﴿ومن أخلاقهم رضى الله تعالى عنهم﴾ كثرة الحلم على من جنى عليهم وكظم الغيظ عملا بأخلاق رسول الله صلى الله عليه وسلم فانه كان لا يغضب لنفسه وانما يغضب اذا انتهكت حرمات الله عز وجل كما يأتى وقد كان أمير المؤمنين على رضى الله عنه يقول أول مجازاة من حلم على من جنى عليه أن يصير الناس كلهم أنصاره وقد قال ابليس لعنه الله ليحيى عليه الصلاة والسلام أعظم مصائدى الغضب فبه أسرت الناس وعوقتهم عن طريق الجنة وكان الفضيل بن عياض رحمه الله تعالى اذا قيل له ان فلانا يقع فى عرضك يقول والله لاغيظن من أمره يعنى ابليس ثم يقول اللهم ان كان صادقا فاغفر لى وان كان كاذبا فاغفر له وقد قال رجل لابى هريرة رضى الله عنه أنت أبو هريرة قال نعم فقال أنت سارق الهرة فقال أبو هريرة اللهم اغفر لى ولاخى هذا ثم قال هكذا أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن نستغفر لمن ظلمنا وقال رجل لابى ذر رضى الله عنه أنت الذى نفاك معاوية الى الشام لو كان فيك خير ما نفاك فقال أبو ذر يا أخى ان بين يدى عقبة سوداء فلو نجوت منها لم يضرنى ما قلت فى وان لم أنج منها فأنا شر مما قلت وقد قالت امرأة لمالك بن دينار رحمه الله تعالى يا مرائى فقال لها يا هذه قد عرفت لقبى الذى أضله أهل البصرة ولم يعرفوه وقد كان عيسى عليه الصلاة والسلام يقول من احتمل كلمة سفه كتب له عشر حسنات وقد كان على رضى الله عنه يقول اذا سمعت كلمة سفه فاعرض ولا تجب عنها فان لها عند قائلها أخوات يجيبك بها وكان محمد بن كعب القرظى رحمه الله تعالى يقول لا تغضبوا على كسر أوانيكم

قال الحسين رضى الله عنه لما أراد رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يبنى مسجده بالمدينة أتاه جبريل وقال ابنه سبعة أذرع طولا فى السماء فلا تزخرفه ولا تنقشه فهؤلاء رأوا المنكر معروفا واتكلوا

فان لها آجالا كآجالكم وقد كان مالك بن دينار رحمه الله تعالى يقول ليس بحليم من نفذ غضبه فى حمار أو هرة وكان يقول أشد ما على السفيه الاعراض عن جوابه واظهار عدم التأثر له وكان الحسين بن على رضى الله عنهما اذا شتمه أحد يقول له يا أخى ان كان قولك صدقا فسيجازيك الله بصدقك وان كان كذبا فالله أشد نقمة منى لك وقد لطمه انسان مرة على وجهه رضى الله عنه فلم يتغير بل قال من قدر هذا فقيل له الله تعالى قدره فقال أفترون انى أرد قضاء الله وكان ابن المقنع رحمه الله تعالى يقول كظم الغيظ أولى من ذل الاعتذار وقيل له مرة ما الفرق بين الحزن والغضب فقال الحزن يكون من مخالفة من هو فوقك لهواك والغضب يكون من مخالفة من هو دونك لهواك وقد كان أبو معاوية الاسود رحمه الله يدعو لمن نال منه قال وشتم رجل بكر بن عبد الله المزنى رحمه الله وبالغ فى شتمه وهو ساكت فقيل له ألا تشتمه كما شتمك فقال انى لا أعرف له شيأ من المساوى حتى أشتمه به ولا يحل لى أن أرميه بالكذب وكان الاعمش رحمه الله تعالى يقول قالت الاذن لولا خوفى ان أنصر وأنجع بالجواب لطالت كما طال اللسان وقال رجل لثور بن يزيد رحمه الله يا قدرى يا رافضى فقال له ان كنت كما قلت لى فأنا رجل سوء وان كنت على خلاف ذلك فأنت فى حل منى وقد كان مكحول الدمشقى رحمه الله تعالى يقول لا يبين حلم الرجل الا تسليط الجاهلين عليه وقد قال رجل مرة لسالم بن عبد الله بن عمر رضى الله عنهم يا شيخ السوء فقال له سالم ما أراك أبعدت يا أخى وروى أن لقمان عليه السلام قال لابنه يا بنى ان أردت أن تواخى أحدا فاغضبه فان أنصفك وهو مغضب فواخه والا فاحذره وقد سئل السرى السقطى رحمه الله تعالى مرة عن الحلم ما هو فقال للسائل أى حلم تريد فان الحلم على خمسة أقسام الاول حلم غريزى وهو هبة من الله تعالى للعبد به يعفو عمن ظلمه ويعطى من حرمه ويصل به رحمه وان قطعت الثانى حلم تحالم وهو أن يكظم العبد غيظه رجاء الثواب وفى القلب كراهة الثالث حلم مذموم وهو حلم العبد على من جنى عليه رياء وسمعة يعنى يرائى به جلساءه وهو حاقد ساكت الرابع حلم كبر وهو أن الشخص لا يراه أهلا بأن يجاوبه الخامس حلم مهانة ومذلة اه فاعلم ذلك فانه نفيس والحمد لله رب العالمين

﴿ومن أخلاقهم رضى الله تعالى عنهم﴾ الاتعاظ بما يرونه لبعضهم فى المنام أو يرى لهم وعدم قولهم هذا أضغاث أحلام كما عليه بعض المتصوفة من أهل هذا الزمان فلا يلتفتون لمثل ذلك وربما يقول بعضهم ان المنام انما هو للرائى لا للمرئى لعوذ لك من الجهل فان الرؤيا وحى المؤمن يأتيه بها ملك الالهام فى المنام ليعرفه بما جهل من حاله فى اليقظة وقد بينت فى غير هذا الكتاب عملى بذلك من حيث التجربة فينبهنى الله تعالى بذلك على صورة ما وقعت فيه من النقائص من حيث لا أشعر اما ما أشعر به فلا أحتاج فيه الى منام بل أكتفى فيه بنهى الشارع صلى الله عليه وسلم وما توعدنى على ذلك النقص من العقوبة وقد كان مالك بن دينار رحمه الله تعالى يقول رأيت مسلم بن يسار رحمه الله تعالى فى المنام بعد موته فقلت ما فعل الله بك فقال لى والله لقد رأيت أهوالا وزلازل شدادا وكان ابراهيم التيمى رحمه الله تعالى يقول رأيت موسى بن مهران فى المنام بعد موته رحمه الله تعالى فقلت له ما فعل الله بك فقال انى أحاسب منذ مت على أكلى من طعام الامراء وقال بعضهم رأيت الحسن بن ذكوان فى المنام بعد موته بسنة رحمه الله تعالى فقلت له ما فعل الله بك فقال أنا محبوس من جهة ابرة استعرتها ولم أردها فقلت له يا أخى أى القبور أكثر اضاءة قال قبور أهل المصائب فى الدنيا وكان عبد الله بن المبارك رحمه الله تعالى يقول ربما يرى بعضهم الرؤيا السوء للرجل الصالح ليزداد بها نشاطا وربما يرى بعضهم الرؤيا الصالحة للرجل السوء ليزداد بها استدراجا كما قال بعضهم للربيع بن خيثم رحمه الله تعالى انى رأيتك فى المنام كأنك من أهل النار قال فكان الربيع بعدها لا ينام الليل مطلقا ويقول خوف النار قد منعنى النوم وقال رجل للعلاء بن زياد رحمه الله تعالى انى قد رأيتك البارحة وأنت تخطر فى الجنة فقال له أما وجد ابليس أحدا يسخر به غيرى ولا أحدا أحقر فى عينه منك حتى يجعلك رسوله وكان فرقد السبخى رحمه الله تعالى يقول خطر فى نفسى مرة أنى قد صرت من الصابرين فرأيت تلك الليلة قائلا يقول لى لا تكن من الصابرين حتى تستقل أعمالك فى عينك وتخاف عليها من الرد والفساد وقال حوشب لمالك بن دينار رحمهما الله تعالى رأيت كأن قائلا من جهة السماء يقول يا أهل الارض الرحيل الرحيل فما رأيت أحدا

عليه فهم مغرورون فى ذلك (وفرقة أخرى) ينفقون الاموال فى الصدقات على الفقراء والمساكين ويطلبون به المحافل الجامعة ومن الفقراء من عادته الشكر وافشاء المعروف فيكرهون

رجل الا محمد بن واسع قال نفرمالك مغشيا عليه وقال فرقد السبخى رحمه الله تعالى سمعت مناديا ينادى من جهة السماء ويقول يا أشباه اليهود ان أعطيتم لم تشكروا وان ابتليتم لم تصبروا ومع ذلك تزعمون أنكم من الصالحين فكونوا على حذر من سطوات ربكم وقد رأى بعض أصحاب عمر بن عبد العزيز رحمه الله تعالى أن القيامة قد قامت ونادى المنادى أين فلان بن فلان فصار الناس يحاسبون ثم يذهب بهم الى النار ثم نادى المنادى أين عمر بن عبد العزيز فأتى به فحوسب ثم نجا وأمر به الى الجنة قال فلما قص الرائى هذه الرؤيا على عمر ووصل الى قوله أين عمر خر عمر مغشيا عليه فصار الرجل يناديه فى أذنه ويقول رأيتك والله قد نجوت وعمر لا يعى ما يقول اه ففتش يا أخى نفسك فأنت أعرف بها من غيرك ولا تركن الى قول بعضهم لك رأيتك البارحة فى الجنة مثلا الا بعد عرض أفعالك وأقوالك وعقائدك على الكتاب والسنة فاعلم ذلك يا أخى ولا تكن مغرورا والحمد لله رب العالمين

﴿ومن أخلاقهم رضى الله تعالى عنهم﴾ أن لا يبادروا بالدعاء لمن سألهم أن يدعوا له الا أن علم أحدهم أن الله تعالى راض عنه وذلك بعرض أعماله على الكتاب والسنة فان رأى فيها مخالفة فمن الادب أن يسأل الله تعالى العفو عن نفسه ثم بعد ذلك يدعو لمن يشاء وهذا الخلق قد أغفله غالب الفقراء اليوم وقد كان سفيان الثورى رحمه الله تعالى يقول الدعاء حقيقة هو ترك الذنوب فمن تركها فعل الله تعالى به ما يختار من غير سؤال وكان وهب بن منبه رحمه الله يقول رأيت فى بعض الكتب الالهية يقول الله عز وجل كيف تدعونى وقلوبكم معرضة عنى وقد أوحى الله تعالى الى عيسى عليه الصلاة والسلام أن قل لبنى اسرائيل لا يدخلوا بيتا من بيوتى الا بقلوب طاهرة ونفوس وجلة وأبصار خاشعة وجوارح مطهرة من الفواحش فمن دخل بيتى وهو متلطخ بشئ من الذنوب لعنته واعلمهم أنى لا أجيب لاحد منهم دعوة ولا لاحد من الخلق عليه مظلمة أو فى بطنه لقمة من حرام وكان ابراهيم النخعى رحمه الله تعالى يقول دعاء الرجل فى خلوته أفضل من دعائه فى مجالس القصاص وقال رجل لزياد بن ظبيان رحمه الله تعالى كثر الله فى المسلمين من أمثالك فقال له لقد سألت الله شططا وسألت للناس أن يكونوا من أهل الشر وقال رجل لعمر بن عبد العزيز أطال الله بقاءك فقال هذا أمر قد فرغ منه ادع لى بصلاح الحال (قلت) فينبغى للداعى لاخيه بطول البقاء أن ينوى فى نفسه ان كان ذلك خيرا له نظير ما روى فيمن خاف الفتنة والا فقد يكون طول البقاء شرا له لما يقع فيه من المعاصى والمخالفات ونحو ذلك والله أعلم وقال رجل لعامر بن قيس رحمه الله تعالى ادع الله لى فقال والله انى لاستحى منه عز وجل أن أسأله شيأ يسرنى فكيف أسأل لغيرى ويحك انها شفاعة ولا تكون الا من المقربين (قلت) وبالجملة فكل شيخ تصدر فى هذا الزمان فينبغى له أن لا يبادر بالشفاعة فى غيره الا ان علم أن الله تعالى عفا عنه وأن لا يكون فى بطنه لقمة من شبهة فان دعا لاحد وليس هو بسالم من ذلك فليسأل وهو فى غاية الحياء والخجل من الله تعالى والحمد لله رب العالمين

﴿ومن أخلاقهم رضى الله تعالى عنهم﴾ زيادة الخوف من الله تعالى كلما أحسن اليهم وقربهم الى حضرته كما عليه أهل مجالسة الملوك ولله المثل الاعلى وقد كان الحسن البصرى رحمه الله تعالى يقول لقد أدركنا الناس وأحدهم كلما ازداد نعمة من الله وقربا كلما ازداد خوفا وكان سفيان الثورى رحمه الله تعالى يقول يكفى العامة من الخوف أن ينتهوا عما نهاهم الله تعالى عنه ثم يقول باليقين كنت منهم وكان حماد بن زيد رحمه الله تعالى لا يجلس دائما الا مستوفزا على قدميه فاذا قيل له فى ذلك يقول انما يجلس مطمئنا من أمن من عذاب الله عز وجل وأنا والله غير آمن فى ليل أو نهار من أن تنزل على نار من السماء تحرقنى وكان عمر بن عبد العزيز رحمه الله تعالى يقول لقد رحم الله تعالى الخلق بالغفلة فى بعض الاوقات ولولا ذلك لماتوا كلهم من خشية الله تعالى وكان عطاء السلمى رحمه الله تعالى اذا ثارت ريح يصير يقوم ويقعد ويخرج ويدخل ويأخذ بجلدة بطنه كأنه امرأة أخذها الطلق وكان أبو سليمان الدارانى رحمه الله تعالى يقول اذا غلب الرجاء على الخوف فسد القلب كما عليه الحمقى من أمثالنا وقد كان الشعبى رحمه الله تعالى يقول خف من الله تعالى حتى يأتيك الامن فانه أحب اليك من رجائك فيه حتى يأتيك الخوف وكان أبو سليمان الدارانى رحمه الله تعالى يقول والله انى لاخاف أن أكون أول من يسحب على وجهه يوم القيامة الى النار وقد غلب الخوف على سفيان

التصدق فى السر ويرون اخفاء الفقير لما يأخذه منهم خيانة عليهم وكفرانا للمعروف وربما تركوا جيرانهم جائعين ولذلك قال ابن عباس رضى الله عنهما فى آخر الزمان يكثر الحاج بلا سبب يهوى لهم

الثورى رحمه الله تعالى حتى صار يبول الدم فأتوه بطبيب يهودى فلما جس بطنه قال ما أظن فى الحنيفية مثل هذا وصار اليهودى يبكى ويقول ان هذا الرجل قد قطع الخوف من الله تعالى كبده وليس لى فيه حيلة وكان عطاء السلمى رحمه الله تعالى يقول لو أوقدت نار وقيل كل من ألقى نفسه فيها صار لا شئ ولم يدخل النار الكبرى لالقيت نفسى فيها وكان أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه يقول لو أوقفونى بين الجنة والنار وخيرونى بين أن أصير رمادا أو بين أن أصبر حتى أعرف أين مصيرى لاخترت أن أكون رمادا وكان مالك بن دينار رحمه الله تعالى يقول أشتهى أن يوقفنى ربى عز وجل بين يديه ويقول رضيت عنك يا مالك ثم أصير ترابا بعد ذلك وكان على بن بكار رحمه الله تعالى يقول مكث عطاء السلمى رحمه الله تعالى على فراشه مزمنا من شدة الخوف أربعين سنة يعاد فبلغ ذلك بعض العباد فقال وأى شئ الاربعون سنة والله لو عبد الله تعالى عدد شعر رأسه آلافا من السنين لكان ذلك قليلا فى جنب سيئة واحدة يفعلها العبد وقد كانت فاطمة بنت عبد الملك رحمها الله تقول ما رأيت أخوف لله تعالى من عمر بن عبد العزيز كان رحمه الله تعالى اذا جلس مجلس الرجل من امرأته ارتعد من الهيبة وانتفض كالطير المذبوح ثم لما ولى الخلافة جمعنا وجمع جواريه وقال قد جاءنى أمر شغلنى عنكن فما أتفرغ لكن حتى أفرغ من الحساب يوم القيامة فمن شاء أن يقيم عندى ولا يطالبنى فليفعل ومن شاء الفراق فليفارق ثم ترك القرب من عياله حتى مات وقد كان عطاء السلمى رحمه الله تعالى عامة ليله يمس جلده بيده مخافة أن يكون قد مسخ وكذلك كان السرى السقطى وبشر الحافى رحمهما الله تعالى وكان اسحق بن خلف رحمه الله تعالى يقول ليس الخائف الذى يبكى ويمسح عينيه وهو مرتكب للمعاصى انما الخائف الذى ترك الذنوب خوفا من ربه وكان السرى السقطى رحمه الله تعالى يقول ليس الخائف الذى تأخذه رقة عند تلاوة القرآن مثلا انما الخائف الذى ترك طعامه وشرابه وطلق النوم حتى يعرف أين ينتهى حاله وكان أبو سليمان الدارانى رحمه الله تعالى يقول لم يقدر على بن الفضيل رحمه الله تعالى على سماع قراءة سورة القارعة حتى مات وقد سمعها مرة على غفلة فمكث ثلاثة أيام بلياليها لم يع شيأ وكان عبد الله بن المبارك رحمه الله تعالى كثيرا ما ينشد قول الشاعر

اذا ما الليل أظلم كابدوه * فيسفر عنهم وهم ركوع
أطار الخوف نومهم فقاموا * وأهل الامن فى الدنيا هجوع

اه فاعلم ذلك واتبع سلفك يا أخى تسلم والحمد لله رب العالمين

﴿ومن أخلاقهم رضى الله تعالى عنهم﴾ كثرة الحزن على ما فرطوا فى جنب الله ولو كانوا على عبادة الثقلين لا يرون أنهم قاموا بواجب حق الربوبية الذى عليهم ولا فرق فى ذلك بين العارف والمبتدى خلاف ما عليه بعض المتصوفة فى هذا الزمان من قولهم انما يكون الخوف للمبتدى وأما العارف فلا حزن عليه ولا خوف وهذا من زيادة الجهل فان الاكابر قد درجوا كلهم على توالى الحزن الى أن ماتوا ولكن يحمل قول من قال من الاكابر ان العارف لا حزن عليه أى على فوات أمور الدنيا وأما الآخرة فترك حزنهم على فواتها مذموم فقد ورد فى الحديث أن الله تعالى يحب كل قلب حزين يعنى على فوات حظه من الله تعالى فى الآخرة وكان موسى بن سعيد رحمه الله تعالى يقول لقاح العمل الصالح الحزن وكان مالك بن دينار رحمه الله تعالى يقول ان القلب اذا لم يكن فيه حزن خرب كما أن البيت اذا لم يكن فيه ساكن خرب وكان الحسن البصرى رحمه الله تعالى يقول والله ما يسع المؤمن فى الدنيا الا الحزن وكان داود الطائى رحمه الله تعالى يقول كيف لا يحزن فى الدنيا من تتجدد عليه المصائب فى كل ساعة يعنى الذنوب ولما مات الفضيل بن عياض رحمه الله تعالى قال وكيع رحمه الله قد ارتفع الحزن البالغ اليوم من الارض وكان عبد الواحد بن زيد رحمه الله تعالى يقول لو رأيتم الحسن البصرى رحمه الله تعالى لقلتم أن الله تعالى لقد بث عليه حزن الخلائق أجمعين من طول تلك الدمعة وتواصل النشيج وكان الربيع بن خيثم رحمه الله تعالى يقول ليس أحد أشد هما فى الدنيا من المؤمن لانه شارك أهل الدنيا فى المعايش وزاد عليهم باهتمامه بأمر الآخرة وقد كان الحسن البصرى رحمه الله تعالى لا يراه أحد الا ظن أنه قريب عهد بمصيبة لما به من شدة الحزن وكذلك أصحابه وقد كان هرم بن حيان رحمه الله تعالى لم يزل مهموما الشهر والدهر فاذا



السفر ويبسط لهم فى الرزق ويرجعون محرومين مسلوبين يهوى بأحدهم بعيره بين القفار والرمال وجاره مأسور الى جنبه فلا يواسيه ولا يتفقده (وفرقة أخرى) من أرباب الاموال يحفظون الاموال ويمسكونها

قيل له فى ذلك يقول ومن أولى منى بذلك وأنا لا أعرف ماذا الله مصيرى اه فعليك يا أخى بالحزن حتى لا تجد لك وقتا تتفرغ فيه لشئ من شهوات نفسك فى الدنيا والا فأنت مغرور فانتبه يا أخى والحمد لله رب العالمين

﴿ومن أخلاقهم رضى الله تعالى عنهم﴾ عدم الاغترار بالله تعالى بحيث يعتمد أحدهم على عفو الله و يترك الاعمال الصالحة بل كانوا يبالغون فى الاجتهاد فى العبادة ثم يعتمدون على فضل الله تعالى لا على أعمالهم وفى الحديث الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت والعاجز من أتبع نفسه هواها وتمنى على الله الامانى وقد سئل سعيد بن جبير رحمه الله عن الاغترار بالله تعالى ما هو فقال هو تمادى العبد فى العصيان ثم يتمنى على الله المغفرة وكان الحسن البصرى رحمه الله يقول ان أقواما خرجوا من الدنيا وليس لهم حسنات من كثرة ما ألهتهم أمانى المغفرة يقول أحدهم انى لحسن الظن بربى عز وجل فلا أبالى أ كثر العمل أم قل وهو كاذب فى ذلك اذ لو كان حسن الظن بربه حقيقة لاحسن العمل قال تعالى وذلكم ظنكم الذى ظننتم بربكم أرداكم فأصبحتم من الخاسرين وقد كان ميسرة العابد رحمه الله تعالى قد بدت أضلاعه من كثرة المجاهدة وكان اذا قيل له ان رحمة الله واسعة يزجر القائل و يقول صحيح ذلك ولولا سعة رحمته لاهلكنا بذنوبنا فى طاعاتنا فضلا عن معاصينا وكان حذيفة بن قتادة رحمه الله تعالى يقول لو قال لى شخص والله ان أعمالك أعمال من لا يؤمن بيوم الحساب لقلت له صدقت لا تكفر عن يمينك وكان يونس بن عبيد رحمه الله تعالى يقول ان اليد تقطع فى سرقة خمسة دراهم ولا شك ان أصغر ذنوبك أقبح من سرقة خمسة دراهم فلك بكل ذنب قطع عضو فى الدار الآخرة وكان حذيفة المرعشى رحمه الله تعالى يقول ان لم تخف أن يعذبك الله تعالى على أحسن طاعاتك لما فيها من النقص والا فأنت هالك وكان الحسن البصرى رحمه الله تعالى يقول ما أحد منا آمن ان الله تعالى يغفر له ذنبا واحدا فيصير أحدنا يعمل فى غير معمل وكان سفيان الثورى رحمه الله تعالى يقول أرجى الناس للنجاة أخوفهم على نفسه ألا ترى يونس عليه الصلاة والسلام لما ظن أن الله لا يعاقبه على دعائه على قومه اذ عجل الله له المؤاخذة بحبسه فى بطن الحوت فعليك يا أخى بالخوف من الله عز وجل بطريقه الشرعى فانه أولى بك وهيهات أن تنجو مع كثرة أعمالك الصالحة وأكثر من الاستغفار والحمد لله رب العالمين

﴿ومن أخلاقهم رضى الله تعالى عنهم﴾ كثرة الصبر على البلايا والنوازل وعدم سخطهم على مقدور ربهم عز وجل وكانوا يقولون من لم يصبر فليتصبر لحديث ومن يتصبر يصبره الله تعالى فعلم أن من لم يصبر على فضول الدنيا من طعام ومنام وكلام وجماع وغير ذلك لا تقول له الملائكة يوم القيامة سلام عليكم بما صبرتم بل هو يومئذ فى هم وغم وعدم أمن بخلاف من سلمت عليه الملائكة عليهم الصلاة والسلام فانه يأمن ويزول عنه الهم والغم و يصير فى فرح وسرور وأمن وقد كان عبد الله بن مسعود رضى الله عنه يقول فى قوله تعالى والصابرين فى البأساء والضراء وحين البأس أنه الفقر والمرض وكان كعب الاحبار رضى الله عنه يقول لا يوصف بالصبر الا من صبر على أذى الناس له ولم يقابلهم بنظيره يعنى لا سرا ولا جهرا حتى بالدعاء عليهم والتوجه فيهم الى الله تعالى وأعظم الصبر أيضا صبر العبد عما نهى الله عنه وعلى ما أمره الله بفعله وقد كان الفضيل بن عياض رحمه الله تعالى يقول ان الله تعالى ليواصل البلاء بعبده المؤمن فينزل عليه بلاء بعد بلاء حتى يمشى وليس عليه خطيئة وقد عثرت امرأة فتح الموصلى رحمها الله تعالى مرة فطار ظفرها فضحكت فقيل لها أما تجدى ألم الظفر قالت بلى ولكن ثواب ذلك ألهانى عن وجود الاشتغال بالالم وكان الحسن البصرى رحمه الله تعالى يقول لولا الفقر والمرض والموت ما طأطأ ابن آدم رأسه من شدة الكبر ثم مع ذلك هو وثاب على معاصى الله تعالى وقد شكا الاحنف بن قيس رحمه الله تعالى وجع ضرسه لعمه فقال له يا أحنف أراك تشكو وجع ضرسك من ليلة واحدة والله ان لى بذلك نحو ثلاثين سنة ما أظن أن أحدا شعر بذلك غيرك وكان أبو سليمان الدارانى رحمه الله تعالى يقول مر موسى عليه الصلاة والسلام يوما برجل قد خرقت السباع بطنه ونهشت لحمه فعرفه موسى فوقف عليه وقال يا رب انه كان مطيعا لك فما هذا الذى أرى فأوحى الله اليه يا موسى أنه سألنى درجة لم يبلغها بعمله فابتليته لأبلغه تلك الدرجة وقد كان كعب الاحبار رضى الله عنه يقول من شكا مصيبة نزلت به الى غير الله تعالى لم يجد للعبادة بعد ذلك حلاوة حتى يتوب الله تعالى عليه وكان وهب بن منبه رحمه الله

بحكم البخل ويشتغلون بالعبادة البدنية التى لا يحتاجون فيها الى نفقة كصيام النهار وقيام الليل وختم القرآن وهم مغرورون لان البخل المهلك قد استولى على بواطنهم فهم محتاجون الى قمعه باخراج المال

تعالى

تعالى يقول أوحى الله تعالى الى العزير عليه السلام اذا نزلت بك بلية فاحذر أن تشكونى الى خلقى وعاملنى كما أعاملك فكما لا أشكوك الى ملائكتى اذا صعدت الى عملك القبيح كذلك لا ينبغى أن تشكونى الى خلقى اذا نزل بك بلاء وقد بلغنى أنه لما أهلك الله تعالى جميع مال أيوب عليه الصلاة والسلام دخل بيته ونزع ثيابه وقال هكذا خرجت الى الدنيا وكذا أخرج منها وقد أوحى الله تعالى الى داود عليه الصلاة والسلام يا داود اصبر على المؤنة تأتك من الله المعونة وقد كان عمر بن عبد العزيز رحمه الله تعالى يقول لو كانت الدنيا نعيما بلا كدر لكانت هى الجنة ولم نحتج الى الانتقال منها وكان محمد بن الحنفية رضى الله عنه يقول احذر من الشكوى فانها تفرح عدوك وتحزن صديقك اه فاعلم يا أخى ذلك وكن صابرا تغنم والحمد لله رب العالمين

﴿ومن أخلاقهم رضى الله تعالى عنهم﴾ كثرة التسليم لامر الله تعالى والرضا بقضائه عند فقد ولد أو أخ أو أحد من الاهلين والاقارب ايثارا لمراد الله عز وجل على مرادهم وقد مات مرة ولد لداود عليه الصلاة والسلام فحزن عليه حزنا شديدا فقيل له ما كان يعدل عندك قال ملء الارض ذهبا أنفقه فى سبيل الله عز وجل فأوحى الله اليه لك من الاجر مثل ذلك وكان بكر المزنى رحمه الله تعالى يقول موت الوالد ملك حادث وموت الاخ كسر جناح وموت الولد صدع فى القلب لا ينجبر وكان مورق العجلى رحمه الله يقول ما أحد أعلم انى مؤجر على موته الا أحببت أن يموت وكان ابن أبى كثير رحمه الله تعالى يقول لا فائدة فى الجزع بعد الموت لانه لا يرد فائتا وقد كان حاتم الاصم رحمه الله تعالى يقول اذا رأيتم صاحب المصيبة قد مزق ثيابه وأظهر الجزع فلا تعزوه فانه صاحب اثم فمن عزاه فقد شاركه فى الاثم وانما الواجب نهيه عن ذلك وكان أبو سعيد البلخى رحمه الله تعالى يقول من أصيب بمصيبة فخرق ثوبا أو ضرب خدا فكأنما أخذ رمحا يقاتل به ربه عز وجل وكان عبد الله بن المبارك رحمه الله تعالى يقول من أصيب بمصيبة فليفعل فى اليوم الاول ما يفعله فى اليوم الخامس من مصيبته يعنى من ضحك وأكل وغير ذلك وفى الحديث قال صلى الله عليه وسلم من سعادة العبد رضاه بقضاء الله تعالى وكان عبد الله بن عباس رضى الله عنهما يقول أول شئ كتبه الله فى اللوح المحفوظ انى أنا الله لا اله الا أنا محمد رسولى من لم يستسلم لقضائى ولم يصبر على بلائى ولم يشكر نعمائى فليتخذ له ربا سواى ومن استسلم لقضائى وصبر على بلائى وشكر نعمائى كتبته صديقا وبعثته مع الصديقين وكان أبو هريرة رضى الله عنه يقول من ذروة الايمان الاستسلام للرب جل جلاله وكان وهب بن منبه رحمه الله يقول من حزن على ما فى يد غيره يعنى حسد أخاه على رزقه فقد سخط على قضاء ربه وقد أوحى الله تعالى الى داود عليه الصلاة والسلام يا داود ان أسلمت لى ما أريد كفيتك ما تريد وان لم تسلم لى ما أريد أتعبتك فيما تريد ثم لا يكون الا ما أريد وقد قيل لعمر بن عبد العزيز رحمه الله تعالى ما الذى تريد فقال أريد ما يريد الحق تعالى وان كانت نفسى تكره المعاصى وكان ميمون بن مهران رحمه الله تعالى يقول من لم يرض بالقضاء فليس لحمقه دواء وكان عبد العزيز بن أبى رواد رحمه الله تعالى يقول ليس الشأن فى لبس العباءة وأكل الخل والشعير ولكن الشأن فى رضا العبد عن ربه وقد كان عبد الله ابن سلام رضى الله عنه يقول شكا نبى من الانبياء عليهم الصلاة والسلام ما ناله من المكروه الى ربه عز وجل فأوحى الله اليه الى كم تشكونى ولست بأهل ذم ولا شكوى هكذا كان بدء شأنك فى عالم الغيب فلم تسخط على حسن قضائى عليك أفتريد أن أغير الدنيا من أجلك وأبدل اللوح المحفوظ بسببك وأقضى لك بما تريد دون ما أريد ويكون ما تحب دون ما أحب أنا فبعزتى حلفت لئن تلجلج هذا فى صدرك مرة أخرى لاسلبنك ثوب النبوة ولاوردنك النار ولا أبالى (قلت) قد أجمع العلماء على أن المعصوم لا يصح سلبه فالظاهر أن ما ورد هنا على سبيل الفرض والتقدير وما كل ما يواعد الله به عباده واقع فليتأمل والله تعالى أعلم وكان محمد بن شقيق رحمه الله تعالى يقول اشتريت مرة لامى بطيخة فلم تعجبها فسخطت فقلت لها يا أماه على من تسخطين على بائعها أم على مشتريها أم على خالقها فوالله ان خالقها لاحسن الخالقين وان البائع والمشترى ما أعطاك الا ما قسم لك فى الازل قال فاستغفرت أمى من ذلك وتابت وكان عبد الله بن مسعود رضى الله عنه يقول لان ألحس جمرة بلسانى أحب الى من أن أقول لشئ وقع لم وقع هذا وكان محمد بن واسع رحمه الله يقول ما ثم فعل لله تعالى الا ويجب على العبد شكر ربه عليه من حيث انه حكيم عليم وأما من حيث كسب العبد فيجب عليه عدم الرضا

فاشتغلوا بطلب فضائل وهم مشتغلون عنها ومثلهم كمثل من دخلت فى ثوبه حية وقد أشرف على الهلاك فاشتغل بطلب السكنجبين ليسكن به الصفرا ومن لدغته الحية كيف يحتاج الى ذلك وقيل لبشر الحافى

به ان كان مذموما تعظيما لجنابه عز وجل وقد طلعت مرة فى رجل محمد بن واسع قرحة شديدة فقال له رجل من أصحابه والله انى لارحمك من أجل هذه فقال له محمد ان كنت تحبنى يا أخى فاشكر الله تعالى معى الذى لم يطلعها فى لسانى أوفى عينى أوفى أذنى أوفى ثديى أو تحت ابطى أوفى فرجى * ولما سقطت مقادم أسنان معاوية رضى الله عنه قال الحمد لله الذى لم يذهب سمعى ولا بصرى وقد روى عن يونس عليه الصلاة والسلام أنه قال يوما لجبريل عليه الصلاة والسلام دلنى على أعبد أهل الارض فدله على رجل قد قطع الجذام يديه ورجليه وذهب بصره وسمعه وشعره قال فدنا يونس منه فسمعه يقول الهى قد متعتنى بقوتى كما تشاء ثم سلبتنى قوتى كما تشاء وأبقيت لى فيك الامل بالخير فلك الفضل على وكان بشر بن الحرث رحمه الله تعالى يقول اجتمعت فى سياحتى برجل مجذوم أبرص أعمى مجنون وقد صرع فى الشمس والنمل يأكل لحمه قال فرفعت رأسه من الارض ووضعتها فى حجرى فلما أفاق قال من هذا الفضولى الذى يدخل بينى وبين ربى عز وجل فوعزته وجلاله لو قطعنى اربا اربا ما ازددت فيه الاحبا وقد روى أن عيسى عليه الصلاة والسلام مر يوما برجل أعمى أبرص مقعد مضروب الجنبين بالجذام والفالج وقد تناثر لحمه من الجذام فدنا منه عيسى فسمعه يقول الحمد لله الذى عافانى مما ابتلى به كثيرا من خلقه فقال له عيسى وأى شئ صرفه عنك من البلاء يا هذا فقال له صرف عنى الجهل به وخلع على معرفته فقال له عيسى صدقت هات يدك فناوله يده فذهب ما كان به وصار من أحسن الناس وجها وصحبه يعبد الله تعالى معه الى أن رفع عيسى صلى الله عليه وسلم وكان أبو سليمان الدارانى رحمه الله تعالى يقول الرضا عن الله تعالى والرحمة للخلق من أخلاق المرسلين وكان الفضيل بن عياض رحمه الله تعالى يقول الرضا عن الله تعالى أفضل من الزهد فى الدنيا لان الراضى عن ربه عز وجل لا يتمنى فوق منزلته وكان الدارانى رحمه الله تعالى يقول لو أن الله تعالى أدخلنى النار لكنت راضيا عنه وكان سليمان الخواص رحمه الله تعالى يقول من قال يا رب ارض عنى فليس هو براض عن ربه وكان أبو عبد الله الباجى رحمه الله تعالى يقول عبيد الدنيا يريدون من ساداتهم أن يرضوا عنهم وعبيد الله تعالى يريد الله منهم أن يرضوا عنه وكان سفيان الثورى رحمه الله يقول رضا الناس غاية لا تدرك اه فانظر يا أخى فى هذا الخلق الذى ذكرناه واشكر ربك ان رأيت نفسك من أهل الصبر والا فاستغفره وتب اليه والحمد لله رب العالمين

﴿ومن أخلاقهم رضى الله تعالى عنهم﴾ شهودهم فى نفوسهم انهم لم يقوموا بذرة واحدة من شكر ربهم وذلك لانهم يرون ان جميع ما يشكرونه به من جملة نعمه عليهم فلا تنفد نعم الله تعالى أبدا ولا يصح من أحد مقابلتها وكان بكر بن عبد الله المزنى رحمه الله يقول ما قال عبد الحمد لله الا وجب عليه بذلك شكر آخر وكان وهب بن منبه رحمه الله تعالى يقول اذا كان الذى تشكر الله تعالى به نعمة منه عليك من نعمه عز وجل فاتم شكر حقيقة وانما الشكر اعترافك بكثرة نعمه عليك وانك لا تحصى ثناء عليه عز وجل وكان سهل بن عبد الله التسترى رحمه الله تعالى يقول أداء الشكر لله تعالى انك لا تعصيه بنعمه عليك فان جوارحك كلها من نعمه عليك فلا تعصه بشئ منها وقد كان مجاهد ومكحول رحمهما الله تعالى يقولان فى قوله تعالى ثم لتسألن يومئذ عن النعيم انه الشراب البارد وظل المساكن وشبع البطن واعتدال الخلق ولذة المنام وقد سئل الحسن البصرى عن الفالوذج أهو من أكبر النعم فقال نعمة الله سبحانه وتعالى علينا فى الماء البارد العذب أعظم منه وقد مر وهب ابن منبه رحمه الله تعالى يوما على رجل أصم أبكم مصاب فقال له شخص هل بقى على هذا نعمة فقال وهب نعم اساغة ما يأكل وما يشرب وتسهيله ونحو ذلك يعنى اذا خرج فذلك أعظم من النعم الظاهرة التى فاتته وكان الشعبى رحمه الله تعالى يقول لو قاس الناس البلاء بما فوقه لوجدوا بعض البلايا عافية وقد كان عبد الله بن عمر رضى الله عنهما اذا قدم اليه طعام يقول الحمد لله الذى جعلنى أشتهيه فكم من يقدر عليه ولا يشتهيه يعنى من شدة المرض والوجع وكان سفيان الثورى اذا مر عليه أحد من أهل الشرطة يخر ساجدا لله تعالى ويقول الحمد لله الذى لم يجعلنى شرطيا ولا مكاسا ثم يقول لاصحابه انه يمر على أحدكم المبتلى الذى يؤجر على بلائه فتسألون ربكم العافية ويمر عليكم هؤلاء الظلمة الذين يأثمون ببلائهم فلا تسألون الله العافية وكان زيد بن أسلم رحمه الله تعالى يقول مكتوب فى التوراة العافية هى الملك الخفى وكان عبد الله بن عباس رضى الله عنهما يقول من كان له

ان فلانا كثير الصوم والصلاة فقال المسكين ترك حاله ودخل فى حال غيره انما حال هذا الطعام الطعام للجائع والانفاق على المساكين فهو أفضل له من تجويع نفسه ومن صلاته مع جمعه الدنيا ومنعه

زوجة ومسكن ومركب وخادم فهو من الملوك وكان جعفر بن سليمان رحمه الله تعالى يقول فى قوله عز وجل وأسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنة ان الظاهرة الاسلام وما حسن من خلقك ورزقك والباطنة ما ستر الله تعالى عن الناس من عيوبك وذنوبك ذكره ابن عباس رضى الله عنهما وكان عون بن عبد الله رحمه الله تعالى يقول ان الله تعالى أنعم على العباد على حسن كرمه وطلب منهم الشكر على قدر حالهم وكان الحسن البصرى رحمه الله تعالى يقول فى قوله تعالى ان الانسان لربه لكنود قال يعنى يعد المصائب وينسى النعم وكان عون بن عبد الله رحمه الله يقول فى قوله تعالى يعرفون نعمة الله ثم ينكرونها يعنى يرون النعم أنها من الله عز وجل ثم يضيفونها الى الخلق غافلين عن الله تعالى ويقولون لولا فلان ما وصلت الينا اه وكان بشر الحافى رحمه الله تعالى يقول من شكر الله بلسانه دون بقية أعضائه فقل شكره لان شكر البصر ان رأى خيرا وعاه أو شرا ستره وشكر السمع ان سمع خيرا حفظه أو شرا نسيه وشكر اليدين أن لا يأخذ بهما ولا يعطى الا حقا وشكر البطن أن يكون ملآنا من العلم والحلم وشكر الفرج أن لا يفعل به الا ما أبيح له وشكر الرجلين أن لا يمشى بهما الا فى الصلاح فمن فعل ذلك فهو من الشاكرين حقا اه ففتش نفسك يا أخى وانظر هل شكرت ربك كما شكر هؤلاء أم قصرت فاستغفر الله والحمد لله رب العالمين

﴿ومن أخلاقهم رضى الله تعالى عنهم﴾ شدة تدقيقهم فى التقوى وعدم دعوى أحد منهم أنه متق فان الحق تبارك وتعالى ربما أحصى على العبد مثاقيل الذر وهذا خلق غريب فى هذا الزمان بل غالب الناس يدعى التقوى من غير مناقشة لنفسه ويقنع بذكره لله تعالى صباحا ومساء مثلا ولا يناقش نفسه فى قول ولا فعل ولا مطعم ولا مشرب ولا ملبس بل هو كالتمساح الهائم على الحرام فصورة عمامته وعذبته صورة شيخ وأقواله وأفعاله على صورة الفسقة والمنافقين وكان عمر بن عبد العزيز رحمه الله تعالى يقول لا يبلغ أحد مقام التقوى حتى لا يكون له فعل ولا قول يفتضح به فى الدنيا والآخرة وقد قال له رجل مرة متى يبلغ العبد سنام التقوى فقال اذا وضع جميع ما فى قلبه من الخواطر فى طبق وطاف به فى السوق لم يستح من شئ فيه وكان وهب بن منبه رحمه الله تعالى يقول الايمان عريان ولباسه التقوى وكان أمير المؤمنين على رضى الله عنه يقول لا يقل عمل مع تقوى لانه مقبول قال تعالى انما يتقبل الله من المتقين وكان عمر بن عبد العزيز رحمه الله تعالى يقول ليس التقوى فى صيام النهار وقيام الليل مع التخليط فيما بين ذلك وانما التقوى ترك ما حرم الله تعالى وأداء ما افترض الله فمن زاد بعد ذلك فهو خير الى خير وكان رحمه الله تعالى كثيرا ما يقول علامة المتقى أن يلجم عن الكلام كما يلجم المحرم حال احرامه ويحتاج المتقى أن يكون عالما بالشريعة كلها والا خرج عن التقوى من حيث لا يشعر وكان أبو الدرداء رضى الله تعالى عنه يقول من كمال التقوى أن يخاف العبد من ربه فى مثقال ذرة وقد سئل أبو هريرة رضى الله عنه عن التقوى فقال هى طريق الشوك يحتاج الماشى فيها الى صبر شديد وكان سفيان الثورى رضى الله عنه يقول أدركنا الناس وهم يحبون من قال لاحدهم اتق الله تعالى وقد صاروا اليوم يتكدرون من ذلك وقد قال رجل لعمر بن عبد العزيز اتق الله يا عمر فخر مغشيا عليه من هيبة الله تعالى وقال رجل للفضيل بن عياض رحمه الله تعالى أى البلاد تحب لى أن أقيم فيه فقال له ليس بينك وبين بلد نسب بل خير البلاد ما حملك على التقوى وكان سفيان الثورى رحمه الله تعالى يقول لو اتقى أحد منا ربه ما هناه عيش ولا أخذه نوم اه ففتش يا أخى نفسك هل اتقيت الله تعالى كتقوى هؤلاء السلف أم قصرت عنهم واستغفر ربك والحمد لله رب العالمين

﴿ومن أخلاقهم رضى الله تعالى عنهم﴾ كثرة سترهم لاخوانهم المسلمين وشدة مناقشتهم لنفوسهم فى مقام التورع فكانوا لا يحبون أن تظهر لاحد عورة وكانوا يحاسبون أنفسهم فى أقوالهم وأفعالهم وطعامهم وشرابهم وتفقد جميع جوارحهم فى وقوعها فيما حرم الله عليها لاسيما اللسان والبطن والفرج والعين وقد بسطنا هذا الخلق فى كتابنا المنهج المبين وفى الحديث اتق محارم الله تكن أورع الناس وكان ابن عباس رضى الله عنهما يقول لو صمتم حتى تكونوا كالاوتار وصليتم حتى تكونوا كالحنايا ما نفعكم ذلك الا اذا كان معكم ورع صادق وكان أبو هريرة رضى الله عنه يقول جلساء الله تعالى يوم القيامة هم أهل الورع والزهد وكان

الفقراء (وفرقة أخرى) غلب عليهم البخل فلا تسمح نفوسهم الا بأداء الزكاة فقط ثم انهم يخرجونها من المال الخبيث الردىء الذى يرغبون عنه ويطلبون من الفقراء من يخدمهم ويتردد فى حوائجهم أو

الفضيل بن عياض رحمه الله تعالى يقول لا خير فى فقه لا ورع فيه كما لا خير فى صلاة لا خشوع فيها ولا مال لا جود فيه وكان يونس بن عبيد رحمه الله تعالى يقول حقيقة الورع هو الخروج عن الشبه ومحاسبة النفس مع كل خطوة فمن لم يكن كذلك فليس هو بورع وكان أبو عبد الله الانطاكى رحمه الله تعالى يقول لا تستهن بالتورع فى اليسير فان الاستهانة فيه سلم لترك التورع فى الكثير وكان ابن السماك رحمه الله يقول من طلب العلم بلا عمل كان قدوته ابليس ومن طلب الرياسة كان قدوته فرعون ومن طلب الورع كان قدوته الانبياء والاصفياء عليهم الصلاة والسلام وكان الضحاك رحمه الله تعالى يقول لقد أدركنا الناس وهم يتعلمون الورع ويسافرون لتعلمه الثلاثة أشهر وأكثر وقد صاروا اليوم لا يطلبون ذلك ولا يعملون به ولو نبهوا عليه فلا حول ولا قوة الا بالله وقد كان محمد بن سيرين رحمه الله تعالى اذا رأى بعض شبهة فى شئ تركه كله ولو كان جميع بيت المال وكان أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه يقول كنا ندع تسعة أعشار الحلال مخافة أن نقع فى الحرام وكان السلف اذا وقع من أحدهم دينار فى مكان ثم تذكره ورجع فرآه لا يأخذه ويقول يحتمل أن هذا وقع من غيرى وأن دينارى أخذه أحد وقد سئل محمد بن سيرين رحمه الله تعالى عمن يسد أنفه عند قسم المسك فى الغنيمة هل به بأس فقال لا أقول فيه شيأ وقد سئل عن ذلك أيضا القاسم بن محمد فقال هو كالتورع ولا أقول هو ورع أدبا فى اللفظ وقد قيل لرباح القيس رحمه الله تعالى حدثنا بما رأيت من ورع عمر بن عبد العزيز فقال دعانا رحمه الله تعالى ليلة الى طعامه فبينما نحن نأكل اذ قال لنا أمسكوا فان زيت هذا المصباح من زيت العامة الذى أنظر فيه ديوانهم وكان طلحة بن مصرف رحمه الله تعالى اذا بنى جدارا أو خصا يجعل الجدار مائلا الى ناحيته لكون الطين الذى يطين به البناء من غير جهة الطريق وكان يونس بن عبيد رحمه الله تعالى يتورع أن يقول سبحان الله تعالى عند التعجب من شئ اجلالا لربه وقد كان عمر بن عبد العزيز رحمه الله تعالى اذا تناول ولده تفاحة من الفئ ينزعها من فيه بشدة ويقول أنتزعها خوفا من الله تعالى وكأنى أنتزعها من قلبى وقد بلغنا عن الامام أبى حنيفة رضى الله عنه أنه ذهب الى غريم له ليطالبه بدين وكان للرجل شجرة على باب داره فوقف الامام فى الشمس وطالبه فقيل له ألا تقف فى ظل الشجرة فقال لان لى على صاحبها دينا وكل قرض جر نفعا فهو ربا كما ورد ذلك عن النبى صلى الله عليه وسلم وكان المغيرة بن شعبة رحمه الله تعالى اذا اشترى شيأ من طوافين الاسواق يعدل به عن الشارع ويشترى منه خوفا أن يحجز المشى على المارة وقد استعار القاضى بكار بن قتيبة رحمه الله تعالى من والدته رداء ليخبر فيه خبزه فكلمه شخص من أصحابه فى الطريق فلم يقف له فقال له لم لا تكلمنى فقال يا أخى انما استعرت هذا الرداء لأخبز فيه لا لأقف مع أحد فى الطريق ولو علمت أنك تكلمنى لكنت استأذنتها فى ذلك وكان بكر بن عبد الله المزنى رحمه الله تعالى يجعل ميزاب سطحه الى جهة داره دون الشارع خوفا أن يشوش على أحد وقد ماتت عنده هرة فحفر لها ودفنها فى داره ولم يرمها فى المزابل خوفا أن يشوش ريحها على الناس وقد كان الفضيل بن عياض رحمه الله تعالى يقول اياكم أن تسافروا الى مكة بشئ من الشبهات فان رد دانق من حرام أو شبهة أفضل عند الله تعالى من خمسمائة حجة فيها شبهة وقد ترك يزيد بن دريج مال والده رحمهما الله لما مات وكان مالا جزيلا وقال كنت أشك فى حل كسبه لكونه كان يبيع على الولاة وكان عبد الله بن المبارك رحمه الله تعالى لا يأكل من كسب غلامه اذا باع شيأ وصلى على النبى صلى الله عليه وسلم عند بيعه فكان يقول انك أطريت عليه بالصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم ومدحته بها حتى اشتراه الناس فاياك أن تفعل ذلك أو تقول للمشترى هذا رخيص أو مليح مثلا بل بعه وأنت ساكت وقد دخل الفضيل بن عياض رحمه الله تعالى السوق ليشترى لاولاده خبزا فرأى الخباز يسبح الله ويهلله ويصلى على النبى صلى الله عليه وسلم عند بيعه الخبز فأبى الفضيل أن يشترى منه وطوى هو وأولاده حتى لقى من الغد شخصا يبيع الخبز وهو ساكت فاشترى منه فقيل له ان هذا أمر سهل يا أبا على فقال ان سهل عليكم هذا أخاف أن يوردنى النار وكان يونس بن عبيد رحمه الله تعالى يبيع البرد والاكسية فاذا كان يوم غيم لا يبيع ولا يخرج بها الى السوق فسئل عن ذلك فقال ان المشترى ربما يراه حسنا فى الغيم وهو معيب وقد كان الاصمعى رحمه الله تعالى يقول من طلب من الفقهاء الرخصة عند المشتبهات فعله زاده الى النار وقد اشترى أبو على النجورانى رحمه الله

من يحتاجون اليه فى المستقبل للاستمارة فى الخدمة ومن لهم فيه على الجملة غرض ويسلمونها الى شخص بعينه واحد من الكبار ممن يستظهر بحشمته لينال بذلك عنده منزلة فيقوم بحاجته وكل ذلك

تعالى قميصا ولبسه فقال له شخص انى اشتريت هذا الثوب وفيه درهم من شبهة قال فدخل الماء وتعرى من القميص وقال من يتصدق على بثوب حتى أخرج من الماء فألقوا عليه ثوبا انتهى فانظر يا أخى فى هذا الخلق وفتش نفسك واتبع سلفك فى الورع واترك دعوى الصلاح اذ لم تفعل كذلك فان من لا ورع عنده فهو من الفسقة عند المتورعين ليس له نصيب فى مقامهم والحمد لله رب العالمين

﴿ومن أخلاقهم رضى الله تعالى عنهم﴾ التودد والسكينة والوقار وقلة الكلام وذلك لكمال عقولهم وكثرة تجاربهم لاهل عصورهم ومن كلام أمير المؤمنين على رضى الله عنه قوله ينتهى طول العبد فى اثنتين وعشرين سنة وينتهى عقله فى ثمان وعشرين سنة وما بعد ذلك الى آخر عمره انما هو تجارب انتهى فعلم أن كل من كان قليل العقل لا يصلح أن يكون داعيا الى الله تعالى لان الذى يفسده أكثر من الذى يصلحه وفى الحديث كرم الرجل دينه ومروأته عقله وحسن خلقه وكان قتادة رحمه الله تعالى يقول الرجال ثلاثة رجل ونصف رجل ولا شئ فالرجل هو من كان له عقل ورأى ينتفع به ونصف الرجل هو الذى يشاور العقلاء ويفعل برأيهم والذى لا شئ هو الذى لا عقل ولا رأى له ولا يشاور أحدا وكان سفيان بن عيينة رحمه الله تعالى يقول أفره الدواب لا غنى له عن السوط وأعقل النساء لا غنى لها عن الزوج وأعقل الرجال لا غنى له عن مشورة ذوى الالباب انتهى وكان ابن عباس رضى الله تعالى عنهما يقول من صار يتدبر ما يقول قبل النطق فهو أعقل الناس وكان مطرف بن عبد الله رحمه الله تعالى يقول عقول الناس على قدر عصورهم وقد سئل أمير المؤمنين على كرم الله وجهه عن العقل أين مسكنه قال فى القلب قيل له فأين مسكن الرحمة قال فى الكبد قيل له فأين مسكن الرأفة قال فى الطحال قيل له فأين مسكن النفس قال فى الرئة وكان وهب بن منبه رحمه الله تعالى يقول من ادعى العقل ولم تكن همته الآخرة فهو كاذب وكان محمد بن زياد رحمه الله تعالى يقول لا يكمل عقل الرجل حتى يحذر من صديقه وكان هشام الدستوائى رحمه الله تعالى يقول من أراد أن ينظر الى قوم بلا عقول فلينظر الينا وكان زياد رحمه الله تعالى يقول ليس بعاقل من يحتال للامر بعد الوقوع فيه وانما العاقل من يحتال للامر قبل الوقوع فيه فان خمير الرأى خير من فطيره اه فاعلم ذلك يا أخى واتبع سلفك الطاهر تسترح والحمد لله رب العالمين

﴿ومن أخلاقهم رضى الله تعالى عنهم﴾ كثرة الصمت والنطق بالحكمة تسهيلا على الطالب نظير قوله صلى الله عليه وسلم اعطيت جوامع الكلم واختصر لى الكلام اختصارا وكان أبو الحسن الهروى رحمه الله تعالى يقول تهيج الحكمة من أربع خصال الندم على الذنب والاستعداد للموت وخلو البطن وصحبة الزهاد فى الدنيا وكان سفيان الثورى رحمه الله تعالى يقول اشتغل محمد بن يوسف رحمه الله بالعبادة فأورثته الحكمة واشتغلنا بكتابة العلم فأورثتنا الخصومات يعنى بذلك الجدال وكان يحيى بن معاذ رحمه الله تعالى يقول تهوى الحكمة من السماء فلا تنزل على قلب فيه هذه الاربع خصال الركون الى الدنيا وحمل هم غد وحسد لاخ وحب شرف على الناس فمن كان فيه خصلة من هذه فلا تدخل قلبه حكمة (فمن جملة حكمهم) رضى الله عنهم قول حاتم الاصم رحمه الله تعالى لا تنظر الى من قال وانظر الى ما قال وخذ الحكمة حيث وجدتها فانها ضالة المؤمن فاذا وجدتها فقيدها ثم ابتغ ضالة أخرى (ومنها) قول الامام أبى حنيفة رضى الله عنه من رضى بدون قدره رفعه الله فوق غايته وقوله عليك بالحكمة فانها تجلس المساكين مجالس الملوك ومنها قول أكثم بن صيفى رحمه الله تعالى الانقباض عن الناس مكسبة للعداوة والانبساط اليهم مجلبة لقرين السوء فكن بين المنقبض والمنبسط (ومنها) قول الامام الشافعى رضى الله عنه أقل الناس فى الدنيا راحة الحسود والحقود وقال رجل للاحنف بن قيس رحمه الله تعالى انى أراك يا أحنف أعور فبم سودك قومك عليهم فقال له لكونى لم أشتغل الا بما يعنينى فقط كما اشتغلت أنت بما لا يعنيك فان قيل ما ضابط الكلام الذى لا يعنى الشخص فالجواب أن ضابطه كل ما لا تدعو اليه حاجة دينية أو دنيوية والله أعلم وقد قيل ليحيى بن معاذ رحمه الله تعالى متى يذهب من العبد العلم والحلم والحكمة فقال اذا طلب الدنيا بشئ من هؤلاء الثلاث وكان رحمه الله تعالى يقول اذا ذممت أبناء الدنيا أو مدحوك فاصرف ذلك الى الخرافات لكونهم مطموسين البصائر واعلم أن تكسب الرجل وهو يحن الى الزهد خير له من الزهد

مفسد للنية ومحبط للعمل وصاحبه مغرور ويظن أنه مطيع لله وهو فاجر اذ يطلب بعبادة الله غرضا من غيره فهذا وأمثاله مغرورون بالاموال (وفرقة أخرى) من عوام الخلق وأرباب الاموال

وهو يحن الى التكسب وكان رحمه الله تعالى يقول خلوة المريد من غم الشياطين ورؤية الناس نشاط المرائين
وكان رحمه الله تعالى يقول من ستر عليك ذنوبك ولم يفضحك فهو أولى بك من سائر الخلق فانك تذهب ألف
ذنب فيما بينك وبين الله تعالى فيسترها عليك ولو أن الخلق اطلعوا على عيب واحد فيك لفضحوك بين العباد
(ومنها) قول أبي محمد الرذاماري رحمه الله اذا جمعت المال فأنت وكيل واذا أعطيته فأنت رسول فالوكيل
لا يخون والرسول لا يمن (قلت) عدم خيانة الوكيل أن لا يمنع أحدا من بخل بل ينفق كما أمره الله ويمنع لحكمة
كما منع الله وعدم من الرسول أن يرى الفضل لمرسله ولا يرى له فضلا بما أعطى الا على وجه الشكر لله تعالى
والله أعلم ومنها قول أبي معاوية الأسود رحمه الله من طلب من الله الخير الجزيل فلا ينم في الليل ولا يقيل وقوله
من طلب الفضل من اللئام فلا يلومن الا نفسه اذا أهين (ومنها) قول امامنا الشافعي رضي الله عنه أظلم
الظالمين لنفسه من تواضع لمن لا يكرمه ورغب في مودة من لا ينفعه وقبل مدح من لا يعرفه وقوله من نم لك
نم عليك ومن نقل اليك نقل عنك ومن اذا أرضيته قال فيك ما ليس فيك كذلك اذا أغضبته قال فيك ما ليس
فيك وقوله اذا تزوج الرجل فقد ركب البحر فان ولد له ولد فقد كسرت به المركب وقوله طلب الراحة في الدنيا
لا يصح لاهل المروآت فان أحدهم لم يزل تعبان في كل زمان وقوله اذا ولي أخوك ولاية فارض منه بعشر الود
الذي كان لك قبلها ومنها قول أبي امامة رحمه الله تعالى من آذى الناس بلا سلطان فليصبر على الهوان وقوله
من صبر على الأساءة عليه فقد مهد للاحسان موضعا وقوله من لم ينلك الخير في حياته فلا تبك عيناك على وفاته
وقوله اذا رضي الراعي بفعل الذئب لم ينبح الكلب على الغريب وقوله الاعتراف يهدم الاقتراف ولم تزل
الاشراف تبتلى بالاطراف (ومنها) قول عبد الله بن مسعود رضي الله عنه اللهم وسع علي الدنيا وزهدني فيها
ولا تقترها علي وترغبني فيها وقوله اللهم اجعلني اليوم مشغولا بما أكون عنه غدا مسؤلا وقوله التواضع يرفع
الخسيس والكبر يضع النفيس ومن طلب الرياسة أعيته ومن فر منها تبعته وقوله لا تفرح بكثرة العيال
فان ذلك سوس المال وفضيحة الرجال (ومنها) قول الفضيل بن عياض رحمه الله تعالى من كثر عتابه قل أصحابه
ومن أعطى الفاجر فقد أعانه على الفجور ومن سأل اللئيم فقد أهان نفسه ومن طلب العلم ممن لا يعمل به زاده
جهلا ومن علم الابله فقد ضيع عمره بلا فائدة ومن صنع المعروف مع كفور فقد ضيع النعمة (ومنها) قول يحيى
ابن معاذ رحمه الله تعالى في الكف عن المحارم يكون رضا الرب وعند نزول البلاء تظهر حقائق الصبر وعند
طول الغيبة تظهر مواساة الاخوان وبالادب يفهم العلم وبترك الطمع تثبت المؤاخاة وبصلاح النية تدوم
صحبة الاخيار وقوله من كان القرآن قيده كان اطلاقه منه الموت ومن ذبحته العبادة أحياه الفوز ومن ترك
شهوة الدنيا عوضه الله تعالى شهوة ذكره وقوله من حلم ساد على أقرانه ومن نفذ غضبه غمس في بحر هوانه
وقوله كدر الاجتماع خير من صفاء الافتراق واذا كان القريب عدوا فهو البعيد واذا كان البعيد ودودا فهو
القريب (ومنها) قول بشر الحافي رحمه الله تعالى اذا أخذت النوافل بالفرائض فاتركوا النوافل وقوله من لم
يستحسن الحسن لم يستقبح القبيح وقوله ليس مع الاختلاف ائتلاف وقوله انا لم نؤت من قبل النعم وانما أتينا
من قلة الشكر عليها كما انا لم نؤت من قلة العمل وانما أتينا من قلة الصدق فيه كما أنا لم نؤت من كثرة الذنوب وانما
أتينا من قلة الحياء كما أنا لم نؤت من قلة الاستغفار وانما أتينا من قلة الوفاء وسرعة الرجوع الى الذنوب من غير
عقوبة عليها ولو أن العقوبة عجلت لنا لا نتهينا عن المعاصي جملة انتهى فاعلم ذلك يا أخي ونظف باطنك من محبة
الدنيا وشهواتها وأكثر من ذكر الله تعالى فاذا تم جلاء باطنك فهناك ينطقك الله تعالى بالحكمة وتصير حكيم
زمانك وأما مع محبتك الدنيا فهذا بعيد عنك والحمد لله رب العالمين

﴿ومن أخلاقهم رضي الله تعالى عنهم﴾ عدم الحسد لاحد من المسلمين وبذل النصيحة لكل مسلم بطريقه
الشرعي ولذلك سادوا الناس ولو كان عندهم حسد لاحد أو غش لما سادوا ولا قبلت الملوك أقدامهم فان
طلبت يا أخي ان تكون كذلك فاسلك طريقهم خالصا مخلصا والا فالمتفعل قد يطلع الله تعالى بعض الناس على
تفعله فلا يروج له أمر وقد سمعت شيخنا سيدي عليا الخواص رحمه الله تعالى يقول من أخلص عمله لله تعالى جعل
الله عز وجل قلوب المؤمنين تخلص في محبته وأما من لبس في دينه أطلع الله تعالى بعض أصفيائه على باطنه

والفقراء اغتروا بحضور
مجالس الذكر واعتقدوا
أن ذلك يغنيهم ويكفيهم
فاتخذوا ذلك عادة ويظنون
أن لهم أجرا على مجرد سماع
الوعظ دون العمل ودون
الاتعاظ وهم مغرورون
لان فضل مجالس الذكر

فلا

فلا يخلص له قلب أحد منهم في محبته انتهى وفي الحديث ان الحسد يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب اه
واذا فنيت حسنات العبد ذهبت سيادته لانه يصير اما صاحب سيآت أو أمره موقوف لا حسنات ولا سيآت
ومن المعلوم أن السيادة والتعظيم انما يكونان لمن فاق الناس في الاعمال والاخلاق الصالحة وكان الاحنف بن
قيس رحمه الله تعالى يقول لا راحة لحسود ولا سيادة لسيء الخلق وكان أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله
عنه يقول ما تم صاحب نعمة الا وله عليها حساد وكان فرقد السنجي رحمه الله تعالى يقول دواء ترك الحسد هو
الزهد في الدنيا وأما من رغب في الدنيا فالحسد من لازمه شاء أو أبى اه وكان سفيان الثوري رحمه الله تعالى
يقول من شأن الحسود عدم الفهم فمن أراد جودة الفهم فلا يحسد أحدا واني لا ترك في بعض الاوقات لبس
الثوب الجديد مخافة أن يهيج الحسد عند جيراني أو غيرهم وكان يحيى بن معاذ رحمه الله تعالى يقول المحسود على
ما عنده من النعمة خير ممن ليس عنده نعمة يحسد عليها فيشكر الله تعالى على نعمته ويعذر الحسود وقد كان وهب
ابن منبه رحمه الله تعالى يقول اتقوا الحسد فانه أول ذنب عصي الله تعالى به في السماء وأول ذنب عصي الله
تعالى به في الارض وكان ميمون بن مهران رحمه الله تعالى يقول ان أردت أن تسلم من شر من يحسدك فعم عليه
أمورك وكان مسعر بن كدام رحمه الله تعالى يقول ما آثر القوم النصيحة لاخوانهم الا لوفور شفقتهم عليهم
وقد صارت النصيحة اليوم كالعداوة وما نصحت أحدا الا وصار يفتش في عيوبي وينسى العمل بنصحي وكان محمد
ابن سيرين رحمه الله تعالى يقول ما حسدت قط أحدا على دين ولا دنيا وذلك من أكبر نعم الله سبحانه وتعالى
علي وقد كان أبو أيوب السختياني رحمه الله تعالى من أنصح الناس لاخوانه شفقة على دينهم أن ينقص وكان
يقول اني لا رحم هؤلاء العصاة الغافلين عن ربهم عز وجل وكان اذا نزل بالمسلمين هم أو بلاء يمرض لذلك ويصير
يعاد كما تعاد المرضى فاذا ارتفع ذلك الهم يبرأ من وقته (قلت) من صح له هذا المقام فلا يتطبب بأحد من الاطباء
لانهم ليس لهم يد في ذلك والله أعلم وقد قال عبد الملك بن مروان رحمه الله تعالى يوما للحجاج بن يوسف يا حجاج
ما من أحد الا ويعرف عيب نفسه لا يكاد يخفى عليه شيء منه فقل لي يا حجاج على عيبك فقال له الحجاج أعفني
من ذلك يا أمير المؤمنين فقال عبد الملك لا بد وأقسم عليه فقال الحجاج من عيبي انني لجوج حسود حقود فقال له
عبد الملك قاتلك الله ليس في الشيطان أشر مما قلت وقد كان مالك بن دينار رحمه الله تعالى يقول اني أجيز
شهادة القراء على الناس ولا أجيزها على بعضهم مع بعض لانهم قوم حسدة وكذلك كان الامام مالك رضي الله
عنه يقول سئل أوس بن خارجة من سيدكم فقال حاتم الطائي فقيل له أين أنت منه فقال لا أصلح أن أكون خادما
له وسئل حاتم الطائي من يسودكم فقال أوس بن خارجة فقيل له أين أنت منه قال لا أصلح ان أكون مملوكا له
فكان الامام مالك رضي الله عنه يقول أين فقهاؤنا من هذا الامر وقد قال عمر بن عبد العزيز رحمه الله تعالى يوما
لرجل من بعض القبائل من سيدكم يا هذا فقال الرجل أنا يا أمير المؤمنين فقال له عمر كذبت لو كنت سيدهم
ما قلت ذلك وقد كان ابن السماك رحمه الله تعالى يقول من علامة الحاسد أن يدنيه منك الطمع ويبعده عنك
سوء الطبع وان أعظم الناس حسد الاقربون والجيران لمشاهدتهم النعمة التي يحسدون عليها بخلاف البعيد
ولذلك كتب أمير المؤمنين عمر بن الخطاب لابي موسى الاشعري رضي الله عنهما أن مر ذوي القرابات أن
يتزاوروا ولا يتجاوروا وقد قال الفضيل بن عياض رحمه الله تعالى لسفيان الثوري رحمه الله اعلم أنك لو بذلت
النصيحة للناس حتى صاروا أمثالك في الدين ما وفيت بالنصيحة لهم فكيف توفيهم النصيحة ولم يبلغوا حالك وكان
شقيق البلخي رحمه الله تعالى يقول اذا كان فيك من الخصال ما يخافه عدوك فليس فيك خير فكيف اذا كان
فيك ما يخافه صديقك واعلم أن من تعرض لمساوي الناس عرض نفسه للهلاك ومن سلم الناس منه سلم هو من
الناس ومن نم على الناس افتقر في دينه ودنياه وصار من خدام ابليس اه ففتش يا أخي نفسك وانظر هل
سلمت من الحسد لاخوانك المسلمين على ما آتاهم الله تعالى من فضله وهل بذلت لهم النصيحة كما أمرك الله
أم أنت بالضد من ذلك واستغفر الله والحمد لله رب العالمين

﴿ومن أخلاقهم رضي الله تعالى عنهم﴾ شدة الجوع وعدم الشبع وذلك ليكثر صمتهم ويقل كلامهم وفضول
لغوهم كما هو شأن العلماء العاملين فان من شبع كثر كلامه فيما لا يعنيه ضرورة وكان محمد الراهبي رحمه الله تعالى

انما تحصل لكونها مرغبة
في الخير فان لم تهيج الرغبة
فلا خير فيها والرغبة محمودة
لانها تبعث على العمل فان
لم تبعث على العمل فلا خير
فيها وربما يغتر بما يسمعه
من الوعظ وربما تداخله
رقة كرقة النساء فيبكي

يقول من أدخل فى بطنه فضول الطعام أخرج من لسانه فضول الكلام وكان سفيان الثورى رحمه الله يقول رمى الناس بالسهام أخف من رميهم باللسان لانه لايخطئ وكان امامنا الشافعى رضى الله عنه يقول الكلمة كالسهم ان خرجت منك ملكتك ولم تملكها وكان جابر بن عبد الله رضى الله عنهما يقول قلت للنبى صلى الله عليه وسلم يارسول الله ما أكثر ما تخاف علىّ فقال هذا وأشار الى لسانه صلى الله عليه وسلم وكان ابراهيم النخعى رحمه الله تعالى يقول من تأمل وجد أشرف أهل كل مجلس وأكثرهم هيبة من كان أكثرهم سكوتا لان السكوت زين للعالم وستر للجاهل وكان وهيب بن الورد رحمه الله يقول العافية عشرة أجزاء تسعة منها فى الصمت وواحد فى الهرب من الناس قال ومكث منصور بن المعتمر أربعين سنة لايتكلم بعد العشاء بلغو وكان الحسن البصرى رحمه الله تعالى يقول واعجبا لابن آدم ملكاه على نابيه ولسانه قلمهما وريقه مدادهما وهو يتكلم فيما بين ذلك فيما لايعنيه وقد مكث الربيع بن خيثم رحمه الله تعالى قبل موته بعشرين سنة لايتكلم بكلام أهل الدنيا وقد وقع لحسان بن سنان رحمه الله انه تكلم بكلمة لغو فعاقب نفسه بصوم سنة وكان حماد بن سلمة رحمه الله تعالى اذا تكلم بكلمة لغو يقول عقبها سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله أكبر ثم يقول كانوا يكرهون كلام الدنيا فى مجلس من غير أن يخالطه كلام خير وقد مكث مورق العجلى رحمه الله عشرين سنة يتعلم الصمت حتى تم له وقد كان معروف الكرخى رحمه الله تعالى يقول كلام الرجل فيما لايعنيه من خذلان الله اياه وكان مالك بن دينار رحمه الله تعالى يقول كلام الرجل فيما لايعنيه يقسى القلب ويوهن البدن ويعسر أسباب الرزق وكان الفضيل بن عياض رحمه الله تعالى يقول باللسان يحفظ الرأس وكان بشر الحافى رحمه الله تعالى قليل الكلام جدا وكان يقول لاصحابه انظروا ما تملونه فى صحائفكم فانه يقرأ على ربكم فياويح من تكلم بقبيح ولوأن أحدكم أملى الى أخيه كلاما فيه قبح لكان ذلك قلة حياء معه فكيف بالرب سبحانه وتعالى وكان الربيع ابن خيثم رحمه الله تعالى اذا أصبح وضع قرطاسا وقلما فكان لايتكلم يومه بلغو الاحاسب نفسه عليه عند غروب الشمس وكان يقول بلغنا ان أبا بكر الصديق رضى الله عنه كان يضع الحجر فى فمه ففعل ذلك عدة سنين حتى تعوّد قلة الكلام وكان لايخرج الحجر الا عند الاكل وعند الصلاة كل ذلك خشية أن يتكلم فيما لايعنيه ثم لما حضرته الوفاة رضى الله عنه صار يخرج لسانه ويقول هذا هو الذى أوردنى الموارد وقد كان الامام مالك اذا رأى رجلا يتكلم كثيرا يقول له امسك عليك بعض كلامك وكان يونس بن عبيد رحمه الله تعالى يقول ترك كلمة لغو أشد على النفس من صيام يوم لان الرجل ربما يحتمل الصوم فى الحر الشديد ولا يحتمل ترك كلمة لاتعنيه اه فاعلم ذلك ياأخى وفتش نفسك هل وفيت بهذا الحديث أم قصرت فيه وأكثر من الاستغفار آناء الليل والنهار والحمد لله رب العالمين

﴿ومن أخلاقهم رضى الله تعالى عنهم﴾ سد باب الغيبة فى الناس فى مجالسهم لئلا يصير مجلسهم مجلس اثم ولعل ماقرأوه من الحديث أومن كلام القوم أو الورد مثلا لا يقاوم غيبة وقعوا فيها يوم القيامة وقد كان أخى الشيخ أفضل الدين رحمه الله تعالى يقول انما أكثر من الاعمال الصالحة فى بعض الاوقات ليصير معى شئ من الاعمال يوم القيامة أعطى منه خصمائى الذين لهم علىّ تبعة من مال أو عرض وقد قلت مرة لشيخنا سيدى على الخواص رحمه الله تعالى ألا تأخذ العهد ياسيدى على أصحابك أن لا أحد منهم يستغيب أحدا فى مجلسك فقال لى ان أخذ العهد بذلك سوء أدب مع الله تعالى ومع خلقه وذلك لان خلق الاعمال والاقوال التى تحدث على يد المريد انما هى لله عز وجل فكيف آخذ على أحد عهدا بشئ ليس فى يده بل يخلقه الله تعالى فيه على رغم أنفه فقلت له ياسيدى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم بايع أصحابه رضى الله عنهم على السمع والطاعة وعلى ترك أفعال كانوا يفعلونها فقال انما كان ذلك له صلى الله عليه وسلم بوحى من الله سبحانه وتعالى بخلافنا نحن اه فعليك أيها الشيخ بزجر أصحابك عن الغيبة والنميمة ولا تسامحهم بالسكوت على ذلك فانك تصير شريكهم فى هذا الامر وتفسقوا كلكم وفى الحديث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال نظرت ليلة أسرى بى فى النار فاذا قوم يأكلون الجيف فقلت من هؤلاء ياجبريل قال هؤلاء الذين يأكلون لحوم الناس وكان جابر رضى الله عنه يقول هاجت ريح منتنة على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلنا يارسول الله ما أشد نتن هذه الريح فقال صلى الله عليه

وسلم

وربما يسمع كلاما مخوفا فلا يزال يصفر بين يديه ويقول يا سلام سلم ونعوذ بالله وحسبى الله ولا حول ولا قوة الا بالله ويظن أنه قد أتى بالخير كله وهو مغرور وانما مثله كمثل المريض الذى يحضر مجالس الاطباء ويسمع

وسلم ان ناسا من المنافقين اغتابوا ناسا من المسلمين فلذلك هاجت هذه الريح الخبيثة اه وكان أبو قلابة رضى الله عنه يقول ان الغيبة تخرب القلب من الهدى والخير وكان أبو عوف رحمه الله تعالى يقول دخلت يوما على محمد بن سيرين رحمه الله فنلت من عرض الحجاج بن يوسف عنده فقال لى محمد يا أبا عوف ان الله تعالى حكم عدل فكما ينتقم من الحجاج كذلك ينتقم للحجاج وربما لقيت الله تعالى فكان أصغر ذنب عملته أشد عليك وأعظم من أعظم ذنب عمله الحجاج وكان الحسن البصرى رحمه الله تعالى اذا بلغه أن أحدا اغتابه يرسل اليه بهدية ويقول له على لسان الرسول بلغنى ياأخى أنك أهديت الىّ حسناتك وهى بيقين أعظم من هديتى هذه وكان سيدى عبد العزيز الديرينى رحمه الله تعالى اذا بلغه أن أحدا اغتابه يذهب اليه فى داره ويقول له ياأخى مالك ولذنوب عبد العزيز تحملها وكان عمر بن عبد العزيز رحمه الله يقول اياك أن تقابل من ظلمك بسب أوشتم أوغير ذلك وذلك أنه يظلمك مرة فتصير تلعنه وتشتمه كلما تذكرت فعله حتى تستوفى بذلك حقك ويصير عليك بعد ذلك التبعة وكان الفضيل بن عياض رحمه الله تعالى يقول فاكهة القراء فى هذا الزمان الغيبة وتنقيص بعضهم بعضا خوفا أن يعلوا شأن أقرانهم ويشتهروا بالعلم والزهد والورع دونهم وبعضهم يجعل الغيبة كالادم فى الطعام وهو أخفهم اثما وكان ابراهيم بن أدهم رحمه الله تعالى من أشد الناس زجرا للمغتابين وقد دعاه رجل مرة الى طعامه فلما ذهب اليه وجده يذكر رجلا بسوء فقال له ابراهيم عهدنا بالناس يأكلون الخبز قبل اللحم وأنتم تأكلون اللحم قبل الخبز ثم خرج ولم يأكل له طعاما وكان وهيب بن الورد رحمه الله تعالى يقول والله لترك الغيبة عندى أحب الىّ من التصدق بجبل من ذهب وكان وكيع بن الجراح رحمه الله يقول من عزة السلامة من الغيبة انه لم يسلم منها الا القليل وكان سفيان الثورى رحمه الله تعالى يقول اذكر أخاك اذا توارى عنه بمثل ما تحب أن يذكرك به اذا توارى عنك وكان مالك بن دينار رحمه الله تعالى يقول كفى بالمرء اثما أن لايكون صالحا ثم يجلس فى المجالس ويقع فى عرض الصالحين * وقد سئل الزهرى رحمه الله تعالى عن حد الغيبة فقال كلما كرهت أن تواجه به أخاك فهو غيبة وقد نام شقيق البلخى رحمه الله تعالى ليلة عن ورده فعتبته امرأته فقال لاتعتبينى بأن نمت عن وردى هذه الليلة فان غالب علماء بلخ وزهادها يصلون لى ويصومون ويفعلون فقالت له وكيف ذلك قال يبيت أحدهم يصلى طول الليل ويصبح صائما طول النهار ثم ينال من عرض شقيق ويأكل لحمه فتكون حسناتهم كلها فى ميزانه وكان أبو امامة رضى الله عنه يقول ان العبد ليعطى كتابه يعنى يوم القيامة فيرى فيه حسنات لم يعملها فيقول يارب أنى لى بهذا فيقال له هذا بما اغتابك الناس وأنت لاتشعر وكان عبد الله بن المبارك رحمه الله تعالى يقول لو كنت مغتابا أحدا لاغتبت والدىّ لانهما أحق بحسناتى من غيرهما وكان محمد بن على الترمذى رحمه الله تعالى يقول من وقع فى عرض أحد فكأنه قدمه بحسناته على نفسه وأحبه أكثر من نفسه قلت فلا ينبغى له التكدير بل يحبه لما حصل له من الثواب وان لم يقصده وذلك فعلم أن من تكدر ممن أهدى اليه حسناته فهو أحمق الا ان كان تكدره لغرض شرعى وكان سعيد بن جبير رحمه الله تعالى يقول ان العبد ليعمل الحسنات الكثيرة فلا يراها فى صحائفه فيقول يارب أين حسناتى فيقال له ذهبت باغتيابك الناس وهم لايعلمون وكان منصور بن المعتمر رحمه الله تعالى يقول لاتنالوا السلطان اذا ظلم بل أكثروا لله الاستغفار فانه ما ظلمكم الا بذنوبكم وقد سئل الزهرى أى قيل له أنقع فى عرض من يسب أبا بكر وعمر رضى الله عنهما قال نعم وكان محمد بن سيرين رحمه الله تعالى يقول من الغيبة المحرمة التى لايشعر بها أكثر الناس قولهم ان فلانا أعلم من فلان فان المفضول يتكدر من ذلك ومن المعلوم أن حد الغيبة أن يذكر الشخص أخاه بما يكره وقيل ان طبيبين يهوديين دخلا على سفيان الثورى مرة فلما خرجا قال لولا أخشى ان تكون غيبة لقلت ان أحدهما أطب من الآخر وكان أخى الشيخ أفضل الدين رحمه الله تعالى اذا سئل عن مقام أحد من العلماء يقول سلوا غيرى عن ذلك فانى ألحظ الناس بعين الكمال والصلاح وليس عندى كشف أعلم به مقامهم عند الله تعالى والظن أكذب الحديث وكان عبد الله بن مسعود رضى الله عنه اذا مر على قوم يغتابون أحدا يقول قوموا فتوضؤا فان بعض ما تتكلمون به ربما كان أشد من الحدث وقد كان أبو تراب النخشبى رحمه الله تعالى يقول الغيبة فاكهة القراء ومزابل الاتقياء وكان ميمون بن يسار رحمه الله تعالى يقول اغتيب رجل مرة فى مجلسى وأنا ساكت

مايصفونه من الادوية ولا يتناولها ولا يشتغل بها ويظن انه يجد الراحة بذلك وكذلك الجائع الذى يحضر عند من يصف الاطعمة اللذيذة فكل وعظ لايغير منك صفة تغييرا تتغير بها أفعالك حتى

فقدم الىّ فى تلك الليلة جيفة منتنة وقيل لى كل هذا فقلت معاذ الله كيف ذلك فقيل هذا عما اغتيب عندك وأنت ساكت وقد كان خالد الربعى رحمه الله تعالى يقول تناول الناس رجلا يوما فى المسجد فأعنتهم عليه فلما نمت تلك الليلة قدّم الىّ قطعة لحم خنزير وقيل لى كل فقلت معاذ الله ان آكله فأدخلوها فى فى كرها علىّ فاستيقظت وأنا أجد طعم ذلك فى فى ومكثت رائحته فى فى أربعين صباحا والناس تشمه منى وكان الفضيل بن عياض رحمه الله تعالى يقول مثال من يغتاب الناس مثال من ينصب منجنيقا لحسناته و يصير يرميها شرقا وغربا فى كل جهة اه وكان عطاء الخراسانى رحمه الله تعالى يقول لا تتكدّروا ممن اغتابكم فانه أحسن اليكم من حيث لا يشعر وقد بلغنا أن من اغتيب غيبة واحدة غفر له نصف ذنوبه وكان وهب بن منبه رحمه الله تعالى يقول لا يكمل صلاح الرجل عند الله تعالى حتى يكون علكا فى أفواه الناس وكان عبد الله بن المبارك رحمه الله تعالى يقول من قال ان فى القوم جفاة فليس ذلك غيبة انما الغيبة أن يقول هم جفاة أى لانه عين من اغتابه وكان يونس بن عبيد رحمه الله تعالى يقول عرضت على نفسى مرة الصوم فى يوم حر شديد أو ترك ذكر الناس فكان الصوم أهون عليها من ذلك وكان عبد الله بن المبارك رحمه الله تعالى يقول لا تذكروا أهل الاهواء والبدع بسوء الالمن يبلغ لهم ذلك لعلهم ينزجرون والا لا فائدة لذكرهم عند من لم يبلغهم (قلت) قد يقصد القائل بذلك تقبيح تلك الصفات فى عيون الحاضرين وتلك فائدة بلا شك وكان يقول فى حديث لا غيبة فى فاسق أى لا تغتابوا الفسقة وكفوا عن غيبتهم وكان حاتم الاصم رحمه الله تعالى يقول ثلاث خصال اذا كن فى مجلس فان الرحمة مصروفة عن أهله ذكر الدنيا وكثرة الضحك والوقيعة فى الناس وقد بلغنا أن الكاذب يتطور كلبا فى النار والحاسد يتطور فى النار خنزيرا والمغتاب يتطور فى النار قردا وكذا النمام وكان أبو عبد الله الانطاكى رحمه الله تعالى يقول ان من الغيبة المحرمة أن تثبت عيب أخيك فى قلبك وتترك أن تتكلم به خوفا من عداوته لك وكان يقول من تجرأ على التصريح بغيبة أحد جره ذلك الى أن يصير يقول فى الناس الزور والبهتان اه فاعرض يا أخى على نفسك هذه الامور وانظر هل سلمت من الوقوع فيها فتشكر الله تعالى أم وقعت فيها فتستغفره وأكثر يا أخى من الاعمال الصالحة لتعطى منها أصحاب الحقوق يوم القيامة واعتقد فى نفسك الفسق فضلا عن اعتقادك فيها الصلاح من كثرة ما تسمع من المحجوبين عن الله تعالى فى حقك بأنك من الصالحين وقد قالوا أجهل الجاهلين من ترك يقين ما عنده لظن ما عند الناس وقبيح على شيخ الزاوية مثلا أن يجلس فى مجالس الغيبة والنميمة أو يقر أحدا على ذلك فانه يصير فاسقا وهذا أمر قد استهان به الناس الآن مع انه أقبح من بيع الحشيش ومع ذلك فلا يكاد أحد يستقبحه كل القبح فلا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم فاعلم ذلك يا أخى واجتنب تلك الصفة والحمد لله رب العالمين

﴿ومن أخلاقهم رضى الله تعالى عنهم﴾ عدم وسوستهم فى الوضوء والصلاة وفى القراءة فيها وغير ذلك من العبادات مع مبالغة أحدهم فى الورع الى الغاية وذلك لان حصول أصل الوسوسة انما هو من ظلمة القلب وظلمة القلب من ظلمة الاعمال وظلمة الاعمال من أكل الحرام والشبهات فمن أحكم أكل الحلال فليس لابليس عليه سبيل مطلقا وقد أكل قوم من أطعمة الظلمة والمكاسين والقضاة والمباشرين ومن يبيع عليهم من التجار وغيرهم وطلبوا الحضور مع الله تعالى والخشوع فى عباداتهم ومعرفة ما فعلوه منها مما تركوه فلم يصح لهم ذلك وكان غاية ما حصله أحدهم العناء والتعب والقفز فى الهواء حال النية فى الصلاة كأنه يصطاد شيأ تفلت من يده وتراه اذا كبر يقول الك الك الك بار بار بار واذا أراد يقرأ يقول بس بس بس ال ال ال هى واذا أراد يتشهد يقول أت أت أت حيات واذا سلم يقول اس اس اس ونحو ذلك كما هو مشاهد من أحوالهم وقد أفتى بعض العلماء ببطلان الصلاة بذلك وقال انه ليس بقرآن ولا ذكر وانما هو كلام أجنبى من كلام الآدميين قاله صاحبه على وجه العمد لا السهو وقد كان شيخنا سيدى على الخواص رحمه الله تعالى يقول ان أحق ما يتسم به هؤلاء الموسوسون أن يقال لهم مبتدعة لا فقهاء وذلك لان أحدهم ربما يتوهم بطلان عبادة الصحابة والتابعين والائمة المجتهدين وأنت لو قلت لاحد منهم توضأ كما بلغك من وضوء رسول الله صلى الله عليه وسلم أو وضوء أصحابه رضى الله عنهم ربما انه لا يرضى بذلك ولا يعتقد صحته نسأل الله العافية وهذا هو الضلال

تقبل الى الله عز وجل وتعرض عن الدنيا وتقبل اقبالا قويا فان لم تفعل بذلك الوعظ زيادة بجحة عليك فاذا رأيته وسيلة لك كنت مغرورا (الصنف الرابع) من المغرورين المتصوفة وما أغلب الغرور

المبين وقد بسطنا الكلام على ذلك فى الباب الخامس عشر من كتابنا المنن الكبرى فراجعه ان أردت ذلك والحمد لله رب العالمين

﴿ومن أخلاقهم رضى الله تعالى عنهم﴾ كتمانهم الاسرار وعدم تبليغهم أحدا ما يسمعونه فى حقه وقد قالوا قلوب الاحرار قبور الاسرار وان لم يكن أهل الله تعالى يكتمون الاسرار فمن بقى يكتمها وهذا الخلق قد صار غريبا فى هذا الزمان فربما يسمع الشيخ الكلمة الآن فيحكيها الغالب من يدخل عليه وربما كان فيها خراب الديار وتراه يقول قد أخبرنا بذلك شخص من أولياء الله تعالى لا يصح فى حقه تهمة و يسميه وليا من أولياء الله والحال انه معدود من الفاسقين بنقل النميمة وافساده بين الناس وان لم يقصد هو ذلك وفى الحديث لا يدخل الجنة قتات يعنى نمام وقد كان مجاهد رحمه الله تعالى يقول فى قوله تعالى وامرأته حمالة الحطب قال كانت تمشى بالنميمة بين الناس وكان أكثم بن صيفى رحمه الله تعالى يقول من علامة النمام الذل بين الناس فلا تكاد تراه عزيزا أبدا وكان يحيى ابن أبى كثير رحمه الله تعالى يقول النمام شر من الساحر ولا يشعر به أحد فانه قد يعمل فى ساعة ما لا يعمله الساحر فى شهر فان النميمة سفكت الدماء ونهبت الاموال وهاجت الفتن العظام وأخرجت الناس من أوطانهم وغير ذلك من المفاسد وكان أبو موسى الاشعرى رضى الله عنه يقول لا يسعى بين الناس بالفساد الا ولد بغى لانه يهلك نفسه و يهلك أخاه و يهلك الذى أنهى اليه الكلام وكان الحسن البصرى رحمه الله تعالى يقول من نقل اليك نقل عنك ومن مدحك بما ليس فيك فلا تأمن أن يذمك بما ليس فيك وكان ابن السماك رحمه الله تعالى يقول احذر ممن يكتم أكثر ممن يحدث بما يسمع فان من يكتم يصدق الناس قوله أكثر لاستبعادهم الكذب عليه وربما تكلم الشخص بكلمة لمن يأتمنه فتكلم بها فاخرب الديار وكان عبد الله بن المبارك رحمه الله يقول لا يقدر على كتمان ما يسمع الا من صح نسبه وأما ولد الزنا فانه لا يستطيع الكتمان وقد ترك بعض اخوان ابراهيم بن أدهم رحمه الله تعالى زيارته زمانا ثم جاءه زائرا فوقع فى عرض بعض الناس عنده فقال له ابراهيم والله ان ترك زيارتك لنا غنيمة بغضت الى أخى وأشغلت قلبى فيا ليتك لم تزرنا فى هذا اليوم اه وكان منصور بن زاذان رحمه الله تعالى يقول والله انى لفى جهاد مع كل من جالسنى حتى يفارقنى فانه لا يكاد يسلم من تبغيض صديقى الىّ أو من تبليغ غيبة من اغتابنى فيدخل علىّ الكرب من ذلك وكان شداد بن حكيم رحمه الله تعالى يقول اذا رأيتم حسنات أخيكم أكثر من سيئاته فاذكروه بالمحاسن وتجاوزوا عن مساويه وكان يقول من أبغض بقول الناس وأحب بقول الناس أصبح نادما على ما فعل فانه قل أن يقع التعديل أو التجريح بحق وانما يقع ذلك بالعصبية وهوى النفس وقد كان خالد بن صفوان رحمه الله تعالى يقول امقتوا النمام وان كان صادقا لان النميمة رواية وقبولها اجازة فيصير قبولها شرا منها اه فاعلم ذلك يا أخى واحذر من افشاء سر اخوانك أو غيرهم فى هذا الزمان ولا تقل انى لم أقصد تلك فانك فى النصف الثانى من القرن العاشر صاحب الفتن والغرائب والحمد لله رب العالمين

﴿ومن أخلاقهم رضى الله تعالى عنهم﴾ الاشتغال بعيوب أنفسهم عن عيوب الناس عملا بقوله وفى أنفسكم أفلا تبصرون وعملا بحديث طوبى لمن شغله عيبه عن عيوب الناس وأيضا فان المطلع على عيوب الناس معدود من جملة الشياطين أى البعداء من رحمة الله تعالى وأهل الله لا يرضون لنفوسهم أن يكونوا كذلك وقد كان زيد القمى رحمه الله تعالى يقول قرأت فى بعض الكتب الالهية يا ابن آدم جعلت لك مخلاتين مخلاة امامك ومخلاة خلفك فالمخلاة التى خلفك فيها عيوبك والمخلاة التى امامك فيها عيوب الناس فلو نظرت الى التى خلفك لشغلتك عن التى امامك اه وكان رحمه الله يقول يتيقن أحدكم عيوب نفسه ومع ذلك يحبها و يبغض أخاه المسلم على الظن فأين العقل وكان بكر بن عبد الله المزنى رحمه الله تعالى يقول اذا رأيتم الرجل موكلا بعيوب الناس فاعلموا أنه عدوّ لله وأن الله قد مكر به وكان بشر الحافى رحمه الله تعالى يقول عجبا للناس يقع أحدهم فى عرض أخيه وهو غائب فاذا حضر أظهر محبته وسارع الى مدحه فمن زعم أن الله تعالى يحبه وهو يقرض فى أعراض الناس فهو كاذب لانه شيطان والشيطان عدوّ الله وكان يحيى بن معاذ رحمه الله تعالى يقول من عقل العاقل أن لا يعير أحدا بذنب فانى ربما عيرت أحدا بذنبه فابتليت بذلك الذنب بعد عشرين سنة وقد بلغنا

على هؤلاء منهم متصوفة أهل هذا الزمان الا من عصمه الله اغتروا بالزى والمنطق والهيئة فشابهوا الصادقين من الصوفية فى زيهم وهيئتهم وألفاظهم وآدابهم ومراسمهم واصطلاحاتهم وأحوالهم

أن عيسى صلى الله عليه وسلم كان يقول لا تنظروا فى عيوب الناس كأنكم أرباب وانظروا فى عيوبكم لأنكم عبيد فان الناس رجلان مبتلى ومعافى فارحموا أهل البلاء واشكروا الله على العافية وقد كانت رابعة العدوية رحمها الله تقول ان العبد اذا ذاق محبة الله تعالى أطلعه على مساوى عمله فشغله بها عن مساوى الناس وكان مجاهد رحمه الله تعالى يقول لو بغى جبل على جبل لهدّ الباغى منهما (قلت) ومما ينبغى التفطن له احتساب العبد بالله تعالى على من ظلمه فانه يهلكه بذلك وان هذا أعظم فى هلاكه من مقابلته بالبغى عليه فى الظاهر فان تركه هذا الظاهر اقابله بأشد منه فى الباطن فينبغى لمن بغى عليه أن لا يحتسب بالله على عدوه بل يسأل الله تعالى أن لا يؤاخذه بسببه والله أعلم وكان أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه يقول رحم الله من أهدى الى عيوبى وكان عبد الله التيمى رحمه الله تعالى يقول لا يعيب الرجل الناس الا بفضل ما عنده من العيب وكان الشعبى رحمه الله تعالى يقول من استقصى عيوب اخوانه بقى بلا صديق فقد بلغنا أن الناس أتوا أمير المؤمنين عليا رضى الله عنه برجل عليه حد والناس حوله كالجراد فقال على رضى الله عنه أنشد بالله ان كل شخص أتى منكم هذا الحد فلينصرف فانصرفوا كلهم اهـ فاحفظ لسانك يا أخى فان من شق جيب الناس شقوا جيبه واياك أن تنسى نفسك اذا اطلعت على عيب أخيك المسلم بل الواجب عليك أن تجعل ذلك مذكرا لعيبك فان الطينة واحدة وما جاز وقوعه من غيرك جاز وقوعه منك وفى الحديث من عير أخاه بذنب لم يمت حتى يعمل ذلك الذنب اهـ (قلت) واذا أطلعك الله تعالى على عيب أحد من طريق كشفك فاستغفر الله تعالى فانه كشف شيطانى فاعلم ذلك يا أخى واحذره كل الحذر والحمد لله رب العالمين

﴿ومن أخلاقهم رضى الله تعالى عنهم﴾ حسن خلقهم مع جفاة الطباع تخلقا بأخلاق رسول الله صلى الله عليه وسلم وعملا بقوله وخالق الناس بخلق حسن وكان أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه يقول ان الرجل ليكون فيه تسعة أخلاق حسنة وواحد سيئ فيغلب ذلك الواحد التسعة فاتقوا عثرات اللسان وكان بشر ابن عمر رحمه الله تعالى يقول ليس لسيئ الخلق الا الهجران وكان وهب بن منبه رحمه الله تعالى يقول مثل السيئ الخلق مثل الفخارة المكسورة لا ينتفع بها ولا تعاد طينا وقد كان الحسن البصرى رحمه الله تعالى يقول أول من يجنى على سيئ الخلق سوء خلقه فانه يعذب نفس صاحبه كما هو مشاهد وقد سئل مرة عن حسن الخلق المشار اليه بقوله صلى الله عليه وسلم وخالق الناس بخلق حسن فقال هو السخاء والعفو والاحتمال وقد سئل أمير المؤمنين على رضى الله عنه عن ذلك أيضا فقال هو موافقة الناس فى كل شئ ما عدا المعاصى وكان يقول من كثر همه سقم بدنه ومن قل ورعه مات قلبه وكان أبو حازم رحمه الله يقول ان من سوء خلق الرجل أن يدخل على أهله وهم فى سرور يضحكون فيتفرقون خوفا منه ومن سوء خلقه أيضا هروب الهرة منه وصعود كلبه الحائط خوفا منه وكان سفيان الثورى رحمه الله تعالى يقول من خطب امرأة وهو يعلم من نفسه سوء الخلق فليعلمها بذلك والا غشها انتهى وسيأتى بسط ذلك مفرقا فى هذا الكتاب فانه كله محاسن أخلاق فلا يصح لاحد التقليد بحسن الخلق الا ان تخلق بها جميعا وذلك عزيز جدا ولا يخرج من الغش الا ان اتهم نفسه بسوء الخلق ثم انه يقبح على من زعم أنه من الدعاة الى الله أن يكون خلقه سيئا يخاف الناس من شره كما أنه يقبح على جماعته فقد قالوا من علامة المنافق أن يتركه الناس اتقاء فحشه وفى الحديث مرفوعا شر الناس من تركه الناس اتقاء فحشه فاعلم ذلك واياك وسوء الخلق والحمد لله رب العالمين

﴿ومن أخلاقهم رضى الله تعالى عنهم﴾ كثرة الفتوة والمروءة تخلقا بأخلاق رسول الله صلى الله عليه وسلم وأخلاق الصحابة والتابعين والعلماء العاملين رضى الله تعالى عنهم أجمعين فانه لا خير فيمن لا فتوة عنده ولا مروءة ولو كان على عبادة الثقلين وقد سئل الحسن البصرى رحمه الله تعالى عن المروءة فقال هى ترك ما يعاب به عند الله وعند خلقه وقد أجمع السلف على وجوب المروءة والفتوة فى طريق القوم وأن تركهما من أخلاق المنافقين وفى الحديث سيأتى على الناس زمان تقصر فيه المروءة وتدق فيه الاخلاق ويستغنى فيه الرجال بالرجال والنساء بالنساء واذا وجد ذلك فلينتظروا العذاب صباحا ومساء وقد سئل عمرو بن العاص رضى الله عنه عن المروءة ما هى فقال هى عرفان الحق وتعاهد الاخوان بالبر وكان السرى السقطى رحمه الله تعالى

الظاهرة فى السماع والرقص والطهارة والصلاة والجلوس على السجادة مع اطراق الرأس وادخاله فى الجيب كالمفتكر مع تنفيس الصعداء وفى خفض الصوت فى الحديث وفى الصياح الى غير ذلك

يقول

يقول المروءة هى صيانة النفس عن الادناس وعن كل شئ يشين العبد بين الناس وانصاف الناس فى جميع المعاملات فمن زاد على ذلك فهو متفضل وكان ربيعة رضى الله عنه يقول المروءة فى السفر هى بذل الرجل الزاد وقلة خلافه على الاخوان وعدم المزاح معهم وكان بعضهم يقول ليس من المروءة أن يربح التاجر على صديقه (قلت) بل المروءة فى التاجر رضاه بالربح اليسير لا ترك الربح بالكلية لان موضع التجارة انما هو للربح دنيا وأخرى فيأخذ من صديقه الربح اليسير الذى لا يرضى به غيره من التجار الاجانب أى لا يقنع به فان من باع بغير ربح افتقر وركبه الدين والله تعالى أعلم وقد سئل أبو عبد الله محمد بن عراق رحمه الله تعالى عن المروءة ما هى فقال هى أن لا تفعل فعلا تستحى من ظهوره فى الدنيا والآخرة وكان أبو هريرة رضى الله عنه اذا سئل عن المروءة يقول هى الغداء والعشاء فى أفنية الدور لا فى داخلها وقد كتب الحسن بن كيسان رحمه الله على باب داره رحم الله من دخل فأكل وكان السلف اذا استعار أحدهم قدرا ليطبخ فيه ردها ملآنة طعاما وربما ملأها صاحبها طعاما ثم أعارها لمن طلبها ويقول كرهت أن أعيرها لاخى فارغة وقد سئل الاصمعى رحمه الله تعالى عن المروءة فقال هى طعام موضوع ولسان حلو ومال مبذول وعفاف معروف وأذى مكفوف اهـ فاعلم ذلك يا أخى فقد سمعت مقال سلفك عن المروءة فاعمل عليه وكن يا أخى متشبها بأهل المروآت ان لم تكن منهم حقيقة والحمد لله رب العالمين

﴿ومن أخلاقهم رضى الله تعالى عنهم﴾ كثرة السخاء والجود وبذل المال ومواساة الاخوان فى حال سفرهم وفى حال اقامتهم فانه بذلك يقع التعاضد فى نصرة الدين الذى هو مقصودهم وفى الحديث اذا كان أغنياؤكم سمحاءكم وأمراؤكم خياركم وأمركم شورى بينكم فظهر الارض خير لكم من بطنها واذا كان أمراؤكم شراركم وأغنياؤكم بخلاءكم وأمركم الى نسائكم فبطن الارض خير لكم من ظهرها وروى أن رجلا أتى النبى صلى الله عليه وسلم فسأله شيئا فأمر له بأربعين شاة فرجع الرجل الى قومه وقال يا قوم اسلموا فان محمدا يعطى عطاء من لا يخشى الفقر وقد زوج الحسين بن على رضى الله عنهما امرأة فبعث معها بمائة جارية مع كل جارية ألف درهم قال ودخل عبد الله بن أبى بكرة الصحابى رضى الله عنه يوما مجلسا ففسح له رجل فى المجلس فلما أراد القيام قال لذلك الرجل الحقنى الى منزلى فلحقه فأمر له بعشرة آلاف درهم رحمه الله وكان عبد الله بن عمر رضى الله عنهما يشترط على من يريد يصحبه فى السفر أن يكون عبد الله هو الذى ينفق عليه وأن يكون خادما ومؤذنا وقد كانت عائشة رضى الله عنها تقول الجنة دار الاسخياء والنار دار البخلاء وكان عبد الله بن عباس رضى الله عنهما يقول علامة الكريم أن يكون شيبه فى مقدم رأسه ولحيته وعلامة اللئيم أن يكون شيبه فى قفاه وأن لا ينفع غيره بشئ الا لرغبة أو رهبة وقد كان ابراهيم بن أدهم رحمه الله تعالى يقول عجبا للرجل اللئيم يبخل بالدنيا على أصدقائه ويسخى بالجنة لاعدائه وكان امامنا الشافعى رضى الله عنه يقول من علامة اللئيم أنه اذا ارتفع جفا أقاربه وأنكر معارفه وتكبر على أهل الفضل والشرف وكان محمد بن سيرين رحمه الله تعالى يقول لقد أدركنا الناس وهم يتهادون بالفضة فى الاطباق كالفاكهة اهـ وكان يحيى بن معاذ رحمه الله تعالى يقول عجبت ممن يبقى معه مال وهو يسمع قوله سبحانه وتعالى ان تقرضوا الله قرضا حسنا يضاعفه لكم (قلت) ومتى كان سبب توقف العبد فى الانفاق فى وجوه الخير التى أمر الله تعالى بها عدم تصديقه بما وعده الله به من الاجر وتضعيف الثواب فلا ينفعه عمل ولو صار أمثال الجبال لانه بناء على غير أساس اذ من كمال المؤمن الكامل أن لا يتخلف عن مأمور وتأمل يا أخى لو جلس انسان وبين يديه زنبيل ملآن ذهبا وقال كل من أعطى فقيرا درهما أعطيته دينارا كيف يبادر الناس ويسارعون الى بذل الدراهم للفقراء بخلاف ما لو وعدهم بالدينار بعد سنة مثلا فانه لا يجيبه الا القليل منهم وذلك لضعف تصديقهم له ولو أن ايمانهم كان كاملا لاجابوه كلهم اذ من شرط كامل الايمان أن يكون ما وعده به الشارع غيبا كالحاضر عنده على حد سواء ومن هنا تقدم من تقدم وتأخر من تأخر اهـ والله أعلم وقد سئل عبد الله بن مسعود رضى الله عنه عن العاقل من هو فقال من يكنز ماله فى مكان لا يأكله السوس ولا تصل اليه اللصوص يعنى فى السماء وقد كان كسرى يقول أنت للمال ما أمسكته فاذا أنفقته كان لك قال ودخل شخص البصرة فقال من سيد هذا المصر فقيل له الحسن بن أبى الحسن البصرى

فلما تعلموا ذلك ظنوا أن ذلك يحجبهم فلم يتعبوا أنفسهم قط بالمجاهدة والرياضة والمراقبة للقلب وتطهير الباطن والظاهر من الآثام الجلية والخفية وكل ذلك من منازل التصوف ثم أنهم يتكالبون

فقال وبم سادهم قالوا لانه استغنى عما بأيديهم من الدنيا واحتاجوا لما عنده من العلم والدين فقال الرجل بخ بخ هذا سيدهم بلا شك وقد أوحى الله تعالى الى موسى عليه الصلاة والسلام انى لاشكو اليك من عبادى من أربعة أشياء استقرضتهم مما أعطيتهم فبخلوا وحذرتهم من ابليس فلم يحذروا ودعوتهم الى الجنة فلم يجيبوا وخوفتهم من النار فلم يخافوا واجتهدوا فى أعمالها وقد جاءت امرأة يوما الى الامام الليث ابن سعد رضى الله عنه باناء صغير تطلب منه فيه عسلا وقالت ان زوجى مريض قال فأمر لها الامام براوية مملاءة عسلا فقيل له انها طلبت قدحا صغيرا فقال انما طلبت على قدرها ونحن أعطيناها على قدرنا وكان الحسن البصرى رحمه الله تعالى يقول عجبا لك يا ابن آدم تنفق فى شهواتك اسرافا وبدارا وتبخل فى مرضاة ربك بدرهم ستعلم يا لكع مقامك عنده غدا وكان يقول أعطوا الشعراء وذوى اللسان فان من لم يبال بالشكاية فيه فقد نادى على نفسه بالدناءة وقلة المروءة وكان يقول اياك أن تطلب حاجة من بخيل فان من طلب منه حاجة فهو كمن يطلب صيد السمك من البرارى والقفار وكان أبو القاسم الجنيد رحمه الله تعالى لا يمنع قط أحدا سأله شيأ ويقول أتخلق بأخلاق رسول الله صلى الله عليه وسلم (قلت) ومن أسماء الله تعالى المانع فيمنع سبحانه وتعالى من سأله حاجة لحكمة لا لبخل تعالى الله عن ذلك فما نقل عن بعض الاكابر أنه منع السائل فهو لحكمة لا لبخل تخلقا بأخلاق الله عز وجل وقد بعث معاوية الى عائشة رضى الله عنهما يوما بمائة ألف درهم ففرقتها فى وقتها ولم تبق لها عشاء ليلة وقد فرق طلحة بن عبيد الله رضى الله عنه مائة ألف درهم وهو جالس يخيط فى طرف ردائه ويرقعه وكان عبد الله بن عمر رضى الله عنهما يقول ما رأيت بعد النبى صلى الله عليه وسلم أجود من معاوية رضى الله عنه لقى الحسن بن على رضى الله عنهما فقال مرحبا بابن بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم أمر له بثلثمائة ألف درهم ثم لقى عبد الله بن الزبير رضى الله عنهما فأمر له بمائة ألف درهم وكان حماد بن سلمة رحمه الله تعالى يدعو على سماطه فى كل ليلة من شهر رمضان خمسين رجلا يفطرون معه فاذا كان يوم العيد كسا كل واحد منهم ثوبا وأعطاه مائة درهم وكان يعطى معلم ولده القرآن كل شهر ثلاثين دينارا وقد انقطع زر ثوبه مرة فأصلحه له الخياط فأعطاه ثلاثين درهما واعتذر اليه وكان رحمه الله يقول لولا سؤال المحتاجين لى ما اتجرت فى شئ أبدا وكان رحمه الله تعالى اذا رأى امرأة جميلة تسأل الناس يكرمها ويعطيها الدراهم والثياب ويقول انما أفعل ذلك ليرغب الناس فى تزويجها خوفا عليها من الفتنة وكان عبد الله بن أبى بكرة رضى الله عنهما ينفق على جيرانه أربعين دارا من كل جانب ويفطر على الكسرة وكان يبعث اليهم بالاضاحى والكسوة فى الاعياد وكان يعتق كل سنة فى عيد الفطر مائة مملوك وكان عبد الله بن أبى ربيعة رحمه الله تعالى اذا جمه عبد من عبيده أعتقه واذا كان لغيره اشتراه من مولاه وأعتقه ولما مرض عبد الله بن لهيعة زاره الامام الليث رحمهما الله تعالى فرآه يبكى فقال له ما يبكيك يا عبد الله قال على ألف دينار دينا قال فأرسل الامام خادمه فأتاه بها وأوفى عنه الدين وقد دعى عبد الله بن جعفر رضى الله عنهما الى وليمة فلم يحضر لعائق حصل له فأرسل الى صاحب الوليمة خمسمائة دينار واعتذر اليه وسأله أن يسامحه فى عدم الحضور وجاء رجل الى سعيد بن العاص رضى الله عنه يسأله شيأ فأمر له بخمسمائة وأطلق فقال الغلام مستفهما من سيده دنانير أو دراهم فقال سعيد أنا ما أردت الا الدراهم ولكن حيثما ترددت أنت فى ذلك فصيرها له دنانير قال فجلس الرجل يبكى فقال له سعيد ما يبكيك فقال أبكى على مثلك ينزل تحت الارض ويأكله التراب وكان سعد بن عبادة رضى الله عنه يقول اللهم ارزقنى مالا أجود به فانه لا يصلح الفعال الا المال ثم ينشد قوله

أرى نفسى تتوق الى فعال * فيقصر دون مبلغهن مالى
فلا نفسى تطاوعنى ببخل * ولا مالى يبلغنى فعالى

فاعلم ذلك يا أخى واياك أن تتظاهر بالمشيخة وأنت على خلاف أخلاق القوم فى الكرم والسخاء والجود والمواساة فقد كانوا يعطون المال الجزيل ولا يرون لهم فضلا على أحد وكان أحدهم يشق ازاره نصفين ويعطى أخاه نصفه وقد سئل عبد الله بن عمر رضى الله عنهما ما حق المسلم على المسلم قال أن لا يشبع ويترك أخاه جائعا ولا يلبس ويترك أخاه عاريا ولا يبخل عليه بالبيضاء والصفراء وكان أبو الدرداء رضى الله عنه يقول

على الحرام والشبهات وأموال السلاطين ويتنافسون فى الرغيف والفلس والحبة ويتحاسدون على النقير والقطمير ويمزق بعضهم أعراض بعض مهما خالفه فى شئ من غرضه فهؤلاء غرورهم

كيف يبخل أحدكم بديناره ودرهمه على أخيه واذا مات يبكى عليه أشد البكاء وقد كان الصحابة رضى الله عنهم يهدى بعضهم الهدية الى أخيه فيهديها الآخر الى أخيه فلا تزال تلك الهدية تدور بينهم حتى ترجع الى مهديها الاول اه مع أن كلا منهم محتاج اليها ولكن كانوا يؤثرون على أنفسهم وكان أحدهم اذا تزوج وهو فقير يعطون عنه المهر ويعطونه قوت سنة ادخالا للسرور عليه ودفعا لما لعله يقع فيه من الاهتمام بأمر المعيشة كما هو الغالب على من يتزوج وكان الحسن بن على رضى الله عنهما لا يرد سائلا قط وسأله مرة شخص فأمر له بعشرة آلاف دينار فقال له الرجل انى لا أجد ما أحملها فيه فأعطاه طيلسانه وكان بكر بن عبد الله المزنى رحمه الله تعالى يقول أحب أموالى الى ما وصلت به اخوانى وأبغضها الى ما خلفته ورائى وقد كانوا اذا أقبل عليهم السائل يفرحون به ويقولون مرحبا بمن جاء يحمل أزوادنا الى الآخرة بغير أجرة ويقل عنا ما يشغلنا عن عبادة ربنا سبحانه وكان يرسل أحدهم الى أخيه الالف دينار ويقول له فرقها على المحتاجين ولا تنسبها الى وقد كان الضحاك رحمه الله تعالى يقول فى قوله تعالى انا نراك من المحسنين قال كان احسان يوسف عليه الصلاة والسلام أن كل من مرض فى السجن قام عليه وكل من احتاج وسع عليه وكان عليه الصلاة والسلام اذا لم يجد عنده شيأ للفقير يدور على الابواب يسأل له الناس وقد كان السلف اذا مات لاحدهم خادم يرسلون له خادما خلافه وكان يقبل ذلك وهو ساكت ولا يرى له فضلا على أخيه وكانوا اذا بلغهم أن على أحد من اخوانهم دينا يوفونه عنه من غير أن يشاوروه عليه وكان المديون اذا علم ذلك يسكت وكأنه أوفاه هو من ماله لما يعلم من طيبة نفس أخيه بذلك وقد كانت معيشة الربيع بن خيثم وابراهيم النخعى وعطاء السلمى رضى الله عنهم من صلة الاخوان ولم يكن لاحدهم زرع ولا ضرع ولا غير ذلك (قلت) وما جاء عن السلف من ذمهم ترك الحرفة والاكل من طعام الناس محمول على من يمن بذلك عليهم أو يطعمهم لاجل دينهم ونحوه وكانوا اذا سألهم أحد من اخوانهم وفاء دين يوفونه عنه ويقولون يا ويلنا قصرنا عن البحث عن حال أخينا حتى أحوجناه الى سؤالنا وقد بلغ ابن المقنع رحمه الله أن جاره عزم على بيع داره لديون عليه فأرسل له ثمن الدار وقال له لا تبعها فان نفعنا بها أكثر من نفعك أنت بها طالما جلسنا فى ظلها وكان ابراهيم التيمى رحمه الله تعالى يجمع كل قليل جماعة من الفقراء ويجلسهم فى المسجد ويقول لهم تعبدوا وأنا أقوم بخدمتكم ومؤنتكم وقد كان ميمون بن مهران رحمه الله تعالى يقول من طلب مرضاة الاخوان بلا احسان فقد أخطأ الطريق وفى رواية فليصل أهل القبور وقد كان أمير المؤمنين على رضى الله عنه يقول خير المسلمين من أعانهم ونفعهم وكان عيسى عليه الصلاة والسلام يقول استكثروا من شئ لا تأكله النار ولا التراب فيقولون ما هو فيقول المعروف فان من لم تنفعك أيام صداقته فلا عليك منه ان قرب أو بعد اه فتأمل يا أخى فى نفسك واتبع أقوال سلفك الذين تزعم أنك خلفهم والحمد لله رب العالمين

﴿ومن أخلاقهم رضى الله تعالى عنهم﴾ شدة محبتهم لاصطناع المعروف الى الاخوان ومحبة الانبساط اليهم وادخال السرور على بعضهم بعضا وتقديم اخوانهم فى ذلك على أنفسهم وكانوا لا يتوقفون على استحقاق اخوانهم لذلك ويقولون ان لم يكن أخونا أهلا للمعروف فنحن من أهله وكان على رضى الله عنه يقول اصنع المعروف ولو الى من يكفره فانه فى الميزان أثقل ممن يشكره وكان محمد بن الحنفية رضى الله عنه يقول صانع المعروف لا يقع ولو وقع لا ينكسر وكان جعفر بن محمد رضى الله عنه يقول انما حرم الله الربا لئلا يتمانع الناس المعروف وكان معمر رحمه الله يقول قد صار المعروف والاحسان اليوم سلما للسوء حتى قال الناس اتق شر من تحسن اليه كل ذلك لخروج الامور عن موضوعاتها لقرب الساعة وكان يقول من أقبح المعروف أن تحوج السائل الى أن يسأل وهو يخجل منك فلا يجيء معروفك قدر ما قاسى من الحياء وكان الاولى أن تتفقد حال أخيك وترسل له ما يحتاج ولا تحوجه الى السؤال وكان الفضيل بن عياض رحمه الله تعالى يقول نحن لا نعد القرض من المعروف لان صاحبه يطلب المقابلة وانما المعروف المسامحة للناس فى كل ما يطلبونه منك فى الدنيا وفى الآخرة وكان السرى السقطى رحمه الله تعالى يقول ذهب المعروف وبقيت التجارة يعطى أحدهم لاخيه الشئ لاجل أن يعطيه نظيره وقد كان وهب بن منبه رحمه الله تعالى يقول من يكافئ صاحب الهدية فهو من

ظاهر فمثلهم كمثل عجوز سمعت أن الشجعان والابطال والمقاتلين ثبتت أسماؤهم فى الديوان فتزينت بزيهم ووصلت الى الملك فعرضت على ميزان العرض فوجدت عجوز سوء فقيل لها أما تستحيى فى استهزائك

المطففين وكان عبد الله بن عباس رضي الله عنهما يقول لا يتم المعروف الا بثلاث خصال تعجيله وتصغيره في عين معطيه واخفاؤه عن الناس وكان المهلب بن أبي صفرة رحمه الله تعالى يقول لاولاده كل فقير رأيتموه يغدو ويروح على بابكم فاعلموا أنه محتاج فاعطوه ولا تحوجوه الى السؤال وكفى بالرواح والغدو مسئلة وكان الحسن البصري رحمه الله تعالى يقول لقد أدركنا الناس وأحدهم يدخل دار أخيه وهو غائب فيرى السلة مملوءة فاكهة فيأخذها يأكل منها او يفرق منها بغير اذن فاذا جاء أخوه وأخبر فرح بذلك وقد كان لمحمد بن سيرين رحمه الله تعالى بغل مربوط في دهليزه فكان كل من احتاج الى ركوبه أخذه وركبه من غير استئذان لما يعلمون من طيب نفسه بذلك وكان عبد الله بن المبارك مع شدة ورعه يكتب من محبرة اخوانه بغير اذن وقد دعي مسلم بن زيادر رحمه الله تعالى الى وليمة فأبطأ ثم ذهب فلما رآه صاحب الوليمة قال له انك قد أبطأت وقد أكل الناس الطعام وذهبوا وما بقي شئ فقال له مسلم لعل القصاع قد بقي فيها شئ نلحسه فقال له انا قد غسلناها فقال لعل القدور قد بقي فيها شئ فقال له وقد غسلناها أيضا فقال لعل كسرة من خبز فقال له لم يبق عندنا ولا لقمة واحدة قال فتبسم عند ذلك مسلم ورجع فقالوا له انك لم تتكدر منه ونحن نراك قد تبسمت فقال ان الرجل قد دعانا بنية صالحة وردنا كذلك بنية صالحة فعلام نتكدر منه وقد دخل جماعة دار سفيان الثوري رحمه الله تعالى وهو غائب فأخذوا ما يأكلون وجلسوا يأكلون ويتحدثون في صلاح سفيان فبينما هم كذلك اذ أقبل سفيان فوجدهم على تلك الحالة فبكى فقالوا له ما يبكيك قال كيف لا أبكي وقد ذكرتموني بأحوال السلف الصالح وعاملتموني بأخلاق الصالحين ولست منهم وكان بقية بن الوليد رحمه الله يدخل دار صديقه في غيبته ويأخذ القدر من على النار ويضعه على باب الدار فيأكل منه ويفرق على الفقراء والمساكين فاذا جاء أخوه فرح بذلك وقال جزاك الله من أخ صالح خيرا قدمت ما لنا اليوم معادنا وقد كان جعفر بن محمد رضي الله عنهما يقول بئس الاخ من لا يتجرأ أخوه أن يفتح كيسه في غيبته ويأخذ منه ما يحتاج اليه بغير اذنه (قلت) قد يترك أحدهم ذلك لا لما يعلمه من أخيه من البخل بل قياسا على نفسه والله أعلم وكان حامد اللفاف رحمه الله تعالى يقول والله ما كنا نظن أننا نعيش الى زمان صار الاخ اذا أعطى أخاه شيأ يرى له قدرا في قلبه فاذا أظهر أخوك محبتك فلا تبادر الى تصديقه فان الاخوان الآن قد صار واسريعي الانقلاب واذا قربك انسان فكن منه على حذر وقد كان عبد الله بن عباس رضي الله عنهما يقول من أدخل على اخوانه السرور فهو من الآمنين من عذاب الله تعالى يوم القيامة وكان ابراهيم بن أدهم رحمه الله يقول لقد أدركنا الناس وأحدهم لا يرى انه أحق بمتاعه من أخيه الا ان كان أحوج الى ذلك من أخيه وكان معن بن زائدة رحمه الله تعالى يقول ما رددت سائلا قط الا وتبين لي اني مخطئ في ذلك وكان عبد الله بن عباس رضي الله عنهما يقول اني لاستحي من صاحبي أن يزورني ثلاث مرات ولم أعطه شيأ وكان الزهري رحمه الله يقول ان كان لك الى أخيك حاجة فائته في بيته فان ذلك أقضى للحاجة وقد قال رجل مرة لاوس بن خارجة رحمه الله تعالى اني جئتك في حاجة صغيرة فقال له اطلب لها رجلا صغيرا وكان الحسن بن علي رضي الله عنهما اذا سئل في حاجة يبادر اليها ويقول اني أخاف أن أبطئ بها فيستغني أخي عنها فيفوتني الاجر وكان مطرف بن عبد الله رحمه الله تعالى يقول من كان له عندي حاجة فليكتبها في قرطاس ويرسلها الي فاني أكره أن أرى ذل المسئلة في وجه مسلم فان السؤال أرجح من النوال وان جل وكان الفضيل بن عياض رحمه الله تعالى يقول من المعروف أن ترى المنة لاخيك عليك اذا أخذ منك شيأ لانه لولا أخذه منك ما حصل لك الثواب وأيضا فانه خصك بالسؤال ورجا فيك الخير دون غيرك وكان محمد بن واسع رحمه الله اذا سأل أحدا حاجة يقول قد رفعنا أمرها الى الله فان قضاها على يديك حمدنا الله وشكرناك وان لم يقضها على يديك حمدنا الله تعالى وعذرناك وكان ميمون بن مهران رحمه الله تعالى يقول اذا كان لك عند أحد حاجة فاجعل رسولك الهدية فقد كانت عائشة رضي الله عنها تقول مفتاح قضاء الحاجة الهدية وكان عبد الله ابن عباس رضي الله تعالى عنهما يقول لا تطلبوا من أحد حاجة بالليل فان الحياء في العينين وكان رضي الله عنه يقول من بات يتقلب على فراشه اذا نزل بي بلاء أو هم أو غم فلا أقدر على مكافأته لانه جعلني حاجته عند ربه عز وجل وكان عطاء رحمه الله تعالى يقول اني لاسمع الحديث من الرجل وأكون أعرفه قبل ذلك وسمعته مرارا

بالملك اطرحوها حول الفيل فطرحت حول الفيل فركضها حتى قتلها (وفرقة أخرى) زادت على هؤلاء في الغرور اذ صعب عليها الاقتداء في بذالة الثياب والرضا بالدون في المطعم والمنكح والمسكن

فأصغى اليه اصغاء من لم يسمعه قط الا منه وذلك خوفا أن يخجل اذا سابقته اليه وكان ابن عباس رضي الله عنهما يقول لكل داخل دهشة فتلقوه بالرحب وابدؤه بالتحية وفي الحديث لا تنزلوا اخوانكم بمن لا يشتهي قضاءها وكان الربيع بن خيثم رحمه الله تعالى لا يعطي السائل كسرة ولا شيأ مكسورا ولا ثوبا خلقا ويقول أستحي أن تقرأ صحيفتي على الله تعالى وفيها الاشياء التافهة التي أعطيتها الاجلة انتهى فاعلم ذلك يا أخي وفتش نفسك هل أنت على قدم سلفك فيما سمعته أم خالفت واياك أن تدعي انك من الصالحين والحمد لله رب العالمين

(ومن أخلاقهم رضي الله تعالى عنهم) عدم مبادرتهم الى المؤاخاة في الله تعالى بل يتربص أحدهم في ذلك السنة وأكثر أدبا مع الله تعالى أن يؤاخي أو يصادق أحدا من غير معرفته بالوفاء بحقوقه وتنزيله منزلة نفسه في أمور الدنيا والآخرة وهذا الخلق يخل به كثير من الناس فيبادرون الى مؤاخاة من طلب منهم ذلك ومصادقته ثم بعد مدة يتصارمان وقد قالوا فساد الانتهاء من فساد الابتداء وفي الحديث لا يتوادا اثنان فيفرق بينهما الا بذنب يحدثه أحدهما رواه الامام أحمد رضي الله عنه وفي الحديث أيضا سيكون في آخر الزمان قوم اخوان العلانية أعداء السريرة قالوا يا رسول الله وكيف ذلك قال يتواخون رغبة ورهبة وقد كان أنس بن مالك رضي الله عنه يقول كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يؤاخي بين أصحابه رضي الله عنهم فتطول على أحدهم الليلة حتى يلقى صاحبه وقد كانت العامة اذا غاب أحدهم عن أخيه ثلاثة أيام يوبخ كل واحد منهم نفسه وكان حبيب بن أبي ثابت رحمه الله تعالى يقول لا تؤاخي أحدا الا ان كنت لا تكتم عنه سرا والا فهو أجنبي منك وكان الحسن البصري رحمه الله تعالى يقول لقد أدركنا الناس وهم يواسون بعضهم بعضا ولا يسألون عن كون أخيهم محتاجا الا ما يواسونه به أم لا وتراهم اليوم يسألون عن أحوال بعضهم ثم لا يسمح أحدهم أن يعطي أخاه درهما وكان أبو حازم رحمه الله تعالى يقول اذا كان لك أخ في الله فلا تعامله في الدنيا وأكثر من مواساته من غير طلب عوض منه على ذلك لتدوم لك محبته وكان سفيان الثوري رحمه الله تعالى يقول لا ينبغي لاحد أن يقول لاخيه اني أحبك لله الا بعد أن يعرض على نفسه أنه لا يمنعه شيأ طلبه منه ولو طلاق زوجته ليتزوجها وقد سئل عن الاخوة في الله فقال تلك طريق نبت فيها الشوك فلا أحد يسلكها وكان ابن عباس رضي الله عنهما يقول من لم يشق عليه الذباب اذا نزل على بدن أخيه فليس بأخ وقد كان عمرو بن العاص رضي الله عنه يقول كلما كثر الاخلاء كثر الغرماء يوم القيامة ومن لم يواس اخوانه بكل ما يقدر عليه نقص من محبته بقدر ما نقص من مواساتهم والمراد بالغرماء الحقوق وكان علي بن بكار رحمه الله تعالى يقول ما رأيت في زماني أحدا قام بحق الاخوة مثل ابراهيم بن أدهم رحمه الله تعالى كان يقسم الدرهم والتمرة والزبيبة بينه وبين أخيه وان غاب حفظها له حتى يحضر وقد قيل لميمون بن مهران رحمه الله ما لنا نراك لا يفارقك الاصدقاء فقال لاني كلما رأيت أخي يحب شيأ أعطيته اياه ولا أميز نفسي عليه وكان امامنا الشافعي رضي الله عنه يقول ليس بأخيك من احتجت الى مداراته والاعتذار اليه وقد مات ولد ليونس بن عبيد رحمه الله تعالى فلم يعزه ابن عون فقيل له ان فلانا لم يعزك في ولدك فقال انا اذا وثقنا بمودة أحد لا يضرنا أن لا يأتينا وكان حامد اللفاف رحمه الله تعالى يقول لقد أدركنا الناس وهم يحسنون الى أعدائهم ونراهم اليوم لا يحسنون ولا لاصدقائهم وكان الاعمش رحمه الله تعالى يقول لقد أدركنا الناس وأحدهم يمكث الايام المتوالية لا يلقى أخاه ثم اذا تلاقيا لا يزيد أحدهم الآخر على قوله كيف أنت كيف حالك ولو أنه سأله شطر ماله لاعطاه اياه ثم صار الناس اليوم لو لقي أحدهم أخاه كل يوم أو كل ساعة يقول له كيف حالك كيف أنت ويسأله عن كل شئ حتى عن الدجاجة في البيت ولو أنه سأله درهما لم يعطه اياه وقد قال شخص مرة لبشر الحافي رحمه الله تعالى اني أحبك في الله فقال له ليس ما تقوله حقا وربما كان حمارك أهم عندك مني في تذكره عند العشاء فكيف تدعي محبتي وقال شخص لبشر بن صالح اني أحبك في الله فقال له ما حملك على الكذب قال كيف قال تدعي أنك تحبني وبرذعة حمارك أكثر قيمة من عمامتي وثيابي وقد سئل سفيان بن عيينة رحمه الله عن الاخوة في الله تعالى فقال هي أن تخرج عن جميع مالك كما خرج الصديق رضي الله عنه عن ماله كله لرسول الله صلى الله عليه وسلم وقد سئل بشر الحافي رحمه الله تعالى عن الرجل يحب الرجل ولكنه ربما يمنعه بعض منافع الدنيا أهو صادق في محبته قال نعم ولكنه مقصر عن درجة الكمال وكان

وأرادت أن تتظاهر بالتصوف ولم تجد بدا من التزيي بزيهم فتركت الخز والابريسم وطلبت المرقعات النفيسة والفوط الرفيعة والسجادات المصبوغات وقيمتها أكثر من قيمة الخز والابريسم ولا يجتنبون

ابراهيم بن أدهم رحمه الله تعالى يقول من علامة صدق المتحابين فى الله عز وجل أن يبادر كل أحد منهم الى مصالحة صاحبه اذا أغضبه فانا لم نجد قط أحدا محبوبا الى اخوانه وهو لا يواسيهم كما انا لم نجد قط غضوبا مسرورا ولا حرد صاغنيا وقد قيل لعبد الله بن عمر رضى الله عنهما ما بال أحدنا ينظر الى ما نخرج منه فى الخلاء فلا يكاد يغض طرفه عنه فقال لان الملك يقول له انظر الى ما بخلت به على اخوانك الى ماذا صار وكان مالك بن دينار رحمه الله تعالى يقول قد صارت اخوة الناس فى هذا الزمان كمرقة الطباخ طيبة الريح ولا طعم لها وكان الفضيل بن عياض رحمه الله يقول من شرط الصدق فى الاخوة أن يكرم الشخص أخاه اذا افتقر أكثر مما كان يكرمه حال الغنى وذلك لان الفقر أشرف من الغنى وصاحبه أحق بالاكرام من حيث المقام لا من حيث حاجة الفقر وكان أبو مطيع رحمه الله يقول لقد أدركنا الناس وهم يتهادون بالمماليك والبراذين والدور والاطباق من المال فصاروا اليوم يتهادون بالخبز والطعام وعن قريب يترك الناس ذلك و يميتون سنة السلف بالكلية وقد كان أحدهم يتعهد أولاد أخيه من حين يرجع من جنازته الى حين بلوغهم رشدهم فصار الناس ينسى أحدهم أولاد أخيه وأهله أصلا وكان ابراهيم التيمى رحمه الله تعالى يقول الرجل بلا اخوان كاليمين بلا شمال وقد كان أبو معاوية الاسود رحمه الله ينحت الحجارة و يتقوت منها فلما كبر قالوا له انك قد كبرت وعجزت عن ذلك فقال والله ان نحت الحجارة عندى أهون وألذ من سؤال الناس وكان سفيان الثورى رحمه الله تعالى يكوم الذهب والفضة بين يديه و يقول لولا هذا لتمندل الناس بنا ولأن أخلف بعدى ثلاثين ألف دينار أسأل عنها يوم القيامة أحب الى من أن أقف على باب أحد أسأله حاجة وكان ميمون بن مهران رحمه الله تعالى يقول من كان الناس عنده سواء فليس له صديق ومن لم يسأل عنك بالغدوات و يصلك بالعشيات فاعدده من الاموات وكل من لم يعدك اذا مرضت ولم يتحفك اذا احتجت ولم يزرك اذا قصرت عن زيارته فهو من اخوان الطريق ثم ينشد قوله

ألا ذهب التذمم والوفاء * وباد رجاله وبقى الغثاء * وأسلمنى الزمان الى اناس

كأنهم الذئاب لهم عواء * اذا ما جئتهم يتواقعونى * كأنى أجرب الاعضاء داء

أخلاء اذا استغنيت عنهم * وأعداء اذا نزل البلاء

أقول ولا ألام على مقالى * على الاخوان كلهم العفاء

انتهى فاعلم ذلك يا أخى وفتش نفسك وانظر هل عاملت قط اخوانك بهذه المعاملات أم فرطت فى ذلك جهلا وبخلا ولا تدعى انك من الصالحين قط ولو عملت بأعمالهم فافهم يا أخى ذلك والحمد لله رب العالمين

﴿ومن أخلاقهم رضى الله تعالى عنهم﴾ اكرام الضيف وخدمته بأنفسهم الا بعذر شرعى ثم لا يرون أنهم كافؤه باطعامه وخدمته على تخصيصه اياهم بالاقامة عندهم واحسانه الظن بهم وعدم اعتقاده فيهم البخل وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يخدم الضيف بنفسه وكذلك أصحابه وأتباعهم رضى الله عنهم ولما قدم وفد النجاشى عليه صلى الله عليه وسلم لم يمكن أحدا يخدمهم غيره صلى الله عليه وسلم وقال انهم كانوا لاصحابنا مكرمين وأنا أريد أن أكافئهم على ذلك وكان السلف يعدون ليلة الضيف كأنها ليلة عيد لما يحصل لهم من السرور وكان أمير المؤمنين على رضى الله عنه يقول لان أجمع نفرا من أصحابى على طعامى أحب الى من عتق رقبة وكان أنس بن مالك رضى الله عنه يقول زكاة الدار أن يجعل فيها بيت للضيافة وكان بكر بن عبد الله المزنى رحمه الله تعالى يطعم الضيف ثم يكسوه اذا أراد الانصراف و يقول ان فضل اجابته الى طعامى أعظم مما صنعت أنا معه وقد كانت كنية ابراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام أبا الضيفان لكونه كان يذهب الميلين الى الضيف ليأتى به الى منزله وقد كانت عائشة رضى الله عنها تقول ليس من السرف التبسط للضيف فى الطعام وقد كان مجاهد رحمه الله تعالى يقول فى قوله تعالى ضيف ابراهيم المكرمين انما كانوا مكرمين لان الخليل عليه الصلاة والسلام خدمهم بنفسه وكان عبد الواحد بن أبى ليلى رحمه الله تعالى لا يدخل عليه أحد الا أطعمه وسقاه ثم اعتذر اليه أى اعترافا بأنه مقصر فى حقه (قلت) وممن أدركناه على هذا القدم سيدى الشيخ محمد بن عنان والشيخ أبو الحسن الغمرى والشيخ عبد الحليم بن مصلح والشيخ محمد الشناوى والشيخ أبو بكر الحديدى

معصية ظاهرة فكيف بالباطنة واغاغرضهم رغد العيش وأكل أموال السلاطين وهم مع ذلك يظنون بأنفسهم الخير وضرر هؤلاء على المسلمين أشد من ضرر اللصوص لان هؤلاء يسرقون القلوب بالزى

وجماعة رضى الله عنهم أجمعين وكانوا لا يتكلفون للضيف خوفا أن يضجر وا منه اذا أتاهم مرة أخرى ويقولون من كان يطعم ضيفه ما يجد فلا يبالى به أى وقت جاء وقد سئل عبد الله بن المبارك رحمه الله تعالى عن مناولة الضيوف الطعام لغيرهم فقال ان كان لبعضهم فلا بأس وأما للاجنبى فلا وكان بكر بن عبد الله المزنى رحمه الله تعالى يقول من دعى الى طعام فذهب معه بآخر استحق لطمة فان قيل له اجلس ههنا فقال بل ههنا استحق لطمتين فان قال لصاحب الدار ألا تأكل معنا استحق ثلاث لطمات أى لان ما فعله فى الثلاث خصال فضول منه اه وكان محمد بن سيرين رحمه الله تعالى يجهد أن يطعم الضيف من شئ لم يكن عند ذلك الضيف ولا فى بلده قال خالد بن دينار رحمه الله دخلت على محمد بن سيرين رحمه الله تعالى ومعى رفقة فأخرج الينا شهدا وقال أظن ان مثل هذا ليس هو عندكم قلنا نعم وكان ميمون بن مهران رحمه الله تعالى يقول من أطعم ولم يتمر أى لم يطعم الضيف تمرا أو شيأ حلوا كان كمن صلى العشاء ولم يوتر واعلم أن الواجب على المضيف أن يطعم الضيف من الحلال وأن يعلمه بمواقيت الصلاة ولا يقصر عما قدر عليه من الدسم وحسن المطعم وان الواجب على الضيف أن يجلس حيث أجلسوه وأن يرضى بما قدموه وأن لا يخرج حتى يستأذن وكان أوس بن خارجة يقول ما دعوت قط نفرا الى طعامى وأكلوه الا ورأيت الفضل والمنة لهم على أكثر من منتى عليهم وكان حامد اللفاف رحمه الله تعالى يقول من علامة المتفعل فى الزهد أنه اذا استضافه أحد يذكر له سخاء ابراهيم عليه الصلاة والسلام واذا أضاف هو أحدا يذكر له زهد عيسى عليه الصلاة والسلام وقد كان الاصمعى رحمه الله تعالى يقول اذا استضافك بخيل فبادر اليه وعلمه الكرم ولا تأكل له طعاما واياك أن تنسى دابتك من العلف فانه ربما فرط فى عشائها وكان يقول ما استضفت عند بخيل الا وصاحت دابتى جوعا واستغنيت عن الخلاء وأمنت من التخمة اه قلت وقد أنشدنى شيخ الاسلام كمال الدين الطويل رحمه الله تعالى أبياتا فى البخيل وهى قوله

واذا أردت اخاءه * فارفع يمينك من طعامه * فالموت أهون عنده

من مضغ ضيف والتقامه * سيان كسر رغيفه * أو كسر شئ من عظامه

واذا مررت ببابه * فاحفظ رغيفك من غلامه

انتهى فاعلم ذلك يا أخى وفتش نفسك هل تخلقت بتلك الاخلاق أم فرطت فيها وقلت ان اطعام الطعام ليس هو من طريقتنا ولا طريقة شيخنا كما يقع فى ذلك بعض من ادعى الطريق بغير صدق ويقول ان كل فقير جعل له سماطا فكأنه جعل مكانه مناخا للبطالين فاحذر يا أخى من ذلك فقد ورد فى الحديث قوله صلى الله عليه وسلم ما جبل ولى الله تعالى الا على السخاء وحسن الخلق (قلت) ولا أعلم الآن أحدا من اخواننا فى مصر أكرم من الشيخ سليمان الخضيرى والشيخ جمال الدين خليفة الشيخ شاهين كثر الله فى المسلمين من أمثالهما ونفعنا ببركتهما وزادهما من فضله والحمد لله رب العالمين

(ومن أخلاقهم رضى الله تعالى عنهم) عدم الاجابة الى طعام من فى ماله شبهة من أمير ومباشر وقاض وكاشف وشيخ عرب وشيخ بلد وتاجر يبيع على الظلمة وأضرابهم وكثرة تعففهم عما فى أيدى الناس من الحلال واعلم أن من علامة الشبهة فى الطعام أن يتنوع الانسان الاطعمة لانه لو تتبع الحل لما وجد شيأ من الحلال يتنوع به الطعام ولذلك نهى النبى صلى الله عليه وسلم عن أكل طعام المتبارين يعنى المتفاخرين وكان عبد الله بن عمر رضى الله عنهما يقول لا تأكل الا من طعام التقى النقى ولا تطعم طعامك الا للتقى النقى وكان رضى الله عنه لا يجيب الى وليمة الا ان وثق بدين صاحبها وثوقا شديدا وكان أبو مسعود البدرى رضى الله عنه لا يجيب الى وليمة الا ان علم أن لا يكون هناك شئ نهى الله عنه وقد كان أبو أيوب الانصارى رضى الله عنه اذا ذهب الى وليمة ورأى فى البيت سترا يرجع و يقول لا يستر البيوت الا الاكاسرة والجبابرة ونحن لا نأكل لهؤلاء طعاما وقد دعى حذيفة رضى الله عنه الى وليمة فرأى هناك شيأ من زى العجم فرجع مسرعا وقال من تشبه بقوم فهو منهم ومن عبد الله بعمل قوم فهو شريكهم وكان محمد بن سلام السكندرى رحمه الله تعالى يقول قد ذهبت السنة فى الولائم هذا الموطن كانت تملأ طعاما و يغدى بها الى المسجد فيأكل منها كل من كان حاضرا من غنى وفقير وشريف ووضيع به ولو وكان صاحب الوليمة اذا خص الاغنياء بالدعوة لا يأكل الناس له طعاما و يقولون انه شر الطعام وكان الفضيل

فيقتدى بهم غيرهم فيكونون سببا لهلاكهم فان اطلع على فضائحهم فيظنون ان أهل التصوف كذلك فيصرحون بذم الصوفية على الاطلاق (وفرقة أخرى) ادعت علم المكاشفة ومشاهدة الحق ومجاوزة

ابن عياض رحمه الله تعالى يقول ان الرجل ليكون له موقع من قلبى فاذا رأيته وسع فى الطعام سقط من عينى لقلة ورعه وقد قال لقمان عليه السلام لابنه يا بنى اياك وحضور الولائم فانها تذكرك بالدنيا وشهواتها اه وكان أيوب السختيانى رحمه الله تعالى يقول لا يكمل الرجل حتى يكون فيه خصلتان التعفف عما فى أيدى الناس وتحمل الأذى منهم وكان مالك بن دينار رحمه الله تعالى اذا دعى الى وليمة ورأى هناك أحدا من ولاة الجور رجع مسرعا وقال انا لا نجالس الجبابرة وكان ميمون بن مهران رحمه الله تعالى يقول مؤاكلة المحب تهضم الطعام ومؤاكلة العدو تخمه وكان شقيق بن ابراهيم رحمه الله تعالى يقول لم يبق فى هذا الزمان وليمة على وفق السنة ولقد ندمت على اجابتى الولائم وكان الثورى رحمه الله تعالى يقول لاصحابه عليكم بعدم حضور الولائم ما أمكن الان كانت سالمة من البدعة فانه ما أكل رجل قط من قصعة رجل الا ذل له وقد كان أميرا المؤمنين عمر وعثمان رضى الله تعالى عنهما لا يجيبان الى حضور الولائم ويقولان نخاف أن يكون الطعام مباهاة وتفاخرا وكان عبدالله بن مسعود رضى الله عنه يقول نهينا أن نجيب الى طعام من أظهر لنا أمارات الرياء والسمعة فى طعامه أو كان فى بيته ستور كستور الكعبة وكان حاتم الاصم رحمه الله تعالى يقول ان مذمة الناس للشخص فى هذا الزمان مدحة له لانهم لا يذمونه الا بما لا تهواه نفوسهم وكان موسى بن طلحة رضى الله عنهما يقول أرسل الى عبد الملك بن مروان بثلاث بدر فضة وأرسل يقول فرقها على الفقراء فاجبته الى ذلك ثم أرسلت منها شيأ الى أبى رزين العقيلى وكان مجهودا رحمه الله تعالى فكأنى ألقيت عليه العقارب فردها وبات طاويا وقد أرسل أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضى الله عنه بمال الى أبى ذر رضى الله عنه مع عبد له وقال له ان قبله منك فانت حر فلما ذهب اليه العبد بالمال لم يقبله فقال له العبد يا سيدى ان قبولك له فيه عتقى فقال له أبو ذر رضى الله عنه ان كان فيه عتقك فان فيه رقى اه فاعلم ذلك ونقش نفسك هل تعففت قط كما تعفف هؤلاء أم أكلت كلما دعيت اليه وقلت الاصل الحل وأتلفت نفسك ومن تبعك ممن يقول لولا ان ذلك حلال ما أكل منه سيدى الشيخ واياك ودعوى الصلاح وأنت لم تتعفف والحمد لله رب العالمين

﴿ومن أخلاقهم رضى الله تعالى عنهم﴾ كثرة الصدقة بكل ما فضل عن حاجتهم ليلا ونهارا سرا وجهارا ومن لم يجد منهم شيأ من المال والطعام مثلا تصدق بكف أذاه عن الناس وتحمل هو أذاهم وقد كانت صدقات الفقراء فى الزمن الماضى أكثر من صدقات الاغنياء لعدم ادخارهم المال والطعام بخلاف الاغنياء ولا شك أن الفقراء أطيب نفسا بالصدقة من الاغنياء لكمال ايمانهم ويقينهم وعدم بخلهم بالمال على المحتاجين وكان أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه يقول اللهم اجعل الفضل عند خيارنا الاجل أن يعودوا به على أولى الحاجة منا وقد كان بعضهم يرسل الى أخيه الرغيف أو التمرة أو النعل مثلا ويقول له انا نعلم غناك عن مثل ذلك وانما أردنا ان نعلمك انك على بال منا وكان عبد العزيز بن عمير رحمه الله يقول الصلاة توصلك الى نصف الطريق والصوم يوصلك الى باب الملك والصدقة تدخلك الى الملك وكان رحمه الله تعالى يقول الاموال عندنا ودائع للمكارم وكان ابراهيم بن يوسف رحمه الله تعالى يجمع الاموال ويقول انما أجمع ذلك لبطون جائعة وظهور عارية ولم أجمعه للماء والطين وقد طلبوا منه شيأ لعمارة مسجد فأبى ولم يعطهم شيأ وقال الجائع أحق وقال لقمان عليه السلام لابنه يا بنى اذا أخطأت فتصدق ولو برغيف وكان عبدالله بن عباس رضى الله عنهما يقول من لم يتكرم بماله فتركه جمع المال أولى وكان الحسن البصرى رحمه الله تعالى يقول لا يتصدق أحدكم الا من كسبه الطيب فمن تصدق على فقير من كسب خبيث ليرحم ذلك الفقير فهو مغرور ورحمته من ظلمه أولى باعطائه ما أخذه منه وكان مجاهد رحمه الله تعالى يقول لا يقبل الله تعالى صدقة من تعدى بصدقته رحمة المحتاج وقد كان محمد بن سيرين رحمه الله تعالى لا يخرج صدقة فطره الا مغربلة مطيبة وكان ابراهيم النخعى كان مشهد العبد أن جميع ما يتصدق به انما هو ملك الله تعالى فلا عليه ولا يضره اذا كان وسقاه ثم ان عروة بن الزبير رحمه الله تعالى يقول تخير والصدقة فان الله طيب لا يقبل الا طيبا (قلت) عنان رجال مشهد وكان أبو هريرة رضى الله عنه يقول يتزوج أحدكم فلانة بنت فلان بالمال الكثير ولا يتزوج الحور العين بلقمة أو تمرة أو خلقة هذا من العجب وكان عبدالله بن عمر رضى الله عنهما يتصدق كثيرا

المقامات والوصل والملازمة فى عين الشهود والوصول الى القرب ولا يعرف ذلك والوصول اليه الا باللفظ والاسم فتلقف من الالفاظ الطامة كلمات فهو يرددها وهو يظن ان ذلك من أعلى علم الاولين والآخرين فهو

بالسكر

بالسكر ويقول انى أحبه وقد قال تعالى لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون وكان الامام الليث بن سعد رضى الله عنه يقول من أخذ منى صدقة أو هدية فحقه على أعظم من حقى عليه لانه قبل منى قربانى الى الله عز وجل وكان معاذ النسفى رحمه الله تعالى يقول من لم ير نفسه أحوج الى ثواب صدقته من الفقير الى صدقته فهو ممن أبطل صدقته بالمن لانه رأى نفسه على الفقير وعند ذلك يضرب بها وجهه وكان حاتم الاصم رحمه الله تعالى يقول من أعطى درهما من مائة درهم ولم يكن هذا الدرهم أعظم وأحب اليه من بقية المائة المدخرة ردت صدقته عليه وضرب بها وجهه وقد كانت عائشة رضى الله عنها تقول لا تحقروا من الصدقة شيأ فان الحبة منها توزن يوم القيامة بجبال الاجر وقد أعطت رضى الله عنها حبة عنب لفقير فردها وكأنه استقلها فى عينه فقالت له أما تقرأ قوله تعالى فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره فكم فى هذه العنبة من مثقال ذرة قال فاستغفر الرجل اه فاعلم ذلك يا أخى ونقش نفسك فى ترك تصدقها بما فضل عن حاجتها ولا تعد نفسك من القوم الا ان تبعتهم فى أخلاقهم وكان آخر من أدركته من أصحاب هذا المقام سيدى الشيخ محمد الشناوى والشيخ محمد المنير والشيخ عبد الحليم بن مصلح والشيخ محمد بن داود والشيخ محمد العدل وغيرهم رضى الله تعالى عنهم أجمعين وكل هؤلاء كان ألف دينار عندهم كفلس فافهم ذلك والحمد لله رب العالمين

﴿ومن أخلاقهم رضى الله تعالى عنهم﴾ بشاشتهم للسائل وعدم نهرهم له وحملهم له على أنه ما سأل الا لحاجة وقد كان عيسى عليه الصلاة والسلام يقول من رد سائلا خائبا لم تغش الملائكة بيته سبعة أيام وفى الحديث لولا أن بعض المساكين يكذب ما أفلح من رده وكان الحسن البصرى رحمه الله تعالى يقول ان الله ليخول العبد فى نعمته وينظر ماذا يصنع فيها مع عباده فان وفاهم ما طلبوا والا حولها عنه فلذلك كان السلف يعزمون على أصحابهم ويشددون عليهم فى انهم لا يردون ما أعطوه لهم وكان عبد الله بن المبارك رحمه الله تعالى يقول أول من انتبه من رقدة الغفلة حبيب العجمى رحمه الله تعالى وذلك أنه اشتهى يوما سمكا فلما أتى به الى منزله ووضعه فى القدر جاءه سائل فرده فحول الله تعالى السمك دما فاتعظ بذلك وخرج عن جميع ماله وكان سفيان الثورى رحمه الله ينشرح اذا رأى سائلا على بابه ويقول مرحبا بمن جاء يغسل ذنوبى وقد كان الفضيل بن عياض رحمه الله تعالى يقول نعم السائلون يحملون أزوادنا الى الآخرة بغير أجرة حتى يضعوها فى الميزان بين يدى الله تعالى وقد كان ابراهيم بن أدهم رحمه الله تعالى قبل زهده فى الدنيا اذا جاءه سائل يدخل الى عياله ويقول لهم قد جاءكم رسول المقابر فهل توجهون الى موتاكم شيأ من الصدقة وكان أنس بن مالك رضى الله عنه يقول جاء سائل فى مسجد فى زمان بنى اسرائيل يسأل فلم يكترث به القوم فمات فجهزوه وصلوا عليه ودفنوه فلما رجعوا الى المسجد وجدوا الكفن موضوعا فى المحراب واذا مكتوب عليه هذا الكفن مردود عليكم والرب ساخط عليكم وكان معاذ بن جبل رضى الله تعالى عنه يقول بغضاء الله فى أرضه سؤال المساجد أى لكونهم يسألون الناس فى بيته غيره سبحانه وتعالى ويتسببون فى مقتهم بعدم اعطائهم ما سألوا منهم وقد قيل للحسن البصرى رحمه الله تعالى ان الفقراء والمساكين قد كثروا وهم يسألون فمن نعطى منهم قال اعطوا من وجدتم فى قلوبكم رأفة له وقد كان أبو الاسود الدؤلى رحمه الله تعالى يقول لو أطعنا السؤال فى أموالنا لكنا أسوأ حالا منهم (قلت) فينبغى للمتصدق أن يبقى لنفسه ولعياله شيأ ولا يتصدق الا بما فضل عن حاجتهم وقد دخل سالم بن عبدالله بن عمر رضى الله عنهم الحرم يوما فرأى هشام بن عبد الملك فقال له سلنى حاجتك يا سالم فقال يا أمير المؤمنين انى أستحى أن أسأل فى بيت الله أحدا غيره تعالى وكان الحسن البصرى اذا جاءه سائل يعطيه ثم يقول اللهم ان هذا يسألنا القوت ونحن نسألك الغفران وأنت بالمغفرة أجود منا بالعطية وقد دخل سائل يوما على معروف الكرخى رحمه الله تعالى فلم ير عنده ما يعطيه غير نعله فأعطاه اياه ثم بلغ معروفا بعد ذلك أنه باع النعل واشترى بثمنها فاكهة فقال معروف الحمد لله لعله كان يشتهى الفاكهة فواسيناه بثمنها قال ورأى سالم بن عبدالله بن عمر رضى الله عنهم رجلا يسأل يوم عرفة فزجره وقال أما تستحى من الله تعالى تسأل غيره فى مثل هذا الموطن ومثل هذا اليوم اه فاعلم ذلك يا أخى وفتش نفسك فيما أعطيته للفقراء فى الزمن المتقدم فربما مننت به ولو فى نفسك فخف أجرك وربما نهرت المسكين فكان ما نهرته أرجح مما أعطيته اياه من حيث الاذى فاحذر ذلك

ينظر الى الفقهاء والمقرئين والمحدثين وأصناف العلماء بعين الازدراء فضلا عن العوام حتى أن الفلاح ليترك فلاحته والحائك حياكته ويلازمهم أياما معدودة فيتلقف تلك الكلمات الزائفة فتراه

والحمد لله رب العالمين

﴿ومن أخلاقهم رضى الله تعالى عنهم﴾ انهم لا يتخذون من الاخوان الا من علموا من نفوسهم الوفاء بحقه فان أخاك اذا لم توف بحقه كان فارغ القلب منك وقد كان المغيرة بن شعبة رحمه الله تعالى يقول اعطوا أولادكم ما سألوا بالمعروف ولا تكونوا أقفالا عليهم فيتمنوا موتكم و يملوا من حياتكم وكان أمير المؤمنين على رضى الله عنه يقول عليكم بالاخوان فانهم عدة للدنيا والآخرة ألا تسمعون الى قول أهل النار فما لنا من شافعين ولا صديق حميم وفى الحديث ما أحدث عبد أخا فى الله الا أحدث الله له درجة فى الجنة وكان المهلب بن أبى صفرة رحمه الله تعالى يقول الصديق أعز من السيف الصارم فى يده وفى لفظ فى كف الرجل فان المودة لا تحتاج الى قرابة والقرابة تحتاج الى المودة ومن حق الاخ الصادق أن لا تفرط فى كثرة سؤاله عن حوائجه وتقول ما بينى وبينه شئ ماله مالى ومالى ماله كما يقع فيه كثير من الجهلة اذ من شأن البشر الشح وخوف الفقر الا من شاء الله وتأمل فى العجل ولد البقرة اذا أكثر من مص بزأمه حتى أجهدها كيف تنطحه وترفسه وقد كان الامام الشافعى رضى الله عنه يقول لولا محادثة الاخوان فى هذه الدار والتهجد فى الاسحار ما أحببت البقاء بها وكان سفيان الثورى رحمه الله تعالى يقول لا تصاحب فى السفر من هو أوسع منك فى الدنيا فانك ان ساويته أضر بحالك وان نقصت عنه استذلك بين الناس وكان سلمان الفارسى رضى الله عنه يقول اذا صادقت غنيا فاحذر من سؤاله ان طلبت حفظ مقامك عنده فان المسألة كدوح فى وجه السائل ومن رد ما أعطى له كبر فى قلب المعطى قهرا عليه وقد كان المهلب بن أبى صفرة رحمه الله تعالى يقول ينبغى للعاقل أن يجتنب مؤاخاة ثلاثة الاحمق والكذاب والفاجر فأما الاحمق فانه لا يشير عليك بخير ولا يرجى لصرف سوء وسكوته خير من نطقه وبعده خير من قربه وأما الكذاب فلا يهنألك معه عيش وينقل خبرك الى غيرك ويغرى بينك وبين الناس العداوة والبغضاء وأما الفاجر فيزين لك فعاله ولا يعينك على شئ من أمور دينك وكان ابراهيم بن زيد العدوى رحمه الله يقول أربعة تفرح القلب التهجد فى السحر والزوجة الجميلة الصالحة والكفاف من الرزق والاخ المؤمن فاعلم ذلك يا أخى وفتش نفسك وانظر هل وفيت بحقوق اخوانك وهل تعففت عن سؤالهم بالحال أو بالقال أو بالتعريض وهل صحبتهم لله تعالى أو لغرض نفسانى فان كل ما لم يكن لله فهو وبال على العبد فى الدنيا والآخرة فطالب نفسك يا أخى بحقوق الاخوان ولا تطالبهم بحقك لا ظاهرا ولا باطنا وقد أنشد امامنا الشافعى رضى الله عنه قوله

صديق ليس ينفع يوم باس * قريب من عدو فى القياس
ولا يبقى الصديق بكل عصر * ولا الاخوان الا للتآسى
عمرت الناس ملتمسا بجهدى * أخا ثقة فأكداه التماسى
تنكرت البلاد على حتى * كأن اناسها ليسوا بناس

وكان رضى الله عنه كثيرا ما ينشد قوله

وليس كثيرا ألف خل لواحد * وان عدوا واحدا لكثير

وأنشدنى شيخنا شيخ الاسلام زكريا رحمه الله قوله

صار الصديق وكاف الكيمياء معا * لا يوجدان فدع عن نفسك الطمعا اه

فاعلم ذلك يا أخى وانتبه لنفسك والحمد لله رب العالمين

﴿ومن أخلاقهم رضى الله تعالى عنهم﴾ ترك معاداتهم للناس وكثرة مداراتهم لهم وعدم مقابلتهم أحدا بسوء فالناس يعادونهم وهم لا يعادون أحدا وقد بلغنا أن داود عليه الصلاة والسلام قال لابنه يا بنى لا تستقل بالعدو الواحد ولا تستكثر أن يكون لك ألف صديق وقد نظم ذلك الامام الشافعى رضى الله عنه وهو قوله المتقدم وليس كثيرا الخ وكان وهب بن منبه رحمه الله تعالى يقول اياك أن تشمت بمصيبة أخيك فان ذلك عنوان للعداوة وقد قال صلى الله عليه وسلم لا تظهر الشماتة لاخيك فيعافيه الله ويبتليك وكان وهيب بن الورد رحمه الله تعالى يقول من لم يدار الناس لم يجد حلاوة الايمان وقد كان محمد بن الفضل رحمه الله تعالى يجالس أعداءه ويلاطفهم بالكلام الحلو ويعزم عليهم أن يأكلوا عنده فقيل له فى ذلك فقال لتخمد نار عداوتهم وكتب صفوان رحمه الله تعالى على باب داره رحم الله من لا يعرفنا ولا نعرفه فانه لم يأت لنا أذى الا من اخواننا الذين يعرفونا ونعرفهم وقد قيل لايوب عليه السلام أى شئ كان أضر عليك أيام بلائك فقال شماتة أعدائى وقد أنشد

ردها كأنه يتكلم عن الوحى ويخبر عن اسرار ويستحقر بذلك جميع العباد والعلماء فيقول فى العباد اجراء متعوبون ويقول فى العلماء انهم بالحديث محجوبون ويدعى لنفسه انه الواصل الى الحق وانه

بعضهم فى ذلك يقول

جميع فوائد الدنيا غرور * فلا يبقى لمسرور سرور
فقل للشامتين بنا استعدوا * فان نوائب الدنيا تدور

قال ولما بلغ يزيد بن عبد الملك وهو مريض أن هشاما سر بمرضه وتمنى موته أنشأ يقول

تمنى رجال أن أموت وان أمت * فتلك سبيل لست فيها بأوحد
فقل للذى يبغى خلاف الذى مضى * تهيأ لاخرى مثلها فكأن قد

وكذلك بلغنا أن امامنا الشافعى رضى الله عنه قال ذلك لما تمنى الاقران موته وكان محمد بن كدام رحمه الله تعالى يقول لابنه يا بنى عش مع أهل زمانك ولا تقتد بهم ثم يقول وما أشره ذا العيش مع الاحياء والاقتداء بالاموات وكان يقول لا تعادوا أحدا حتى تنظروا الى عمله فان كان عمله حسنا فان الله لا يسلمه اليكم وان كان عمله سيئا فخطاياه تكفيه وكان الحسن البصرى رحمه الله تعالى يقول لا تشتر مودة ألف رجل بعداوة رجل واحد اه وكان سفيان الثورى رحمه الله تعالى يقول اياك ومعاداة الناس فانى ما خالفت صديقا فى هواه الا وخفت على نفسى منه أن يسعى فى قتلى فان لم يسع فى قتلى يتمنى ظهور عيوبى للناس وكان محمد بن مقاتل رحمه الله تعالى يقول احذر شر من تحسن اليه واعذر أخاك بما تعذر به نفسك ثم يقول

وتعذر نفسك لما أساءت * وغيرك بالعذر لا تعذر
وتبصر فى العين منه القذى * وفى عينك الجذع لا تبصر اه

فاعلم يا أخى ذلك واياك ومعاداة الناس لا سيما الزوالق ومن يحب الانفراد بالصيت فى بلدك فانهم يكدرون عليك العيش ولو كنت من أكابر الاولياء فان الجزء البشرى فيك يرق ولا ينقطع فقد قالوا من تهاون بمعاداة الناس فهو دليل على نقص عقله وقالوا وابتلى أكمل الناس بالعوام ورموه بالزور والبهتان لكدروا عليه قلبه وصار لا يفرق بين الخواطر الربانية والشيطانية وقد رأيت بعض اخواننا تهاون بمعاداة شيخ من مشايخ العصر وكان بعض الامراء يعتقده فكلم الشيخ ذلك الامير فكاتب فيه الى أبواب السلطان فجاء الامر بنفيه من مصر فنفوه فاعلم ذلك والحمد لله رب العالمين

﴿ومن أخلاقهم رضى الله تعالى عنهم﴾ كثرة مكاتباتهم الى بعضهم بالنصح اذا بعدت الديار وقبول المنصوح النصح وشكره فضل من نصحه خلاف ما عليه الناس اليوم فلا تكاد تنصح أحدا الا ويصير ينظر فى عيوبك ليبحوك بذلك وكان آخر من أدركت من أصحاب هذا المقام سيدى على الكازوانى نزيل مكة المشرفة كان سيدى محمد بن عراق رحمهما الله تعالى يرسل له المكاتبات التى لا تحملها الجبال فيفرح لها ويقول صدق فينا سيدى محمد فجزاه الله تعالى عنا من أخ خيرا وكتب الانطاكى رحمه الله تعالى الى بعض أصحابه يقول الى متى أنت يا أخى تفرح بما يفتنك ويضرك وتحزن على ما ينفعك من نقص الدنيا وحظوظها وكتب حذيفة المرعشى رحمه الله الى يوسف بن أسباط رحمه الله تعالى يقول له بعد السلام اعلم يا أخى أن من كانت الفضائل أهم عنده من ترك الذنوب فهو مخدوع ومن حمل القرآن وخالف شيأ مما فيه فقد استهزأ بالقرآن وكتب طاوس الى مكحول رحمهما الله تعالى يقول له بعد السلام احذر يا أخى أن تظن بنفسك أن لك مقاما عظيما عند الله تعالى مما ظهر لك من أعمالك فان من ظن بنفسه ذلك انقلب الى الآخرة صفر اليدين من الخير وربما عظمك الناس بسبب أعمالك الصالحة فاستعجلت ثوابها بذلك وكتب الربيع بن خيثم رحمه الله تعالى الى بعض اخوانه يقول له بعد السلام كن يا أخى وصى نفسك ولا تنتظر أحدا من اخوانك ينهاك على نقصك فان ذلك أمر قد تودع منه والسلام وكتب عبد الله بن زيادة الى بكر بن عبد الله المزنى رحمهم الله تعالى يطلب منه أن يدعو له فكتب اليه بكر يقول له بعد السلام أما بعد يا أخى فاعلم أن الدعاء لا يكون الا ممن لا يقارف الذنوب وأنا قد اقترفت من الذنوب ما لا يحصى عدده الا الله تعالى ووالله انى لاستحى من الله عز وجل أن أدعو لنفسى فكيف لا أستحى أن أدعو لغيرى وكتب أمير المؤمنين عمر بن الخطاب الى أبى موسى الاشعرى رضى الله عنهما يقول له بعد السلام اياك يا أخى أن تكون مثل البهيمة كلما نظرت الى أرض خضرة رتعت فيها تبتغى السمن بذلك وفى ذلك السمن هلاكها وذبحها والسلام اه فاعلم ذلك يا أخى وانصح نفسك أولا ثم انصح اخوانك مشافهة

من المقربين وهو عند الله من الفجار المنافقين وعند أرباب القلوب من الحمقاء الجاهلين لم يحكم قط علما ولم يهذب خلقا ولم يرتب علما ولم يراقب قلبا سوى اتباع الهوى وتلقف الهذيان ولو اشتغل عمـا

ومكانته وإياك أن تتكدر ممن نصحك فإن ذلك أى تكدرك منه من علامة أهل النار والعياذ بالله تعالى والحمد لله رب العالمين

﴿الباب الرابع فى جملة أخرى من الاخلاق﴾

﴿فمن أخلاقهم رضى الله عنهم﴾ كثرة عزلتهم عن الناس وعدم كثرة مخالطتهم الا لمصلحة شرعية وعلى ذلك درج السلف الصالح فكانوا كل يوم لا يجتمع بهم أحد فيه يعدونه يوم عيد فمن أكثر مخالطة الناس فقد خرج عن طريق سلفه وفاته النفع وذلك لان من كثرة رؤية الناس له هان فى عيونهم وسقط عندهم ورأوه كأحدهم فى دناءة الاخلاق والغفلة عن الله تعالى (قلت) وما أتذكر أننى زرت أحدا من مشايخ هذا العصر وسلم مجلسى معه من الغيبة الا قليل فلذلك أقللت من زيارتهم خوفا على دينى ودينهم لا تساهلا فى حقهم فاذا كان هذا حكم مجالس الاشياخ فكيف بغيرهم فاحفظ نفسك يا أخى كل الحفظ اذا زرت أحدا فى هذا الزمان ولا تتهاون بذلك وكان أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه يقول خذوا حظكم من العزلة وكان طلحة بن عبد الله رضى الله عنه يقول من أراد أن يقل من معرفة الناس لعيوبه فليجلس فى بيته فمن خالط الناس سلب دينه ولا يشعر وكان حذيفة بن اليمان رضى الله عنه يقول وددت أن أغلق باب دارى فلا أخرج لاحد حتى أموت وكان الشعبى رحمه الله تعالى يقول لم يجلس الربيع بن خثيم رحمه الله تعالى فى مجلس قومه طول عمره الا مرة واحدة جلس على باب داره فسقط عليه حجر فشج رأسه لا يدرى من رماه فقام وقال لقد وعظت يا ربيع ثم لم يخرج من بيته بعد ذلك الا لضرورة حتى مات رحمه الله وكان يقول من جلس على الطريق فليؤد حقه وذلك برد السلام ونصرة المظلوم والشهادة على الظالم ومعاونة كل من كان فى ضرورة وكان أبو حازم رحمه الله تعالى يقول قل من يطيل مجالسة أخيه الا ويقع من أحدهما ما يكره الآخر فينبغى لكل من الاخوين أن لا يلقى أخاه الا غبا وكان أمير المؤمنين على رضى الله عنه يقول سيأتى على الناس زمان لا يستقيم لهم الملك الا بالقتل والتجبر ولا يستقيم لهم الغنى الا بالبطر والبخل ولا يستقيم لهم صحبة الناس الا باتباع الهوى فمن أدرك ذلك الزمان وصبر وحفظ نفسه أعطاه الله تعالى ثواب خمسين صديقا اهـ وكان رضى الله عنه يقول بلغنا أنه لا تكون الراحة لمؤمن فى آخر الزمان الا ان كان خامل الذكر بين الناس وقد بلغ الفضيل بن عياض أن ولده عليا رحمهما الله تعالى يقول وددت أنى بمكان أرى الناس منه ولا يرونى فقال أبوه هلا أتمها فقال لا أراهم ولا يرونى وكان وهيب بن الورد رحمه الله تعالى يقول خالطت الناس خمسين سنة الى يومى هذا فما وجدت أحدا منهم غفر لى زلة ولا أقال لى عثرة ولا أمنته على نفسى اذا غضب منى وكان حاتم الاصم رحمه الله تعالى يقول اجعل الناس كالنار فلا تدن منهم الا عند الحاجة واذا دنوت منهم فكن على حذر كما تحذر من النار اذا دنوت منها وكان أبو الدرداء رضى الله عنه يقول من خالط الناس فلا بد أن يخربوا عليه قلبه وكان جعفر بن محمد رحمه الله تعالى يقول الحق انه لا بد لك من الناس ولا بد للناس منك فليكن كل منكما على حذر من الآخر وقد كان ابراهيم بن أدهم رحمه الله فى سفر فلما قدم منه قالوا لسليمان الخواص رحمه الله ألا تلاقى ابراهيم فقال أخاف اذا لقيته أن أتزين له بكلام فأهلك وقد كان الحسن بن صالح رحمه الله تعالى يقول لقد أدركنا الناس وهم يتحابون من بعيد ويكرهون اللقاء وكان الربيع بن خثيم رحمه الله يقول لا ينبغى لاحد أن يعتزل للعبادة الا بعد التفقه فى دينه فقد كان الامام مالك رضى الله عنه يقول تفقه ثم اعتزل يعنى عن الناس وكان عبد الله بن عباس رضى الله عنهما يقول خير جلوس الرجل فى قعر بيته لا يرى ولا يرى وكان سفيان رحمه الله تعالى يقول والله لقد حلت العزلة عن الناس (قلت) يعنى وجبت كما فى حديث فقد حلت له شفاعتى أى وجبت وكان أبو سفيان يقول اعتزلوا عن الناس جهدكم فانهم سراق العقول وكان أبو بكر الوراق رحمه الله تعالى يقول لا تطمع فى الانس بالله أبدا وأنت تخالط الخلق ولا تطمع فى رضا الله تعالى وأنت تخالط الظلمة ولا تطمع فى حب الله لك وأنت تحب الدنيا ولا تطمع فى لين قلبك وأنت تجفو على اليتيم وكان داود الطائى رحمه الله تعالى يقول لا تصلح العزلة عن الناس الا لمن زهد فى الدنيا أما الراغبون فيها فلا فائدة فى عزلتهم فمن اعتزل الناس ولم يجعل الحق تعالى مؤنسا والقرآن محدثا فقد أخطأ الطريق ولم تصح عزلته وكان سفيان الثورى رحمه الله تعالى يقول اجعل جلوسك فى مكان يكون أخفى لشخصك وأخفض لصوتك وكان مالك بن دينار رحمه الله تعالى يقول من لم يجالس الحق تعالى والنبى صلى

الله

(وفرقة أخرى) جاوزت هؤلاء فاحسنت الاعمال وطلبت الحلال واشتغلت بتفقد القلب وصار أحدهم يدعى المقامات من الزهد والتوكل والرضا والحب من غير وقوف على حقيقة

الله عليه وسلم وأصحابه رضى الله عنهم فقد خابت عزلته فقيل له كيف ذلك قال يدرس القرآن بتدبر وينظر فى أفعال رسول الله صلى الله عليه وسلم وأقواله وأفعال أصحابه رضى الله عنهم وأقوالهم فمن فعل ذلك فقد حادث الله تعالى وحادث النبى صلى الله عليه وسلم وحادث أصحابه رضى الله تعالى عنهم ولما اعتزل عن الناس داود الطائى رحمه الله لامه أصحابه فى ذلك فقال انما فعلت ذلك حين رأيت الصغير لا يوقر الكبير ورأيت أخى يعصى على عيوبى ايجعونى بها حال سخطه على وكان ابراهيم بن أدهم رحمه الله تعالى يقول أقل ما فى العزلة عن الناس أن الانسان لا يرى منكرا فينكره وكان بشير بن منصور رحمه الله تعالى يقول أقلل من معرفة الناس جهدك فانك لا تدرى ماذا يقع لك من الفضيحة والعياذ بالله تعالى فيكون من يعرفك من الناس قليلا وكان أيوب السختيانى رحمه الله تعالى يقول ان من العزلة عن الناس اذا خرجت لحاجة أن تقصد المشى فى المواضع القليلة الناس وقد كان لعمر بن عبد العزيز رحمه الله تعالى ولد اسمه عبد الله كان له سرداب يجلس فيه لا يخرج منه الا فى أوقات الصلاة وكان سفيان الثورى رحمه الله تعالى يقول هذا زمان السكوت ولزوم البيوت والقنع بالقوت الى أن تموت وكان مكحول رحمه الله يقول ان كان فى مجالسة الناس خير فالعزلة عنهم أسلم للدين وكان سفيان بن عيينة رحمه الله تعالى يقول اجتمعت بأبى حبيب البدرى رضى الله عنه فقال لى يا سفيان ما رأينا خيرا قط الا من الله تعالى فما لنا لا نقبل على من لا نرى الخير الا منه وقد رأيت ابراهيم بن أدهم رحمه الله تعالى بالشام فقلت له يا أبا اسحق انك قد تركت خراسان وجلست ههنا فقال نعم ما هنأنى العيش الا هنا أفر بدينى من جبل الى جبل فمن رآنى ظن أنى ملاح أو جمال أو موسوس وكان سفيان الثورى رحمه الله تعالى يقول لقد أدركنا الناس وهم دواء يستشفى بهم فصاروا اليوم داء لا دواء له وكان حماد بن زيد رحمه الله تعالى يقول زرت مالك بن دينار رحمه الله تعالى فرأيت عنده كلبا بحذائه فأردت أطرده فقال لى دعه يا حماد فانه خير من جليس السوء الذى يغتاب الناس عندى ولما قدم عبد الله بن المبارك من البصرة الى بغداد سأل عن محمد بن واسع رحمهما الله تعالى فلم يعرفه أحد فقال عبد الله انه من فضله لم يعرف وازداد فيه محبة وتعظيما وكان الحسن البصرى رحمه الله تعالى يقول رأيت مرة رجلا معتزلا عن الناس فقلت له لم لا تخالط الناس فقال لى أنا مشغول عنهم بما هو أهم فقلت له وما هو فقال انى أصبح كل يوم بين نعمة وبين ذنب فأنا مشغول بالشكر لاجل النعمة وبالاستغفار لاجل الذنب فقلت له أنت أفقه من الحسن اجلس وحدك يا أخى وكان الفضيل بن عياض رحمه الله تعالى يقول من سخافة عقل الرجل كثرة معارفه وقد قيل لابراهيم بن أدهم رحمه الله تعالى ألا تخالط الناس فتأمرهم بالمعروف وتنهاهم عن المنكر فقال لى عدم لقائهم يسقط عنى ذلك وقيل لعمر بن عبد العزيز رحمه الله ألا تجالس الناس فقال انى لم أتفرغ لهم وقد كان الفضيل بن عياض رحمه الله تعالى يقول انما طلبوا العزلة والوحدة لانها تورث الانتباه من رقدة الغفلة وتورث كثرة مراقبة الله تعالى بالغيب وما أحد عبد ربه الا أحب أن لا يشعر به أحد فان استطعت أن تمشى للناس ولا يمشوا لك وتسألهم ولا يسألونك فافعل ووالله انى لألقى الرجل فلا يسلم على فأرى الفضل له وكذلك اذا مرضت ولم يعدنى وقد دخل عليه رجل مرة لحاجة فقام وترك له البيت فقال له الرجل ما بالك يا أبا على قمت رحمة لى لماذا فقال له الفضيل وهل تريد الا أن تتزين لى وأتزين لك وأنا والله لا أجد لذة ولا راحة الا اذا كنت وحدى وكان أبو الدرداء رضى الله تعالى عنه يقول لقد أدركنا الناس وهم ورق لا شوك فيه وقد صاروا الآن شوكا لا ورق فيه وكان سفيان بن عيينة رحمه الله تعالى يقول قال لى سفيان الثورى رحمه الله فى حياته وبعد مماته حين رأيته فى منامى أقلل من معرفة الناس جهدك فان التخلص منهم شديد ولا يرى الشخص ما يكره الا ممن يعرفه وقيل مرة لابراهيم بن أدهم رحمه الله تعالى ألا تجالس الناس فقال ان الناس قد ذهبوا تحت أطباق الثرى اهـ فاعلم ذلك يا أخى واعتزل عنهم جهدك فقد سمعت مقالاتهم فى المائة الثانية فكيف بك وأنت فى المائة العاشرة وإياك أن يلعب بك ابليس ويقول لك أنت بحمد الله قد وصلت فى المقام الى حد لا يشغلك شئ عن ربك فان ذلك من دسائس ابليس فانك يا أخى بيقين أدون من هؤلاء السلف فى المقام فافهم ذلك والحمد لله رب العالمين

﴿ومن أخلاقهم رضى الله تعالى عنهم﴾ زيادتهم فى التواضع كلما ترقى أحدهم فى المقام عكس حال من قرب الى السراج فان الشخص كلما قرب منه رأى نفسه كبيرا وهؤلاء القوم كلما قربوا من حضرة الله تعالى رأوا أنفسهم

هذه المقامات وشروطها وعلاماتها وآفاتها فمنهم من يدعى الوجد ومحبة الله ويزعم انه واله بالله ولعله قد يخيل بالله خيالات فاسدة هى بدعة أو كفر فيدعى حب الله قبل معرفته وذلك لا يتصور قط ثم انه لا يخلو

أصغر من البعوضة من شهودهم عظمة الله تعالى ولذلك طرد ابليس من الحضرة لما تكبر وقال أنا خير منه فافهم فكل فقير رأيته يا أخى متكبرا فابعد عنه فانه عدو الله كما قال ابن عباس رضى الله عنهما أوحى الله تعالى الى موسى عليه الصلاة والسلام ياموسى أبغض خلق الىّ من تكبر قلبه وغلظ لسانه وبخلت يده وساء خلقه وكان أبو مسلم الخولانى رحمه الله يقول ما تكبر الا وضيع ولا افتخر الا سقيط ولا تعصب بالباطل الا دنىء الاصل وكان أبو سليمان الدارانى رحمه الله تعالى يقول لو اجتمع جميع الخلق علىّ على أن ينزلونى عن شهود حقارة نفسى لما استطاعوا ذلك وكان أبو أيوب السختيانى رحمه الله تعالى يقول قد طلب قوم الارتفاع فوضعهم الله وأراد قوم الاتضاع فرفعهم الله قال ولما قدم سفيان الثورى رحمه الله تعالى الى الرملة أرسل اليه ابراهيم بن أدهم رحمه الله تعالى أن ائت الينا تحدثنا فقيل لابراهيم ترسل الى مثل سفيان ام أتيك قال نعم أردت أن أريكم شدة تواضعه ثم جاء سفيان فحدثهم وكان سليمان الخواص رحمه الله تعالى يشبه بابراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام فى الكرم وفى حسن الخلق وكان عروة بن الزبير رضى الله عنهما يقول عليكم بالتواضع فانه نعمة عظيمة ولا يحسدكم أحد عليها وكان سفيان بن عيينة رحمه الله تعالى يقول من تكبر بغير حق حرم الفهم فى القرآن ومن اكتسب عزا بغير حق أورثه ذلك ذلا بحق وكان سفيان الثورى رحمه الله تعالى يقول الزاهد بغير تواضع كالشجرة التى لا تثمر ومن لم يتضع عند نفسه لم يرتفع عند غيره وكان عبد الله بن عمر رضى الله عنهما لا يحبس عن مائدته أجذم ولا أبرص ولا مبتلى بل يأكل معهم وكان يقول رأس التواضع ان ترضى بأدون المجالس لا لحظ نفس فقد يجلس أحدهم عند النعال ومعه من الكبر ما الله به عليم وما حمله على مجلسه ذلك الا ليقال انه متواضع وكان يقول من علامة تواضعك أن تكره ذكرك بالبر والتقوى بين الناس وكان ابن السماك رحمه الله تعالى يقول أفضل التواضع أن لا ترى لك فضلا على أحد وترى فضل الناس عليك فتفضل كل من رأيته من أقرانك على نفسك بقلبك وترجو رحمته وتطلب دعوته وتظن أن الله تعالى يدفع عنك البلاء بتوسلك به فهذا هو التواضع الاكبر وقد بلغنا أن عيسى عليه الصلاة والسلام كان يقول أحق الناس بخدمته للناس العالم وكان مالك بن دينار رحمه الله تعالى يقول لو أن مناديا ينادى بباب المسجد ليخرج شركم رجلا ما سبقنى أحد الى الباب الا أن يكون له فضل قوة علىّ اه وكان حاتم الاصم رحمه الله تعالى يقول لا يخرج الله تعالى المتكبر من الدنيا حتى يريه الهوان من أرذل خدمه وجيرانه ويتمرغ فى بوله وقذره قبل الموت وكان أبو تراب النخشبى رحمه الله تعالى يقول تحقير الفقير هو عين الكبر وكذلك الوقوع فى حق الفقراء من أخلاق الكلاب وقد دخل أبو ساسان يوما على عبد الملك رحمهما الله تعالى فوقف بعيدا فقال له لم وقفت بعيدا يا أبا ساسان فقال لان أدعى من بعيد أحب الىّ من أن أدفع من قريب وكان عمر بن عبد العزيز قبل أن يلى الخلافة رحمه الله تعالى يلبس الحلة بألف دينار ويقول ما أجودها لولا خشونة فيها فلما استخلف كان يلبس الحلة بخمسة دراهم ويقول ما ألينها وأجودها فقيل له فى ذلك فقال ان نفسى كانت تطلب الرفعة فلما وليت الخلافة وهى أرفع مقام عند أهل الدنيا طلبت نفسى ما عند الله تعالى وزهدت فى الدنيا اه قالوا وكان رضى الله عنه لا يسجد على فرش بل على التراب وكان عبد الله الرسمى رحمه الله تعالى يقول لم يفرض الله تعالى الركوع والسجود بالاصالة الا على المتكبرين مثلى ومثل فرعون ونمرود وأنوشروان وكان يحيى بن خالد رحمه الله يقول الشريف اذا تعبد تواضع بخلاف الدنىء وقد كان أبو هريرة رضى الله عنه وهو أمير المدينة فى أيام مروان يحمل حزمة الحطب من السوق على رأسه ويمشى يقول أوسعوا لاميركم وكان أمير المؤمنين عمر رضى الله عنه يسرع فى المشى ويقول هو أبعد من الزهو والعجب وأسرع الى قضاء الحاجة وكان عمر بن عبد العزيز رحمه الله يخدم الضيف بنفسه ويصلح له السراج فى الليل ولا ينبه احدا من الخدم وفى الحديث أن سليمان ابن داود عليهما الصلاة والسلام لم يرفع طرفه الى السماء تخشعا مع ما أعطى من الملك حتى قبضه الله تعالى وفى الحديث أيضا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يأكل مع الخادم ويطحن معها اذا أعيت وكان صلى الله عليه وسلم لا يمنعه الحياء أن يحمل بضاعته من السوق الى أهله وكان صلى الله عليه وسلم يصافح الغنى والفقير ولما حج صلى الله عليه وسلم ورمى جمرة العقبة لم يكن بين يديه ضرب ولا طرد ولا اليك اليك وكان يحيى بن معاذ رحمه الله يقول التكبر على من تكبر عليك بماله تواضع لله عز وجل وكان بشر الحافى رحمه الله يقول حج عيسى عليه الصلاة

قط ما يفارقه ما يكرهه الله وايثار هوى نفسه على أوامر الله وعن ترك بعض الامور حياء من الخلق ولو خلا بنفسه لما تركها حياء من الله وليس يدرى ان كل ذلك يناقض الحب وبعضهم يميل الى القناعة والتوكل

والسلام

والسلام من الشام على ثور وكان حاتم الاصم رحمه الله يقول لا تنظروا الى صورة تواضع فقراء زماننا هذا وعلمائه وقرائه فانهم عندهم من الكبر ما ليس عند الامراء والملوك اه وسيأتى زيادة على ذلك فى مبحث غير هذا ان شاء الله تعالى مفرقا فى هذا الكتاب فتأمل يا أخى حالك وانظر نفسك فربما تكون من أعظم المتكبرين وأنت لا تشعر وربما لبست الجبة الغليظة أو البشت وكنت بذلك أعظم فى الكبر ممن لبس رقيق الثياب والحمد لله رب العالمين

﴿ومن أخلاقهم رضى الله عنهم﴾ عدم التهاون بشىء من الفضائل التى رغبنا فى فعلها الشارع صلى الله عليه وسلم واكثارهم منها وشهودهم أنها وان كانت كثيرة العدد لا يحصل لهم منها أجر فضيلة كاملة وكان يحيى بن أبى كثير رحمه الله تعالى يقول من بلغه عن الله عز وجل شىء فعمل به ايمانا به أعطاه الله تعالى أجر ذلك وان لم يكن كذلك وقد رأى رجل كثرة عبادة ابراهيم بن أدهم رحمه الله تعالى فتمنى أن يكون مثله فبلغ ذلك ابراهيم فقال له والله يا هذا لروعة تروعك على عيالك أفضل من جميع ما أنا فيه وكان الحسن البصرى رحمه الله تعالى يكثر من فعل الطاعات ويقول ليس لامثالنا نوافل انما النوافل لمن كملت فرائضه وقد كان سلمان الفارسى رضى الله عنه يقول مثل الذى يكثر الفضائل ولا يكمل الفرائض مثل تاجر خسر رأس ماله وهو طالب للربح وقد كان عيسى عليه الصلاة والسلام يقول ان رب الدين لا يقبل الهدية الا بعد وفاء دينه كله وكان عبيد بن عمير رحمه الله تعالى يقول ما من عبد يضع جنبه على الفراش ويذكر الله تعالى حتى يأخذه النوم الا كتب ذاكرا لله تعالى حتى يستيقظ وكان وهيب بن الورد رحمه الله تعالى يقول اياكم أن تطلبوا ثوابا على عبادتكم فانها الى الرد أقرب منها الى القبول أما ترون الى قول الخليل عليه الصلاة والسلام لما بنى البيت ربنا تقبل منا مخافة أن لا يقبل بناؤه وقد كان يونس بن عبيد رحمه الله يقول من استخف بالنوافل استخف بالفرائض وكان ابراهيم النخعى رحمه الله يكره عد الآى والاذكار الا ان كان لها عدد مشروع اه فاعلم ذلك يا أخى وأكثر من النوافل والفضائل ولا تمل منها ولا ترى بعد ذلك انك قمت بواجب شكر نعمة واحدة من نعم الله عليك والحمد لله رب العالمين

﴿ومن أخلاقهم رضى الله عنهم﴾ كثرة التوبة والاستغفار ليلا ونهارا لشهودهم أنهم لا يسلمون من الذنب فى فعل من الافعال حتى فى طاعاتهم فيستغفرون من نقصهم من خشوعها ومن مراقبة الله تعالى فيها وقد درج على ذلك السلف خلاف ما عليه غالب متصوفة هذا الزمان الذى نحن فيه حتى انى سمعت مرة بعضهم يقول نحن قوم لا ذنوب علينا بحمد الله تعالى فقلت له وكيف قال لاننا نشهد أن الله تعالى هو الفاعل لا نحن فقلت له فاذا وجب عليك الاستغفار والتوبة لانك هدمت جميع أركان الشريعة وأبطلت حدودها والله لو كنت أنا ذا سلطان لضربت عنق مثل هذا فان الانبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام وجميع الاكابر كانوا يشهدون أن الله تعالى هو الخالق لافعالهم ومع ذلك استغفروا وبكوا حتى نبت العشب من دموعهم وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ألا أنبئكم بدائكم ودوائكم فان داءكم الذنوب ودواءكم الاستغفار وقد كان أمير المؤمنين على رضى الله عنه يقول العجب ممن يقنط ومعه النجاة فاذا قيل له وما هى النجاة يقول كثرة الاستغفار وكان الفضيل بن عياض رحمه الله تعالى يقول استغفار الله تعالى بلا اقلاع توبة الكذابين وكان يحيى بن معاذ رحمه الله يناجى الله تعالى بقوله الهى ان ابليس لك عدو وهو لنا عدو ولا تغيظه بشىء هو أنكى له من عفوك عنا فاعف عنا برحمتك يا أرحم الراحمين وكان أبو عبد الله الانطاكى رحمه الله تعالى يقول ترك معصية واحدة وان صغرت أرجى للرحمة من ألف حجة وألف غزوة وألف رقبة يعتقها العبد لله تعالى وفى رواية ان ترك كذبة واحدة أو خلف وعد أو نظرة الى ما لا يحل أرجى للرحمة والمغفرة من كثرة النوافل مع الكذبة أو النظرة أو خلف الوعد وكان سفيان الثورى رحمه الله تعالى يقول أربع لا يعبأ بهم عاقل زهد الخصيان فى الجماع ونسك النساء وتوبة الجندى وقراءة الصبيان وقد كانت رابعة العدوية رحمها الله تعالى تقول استغفارنا يحتاج الى استغفار يعنى من عدم الصدق فيه وكان خالد بن معدان رحمه الله تعالى يقول يمر التوابون على جهنم فلا يرونها فيقولون يا ربنا ألم تعدنا أننا نرد النار فيقال لهم انكم مررتم عليها وهى خامدة لكونكم كنتم تائبين فانها لا تهيج الا من الذنوب والاصرار عليها وقد أجمع أهل السنة على صحة توبة العبد من القتل ومن أخذ المال بلا حق ومن شرب الخمر ومن سائر المعاصى قال وقد سئل مسروق رحمه الله تعالى هل لقاتل المؤمن من توبة فقال لا أغلق بابا فتحه الله تعالى وقد كان أبو الجوزاء

فيخوض البوادى من غير زاد ليصحح التوكل وليس يدرى ان ذلك بدعة لم تنقل عن الصحابة وسلف هذه الامة وقد كانوا أعلم بالتوكل منه ما فهموا من التوكل المخاطرة بالروح وترك الزاد بل كانوا يأخذون الزاد وهم

رحمه الله تعالى يقول ان العبد ليذنب فلا يزال نادما حتى يدخل الجنة فيقول ابليس ليتنى لم أوقعه فيه وكان أمير المؤمنين على رضى الله عنه يقول خياركم كل مذنب تواب ثم يتلو ان الله يحب التوابين وكان الربيع بن خيثم رحمه الله يقول لا يقل أحدكم أستغفر الله تعالى وأتوب اليه فيكون ذلك ذنبا وكذبا ان لم يفعل ولكن ليقل اللهم اغفر لى وتب على فقيل له ان قول العبد استغفر الله قد ورد فى السنة فقال ذلك فى حق الصادقين اه وكان ابن عباس رضى الله عنهما يقول لم يبلغنى فى كتاب ولا سنة ولا بلغ علمى ان الله تعالى قال الذنب لا أغفره قلت لعل مراده رضى الله عنه عدم ورود هذا اللفظ بخصوصه والا ففى القرآن ان الله لا يغفر أن يشرك به فيحمل كلامه رضى الله عنه على ذنوب أهل الاسلام كما حمل العلماء قوله تعالى ان الله يغفر الذنوب جميعا على ذلك وقد كان ثابت البنانى رحمه الله يقول ما شرب داود عليه الصلاة والسلام شرابا بعد الذنب الا ممزوجا بدموع عينيه وكان مالك بن دينار رحمه الله يقول دخلت على جار لى وهو مريض وكان مسرفا على نفسه فقلت له يا أخى عاهد الله تعالى أن تتوب عسى أن يشفيك فبكى فسمعت قائلا من ناحية البيت يقول ان كان عهده كعهدك معنا فلا فائدة فيه فانك عاهدتنا مرارا فوجدناك كاذبا قال فغشى عندذلك على مالك وكان طلق بن حبيب رحمه الله تعالى يقول ان حقوق الله تعالى أعظم من أن يقوم بها العباد وان نعمة الله تعالى أكثر من أن يحصوها وكان ذو النون المصرى رحمه الله يقول ان الله تعالى رزقنا فوق قوتنا وكلفنا دون قوتنا فلم نكتف بما رزقنا من القوت ولم نبذل قوتنا فيما كلفنا وكان مجاهد رحمه الله يقول من لم يتب كل صباح ومساء فهو من الظالمين وقد قيل للحسن البصرى رحمه الله ماذا تقول فيمن يتوب ثم ينقض ثم يتوب ثم ينقض وهكذا فقال ما أراه الا مؤمنا فعل أخلاق المؤمنين وكان يحيى بن معاذ رحمه الله يقول زلة واحدة بعد التوبة أقبح من سبعين زلة قبلها وقد سئل سفيان بن عيينة رحمه الله ما علامة التوبة النصوح فقال أربعة أشياء قلة الدنيا وذلة النفس وكثرة التقرب الى الله تعالى بالطاعات ورؤية القلة والنقص فى ذلك وكان بكر بن عبد الله المزنى رحمه الله يقول لو أن مذنبا طاف على سائر المجالس والابواب وهو يقول استغفروا الله لى لكان ذلك أولى من سؤاله لهم اللقمة والخلقة ونحوهما وقد سئل يحيى بن معاذ رحمه الله عن التائب من هو فقال هو من تاب أيام شبابه ولزم الفطام حتى أتاه الحمام وليست التوبة توبة الشيوخ لخمود نار شهوتهم عن المعاصى وان كان الله تعالى وعد بقبولها حتى تطلع الشمس من مغربها وقد كان سعيد بن المسيب رحمه الله يقول أنزل الله قوله تعالى انه كان للاوابين غفورا فى الرجل يذنب ثم يتوب ثم يذنب ثم يتوب وكان الفضيل بن عياض رحمه الله تعالى يقول قال الله عز وجل يا داود بشر المذنبين انهم ان تابوا قبلت توبتهم وحذر الصديقين انى ان وضعت عليهم عدلى عذبتهم وكان عبد الله بن حبيب رحمه الله يقول انكم ان تطيقوا غضب الله تعالى عليكم كلما عصيتموه فامسوا تائبين وأصبحوا كذلك تائبين وكان عبد الله بن عمر رضى الله عنهما يقول من وقع فى خطيئة ثم تذكرها فوجل منها فى قلبه محيت عنه من أم الكتاب وكان الفضيل بن عياض رحمه الله يقول للمجاهدين اذا أرادوا أن يخرجوا للجهاد عليكم بالتوبة فانها ترد عنكم ما لا ترده السيوف وكان يقول لما عاين قوم يونس عليه الصلاة والسلام العذاب قام رجل منهم فقال اللهم ان ذنوبى عظمت وجلت وأنت أعظم منها وأجل فافعل بنا ما أنت أهله ولا تفعل بنا ما نحن أهله فكشف الله عنهم العذاب وقد كان يحيى بن معاذ رحمه الله يقول فى مناجاته فى الليل اللهم ان خطيئتى تعذبنى وتوبتى تذوبنى فعيشتى طول دهرى بين تعذيب وتذويب وكان حبيب بن تمام رحمه الله يقول من وقع فى ذنب ثم خاف من الله تعالى أن يعذبه عليه غفره الله له وكان عبد الله بن مسعود رضى الله عنه يقول ان للجنة ثمانية أبواب كلها تفتح وتغلق الا باب التوبة فان عليه ملكا موكلا به لا يدعه يغلق فادعوا ولا تيأسوا وقد كان عبد الرحمن بن القاسم رحمه الله يقول تذاكرنا فى اسلام الكافر وانه يغفر له ما مضى فقلت انى لارجو أن يكون المسلم أولى بذلك عند الله تعالى فان توبة المسلم كاسلام بعد اسلام أى كتكراره الشهادتين وكان عبد الله بن سلام رضى الله عنه يقول لا أحدثكم الا عن كتاب منزل أو نبى مرسل ان العبد اذا عمل ذنبا ثم ندم عليه طرفة عين واستغفر الله تبارك وتعالى سقط عنه أسرع من طرفة عين وكان أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه يقول جالسوا التوابين فانهم أرق أفئدة وفى الحديث ما أصر من استغفر وان عاد فى اليوم أكثر من سبعين مرة وكان ابراهيم بن أدهم رحمه الله يقول ما ألهم الله تعالى عبدا

متوكلون على الله لا على الزاد وهذا ربما يترك الزاد وهو متوكل على سبب من الاسباب واثق به وما مقام من المقامات المنجية الا وفيه غرور وقد اغتر بها قوم وقد ذكرنا مداخل الآفات فيها فى ربع المنجيات من كتاب

الاستغفار وهو يريد أن يعذبه وقد سئل الفضيل بن عياض رحمه الله عن معنى قول العبد استغفر الله فقال معناه اللهم أقلنى من ذنبى وكان وهب بن منبه رحمه الله تعالى يقول من قدم الاستغفار على الندم كان كالمستهزئ على الله تعالى ولا يشعر وأنها توبة الكذابين (قلت) ويؤيد ذلك قوله تعالى أفلا يتوبون الى الله ويستغفرونه فأخر الاستغفار عن التوبة المشتملة على الندم فليتأمل فان الواو هنا للترتيب والله أعلم وقد سئل يحيى بن معاذ رحمه الله تعالى ما بال المسلم اذا وقع فى ذنب يكره أن يطلع عليه الناس أكثر من كراهته لاطلاع الله تعالى عليه هل ذلك من هوان منه بربه عز وجل فقال لا ولكن ذلك من شدة معرفته بكرم ربه وجوده وانه سبحانه لا يفضحه بخلاف الناس وقد بلغنا أن اعرابيا كان يقول فى دعائه اللهم ان استغفارى مع اصرارى لؤم وتركى الاستغفار مع علمى بسعة عفوك ورحمتك عجز فاغفر لؤمى برجائى لرحمتك يا أرحم الراحمين وكان يحيى بن معاذ رحمه الله تعالى اذا سمع قوله تعالى فقولا له قولا لينا يقول الهى اذا كان هذا قولك فى حق من قال أنا ربكم الاعلى فكيف يكون رفقك بمن لا يشرك بك شيأ بل يعلم أنك أنت الله لا اله الا أنت وحدك لا شريك لك وكان رحمه الله تعالى يقول بلغنا أن الله سبحانه وتعالى يحاسب المسلمين يوم القيامة بالمن والفضل ويحاسب الكافرين يومئذ بالحجة والعدل اه فاعلم ذلك يا أخى وأكثر من الاستغفار ما دمت فى هذه الدار فانه يطفئ غضب الجبار ولا تظن محو ذنوبك اذا فعلت الامور التى ورد فى الشرع أنها مكفرة لذلك فقد يكون لها شروط لم تأت بها واعلم أن المؤمن لا يطمئن حتى يدخل الجنة فافهم والحمد لله رب العالمين

﴿ومن أخلاقهم رضى الله عنهم﴾ أمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر وان لم يفعلوا ولم ينتهوا وهذا الخلق يخل به كثير ممن لم يسلك على يد شيخ صادق فيقول ان الامر بالمعروف لا يكون الا ممن كان تائبا عن جميع الذنوب ونحن قوم قد غمرتنا الذنوب وهذا مخالف لما عليه العلماء العاملون فقد ورد فى الحديث الشريف أن أبا هريرة رضى الله عنه قال قلنا يا رسول الله أنأمر بالمعروف وننهى عن المنكر وان لم نأتمر ولم ننته فقال صلى الله عليه وسلم مروا بالمعروف وان لم تعملوا به وانهوا عن المنكر وان لم تنتهوا عنه كله وكان أمير المؤمنين على رضى الله عنه يقول من نهى عن المنكر وشنأ الفاسقين وغضب اذا انتهكت حرمات الله غضب الله تعالى له وقد قيل لحفص بن حميد رحمه الله تعالى ما الذى بلغ بسفيان الثورى ما بلغ فقد كان فى زمانه من هو مثله فى كثرة العبادة والعلم فقال بلغ به رحمه الله استخفافه بالعصاة فى مواضع الحق وعدم مراعاته لهم كان رحمه الله ربما يرى المنكر فلم يقدر على ازالته فيبول الدم من القهر وكان أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه يقول سيأتى على الناس زمان يكون صالحهم فيه هو من لا يأمر بمعروف ولا ينهى عن منكر فيقول الناس ما رأينا منه الا خيرا لكونه لم يغضب لله تعالى وكان يحيى بن معاذ رحمه الله يقول مصائب المؤمن فى الدنيا ثلاثة صلاة تفوته وأخ صالح يموت وحدث يحدث فى الاسلام وكان أمير المؤمنين على رضى الله عنه يقول سيأتى على الناس زمان يكون منكر المنكر فيه أقل من عشر الناس ثم يذهب العشر بعد ذلك فلا يبقى أحد ينكر منكرا وكان أويس القرنى رضى الله عنه يقول ان قيام المؤمن بالحق لم يدع له فى الدنيا صديقا وما أمر أحد الناس بتقوى الله ونهاهم عن المنكر الا رموه بالعظائم وشتموا عرضه وقد كان كعب الاحبار رضى الله عنه يقول جنة الفردوس خاصة بمن يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر وكان وهيب بن الورد رحمه الله يقول فى قوله تعالى وجعلنى مباركا أينما كنت أى كان يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر وكان أنس بن مالك رضى الله عنه يقول من سمع أحدا يفعل منكرا ولم ينهه جاء يوم القيامة أصم مقطوع الاذنين وكان جرير بن عبد الله رحمه الله يقول ما من قوم أعزاء على الناس ثم لم يغيروا منكرا اقدروا عليه الا أذلهم الله عز وجل وكان أبو الدرداء رضى الله عنه يقول لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر أو ليسلطن الله عليكم سلطانا ظالما لا يجل كبيركم ولا يرحم صغيركم ويدعو عليه خياركم فلا يستجاب لهم وتستنصرون فلا تنصرون وتستغفرون فلا يغفر لكم وكان حذيفة بن اليمان رضى الله عنه يقول دخلت على عمر بن الخطاب رضى الله عنه فرأيته مهموما حزينا فقلت له ما يهمك يا أمير المؤمنين فقال أخاف أن أقع فى منكر فلا ينهانى أحد منكم تعظيما لى فقال حذيفة والله لو رأيناك خرجت عن الحق لنهيناك فان لم تنته ضربناك بالسيف قال ففرح عمر وقال الحمد لله الذى جعل لى أصحابا يقوموننى اذا اعوججت وقد أوحى الله تعالى الى

الاحياء (وفرقة أخرى) ضيقت على أنفسها أمر القوت حتى طلبت منه الحلال الخالص وأهملت تفقد القلب والجوارح من غير هذه الخصلة الواحدة ومنهم من استعمل الحلال فى مطعمه وملبسه ومكسبه

يوشع بن نون عليه الصلاة والسلام انى مهلك من قومك أربعين ألفا من خيارهم وستين ألفا من شرارهم فقال يارب هؤلاء الأشرار فما بال الاخيار فقال لانهم لم يغضبوا لغضبى وواكلوهم وشاربوهم وكان أبو امامة رضى الله عنه يقول يحشر ناس من هذه الامة على صورة القردة والخنازير بعلاصقتهم لاهل المعاصى وتركهم نهيهم وهم يقدرون عليه اه قلت اذا كان هذا حال من يخالط أهل المعاصى ولا يفعلها فكيف حال من لا يكاد تسلم له جارحة نسأل الله اللطف وقد كان سفيان الثورى رحمه الله يخرج الى السوق فيأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ثم ترك ذلك فقيل له لم تركت فقال كان قد انفتح فى الدين قناة فطلبنا أن نسدها وأما الآن فقد انفتح البحر فن يقدر يسده وقد قيل للفضيل بن عياض رحمه الله الا تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر فقال أخاف أن أفعل ذلك فيصيبنى أذى فلا أقدر على تحمله فيقع منى السخط والندم على أمرى بالمعروف وكان سفيان الثورى رحمه الله يقول لاصحابه لا تقتدوا بى تهلكوا فانى رجل مداهن مخالط مقصر وكان عبد الله بن مسعود رضى الله عنه يقول ان من أكبر الذنوب عند الله تعالى أن يقول الشخص لآخر اتق الله فيقول له عليك بنفسك وكان سفيان بن عيينة رحمه الله يقول لا يلزم أحد الامر بالمعروف الا فيما اجتمعت عليه الامة أما ما اختلفوا فيه فلا يلزم أحدا وكان حذيفة بن اليمان رضى الله عنه يقول سيأتى على الناس زمان تكون مجالسة الناس بجيفة حمار وتكون جيفة الحمار أحب اليهم من مجالسة المؤمن الذى يأمرهم وينهاهم وكان سفيان الثورى رحمه الله يقول ما بقى أحد فى سائر هذا الزمان يستحيى منه فقيل له ولم ذلك فقال انما يستحيى ممن يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر وأما من ليس كذلك لا هيبة له لعدم خوفه من الله تعالى وكان أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه يقول لاصحابه من أهدى الى عيوبى سألت له رحمة الله تعالى وكان مالك بن دينار رحمه الله تعالى يقول بلغنا انه كان فى بنى اسرائيل حبر يعظ الناس ويجتمعون عليه يسمعون وعظه رجالا ونساء فى بيته وكان له ولد شاب فغمز ابنه يوما امرأة جميلة من النساء ورآه أبوه فقال له مهلا يا بنى قال فسقط من سريره سرعة مكبا على وجهه حتى انقطع بعض أعضائه وأوحى الله تعالى الى نبى ذلك الزمان أن أخبر فلانا يعنى هذا الحبر انى لا أخرج من صلبه صديقا أبدا أما كان من غضبه لى الا أن يقول لابنه مهلا يا بنى وكان سفيان الثورى رحمه الله يقول اذا رأيتم الرجل محبوبا عند جيرانه محمودا عندهم فاعلموا أنه مداهن وقد كان عبد الله بن مسعود رضى الله عنه يقول اذا مات الرجل ولم يذمه أحد من جيرانه فاعلموا أنه مداهن اه قلت وحقيقة المداهن هو من يرضى الناس بما ينقص دينه كما أن المداراة هى ارضاء الناس بما ينقص دنياه فالاولى حرام والثانية مستحبة وكان مالك بن دينار رحمه الله يقول بلغنا أن الله تعالى أوحى الى الملائكة عليهم الصلاة والسلام أن صبوا العذاب على قرية كذا وكذا صبا فصاحت الملائكة وقالوا يارب ان فيهم عبدك فلانا العابد فقال تعالى أسمعونى ضجيجه من العذاب فان وجهه لم يتمعر قط اذا رأى محارمى وكان لقمان عليه السلام يقول كذب من قال ان الشر يطفأ بالشر فان كان صادقا فليوقد نارا عند نار هل تطفئ احداهما الاخرى بل لا يطفأ الشر الا بالخير كما يطفئ الماء النار اه وقد دخل أبو اسحق الفزارى على هرون الرشيد رحمه الله فبلغ ذلك يوسف بن أسباط رحمه الله فلامه وقال كيف تدخل على هذا الرجل وعنده فرش الحرير فقال أبو اسحق ما بلغك الا الحرير يا يوسف فأين الدماء والفروج والاموال ولكنا انما دخلنا عليه للضرورة وقد كان يقال ان العالم اذا دخل على ظالم ولم يسأل عن شئ فهو فى سعة وانى لم أسأل عن شئ وأنا جالس عنده فلو قيل لى هذا الفرش حرام لقلت نعم هو حرام (قلت) وفى هذا الجواب نظر والله أعلم وقد قيل لسفيان الثورى رحمه الله تعالى أيأمر الرجل من يعلم أنه لا يقبل منه فقال نعم ليكون ذلك معذرة له عند الله تعالى وكان مالك بن دينار رحمه الله يقول ذهب المعروف يبكى وجاء المنكر يضحك ثم ينشد

ذهب الرجال المقتدى بفعالهم * والمنكرون لكل أمر منكرا

وبقيت فى خلف يزكى بعضهم * بعضا ليدفع معور عن معور اه

فاعرض يا أخى هذه الصفات على نفسك لتعرف هل أنت ممن ينكر المنكر أولا وهل أنت ممن يحبك الله تعالى أولا وهل نصرت شريعة نبيك محمد صلى الله عليه وسلم أو خذلتها فانك تزعم انك من الدعاة الى الله تعالى بحكم النيابة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم لكونه قد أمن علماء أمته على شريعته من بعده صلى الله عليه وسلم

ويتعمق فى ذلك ولم يدر أن الله لم يرض العباد الا بالكمال والطاعات فمن اتبع البعض وأهمل البعض فهو مغرور (وفرقة أخرى) ادعت حسن الخلق والتواضع والسماحة فقصدوا الخدمة الصوفية فجمعوا قوما

ولعل

ولعل غالب الناس اليوم قد خذل الشريعة المطهرة بأقواله وأفعاله وسكوته على المنكر فلا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم والحمد لله رب العالمين

(ومن أخلاقهم رضى الله تعالى عنهم) عدم العجب والادلال بشئ من أعمالهم بل يرون انهم استحقوا التعذيب بالنار بصالح أعمالهم عندهم فضلا عن سيئها لما يشهدونه فيها من سوء الادب مع الله تعالى وقد ورد أن عيسى عليه الصلاة والسلام كان يقول كم من سراج قد أطفأته الريح وكم من عبادة قد أفسدها العجب وكان وهب ابن منبه رحمه الله يقول ساعة يزرى العبد فيها نفسه خير له من عبادة سبعين سنة وكان أبو عبد الله الانطاكى رحمه الله يقول أضر الطاعات على العبد ما أنسته مساويه وذكرته حسناته فيزداد بها ادلالا واغترارا بين الناس فيذهب الى الآخرة صفر اليدين من الخير والثواب وهو يحسب انه من الصالحين اه وكان الشعبى رحمه الله يقول بلغنا أن رجلا ممن سبق كان اذا مشى يظله السحاب لفضله فرآه رجل آخر فقال والله لامشين فى ظله لعل أن تنالنى بركته قال فأعجب الرجل الاول بنفسه حين رأى الناس يمشون فى ظله فلما افترقا ذهب الظل مع ذلك الرجل التابع وكان أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه يقول ان من علامة صدق توبتك أن تعترف لله بذنبك وان من اخلاص عملك أن ترفض عجبك وان من صدق شكرك أن تعرف تقصيرك وقد كان عمر بن عبد العزيز رحمه الله اذا خطب على المنبر فخاف العجب قطع الكلام وعدل الى غيره مما لا عجب فيه واذا كتب كتابا فخاف العجب فيه مزقه وقال اللهم انى أعوذ بك من شر نفسى وكان سفيان الثورى رحمه الله يقول اذا رأى حلقة درسه قد كبرت قام عجلا مرعوبا وقال أخذنا والله ولم نشعر قال فتبعه الناس يوما وقالوا له مثلك لا يخاف من مثل ذلك فقال بلى أنا أخوف الناس من ذلك لما أعرفه من دناءة أخلاقى ووالله لو رآنى عمر بن الخطاب رضى الله عنه جالسا فى مثل هذا المجلس لضربنى بالدرة وأقامنى وقال لى أنت لا تصلح لمثل ذلك وكان مطرف بن عبد الله يقول لان أبيت نائما وأصبح نادما أحب الى من أن أبيت قائما وأصبح معجبا أرى نفسى على النائمين وقد كان السلف يعيبون على العباد كثرة صيامهم وقيامهم خوفا عليهم من العجب وكانوا يقولون لهم تعلموا العلم ثم اعملوا فان لكل عمل أدبا شرعيا وكان الحسن البصرى رحمه الله يقول لو أن عمل ابن آدم كله كان حسنا لكان يهلك نفسه من العجب ولكن الله تعالى ابتلاه بشهود النقص فيه رحمة به وقد قال رجل مرة لابراهيم التيمى رحمه الله ما تقول يا فقيه فى كذا فقال ابراهيم ان زمانا صرت أنا فيه فقيها لزمان سوء وكان حذيفة المرعشى رحمه الله يقول ان لم تخف أن يعذبك الله تعالى على أفضل أعمالك عندك فأنت هالك اه وقد كانت رابعة العدوية رحمها الله تقول أكثر ما أكون راجية للخير حين تقل أعمالى الصالحة أى لكونها كانت معتمدة على فضل الله تعالى وامتنانه لا على الاعمال وكان حسان بن سنان رحمه الله يطلب من أعوان الولاة أن يدعو له فقيل له فى ذلك فقال لعل فى أحدهم خصلة يحبها الله تعالى ولعل فى خصلة يبغضها الله تعالى ولعلى أرى نفسى خيرا منه فيكون خيرا منى ولما مرض عمر بن عبد العزيز رحمه الله أشاروا عليه بالدفن فى المكان الرابع عند قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فارتعد من كلامهم وقال والله لان يعذبنى الله تعالى بالنار أحب الى من أن يعلم الله تعالى من قلبى اننى أرى نفسى أهلا لذلك وقد سئل ابن السماك رحمه الله عن حقيقة العجب فقال هو أن تتطاول على الناس بعملك فتحقر كل من رأيته مقصرا فى العمل وكان سفيان الثورى رحمه الله يكثر العبادة فقيل له يوما انا نراك تكثر من العبادة فقال لا يستكثر عبادته فى عينه الا جاهل بالله تعالى فان الملائكة عليهم الصلاة والسلام لا تفتر عن العبادة طرفة عين ولو انها استكثرت أعمالها لم يجعلها الله تعالى فى حضرته السماوية وانهم مع ذلك يقولون سبحانك ما عبدناك حق عبادتك وقد سمعت سيدى عليا الخواص رحمه الله يقول ان لم تخف أن يهلكك الله تعالى بالنقص الذى فى أعمالك الصالحة فضلا عن معاصيك فأنت هالك وكان يزيد بن هرون رحمه الله يقول نظرت فى قيام الليل فاذا الحارس يحرس الليلة كلها بدانقين أفيطلب أحدكم الجنة بسهر ليلة واحدة بعبادة لعلها لا تساوى دانقين ويعامر بها على ربه وقد كان الفضيل بن عياض رحمه الله يقول السلامة من الرياء والنفاق فى العلماء والقراء أعز من الكبريت الاحمر لان أحدهم لا يقدر على سماع قول الناس ما أعلم فلانا أو ما أحسن صوته بالقرآن الا ويحصل عنده العجب بذلك وان قالوا ليس هو بعالم ولا حسن الصوت شق

وتكلفوا خدمتهم واتخذوا ذلك شبكة لحطام الدنيا وجمع المال وانما غرضهم التكثير والتكبير وهم يظهرون الخدمة والتواضع ويطلبون أن غرضهم الارتفاق وغرضهم الاستتباع ويظهرون أن غرضهم

عليه وكاد يموت غما وذلك من أكبر علامات الرياء ثم يشرع فى تحسين حاله رياء وسمعة وكان السرى السقطى رحمه الله يقول كل من ظن بنفسه أنه محسن فهو ممن زين له سوء عمله ومن لم يظن أنه هالك فهو هالك وقد قال رجل لعبد الله بن المبارك رحمه الله تعالى يا امام انى لارى نفسى أحسن حالا ممن قتل بين يدى نفسا ظلما فقال له عبد الله ان أمنك على نفسك لشر ممن قتل نفسا ظلما وكان بشر الحافى رحمه الله يقول اذا رأيت العبد لجوجا مماريا بالعلم معجبا بنفسه فاعلم أنه قد استكمل الخسارة وكان أبو سليمان الدارانى رحمه الله يقول من أعجب بعمله فهو قدرى لانه لو رأى العمل خلقا لله تعالى لم يعجب به (قلت) وذلك فى العمل الحسن وأما العمل السيء فلا يجوز له تعزية نفسه عنه بل الواجب عليه أن يتوب منه ويندم ويستغفر منه والله أعلم وقد كان لعطاء السلمى رحمه الله مخنثون يخدمونه فى بيته ويوضئونه فقيل له ألا تستقذر هؤلاء أن يكونوا فى بيتك فقال والله انهم عندى أطهر من نفسى وأقل ذنوبا وأقل رياء ونفاقا فكيف أستقذرهم وقد كان أبان بن عياش رحمه الله يقول لا يكره العمل بالرخص الا معجب بنفسه أو صاحب هوى أى لان الرخص لا يحمد أحد فاعلها فلا يحصل عنده عجب وقد كان أبو بكر الصديق رضى الله عنه يخاف من العجب كل الخوف وكانوا اذا أثنوا عليه خيرا يقول اللهم اجعلنى خيرا مما يقولون واغفر لى ما لا يعلمون وكان عمر بن الخطاب رضى الله عنه اذا أثنوا عليه خيرا يقول اللهم انى أعوذ بك من شر ما يقولون وأسألك أن تغفر لى ما لا يعلمون وقد قال رجل لعائشة رضى الله عنها يا أم المؤمنين متى يعلم الرجل انه من المحسنين فقالت اذا علم انه من المسيئين فقال الرجل ومتى يعلم انه من المسيئين قالت اذا رأى نفسه من المحسنين قال وحضر بكر بن عبد الله المزنى ومطرف بن عبد الله رحمهما الله الموقف بعرفة فكان من دعاء مطرف أن قال اللهم لا تردهم فى هذا اليوم من أجلى خائبين وكان من دعاء بكر قوله ما أشرف هذه البقعة وما أرجاها للدعاء لولم أكن فى الناس وكان الحسن البصرى رحمه الله يقول رب هالك بالثناء عليه ورب مستدرج بالاحسان اليه وكان يحيى بن معاذ رحمه الله يقول ربما بلغ العجب بالفقير الى أن يصير يقول لو عرضت علىّ حور الجنان ما التفت اليهن دون الله تعالى وهو ربما لو رأى جارية من جوارى الدنيا الصباح قلبه بالميل اليها حتى بلغ العرش ووالله لذنب تفتقر به الى عفو الله تعالى خير لك من طاعة تفتخر بها على العباد وكان محمد بن واسع رحمه الله يقول لعباد زمانه أف لكم دخل العجب فى أعمالكم مع قلتها وقد كان من قبلكم لا يعجبون بأعمالهم مع كثرتها والله ما أنتم الا كاللاعبين بالنظر لعبادة من كان قبلكم فاعلم يا أخى ذلك وفتش نفسك كل التفتيش فربما تعجب بترك العجب وتكون أسوأ حالا ممن عجب يعنى بالاعمال فافهم واياك يا أخى أن ترى نفسك على أحد من المسلمين والحمد لله رب العالمين

﴿ومن أخلاقهم رضى الله تعالى عنهم﴾ تقديمهم انفاق الدراهم والدنانير فى اطعام الجائع وكسوة العريان ووفاء الديون التى على الناس وهم لا يقدرون على وفائها على عمارة الزوايا والدور ونحوها لا سيما فى هذا الزمان الذى لا يوجد فيه القوت الا بمعاناة أسباب الموت ان كان الفقير محترفا أو بذهاب دينه ان كان متعبدا لا حرفة له وقد رأيت مرة شيخا من مشايخ العصر يبنى له فى ضريح بقبة وتابوت فجاءه رجل أعمى معيل فطلب منه نصفا يأخذ لعياله به خبزا فلم يعطه فقلت له أعط له نصفا فهو أفضل من عمارة هذه القبة فأبى أن يعطيه فسقط من عينى من ذلك اليوم وقد كان عبد الله بن المبارك رحمه الله يقول أربعين دارا من كل جانب وكان الدجاج المشوى يحمل الى سماطه وسألوه فى شئ يعاونهم فى عمارة مسجد فأبى وقال لقمة فى بطن جائع أرجح فى ميزانى من عمارة المسجد لو عمرته وحدى وقد كان النبى صلى الله عليه وسلم يقول اذا أراد الله بعبد شرا أهلك ماله فى الماء والطين وفى الحديث أيضا كل درهم ينفقه العبد فان الله يخلفه الا ما كان فى بنيان أو معصية وقد كان أنس بن مالك رضى الله عنه يقول رأيت درجة فى سلم غرفة رسول الله صلى الله عليه وسلم تتحرك فأردت أن أبنيها بقطعة طين فنهانى صلى الله عليه وسلم وقال مالى وللدنيا وفى رواية انى بعثت بخراب الدنيا ولم أبعث بعمارتها اه وقد بنى أبو الدرداء رضى الله عنه كنيفا فبلغ ذلك عمر بن الخطاب وكان فى خلافته رضى الله عنه فكتب اليه يقول من عمر الى عويمر سلام عليك أما بعد ثكلتك أمك أما كان لك حاجة الا أن تجدد عمارة الدنيا بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم حكمت عليك أن لا تضع كتابى من يدك حتى تهدمه قال فهدمه لوقته وقد كان وهب بن منبه رحمه الله يقول

من

الخدمة وهم يجمعون الحرام والشبهات لينفقوا عليهم فتكثر أتباعهم وينتشر بتلك الخدمة ذكرهم ومنهم من يأخذ من أموال السلاطين وينفق عليهم ومنهم من يأخذ من أموال السلاطين والظلمة لينفق

من استغنى بأموال الفقراء أفقرته ومن سخر الفقراء فى بناء داره أعقبه ذلك الخراب ومعنى استغنى بأموال الفقراء أخذها على اسمهم واختص بها وكان سفيان الثورى رحمه الله يقول ما وقع لى انى أنفقت درهما فى بناء قط قال ومالت حائط فى دار مطرف بن عبد الله فقالوا له ألا تصلحها يوما فقال ان رب المنزل لا بد عنا نقيم فيه حتى نعمره وقد كان خص نوح صلى الله عليه وسلم من خوص النخل فقيل له لو بنيت لك بيتا فقال هذا كثير على من يموت وكان الفضيل بن عياض رحمه الله يقول ما زخرف قوم البناء الا أوشك أن يرجموا من السماء وكان ثابت البنانى رحمه الله يقول قد أوحى الله تعالى الى نبى من الانبياء عليهم الصلاة والسلام ان عمر أمتك ثلاثمائة عام قال فأخبرهم نبيهم بذلك فقالوا ان عمرنا القصير ثم خرجوا من دورهم وضربوا الاخبية فى البرية وأقبلوا على عبادة ربهم عز وجل فلم يتناسلوا ولم يتوالدوا حتى ماتوا عن آخرهم وقد دخل حامد اللفاف رحمه الله على امرأته يوما فوجدها تطين كانونها وتزلفه فقال لها ما هذا فاعتذرت اليه وقالت ان ذلك أبقى للكانون حتى لا يقع القدر من فوقه فيذهب الطعام على الارض فقال لها ان الله مطلع على باطنك وقد كان ابراهيم بن أدهم رحمه الله يقول كان لابى دار واسعة ورثها من أبيه وكان يسكن فى البيت منها فاذا خرب تحول الى غيره حتى مات فى آخر بيت منها ولم يعمر منها شيأ وكان عبد الله بن مسعود رضى الله عنه يقول سيأتى على الناس زمان يرفعون الطين ويضيعون الدين ويسمنون البراذين ويصلون الى قبلتكم ويموتون على غير ملتكم وكان أبو سلمة بن عبد الرحمن رحمه الله يقول كل شئ دخله زهو ومباهاة من مركب وملبس ومطعم ومسكن فهو سرف ومعصية وكان أبو الدرداء رضى الله عنه يقول اذا منع الرجل الحق من ماله أهلكه الله فى الماء والطين وقد كان أمير المؤمنين على رضى الله عنه لا يصلى فى مسجد مزخرف وقد مر يوما على مسجد بنى تميم وكانوا قد زخرفوه وقد حضرته الصلاة فقالوا يا أمير المؤمنين ألا تصلى فى مسجد بنى تميم فقال لا تقولوا فى مسجد بنى تميم ثم جاوزه وصلى فى مسجد بنى ليث وقال نهينا أن نصلى فى مسجد أسس على غير تقوى وقد مر عبد الله بن مسعود رضى الله عنه على مسجد منقوش فقال لعن الله تعالى كل من بنى هذا فانه أنفق ماله فى معصية الله تعالى وان له بكل درهم أنفقه فيه كية من نار وقد بلغ عمر بن عبد العزيز ان أساطين فى مسجد دمشق قد حمروها وخلقت بالزعفران فكتب الى عامله ان المساكين أحوج الى تلك الدراهم من الاساطين وقد كان سفيان الثورى رحمه الله يقول من بنى بناء ونقشه بالاحمر والاصفر فهو آثم هو ومن أعانه وكان الحسن البصرى رحمه الله يقول كنت أدخل حجر أزواج النبى صلى الله عليه وسلم فأتناول سقفها بيدى وقد جاء رجل الى الحسن البصرى رحمه الله تعالى فقال له انى عمرت دارا وقصدى أن تدخلها وتدعو لى فيها بالبركة فقال له الحسن لقد غرك أهل الارض ومقتك أهل السماء بنيت شديدا وأملت بعيدا وستموت قريبا وقد سئل محمد بن سلام البيكندى رحمه الله عن السنة فى طول البناء فى المساجد والمنازل فقال قدر قامة الرجل وكان أحمد بن حرب رحمه الله تعالى يقول من نظر الى بستان أو بنيان بشهوة من غير عبرة سلبه الله تعالى حلاوة العبادة أربعين يوما وقد كان المعتمر بن سليمان رحمه الله تعالى يقول سقط بيت لنا فلم يبنه أبى وقال الامر أعجل من ذلك ثم ضرب لنا خيمة وأدخلنا فيها فنحن فيها ثلاثين سنة اه فتأمل يا أخى هذه الاخلاق واستغفر ربك ان وجدت نفسك مخالفا لها فانه لا شرف للعبد الا باتباع سلفه الطاهر فى الافعال والاقوال والاخلاق وقد رأيت من عمر له مسجدا فعادى غالب الناس لكونهم لم يساعدوه وصار مقراضا فى أعراضهم نسأل الله العافية فمثل هذا عاص لله سبحانه وتعالى ولعل ثوابه الحاصل ببناء زاويته لا يرضى به واحد من الذين اغتابهم فى غيبة واحدة اغتابها فيه واذا كان من له مال لا ينبغى له أن ينفقه فى الماء والطين الا لضرورة شرعية فكيف بمن يسأل الناس أن يساعدوه ويعاونوه فى البناء فاعلم ذلك يا أخى واحذره كل الحذر والحمد لله رب العالمين

﴿ومن أخلاقهم رضى الله عنهم﴾ كثرة مجاهدة نفوسهم فى العبادات وترك الشهوات وعدم رضاهم بعد ذلك عنها الى أن يموتوا وهذا مجمع عليه عند القوم فمن خالفهم فى ذلك فقد خرق اجماعهم وذلك حرام لانه من قاعدة ما لا يتم الواجب الا به فهو واجب وقد قالوا من ظن أنه بغير بذل الجهد فى الطاعات يبلغ شيأ من الدرجات فقد رام المحال وقيل أيضا لا تخرق لعبد العادات الا ان زاد على الناس فى العبادات وذلك لان الكرامات فرع

ذلك بطريق الحج على الصوفية ويزعم ان غرضه البر والانفاق والباعث للجميع انما هو الرياء والسمعة وذلك احمالهم

المعجزات فكما تميز النبي صلى الله عليه وسلم بكثرة الطاعات والمعجزات فكذلك الولى لا يقع له كرامة الا أن جاوز
أقرانه في الجد والطاعات وفي الحديث المجاهد من جاهد نفسه في الله عز وجل اه وقد كان أمير المؤمنين على
رضى الله عنه يقول أول ما تنكرون من الجهاد جهاد نفوسكم وكان أبو مالك الاشعرى رضى الله عنه يقول ليس
عدوك الذى ان قتلته آجرك الله عليه ولكن عدوك الذى بين جنبيك يعنى النفس وامرأتك التى تضاجعك
وولدك الذى من صلبك فهؤلاء أعدى عدوك وكان خضر القارئ رحمه الله تعالى يقول نحت الجبال بالاظافر
حتى تنقطع الاوصال أهون من مخالفة الهوى اذا تمكن في النفس وكان بشر الحافى رحمه الله تعالى يقول ستون
من مردة الشياطين لا يفسدون ما يفسده قرين السوء في لحظة وستون من قرناء السوء لا يفسدون ما تفسده
النفس في لحظة واذا جعلت الامور كلها على وفق المراد للعبد أتاه الخلل فيها من قبل نفسه وقد أجمع سائر الملل
على أن رضا الرب جل وعلا في مكروه النفس وكان يحيى بن معاذ رحمه الله يقول الدنيا كلها محشوة بالعجائب
وأعجب العجائب نجاة نفوسنا ونفوس أمثالنا من النار وكيف ينجو من النار من كل أعماله تجره اليها وكان
ابراهيم بن أدهم رحمه الله تعالى يقول أصاب شخصا من الزهاد سهم فذبحه فقال الحمد لله الذى أخذ لى بثارى
من نفسى فكم ذبحتنى من ذبح وكان يحيى بن معاذ رحمه الله تعالى يقول أنا أعلم شقاوتى من الآن فقيل له مرة
وكيف ذلك قال لانهم قالوا من علامة سعادة المرء أن يكون عدوه عاقلا وأنا أرى خصمى لا عقل له فقال ومن هو
خصمك قال نفسى فقيل له أنت بحمد الله ذو عقل فقال كيف عقلى وأنا أبيع الجنة بشهوة نومة أو لقمة أو كلمة اه
وكان بشر الحافى رحمه الله تعالى يقول الهوى كمين في النفس لا يؤمن اتباعه قال تعالى أفرأيت من اتخذ الهه
هواه الآية وكان يحيى بن معاذ رحمه الله تعالى يقول نحن اليوم لا نرى أحدا يعمل على وفق السنة وانما كل يعمل
على موافقة الهوى ما بين عالم وجاهل وعابد وزاهد وشيخ وشاب كل يعمل ليحمد على ذلك اما عند الله واما عند
الناس وكذلك يترك المعاصى خوفا من ازدراء الناس له لا خوفا من الله تعالى ومن ذا الذى منا لا يغضب ممن
ذكره بسوء بين الناس اصطلحنا والله على المداهنة وتحاببنا بالالسن وتباغضنا بالقلوب وطلبنا العلم لغير
العمل بل للتزين والمباهاة والرياسة على الناس لنحن أول من تسعر بهم النار وقد بلغنا أن الله تعالى أوحى الى
داود عليه الصلاة والسلام يا داود ان أردت محبتى لك فعاد نفسك وودنى بعداوتها اه وكان عبد العزيز بن
أبى رواد رحمه الله تعالى يقول اذا ذكرت أحوال السلف بيننا افتضحنا كلنا وكان مالك بن دينار رحمه الله يقول
والله لو أنكم تجدون للمعاصى ريحا لما استطاع أحد منكم أن يجالس الىّ من خبث ريحى وكان عطاء السلمى رحمه
الله تعالى اذا أصاب أهل بلد ريح أو غلاء أو فناء أو بلاء يقول كل هذا من أجل ذنوب عطاء لو مات عطاء
لاستراح الناس منه وكان سفيان بن عيينة رحمه الله يقول ينبغى للعبد أن يكون عند الله من أجل الناس وعند
نفسه من أشرهم وكان يحيى بن معاذ رحمه الله تعالى يقول كل من ادعى درجة سقط منها واذا كان الرجل فى
أعلى درجة فمن حقه أن يحقر نفسه وكان أبو معاوية الاسود رحمه الله تعالى يقول كل من فضلنى على نفسه من
أصحابى فهو خير منى وكان أبو سليمان الدارانى رحمه الله تعالى اذا جلس اليه أحد وثقل على قلبه يوبخ نفسه
ويقول لها انك لا تحبين الصالحين ولما رأيت هذا خيرا منك كرهته وثقل عليك مجالسته وقد كان الفضيل بن
عياض رحمه الله تعالى كثيرا ما يقول من أحب أن ينظر الى مراء فلينظر الىّ ثم يمسك لحيته بيده ويبكى ويقول
كنت يا فضيل فى شبابك فاسقا ثم صرت فى كهولتك مرائيا والله للفسق أهون من الرياء وقد قال شخص مرة
لمالك بن دينار رحمه الله تعالى يا مرائى فقال له مالك لقد عرفت يا أخى لقبى الذى أضله أهل البصرة وكان يحيى
ابن معاذ رحمه الله تعالى يقول كل من زعم أنه يحب الله وهو يحب نفسه فقد كذب وقد كان الفضيل بن عياض
رحمه الله تعالى يقول لا يكمل العابد حتى يصير يرى اخلاصه رياء و والله لو قيل لى ان الخليفة داخل عليك الساعة
فسويت لحيتى بيدى لقدومه لخفت أن أكتب فى جريدة المنافقين اه وأما ترك القوم رضى الله عنهم للشهوات
فدليلهم فى ذلك الاخبار من الكتاب والسنة وقد كان وهب بن منبه رحمه الله يقول تصدى الشيطان لعنه الله
لسليمان بن داود عليهما الصلاة والسلام فقال له ما أنت صانع بأمة محمد صلى الله عليه وسلم ان أنت أدركتهم
فقال أزين لهم الدنيا حتى يكون الدينار والدرهم أشهى الى أحدهم من شهادة أن لا اله الا الله وكان وهيب بن

لجميع أوامر الله ورضاهم
بأخذ الحرام والانفاق منه
ومثال الذى ينفق المال
الحرام فى طريق الحج كمن
يعمر مسجدا ويطينه بالعذرة

الورد رحمه الله تعالى يقول من غلب شهوته فهو خير من الملائكة لانهم عليهم الصلاة والسلام عقول بلا شهوة
ومن غلبته شهوته فهو شر من البهائم لانهم شهوة بلا عقول وكان الاحنف بن قيس رحمه الله تعالى يقول من
أكل الشهوات وطلب حفظ فرجه فقد رام المحال وقد كان أبو حازم رحمه الله تعالى يمر على الجزار فيقول له
الجزار خذ لك لحما وأنا أصبر عليك فيقول له أنا أولى منك بالصبر على نفسى وكان يحيى بن معاذ رحمه الله تعالى
يقول محاربة الزاهدين تكون مع الشهوات ومحاربة التوابين تكون مع السيئات ومن أراد حماية نفسه من
دخول النار فليترك سائر ما تشتهيه نفسه فى الدنيا وقد قال عتبة الغلام يوما لعبد الواحد بن زيد رحمهما الله تعالى
ان فلانا يصف نفسه بأخلاق لا نذوقها وهو صادق عندنا فما سبب عدم فهمنا بحاله فقال لانه يأكل خبزه بلا
ادام وأنتم تأكلونه بالادام وكل ما زاد على الخبز فهو شهوة وكان أبو العباس الموصلى رحمه الله تعالى يقول من
زعم أن أكل الشهوات لا يضره فقد أعظم الفرية على الله تعالى وكان الدارانى رحمه الله تعالى يقول من المحال
أن يجد أحد لذة الطاعات وهو يتناول الشهوات وقد كان طاوس رحمه الله يصف للمريض قلة الاكل ويقول
لم يجعل الله تعالى لصحيح ولا لمريض دواء أعظم من ترك الاكل وما أتى المرض لمريض الا من جهة الاكل ولذلك
كانت الملائكة لا تمرض لعدم أكلهم عليهم الصلاة والسلام وكان أبو سليمان الدارانى رحمه الله تعالى يقول من
نظر الى قصر أو بستان أو غير ذلك فاستحسنه الا نقص من عقله بقدر ما استحسن وكان وهيب بن الورد رحمه الله
تعالى يقول من تناول الشهوات فليتهيأ للذل فى الدنيا والآخرة وكان يحيى بن معاذ رحمه الله تعالى يقول شهوات
النفس نيرانها وحطبها لذتها والجوع ماؤها التى تطفأ به وقد كان يحيى بن زكريا عليهما الصلاة والسلام من
أطيب الناس طعاما كان يأكل الجراد وقلوب النخل وكان أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه
يجوع نفسه ويميتها ويقول لها الا كل أماملك وكان بشر بن السرى رحمه الله تعالى يقول لان أترك ذرة من
غداى أو عشاى أحب الىّ من عبادة العابدين وصلاة المصلين وحج الحاجين وصوم الصائمين وجهاد المجاهدين
وكان يحيى بن معاذ رحمه الله تعالى يقول مذهب جميع الصالحين الجوع فمن فر منه فهو من الفاسقين ولقد أدركنا
العلماء وهم ربيع فصار والآن مزابل للدنيا واذا رأيتم الزاهد يرخص بأكل الشهوات فاعلموا أنه قد رجع عن
الزهد لان التبسط فى الدنيا معدود من فسق العارفين ووالله ما بقى أحد من زهاد هذا الزمان تقر العين برؤيته
ولقد أدركنا أقواما كانوا يحرصون على ترك الدنيا أكثر مما يحرص هؤلاء على تحصيلها واعلموا أن من كان
شبعه بالطعام لم يزل جائعا ومن كان استناده الى الخلق دون الله تعالى لم يزل مخذولا وقد كان يزيد الرقاشى رحمه
الله تعالى لا يشرب الماء البارد أبدا ويقول أخاف ان أحرم شربه غدا ان شربته اليوم يعنى فى الآخرة وكان
مالك بن دينار رحمه الله تعالى يقول الناس يقولون ان من ترك اللحم أربعين يوما قل عقله وانى قد تركته ستين وما
نقص من عقلى شئ ولله الحمد وكان رحمه الله تعالى لا يأكل من رطب البصرة شيأ واذا مضى زمنه يقول يا أهل
البصرة هذا بطنى ما نقص ترك أكل الرطب منه شيأ ولا زاد فى بطونكم شيأ وكان يحيى بن معاذ رحمه الله تعالى
يقول صاحب الشهوات معذب فى الدنيا والآخرة فى الدنيا فى تحصيلها وفى الآخرة فى الحساب عليها واعلموا
أن من كثر أكله كثر لحم بطنه ومن كثر لحم بطنه كثرت شهواته ومن كثرت شهواته كثرت ذنوبه ومن
كثرت ذنوبه قسا قلبه ومن قسا قلبه غرق فى الذنوب والآفات ومن غرق فى الذنوب والآفات دخل النار وقد
اشتهى مالك بن دينار رحمه الله فى مرض موته خبزا أبيض ولبنا فلما أتوه به نظر اليه وقال دافعت نفسى عن
الشهوات طول عمرى أفأوافقها فى آخره ثم قال اذهبوا به الى يتيم بنى فلان ولم يأكله وقد مكث معروف الكرخى
رحمه الله تعالى ثلاثين سنة يشتهى أن يغمس جزرة فى دبس ثم مات رحمه الله تعالى ولم يفعل ذلك قال وقدم بين
يدى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه اناء فيه لبن وعسل فرده ولم يأكل منه وقال تذهب لذته
وتبقى تبعته وقد رأى ابنه عبد الله رضى الله عنهما يوما يأكل خبزا وسمنا فعلاه بالدرة وقال له كل خبزا وملحا
واترك السمن لغيرك اه فتأمل يا أخى نفسك وابك على حالك فان سد الله وجمتك شهوات فأنت محجوب عن
ربك فى عموم الاوقات لا تلتذ بشئ من العبادات ولا تراقب ربك فى الخلوات فكيف تدعى انك من الصالحين
وأنت قد خالفتهم فى جميع أحوالهم فان لم توافقهم فى الامور الباطنة والا يا أخى فاتزى بزيهم الظاهر من عمامة

وغيرها من النجاسات
ويزعم ان قصده العمارة
(وفرقة أخرى) اشتغلت
بالمجاهدة وتهذيب الاخلاق
وتطهير النفس من عيوبها

صوف وجبة وعذبة وقد رأيت مرة شخصا بهذه الصفة فى وليمة مد يده يمينا وشمالا فيلتقط اللحم وأطايب
الطعام من بين يدى اخوانه ورعبادعى الى أكلة واحدة الى المطرية خارج مصر أو بلبيس فيسافر اليها
ورعبادعى أنه يفعل ذلك جبر الخاطر من يدعوه لا لاجل شهوة بطنه والناقد بصير والحمد لله رب العالمين
﴿ ومن أخلاقهم رضى الله تعالى عنهم) شدة اجتهادهم فى العبادة ليلا ونهارا رجالا ونساء ودوام مواظبتهم على
قيام الليل لاسيما فى ليالى الشتاء وعدم رؤيتهم نفوسهم بذلك على أحد من النائمين أو انهم قاموا بذرة واحدة
من واجب حقوق الله تعالى عليهم بل يرون جميع عباداتهم من النعم التى لا يطيقون لها شكرا كما سيأتى بسطه
فى أماكن من هذا الكتاب ان شاء الله تعالى وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول رحم الله أقواما
يحسبهم الناس مرضى وماهم بمرضى قال الحسن يعنى أجهدتهم العبادة وكانوا يعملون أعمال البر ويخافون
عليها الرد وكان الحسن البصرى رحمه الله تعالى يقول لقد أدركت أقواما وصحبت طوائف فما كانوا يفرحون
بشئ من الدنيا أقبل ولا يحزنون على شئ منها أدبر وكانت فى أعينهم أهون من التراب الذى يطؤن عليه وكان
أحدهم يعيش طول عمره لا يطوى له ثوب ولا يأمر أحدا من أهله بصنعة طعام ولا يجعلون بينهم وبين الارض
شيأ اذا ناموا وكانوا عاملين بكتاب الله تعالى وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم وكانوا اذا جنهم الليل قاموا على
أقدامهم وافترشوا وجوههم وجرت دموعهم على خدودهم حتى كان يظن الداخل لهم أن هذا من ماء الوضوء
وقد دخل جماعة على عمر بن عبد العزيز رحمه الله تعالى فى مرضه يعودونه فرأوه ناحل الجسم جدا فقالوا له
ما الذى بلغ بك الى مانرى فقال هموم وأحزان تولدت من خوف الحساب وسوء المنقلب ولما مات منصور بن
المعتمر رحمه الله تعالى قال رجل لامه ما فعل منصور فقالت ان منصورا رحمه الله تعالى صام فلم يفطر الا عند ربه
عز وجل وقد كانت ابنة جاره تراه دائم القيام بالليل على سطح داره فكانت تظن أنه عمود لطول قيامه فلما مات
فقدته فقالت لاهلها ماصنع ذلك العمود الذى كان فوق سطحكم فقالوا لها قدم على ربه عز وجل فقالت كيف
قالوا لم يكن فى سطحنا عمود وانما ذلك منصور كان يقوم طول الليل وقد كان الامام أحمد بن حنبل رضى الله
عنه دائما يذكر ذلك ويبكى حتى تبتل لحيته وكان داود الطائى رحمه الله يواصل العبادة ليلا ونهارا حتى لم يبق
له وقت يأكل فيه ولا يشرب فكان يأكل السويق والفتيت دون الخبز ويقول بين مضغ اللقمة وبلعها قراءة
كذا كذا آية قال ودخل عليه رجل يوما يزوره فرأى فى سقف بيته جذعا مكسورا فأخبره بذلك فقال والله
يا أخى ان لى فى هذا البيت عشرين سنة ما رفعت رأسى الى سقفه حياء من الله تعالى وقد كان الناس يجلسون
الى أحمد بن رزين رحمه الله تعالى فيرونه يلتفت يمينا ولا شمالا فقالوا له فى ذلك فقال ان الله تعالى انما خلق
العينين للاعتبار فكل من نظر بغير اعتبار كتبت عليه خطيئة وقد كانت امرأة مسروق رحمهما الله تعالى تقول
والله ما كان مسروق يصبح من ليلة من الليالى الا وساقاه منتفختان من طول القيام وكنت أجلس خلفه فأبكى
رحمة له وكان رحمه الله اذا طال عليه الليل وتعب صلى جالسا ولا يترك الصلاة وكان اذا فرغ من صلاته يزحف كما
يزحف البعير من الضعف وكان أبو الدرداء رضى الله عنه يقول لولا ظمأ الهواجر وقيام الليل ما أحببت البقاء فى
هذه الدار وقد صام الاسود بن زيد رحمه الله تعالى فى الحر حتى اخضر جسده واصفر وكان رحمه الله تعالى يصلى
حتى يسقط من قيامه وقد قالوا مرة لعلقمة بن قيس رحمه الله تعالى الى كم تعذب هذا الجسد فقال انما أريد كرامته
غدا وقد صام العلاء بن زياد رحمه الله تعالى حتى اخضر جسده وصلى حتى سقط فدخل عليه الحسن البصرى
ومالك بن دينار رحمهما الله فقالا له ان الله لم يأمرك بكل هذا فقال انما أنا عبد مملوك والله لو أنى سجدت على الجمر
عمرى كله بل منذ خلق الله الدنيا الى قيام الساعة ما أديت شكر عافية ساعة واحدة ولا شربة ماء وكان مالك بن
دينار رحمه الله تعالى يصلى كل يوم ألف ركعة حتى أقعد من رجليه فصار يصلى خمسمائة ركعة قائما ومثلها جالسا
وكان على بن الفضيل رحمه الله تعالى لا يستطيع أن يقرأ سورة القارعة ولا يسمعها من غيره قال فهجم عليه
شخص مرة فقرأ بها فى صلاة المغرب فغشى عليه ثلاثة أيام بلياليها لا يفيق وقد كان الحرث بن سعيد رحمه الله
تعالى يقول مررنا يوما براهب فرأينا شدة اجتهاده وما يصنع بنفسه فلمناه على ذلك فقال وما هذا الامر بالنسبة لما
نلاقيه يوم القيامة مما نحن عنه غافلون فقال له بعضنا نريد نسألك عن أمر فهل أنت مخبرنا عنه فقال سلوا ولا تكثروا

فصاروا يتعمقون فيها فاتخذوا البحث عن عيوب النفس ومعرفة خدعها علما وحرفة لهم فهم فى جميع أحوالهم مشتغلون بالتحفظ

فان الوقت لن يعود والعمران يرجع والطالب حثيث فعجبنا من كلامه ثم قلنا له ماذا حكم الخلق غدا عند ربهم
فقال يكونون على قدر نياتهم فقلنا له أوصنا فقال تزودوا على قدر سفركم ثم أدخل رأسه فى صومعته وتركنا وكان
عبد الواحد بن زيد رحمه الله تعالى يقول مررت يوما براهب من رهبان الصين فقلت له يا راهب فلم يجبنى فقلت له
لم لا تجيبنى فقال خفت أن أقول نعم فأكذب لان الراهب هو من رهب من الله فى سمائه وعظمه فى كبريائه
وصبر على بلائه ورضى بقضائه وحمده على نعمائه وتواضع لعظمته وذل لعزته واستسلم لقدرته وخضع لمهابته
وتفكر فى حسابه وعقابه وظل نهاره صائما وليله قائما قد أسهره ذكر النار ومساءلة الجبار فهذا هو الراهب وأما
أنا فكلب عقور حبست نفسى فى هذه الصومعة لئلا أعقر الناس قال فتعجبت من كلامه ثم قلت له أخبرنى
ما الذى قطع الناس عن ربهم بعد أن عرفوه فقال قطعهم عنه حب الدنيا الا انها محل المعاصى فالعاقل من رمى
بها عن قلبه وتاب الى الله من ذنبه وأقبل على ما يقربه من حضرة ربه اهـ قال وقيل لداود الطائى يوما
ألا تسرح لحيتك فانها قد تلبدت فقال انى اذا لفارغ وكان أويس القرنى رحمه الله تعالى يحيى الليل كله بسجدة
واحدة ولما تاب عتبة الغلام رحمه الله تعالى كان لا يتفرغ لاكل ولا شرب فقالت له أمه لو رفقت بنفسك يا ولدى
فقال دعينى يا أماه أتعب فى عمر قصير ليوم طويل ولما حج مسروق رحمه الله تعالى كان لم ينم قط فى الطريق
الا ساجدا على وجهه وكان عبد الله بن هلال رحمه الله تعالى يقول أرجو من الله تعالى أن لا يشهد على ليل بنوم
ولا نهار بفطر وكان عبد الله بن داود رحمه الله تعالى يقول لقد أدركنا الناس وأحدهم اذا دخل عليه الليل
يصلى منه جانبا فاذا بلغ الاربعين طوى فراش النوم الى أن يموت وكان كهمس بن الحسين رحمه الله تعالى
يصلى كل يوم ألف ركعة فاذا تعب قال لنفسه قومى يا مأوى كل شر فلما عجز كان يصلى كل يوم خمسمائة ركعة ثم يبكى
ويقول يا ويلى نقص نصف عبادتى وقد كانت ابنة الربيع ابن خيثم رحمهما الله تعالى تقول يا أبت مالى أرى
الناس ينامون وأنت لا تنام فيقول لها الان أباك يخاف أن يموت فى نومه فيدخل النار قال ولما سافر مالك بن
دينار لزيارة أويس القرنى رحمهما الله تعالى فدخل عليه بعد صلاة الصبح فوجده جالسا فسلم عليه فرد عليه
السلام ثم لم يتكلم الى الظهر فصلى الظهر ولم يتكلم الى العصر فصلى العصر ولم يتكلم الى المغرب فصلى
المغرب ولم يتكلم الى العشاء ثم صلى ولم يتكلم الى الصبح فلما صلى الصبح غلبته عينه وهو جالس فانتبه فزعا وهو
يقول اللهم انى أعوذ بك من عين نوامة ومن بطن لا يشبع قال مالك فقلت فى نفسى حسبى هذا من شهود
أحواله ثم رجعت ولم أكلمه وقد نظر رجل الى أويس رحمه الله تعالى فقال له مالى أراك مريض الدهر فقال وما
لاويس لا يكون مريضا ان المريض يطعم وأويس غير طاعم وينام المريض وأويس غير نائم ثم قال يا عجبا ممن
يعلم أن الجنة تزين فوقه وان النار تسعر تحته كيف ينام من هو بينهما ينظر اليهما وقد دخل رجل على ابراهيم بن
أدهم رحمه الله تعالى فوجده قد صلى العشاء فجلس الرجل يرقبه الى الفجر وابراهيم مضطجع فلما طلع الفجر قام
ابراهيم الى الصلاة فقال له الرجل كيف تصلى وقد كنت نائما فقال لم يأخذنى نوم بل كنت جائلا فى أودية النار
أنظر عذاب أهلها فكيف أنام وقد كان ثابت البنانى رحمه الله تعالى يقول لقد أدركنا الناس وأحدهم يصلى فلا
يأتى فراشه الا زحفا وكان عامر بن عبد الله رحمه الله تعالى يصوم الدهر ويقوم الليل كله فقيل له فى ذلك فقال
وما هذا ان هو الا انى جعلت طعام النهار الى الليل ونوم الليل الى النهار وليس فى ذلك كبير أمر وكان الفضيل بن
عياض رحمه الله تعالى يقول كان الصحابة رضى الله عنهم يصبحون شعثا غبرا قد باتوا سجدا وقياما يراوحون بين
أقدامهم وجباههم وكانوا اذا ذكر الله عز وجل يميدون كما تميد الشجرة فى يوم الريح وتهمل أعينهم حتى تبتل
ثيابهم وتصير دموعهم كآثار ماء الوضوء فاذا كان وقت السحر يدهنون وجوههم ويكتحلون كانهم باتوا نائمين
غافلين وكان أبو مسلم الخولانى رحمه الله تعالى قد وضع فى مكان تهجده سوطا فكان كلما أخذته فترة ضرب
نفسه بالسوط ويقول لها قومى لعبادة ربك والله لازحفن بك زحفا حتى يكون الكلال منك لا منى وانك أولى
بالضرب من الدابة لموضع عقلك وكثرة دعاويك وقد تعبد ضيغم العابد رحمه الله تعالى قائما حتى أقعد وتعبد
قاعدا حتى استلقى وتعبد مستلقيا حتى مات رحمه الله وكان أبو حازم رحمه الله تعالى يقول لقد أدركنا قوما كانوا
فى العبادة على حد لا يقبل الزيادة قال وتعقد ساقا صفوان بن سليم رحمه الله تعالى من طول القيام حتى لو قيل له

من عيوب النفس باستنباط دقيق الكلام فى آفاتها فيقولون هذا فى النفس عيب والغفلة عن كونه عيبا عيب ويستعفون

ان الساعة تقوم غدا ماوجد زيادة على ماهو فيه وكان اذا جاء الشتاء يتهجد فوق السطح حتى مات وهو ساجد
وكان القاسم بن محمد رحمه الله تعالى يقول رأيت أم المؤمنين عائشة رضى الله عنها تصلى الضحى وهى تردد قوله
تعالى فمنّ الله علينا ووقانا عذاب السموم الى قريب الزوال وهى تبكى وكان أمير المؤمنين على رضى الله عنه
يقول علامة الصالحين صفرة الالوان من طول السهر وعمش العيون من طول البكاء وذبول الشفاه من كثرة
الصوم وقد كان الحسن البصرى رحمه الله تعالى يقول لمجتهدى زمانه فى العبادة والله ان اجتهادكم كاللعب بالنظر
لمن كان قبلكم وكان عتبة الغلام رحمه الله تعالى يقطع الليل بثلاث صيحات فكان يضع رأسه فى طوقه يتفكر فاذا
مضى كل ثلث من الليل يصيح صيحة فقالوا لجعفر بن محمد الصادق رضى الله عنهما على ذلك فقال لا تنظروا الى
صياحه ولكن انظروا ما صاح منه وقد كانت حبيبة العدوية رحمها الله تعالى اذا صلت العتمة قامت على سطح
لها وشدت عليها درعها وخمارها ثم تقبل على صلاتها الى الفجر وكانت تقول فى مناجاتها اللهم اغفر لى سوء أدبى
فى صلاتى وقد كانت عجرة العابدة رحمها الله تعالى تحيى الليل كله وهى مكفوفة ثم تنادى بصوت محزون الهى
سار العابدون الى حضرتك وأنا خامدة العزيمة وقد كانت عفيرة العابدة رحمها الله تعالى لا تضع جنبها الى الارض
فى ليل ولا نهار وتقول أخاف أن أوخذ على غرة وأنا نائمة وقد كانت شعوانة العابدة رحمها الله تعالى تنوح كل ليلة
وتبكى الى الصباح فدخل عليها جماعة يوما فقالوا لها ارفقى بنفسك فقالت والله لقد وددت أن أبكى الدم فضلا
عن الدموع حتى لا يبقى فى جسدى قطرة من دم وكانت تقول اللهم اغفر لكل من تعرض لمعصيتك بعد
معرفتك وقد قالت مرة اللهم بحبك لى الا ما غفرت لى فقالوا لها ومن أين عرفت انه يحبك فقالت لولا محبته لى
ما أقامنى بين يديه فى الظلام والناس نيام وقد كانت معاذة العابدة رحمها الله تعالى تحيى الليل كله بالصلاة فاذا
غلب عليها النوم قامت فجالت فى الدار وهى تقول يا نفس النوم أمامك فى القبر اما فى سرور وفرح واما فى
عذاب وحسرة وقد أرادت أم ابراهيم العابدة رحمها الله تعالى أن تجاور بمكة ثم تركت ذلك فقالوا لها فى ذلك
فقالت علم انى لا أصلح لخدمته فطردنى من حضرته وقد كان ذو النون المصرى رحمه الله تعالى يقول خرجت ليلة
من وادى كنعان فلما علوت الوادى اذا سواد مقبل فحققت النظر فاذا هى امرأة فقلت من هذا السواد فقالت
ومن هذا الرجل فقلت غريب فقالت سبحان الله وهل مع الله غربة قال ذو النون فبكيت من قولها فقالت لو
كنت صادقا ما بكيت فقلت وهل عدم البكاء من الصدق قالت نعم لان البكاء راحة للقلب والصادق لا يطلب
راحة فى هذه الدار قال ذو النون فعجبت من قولها وقلت لها عظينى بموعظة فقالت لى عليك بالحياء من الله تعالى
فان عطاء السلمى مكث أربعين سنة لا يرفع طرفه الى السماء حياء من الله وقد سمعت رابعة العدوية سفيان الثورى
رحمهما الله تعالى يقول واحزناه فقالت له يا سفيان لا تقل ذلك لو كنت حزينا ما تفرغت لهذا القول قل واقلة حزناه
فانه الى الصدق أقرب وقد كانت عفيرة العابدة رحمها الله تعالى لا تمل من البكاء فقيل لها أما تسأمين من كثرة
البكاء فقالت كيف يسأم انسان من دوائه وشفائه وقد كانت أم العلاء السعدية رحمها الله تعالى تبكى وتصلى
طول ليلها وتقول ذنوبى كثيرة فلم تزل تبكى حتى ذهب بصرها وقد بكت بردة العابدة رحمها الله تعالى حتى ذهب
بصرها فلاموها على ذلك فقالت لو رأيتم بكاء العصاة يوم القيامة لقلتم ان هذا البكاء كاللعب وقد مكثت ابنة
محمد بن سيرين رحمهما الله تعالى عشرين سنة فى مصلاها لا تقوم الا للوضوء والصلاة فقط وقد كانت معاذة
العدوية رحمها الله تعالى تصلى فى الليل الطويل فكانت تكل الرجال وهى لا تكل وقد كانت رابعة العدوية
رحمها الله تعالى لا تهدأ ولا تنام ولا تفطر حتى ماتت قال الدارانى رحمه الله صليت معها ليلة فلما كان الصباح
قلت لها يا رابعة ما جزاء من قوانا على قيام هذه الليلة قالت أن نصوم له النهار ونقوم له الليل حتى نموت وقد كانت
رملة العابدة رحمها الله تكثر الصوم حتى اسود جلدها وبكت حتى عميت وصلت حتى أقعدت قال ابراهيم
الخواص رحمه الله صليت معها ليلة فلما كان السحر سمعتها تقول يا ليتنى لم أخلق ثم تبكى وكان صالح المرى
رحمه الله تعالى يقول قرأت مرة قوله تعالى يوم تقلب وجوههم فى النار فسمعها عابد فصعق ثم أفاق فقال أعدها
على فأعدتها عليه فخر ميتا وقد وعظ عبد الواحد بن زيد رحمه الله الناس مرة فصاح رجل من ناحية المسجد كف
عن كلامك يا واعظ فقد كشفت قناع قلبى فلم يكف عبد الواحد فصرخ الرجل ثم خرجت روحه قال ابن القاسم



فيه بكلمات مسلسلة
فضيعوا فى ذلك أوقاتهم
لانهم وقعوا مع أنفسهم ولم
يتعلقوا بخالقهم ومثلهم
من اشتغل بأوقات الحج

وأنا ممن شهد جنازته رحمه الله تعالى وقد قرأ زرارة بن أبى أوفى رضى الله عنه قوله تعالى فاذا نقر فى الناقور فذلك
يومئذ يوم عسير وكان فى الصلاة فخر ميتا وكان عمرو بن أدهم رحمه الله تعالى يعصب عينيه اذا خرج الى السوق
لا يرى كافرا ولا غافلا عن الله تعالى وكان له غلام يقوده فقال لغلامه يوما أين نحن قال فى المقابر فحل العصابة عن
عينيه فوقع بصره على القبور فخر ميتا وقد كان ابراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام اذا ذكر النار بكى حتى يسمع
وجيب قلبه من مسيرة ميل فقال له جبريل عليه الصلاة والسلام يوما هل رأيت خليلا يعذب خليله فقال
يا جبريل اذا ذكرت خطيئتى نسيت خلتى وكان ميمون بن مهران رحمه الله تعالى يقول بلغنا انه لما نزل قوله
تعالى وان جهنم لموعدهم أجمعين صاح سلمان الفارسى رضى الله عنه ووضع يده على رأسه وخرج هائما فمكث
ثلاثة أيام لا يعى شيأ وكان محمد بن المنكدر رحمه الله تعالى اذا بكى مسح وجهه ولحيته بدموعه ويقول بلغنى أن
النار لا تأكل موضعا مسته الدموع وقد كان الامام أبو بكر الصديق رضى الله تعالى عنه يقول من استطاع أن
يبكى فليبك ومن لم يستطع فليتباك وكان يحيى بن معاذ رحمه الله تعالى يقول من كان يريد القرب من المحبوب
فليكثر من البكاء على الذنوب وكان محمد بن عثمان رحمه الله تعالى يقول ما شبهت عينى الفضيل بن عياض
رحمه الله الا كأنهما ميزابان وقد قال أنس بن مالك رضى الله عنه يوما لثابت البنانى رحمه الله تعالى ما أشبه
عينيك بعينى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فبكى ثابت حتى عمشت عيناه غيرة على عينى رسول الله صلى
الله عليه وسلم أن يشبه بهما غيرهما وقد بكى فتى من الانصار رضى الله عنهم حتى أظلم بصره فعوتب على ذلك
فقال والله لأبكين ما عشت فاذا مت فعند الله أحتسب تقصيرى فى مرضاته ولما بكى الحسن البصرى على ابنه
سعيد رحمهما الله تعالى لاموه على ذلك فقال رحم الله سعيدا والحمد لله الذى لم يجعل بكاء يعقوب على يوسف
عليهما الصلاة والسلام عارا ولم يعاتبه الله على ذلك والا لو كان عارا كان الامر قد ضيق علينا وكان العتبى رحمه
الله تعالى يقول اجتمع أصحاب الحديث على باب الفضيل بن عياض رحمه الله تعالى فاطلع عليهم من كوة وهو
يبكى والدموع تتقاطر على وجهه ولحيته وهو يضطرب فقال لهم ما بالكم فقالوا له عظنا يا أبا على فقال عليكم
بالقرآن عليكم بالسنة عليكم بالصلاة ويحكم هذا الزمان ليس بزمان حديث وانما هو زمان احفظ لسانك وأخف
مكانك وعالج الليل وخذ ما تعرف ودع ما تنكر وكان أبو سليمان الدارانى رحمه الله تعالى يقول بلغنا انه ما سالت
قطرة من عين قبل الرواح الى الجمعة الا أوحى الله تعالى الى كاتب الشمال أن اطو صحيفة عبدى فلان ولا تكتب
عليه خطيئة الى مثلها من الجمعة الاخرى وكان منصور بن زادان رحمه الله تعالى يصلى ويبكى ويبل عمامته
كورة كورة يمسح بها دموعه حتى تبتل ثم ينشرها فى الشمس وقد كان كعب الاحبار رضى الله عنه يقول
والذى نفسى بيده لأن أبكى من خشية الله تعالى حتى تسيل دموعى على وجهى أحب الى من أن أتصدق
بجبل من ذهب وكان ذر بن عمرو رحمه الله يقول لابيه يا أبت مالى أرى المتكلمين يتكلمون فلا يبكى أحد
فاذا تكلمت أنت سمعت البكاء من ههنا ومن ههنا فقال يا بنى ليست النائحة بالاجرة كالنائحة الثكلى وقد كان
كعب الاحبار رضى الله عنه يقول مر يحيى بن زكريا عليهما الصلاة والسلام بولده وهو مكب على قبر يبكى
فقال له ما الذى يبكيك يا ولدى فقال أخبرنى جبريل عليه الصلاة والسلام ان بين الجنة والنار مفاوز لا يطفئ
حرها الا الدموع فقال له عليك بالبكاء يا بنى ثم أكب على القبر يبكى معه حتى بلا الثرى اه وكان سفيان
الثورى رحمه الله تعالى يقول اللهم ارزقنى عينين هطالتين تبكيان من خشيتك قبل أن تكون الدموع دما
والاضراس جمرا وكان ذو النون المصرى رحمه الله تعالى يقول وقفت مرة على عابد فى جبل وهو يبكى فقلت له
علام تبكى فقال لست أبكى على فوات شئ وانما هى روعة يجدها الخائفون فى قلوبهم من هيبة الله تعالى
لا يمكنهم التلفظ بها وكان ابراهيم الخواص رحمه الله يكثر من البكاء أواخر عمره ويقول يا رب قد كبرت وقد
ضعف جسمى وقلت عبادتى فاعتقنى بفضلك من النار فانى لا أقدر أمكث فيها لحظة وقد كان نافع رحمه الله تعالى
يقول كان بوجه أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه خطان أسودان من مجرى الدموع ولما رمدت
عينا ثابت البنانى رحمه الله تعالى وضعف بصره قال له الحكيم ان تركت البكاء والسجود أمكننى مداواتك فقال
ثابت وما حياتى فى الدنيا بغير هذين اذهب فلا حاجة لى بمداواتك وقد قالوا لمالك بن دينار رحمه الله تعالى ههنا

وعوائقه ولم يسلك طريق
الحج وذلك لا يغنيه عن الحج
فهو مغرور (وفرقة أخرى)
جاوزت هذه المرتبة وابتدؤا
سلوك الطريق وانفتحت

شخص حسن الصوت بالقرآن أفلا تأتيه فتسمعه فقال ان الثكلى لاتحتاج الى نائحة وقد كان الضحاك بن مزاحم رحمه الله تعالى يبكي كل ليلة عند الغروب حتى تبتل لحيته ويقول انى أخاف أن يكون قد صعد من عملى فى هذا اليوم ما يسخط ربى وكان مكحول الدمشقى رحمه الله تعالى يقول اذا رأيتم أحدا يبكى فظنوا به خيرا فانى نظرت مرة الى رجل يبكى فظننت به أنه مراء فعوقبت بحرمانى البكاء سنة وكان يزيد بن ميسرة رحمه الله تعالى يقول البكاء يكون من خمسة أشياء من الفرح والحزن والوجع والفزع والرياء وسادسها البكاء من خشية الله تعالى وهو يأتى صاحبه بغتة ولا يكون بالتفعل وهذا هو الذى تطفئ الدمعة منه أمثال الجبال من النار اه وكان كعب الاحبار رضى الله عنه يقول ان العبد ليبكى حتى يرسل الله له عز وجل ملكا فيمسح عينيه بجناحه وحينئذ يبكى العبد من خشية الله تعالى وكان مجاهد رحمه الله تعالى يقول بكى داود عليه الصلاة والسلام أربعين يوما لا يرفع رأسه من السجود حتى نبت المرعى من دموعه وغطى رأسه حياء من الله عز وجل فنودى يا داود أجيعان أنت فتطعم أم ظمآن فتسقى أم عريان فتكسى فأجيب داود من غير ما طلب حتى تبلغ المؤاخذة حدها قال ثم نحب داود نحبة هاج منها العود فاحترق من حر جوفه ثم أنزل الله تعالى عليه التوبة والمغفرة فقال يارب اجعل خطيئتى فى كفى فصارت خطيئته منقوشة فى كفه فكان لا يبسط كفه لطعام ولا شراب ولا غيرهما الا رآها وبكى وكان يؤتى بالقدح من الماء ليشرب به فيضعه على شفتيه حتى يفيض من دموعه ولم يرفع بصره الى السماء بعد ذلك حياء من الله تعالى الى أن مات عليه الصلاة والسلام وكان الفضيل بن عياض رحمه الله يقول بلغنى أن داود عليه الصلاة والسلام ذكر ذنبه ذات يوم فذهب صارخا واضعا يده على رأسه حتى لحق بالجبال فاجتمعت اليه السباع فقال ارجعوا لست أريدكم انما أريد كل بكاء على خطيئته مثلى ومن لم يكن ذا خطيئة فماذا يصنع بداود الخطاء وقال كعب الاحبار رضى الله عنه كان الناس اذا لاموا داود عليه الصلاة والسلام على طول البكاء يقول ذرونى أبكى قبل بكاء اليوم الطويل قبل تحريق العظام واشتعال اللحى بالنار قبل ان يؤمر بالعبد الى جهنم فتسحبه ملائكة غلاظ شداد وقد كان عبد العزيز بن عمير رحمه الله يقول لما أصاب داود عليه الصلاة والسلام الخطيئة نقصت قوته وبح صوته فقال الهى قد بح صوتى فى صفاء أصوات الصديقين فأوحى الله اليه ان الصديقين لا يخطئون وقد كان وهب بن منبه رحمه الله يقول كان داود عليه الصلاة والسلام قبل وقوعه فى الخطيئة يقول اللهم لا تغفر لمن عصاك غيرة لجناب الحق عز وجل فلما وقع فى الخطيئة صار يقول اللهم اغفر لكل خطاء حتى تغفر لعبدك داود معهم وكان مجاهد رحمه الله تعالى يقول لما اشتد البكاء على داود عليه الصلاة والسلام ولم ير البكاء ينجع قال يارب أما ترحم بكائى فأوحى الله تعالى اليه يا داود نسيت ذنبك وذكرت بكاءك فقال الهى كيف أنسى ذنبى وكنت اذا تلوت الزبور كف الماء الجارى عن جريه وسكن هبوب الريح وأظلنى الطير وأنست الوحوش الى محرابى فما هذه الوحشة التى بينى وبينك يارب فأوحى الله اليه يا داود ذلك أنس الطاعة وهذه وحشة المعصية يا داود آدم خلقته بيدى ونفخت فيه من روحى وأسجدت له ملائكتى وألبسته ثوب كرامتى وتوجته بتاج وقارى وشكا الى الوحدة فزوجته بحواء أمتى وأسكنته جنتى فلما عصانى مرة واحدة بأكله من الشجرة طردته عن جوارى عريان ذليلا يا داود اسمع منى ما أقول والحق أقول أطعتنا فأطعناك وسألتنا فأعطيناك وعصيتنا فأمهلناك وان عدت الينا قبلناك (قلت) اعلم أن الذى يجب على كل مسلم أن يعتقد أن خطايا الانبياء عليهم الصلاة والسلام لا تعقل لأمثالنا بل ربما تقرب أحدنا بها الى الله تعالى ولا يجوز حملها على ما نتعقله نحن من المعاصى التى نهانا الله عنها فاحفظ يا أخى نفسك ولسانك فى حق أكابر حضرة الله تعالى وخواص خلقه من أنبيائه وأصفيائه وقد ذكرنا فى كتابنا الاجوبة عن الاكابر أن معاصى الانبياء عليهم الصلاة والسلام صورية لا حقيقية أجراها الله تعالى على أيديهم تعليما لهم بالفعل ليعلموا قومهم كيفية الخروج من المعاصى الحقيقية اذا وقعوا فيها وكان بكاؤهم أيضا صوريا فاعلم ذلك يا أخى وابك على قلة بكائك وادخل من الباب الذى دخل منه البكاؤن من خشية الله تعالى وهو الجوع وعدم أكل الحرام والشبهات فان من شبع من ذلك قسا قلبه ضرورة كما تقدم لك بسطه مرارا وكان عبد الرحمن بن الاسود اذا اعتلت رجله قام على رجل واحدة الى الصباح ولا يترك قيام الليل وقيل للحسن البصرى مرة ما بال المجتهدين أحسن الناس

وجوها

لهم أبواب المعرفة فلما شموا من مبادى المعرفة رائحة تعجبوا منها وفرحوا بها وأعجبهم غرائبها تعلقت قلوبهم بالالتفات اليها

وجوها فقال لانهم خلوا بالرحمن فألبسهم نورا من نوره وكانت شعوانة تقول لاصحابها الزموا قلوبكم الحزن ومحبة الله ثم لا يبالى أحدكم حين مات وكان لابى بكر بن عياش خطان أسودان فى خديه من الدموع ولما سرق مصحف مالك بن دينار فكان اذا وعظ الناس بكوا فيقول كلنا نبكى فمن سرق المصحف والحمد لله رب العالمين

﴿ ومن أخلاقهم رضى الله عنهم ﴾ كثرة الاستغفار وخوف المقت كلما قرأوا القرآن لشهودهم عدم عملهم به وكان عبد الله بن المبارك رحمه الله يقول كم من حامل للقرآن والقرآن يلعنه من جوفه واذا عصى حامل القرآن ربه ناداه القرآن من جوفه والله ما لهذا حملت ألا تستحى من ربك واعلم أنه يجب على تالى القرآن أن يروض نفسه على يد شيخ صادق حتى يلطف كثائفه وحجبه المانعة من العمل بالقرآن وعن شهود عظمة الله تعالى فانه لو شهد عظمته عز وجل ما عصاه كما عليه الانبياء عليهم الصلاة والسلام وكمل ورثتهم اذ لا يقع أحد فى معصية قط الا مع الحجاب اه وقد كان يوسف بن أسباط رحمه الله كلما ختم القرآن يستغفر الله تعالى سبعمائة مرة ثم يقول اللهم لا تمقتنى بما قرأته من غير عمل سبعين مرة وكان الفضيل بن عياض رحمه الله يقول حامل القرآن مقامه يجل عن أن يعصى ربه وكيف يصح له أن يعصى ربه وكل حرف من القرآن يناديه بالله عليك لا تخالف ما أنت حامله منى فلا ينبغى لحامل القرآن أن يلهو مع اللاهين ولا يسهو مع الساهين ولا يغفل مع الغافلين وقد كان مالك بن دينار رحمه الله يقول يا أهل القرآن ماذا زرع القرآن فى قلوبكم فان القرآن ربيع القلب كما أن الغيث ربيع الارض وكان عبد الله بن مسعود رضى الله عنه يقول ينبغى لحامل القرآن أن يعرف بليله اذا الناس ناموا وبنهاره اذ الناس أفطروا وبحزنه اذا الناس ضحكوا وبصمته اذا الناس لغوا وبخشوعه اذا الناس يختالون فى ثيابهم ومشيهم وقد كان سفيان الثورى رحمه الله يقول لا ينبغى لحامل العلم والقرآن أن يكون جافيا ولا ممازيا ولا رافعا صوته بالحديث والعلم ولا راغبا فى الدنيا الا ان كل كلمة مما هو حامله تقول له ازهد فى الدنيا وقد سمعت سيدى عليا الخواص رحمه الله يقول من تأمل وجد كل كتاب أنزل يقول له اتق الله سبحانه وتعالى وكان صالح المرى رحمه الله يقول قرأت القرآن على رسول الله صلى الله عليه وسلم فى المنام فلما ختمته قال لى صلى الله عليه وسلم هذا القرآن فأين البكاء وكان الفضيل بن عياض رحمه الله يقول ما ثم مصيبة أعظم من مصيبتنا يتلو أحدنا القرآن ليلا ونهارا ولا يعمل به وكله رسائل من ربنا الينا وكان ولده على رحمهما الله يقول من لم يبك على نفسه عند تلاوة القرآن فهو مغرور لان المراد منه العمل لا التلاوة وكان اذا قرأ القرآن يبكى حتى يكاد لا يقدر على اتمام السورة ويقول انى لاتعجب ممن يفرح كلما ختم القرآن تلاوة ولا يطالب نفسه بشئ من مواعظه وزواجره وقوارعه وقد كان أبو سليمان الدارانى رحمه الله يقول ربما انى أقوم خمس ليال متوالية بآية واحدة أرددها وأطالب نفسى بالعمل بما فيها ولولا أن الله تعالى يمن على بالغفلة لما تعديت تلك الآية طول عمرى لان لى فى كل تدبر علما جديدا والقرآن لا تنقضى عجائبه وقد سمعت سيدى عليا الخواص رحمه الله يقول لولا أن الله تعالى يعطى الكمل من الاولياء معانى القرآن هبة منه تبارك وتعالى حال تلاوتهم له لما قدر أحدهم على تلاوته كله فى ليلة واحدة اذ الكمل ليست علومهم المتعلقة بالقرآن مستنبطة بفكر ولا امعان نظر انما هى مواهب يهبها لهم حال تلاوتهم فتكون عين التلاوة هى عين المعانى ومتى تخلفت المعانى عن النطق فذلك من نتيجة الفكر قال رحمه الله وعليه يحمل قول الحق عز وجل للامام أحمد بن حنبل رضى الله عنه حين رآه فى المنام وقال له يارب بم يتقرب اليك المتقربون قال بكلامى يا أحمد قال يارب بفهم أم بغير فهم قال تعالى بفهم وبغير فهم فالمراد من قوله وبغير فهم ان معانيه تأتى اليهم من طريق الكشف لا بواسطة الفكر وهذا هو اللائق بشرح هذا الكلام وان كان تالى القرآن له الثواب على كل حال اه (قلت) وهو كلام غريب فليتأمل وكان أنس ابن مالك رضى الله عنه يقول رب تال للقرآن والقرآن يلعنه وكان أبو ميسرة رحمه الله يقول الغريب هو القرآن فى جوف الفاجر وكان أبو سليمان الدارانى رحمه الله يقول الزبانية الى حملة القرآن أسرع منهم الى عبدة الاوثان أى لكونهم خالفوا ما حملوا وكان سفيان الثورى رحمه الله يقول اذا قرأ العبد كلام الله ثم تكلم بلغو ثم عاد الى القرآن قال الله تعالى له ما لك ولكلامى (قلت) ومن هنا كان سيدى على الخواص رحمه الله اذا كان يقرأ ثم كلمه أحد فى حاجة يقول بقلبه دستور يارب أكلم فلان ثم يكلمه وكان الفضيل بن عياض رحمه الله

والتفكر فيها وفى كيفية انفتاح ابوابها عليهم واستداده على غيرهم وذلك غرور لان عجائب طريق الله ليس لها نهاية فمن وقف مع كل

يقول ان حملة القرآن يسألون يوم القيامة عما يسأل عنه الانبياء عليهم الصلاة والسلام يعني يسألون عن العمل بالقرآن أو غيره كاملا لانهم مأمورون أن لا يخلوا منه بحكم واحد وفي الحديث أكثر منافقي هذه الامة قرّاؤها وقد أخبرني سيدي الشيخ أبو السعود الجارحي رحمه الله أنه مكث عشرين سنة يتلو في النهار ختما وفي الليل ختما وذلك قبل اجتماعه بشيخه في الطريق سيدي أحمد المرحومي رحمه الله تعالى فلما اجتمع به وأخبره بذلك قال له ما حصلت شيأ الا انك كنت تفرح بعدد الختوم ولا تطالب نفسك بالعمل بشيء منه فقال نعم قال ثم أمرني الشيخ بعد ذلك بالتدبر ومطالبة نفسي بالعمل بكل آية فما قدرت بعد ذلك على عشر ما كنت أقرأ فاعلم ذلك يا أخي والحمد لله رب العالمين

﴿ومن أخلاقهم رضي الله عنهم﴾ التهيؤ للوقوف بين يدي الله تعالى في كل صلاة من أول الوقت فكان أحدهم يستشعر عظمة الله تعالى شيأ فشيأ من حين وضوئه أو من حين ينادي بحي على الصلاة حتى يصل الى الحضور مع الله تعالى بحسب مقامه لاسيما ان كان أحدهم يطالع علما قبل الصلاة أو في خصومة أو نحو ذلك فان استجلاب الحضور عليه بعيد الا ان كان يستعد له من قبل دخول الوقت وقد كان أخي الشيخ أفضل الدين رحمه الله يستعد للوقوف في الصلاة قبل دخول الوقت بعشر درج فقلت له يوما أنت بحمد الله ليس لك علاقة دنيوية تمنعك من الحضور فقال ان لكل انسان عوائق بحسب مقامه ولولا الحجاب الذي لهم قبل الصلاة لما اصفرت ألوانهم عند القيام اليها فلابد لكل ولي من حجاب ينكشف له عند القيام الى الصلاة فيزداد بذلك تعظيما لربه عز وجل ولولا وجود الحجاب النسبي لما كان الخليل عليه الصلاة والسلام اذا دخل في الصلاة يسمع لجوفه صجيج من مسيرة ميل وانما نقل عن الاكابر زيادة التعظيم لله تعالى في الصلاة لانهم يقفون فيها بين يدي الحق عز وجل كما يقف غلام الملك بين يديه ولله المثل الاعلى اه وفي الحديث خمس صلوات كتبهن الله تعالى على العباد فمن جاء بهن لم يضيع منهن شيأ استخفافا بحقهن كان له عهد عند الله أن يدخله الجنة وفي الحديث أيضا أول ما يحاسب به العبد يوم القيامة الصلاة فان وجدت تامة قبلت منه سائر أعماله وان وجدت ناقصة ردّ عليه سائر عمله وفي الحديث أيضا من لم يتم ركوع الصلاة ولا سجودها ولا خشوعها خرجت وهي سوداء مظلمة تقول لصاحبها ضيعك الله كما ضيعتني حتى اذا كانت حيث شاء الله تعالى لفت كما يلف الثوب الخلق فيضرب بها وجهه وكان سعيد التنوخي رحمه الله كلما صلى تصير دموعه تتناثر على خده ولحيته قال ورأى الحسن البصري رحمه الله رجلا يصلي وهو يعبث بلحيته فسمعه وهو يقول في سجوده اللهم زوّجني في الجنة من الحور العين ما تقر به عيني فقال له الحسن يا هذا ما رأيت خاطبا للحور أقل حياء منك تخطب الحور من الله تعالى وأنت تلعب وكان مسلم بن يسار اذا دخل في الصلاة لا يدري أي شيء يكون ممن حوله وكان رحمه الله يقول لاهله لا ترفعوا أصواتكم عندي الا اذا رأيتموني دخلت في الصلاة فاني اذا كنت فيها لا أسمع شيأ من كلامكم وقد سقط جانب المسجد وهو يصلي فيه فوقعت ضجة عظيمة وخرج الناس مسرعين منه وهو لا يعلم بذلك حتى سلم من الصلاة وكان أمير المؤمنين علي رضي الله عنه اذا حضرت الصلاة يصفر لونه ويتغير ويقول انها أمانة وانها عرضت على السموات والارض والجبال فأبين أن يحملنها وحملتها أنا فلا أدري هل أوفي بآدابها أم لا وكان وهب ابن منبه رحمه الله يقول قال داود عليه الصلاة والسلام يا رب من الذي تقبل صلاته وينبغي له أن يدخل بيتك يعني المسجد فأوحى الله اليه من تواضع لعظمتي وقطع نهاره بذكري وكف نفسه عن الشهوات من أجلي وأطعم الجائع وآوى الغريب ورحم المصاب فذلك الذي ينبغي له أن يدخل بيتي وأجيب دعاءه وكان حاتم الاصم رحمه الله يقول ما صليت صلاة قط الا ورأيت ما أتيت به فيها من سوء الادب أكثر مما فعلت فيها من الطاعة وكان عبد الله بن عباس رضي الله عنهما يقول ركعتان مع حضور قلب خير من ألف ركعة والقلب ساه وقد كان علي ابن عبد الله بن عباس رضي الله عنهم يسمى السجاد لكثرة سجوده وكان يقول ان الخضوع فيه أفضل من الخضوع في الركوع فلذلك كنت أكثر منه قيل كان ورده كل يوم ألف ركعة وكان عمر بن عبد العزيز رحمه الله يسجد في صلاته على التراب دون الحصير ويقول ان ذلك أقرب الى الخضوع بين يدي الله تعالى وكان سفيان الثوري رحمه الله يقول لقد أدركنا الناس وأحدهم اذا دخل المسجد ارتعد وتغير من شدة هيبة الله تعالى حتى

أعجوبة وتقيد قصرت خطاه وحرم الوصول الى المقصود ومثال ذلك كمن قدم على ملك فرأى على باب ميدانه روضة فيها أزهار

لا يعي شيأ من أمور الدنيا ويذهل عن كل شيء وقد كان شيخنا سيدي علي الخوّاص رحمه الله آخر من أدركته من رجال هذا المقام كان رحمه الله لا يتجرأ أن يدخل المسجد الا تبعا للناس وكان سعيد بن المسيب رحمه الله يقول من جلس في المسجد فانما يجالس ربه عز وجل وسيأتي على الناس زمان يجلسون في المسجد حلقا حلقا حديثهم فيه الدنيا فلا تجالسوهم (قلت) هذا في الحديث المباح فما بالك بمن يجلس في المسجد يستغيبون فيه العلماء والصالحين نسأل الله العافية فاعلم ذلك يا أخي وتخاشع عسى تصير من الخاشعين والحمد لله رب العالمين

﴿ومن أخلاقهم رضي الله تعالى عنهم﴾ العمل على كشف حجابهم حتى يصير أحدهم يصلي خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم في قبره الشريف كلما شاء وكذلك يصلي خلف كل نبي عليهم الصلاة والسلام لما ورد انهم عليهم الصلاة والسلام يصلون في قبورهم بأذان واقامة وقد كان سيدي الشيخ أبو العباس المرسي قدس الله سره يصلي الصلوات الخمس خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم كما أخبر بذلك عن نفسه وكذلك كان اخي الشيخ أفضل الدين رحمه الله وقد قال سيدي أبو العباس رحمه الله يوما لاصحابه أيكم يجالس رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا يحتجب عنه في ليل ولا نهار فقالوا كلهم ليس منا أحد يقع له ذلك فقال لهم ابكوا على قلوب محجوبة عن أسرار الكون والملكوت والله لو احتجب عني رسول الله صلى الله عليه وسلم لحظة ما أعددت نفسي من المسلمين انتهى (قلت) وهو مقام شريف لا يصل اليه السالك الا بعد مجاوزة مائة ألف حجاب وسبعة وأربعين ألف حجاب وتسعمائه وتسعة وتسعين حجابا فليس ذلك لكل ولي كما أوضحنا ذلك في كتابنا العهود المحمدية وتقدم أيضا في أوائل هذا الكتاب فاعلم ذلك والحمد لله رب العالمين

﴿ومن أخلاقهم رضي الله تعالى عنهم﴾ مراعاتهم الادب في الصوم والحج زيادة على آدابهم في القربات الشرعية وذلك ليحفظ أحدهم من وصول ابليس اليه بالوسوسة من العام الى العام أو من بعد حجه الى أن يموت كما أنه اذا حضر قلبه في صلاة الجمعة يحفظ من ابليس الى الجمعة الآتية كما أنه اذا حضر قلبه في صلاة من الخمس يحفظ من ابليس الى الصلاة التي بعدها كما يعرف ذلك من أطلعه الله تعالى على أسرار الشريعة ممن يصلون الصلاة المأمور بها شرعا بخلاف من كانت صلاته عادية وقد سمعت شخصا مرة يقول لسيدي علي الخوّاص رحمه الله أصليتم العصر فسكت الشيخ ولم يجبه لحظة ثم قال له لا تعد تقول لي مثل ذلك فتوقعني في الكذب اذ لا تسمى صلاة الا ما حضر العبد فيها مع ربه عز وجل من أولها الى آخرها بحيث لا يمر بخاطره فيها الا حب الله تعالى وكونه بين يديه وما يتلفظ به ويفعله من قراءة وذكر وركوع وسجود ونحو ذلك فقال الرجل فما أقول لكم اذا أردت أن أسألكم عن مثل ذلك فقال له قل لي هل قمت وقعدت مع الناس في الوقت أم لا وكان الفضيل بن عياض رحمه الله يقول لقد أدركنا الناس وهم ينزهون صومهم عن الضحك فيه ويقولون انه شهر المسابقة الى الخيرات لا شهر الضحك واللعب والغفلة وكان الاحنف بن قيس رحمه الله يقول ان شهر الصوم شهر الجوع فمن لم يجع فيه حتى يتغير جلده لا يحصل على طائر من صومه وقد كان الفضيل بن عياض رحمه الله يقول من لم يحبس جميع جوارحه عن المعاصي فهو مفطر وان جاع ومن حبس جوارحه فهو الصائم حقيقة (قلت) والمراد به كالمفطر في نقص الاجر في أحكام الآخرة حين يوفى العامل أجره وكان سفيان بن عيينة رحمه الله يقول حج علي بن الحسين رضي الله عنهما فلما أحرم واستوت به راحلته اصفر لونه وتغير وانتفض ووقعت عليه الرعدة ولم يستطع أن يلبي من الهيبة فقالوا له ألا تلبي فقال أخشى أن أقول لبيك فيقال لي لا لبيك ولا سعديك فقيل له لابد من قولك فلما لبى غشي عليه وسقط عن راحلته ولم يزل يعتريه ذلك حتى قضى حجه ولما قبل الحجر الاسود قال لولا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قبلك وكذا أصحابه رضي الله عنهم ما قبلتك (قلت) وهذا يفهم أن عدم تقبيل أضرحة المشايخ أولى من تقبيلها لكون النبي صلى الله عليه وسلم لم يثبت عنه أنه قبل شيأ من قبور اخوانه الانبياء عليهم الصلاة والسلام ولا بلغنا أنه صلى الله عليه وسلم أقرّ أحدا على ذلك يعني على تقبيل قبر أحد من صالحي أمته فلذلك كان من الادب التوقف عن تقبيل أضرحة المشايخ وأعتابهم ويجعل بدل ذلك الاقتداء بأخلاقهم ولما أحرم أبو سليمان الداراني رحمه الله بالحج لم يقدر أن يلبي حتى سار الركب ميلا وأخذته كالغشية في المحمل ثم أفاق فقال لاحمد بن أبي الحواري رحمه الله وكان معه يا أحمد ان الله عز وجل أوحى الى موسى عليه الصلاة والسلام أن مر

وأنوار ولم يكن قد رآها قبل ذلك ولا رأى مثلها فوقف ينظر اليها حتى فاته الوقت الذي يكون فيه لقاء الملك فانصرف خائبا (وفرقة أخرى) جاوزت هؤلاء ولم

يقول ان حملة القرآن يسألون يوم القيامة عما يسأل عنه الانبياء عليهم الصلاة والسلام يعنى يسألون عن العمل بالقرآن أوغيره كاملا لانهم مأمورون أن لا يخلوا منه بحكم واحد وفى الحديث أكثر منافقى هذه الامة قرآؤها وقد أخبرنى سيدى الشيخ أبو السعود الجارحى رحمه الله أنه مكث عشرين سنة يتلو فى النهار ختما وفى الليل ختما وذلك قبل اجتماعه بشيخه فى الطريق سيدى أحمد المرحومى رحمه الله تعالى فلما اجتمع به وأخبره بذلك قال له ما حصلت شيأ لانك كنت تفرح بعدد الختوم ولا تطالب نفسك بالعمل بشئ منه فقال نعم قال ثم أمرنى الشيخ بعد ذلك بالتدبر ومطالبة نفسى بالعمل بكل آية فما قدرت بعد ذلك على عشر ما كنت أقرأ فاعلم ذلك يا أخى والحمد لله رب العالمين

﴿ومن أخلاقهم رضى الله عنهم﴾ التهيؤ للوقوف بين يدى الله تعالى فى كل صلاة من أول الوقت فكان أحدهم يستشعر عظمة الله تعالى شيأ فشيأ من حين وضوئه أو من حين ينادى بحى على الصلاة حتى يصل الى الحضور مع الله تعالى بحسب مقامه لاسيما ان كان أحدهم يطالع علما قبل الصلاة أو فى خصومة أو نحو ذلك فان استجلاب الحضور عليه بعيد الا ان كان يستعد له من قبل دخول الوقت وقد كان أخى الشيخ أفضل الدين رحمه الله يستعد للوقوف فى الصلاة قبل دخول الوقت بعشر درج فقلت له يوما أنت بحمد الله ليس لك علاقة دنيوية تمنعك من الحضور فقال ان لكل انسان عوائق بحسب مقامه ولولا الحجاب الذى لهم قبل الصلاة لما اصفرت ألوانهم عند القيام اليها فلا بد لكل ولى من حجاب ينكشف له عند القيام الى الصلاة فيزداد بذلك تعظيما لربه عز وجل ولولا وجود الحجاب النسبى لما كان الخليل عليه الصلاة والسلام اذا دخل فى الصلاة يسمع لجوفه ضجيج من مسيرة ميل وانما نقل عن الاكابر زيادة التعظيم لله تعالى فى الصلاة لانهم يقفون فيها بين يدى الحق عز وجل كما يقف غلام الملك بين يديه ولله المثل الاعلى اه وفى الحديث خمس صلوات كتبهن الله تعالى على العباد فمن جاء بهن لم يضيع منهن شيأ استخفافا بحقهن كان له عهد عند الله أن يدخله الجنة وفى الحديث أيضا أول ما يحاسب به العبد يوم القيامة الصلاة فان وجدت تامة قبلت منه سائر أعماله وان وجدت ناقصة ردت عليه سائر عمله وفى الحديث أيضا من لم يتم ركوع الصلاة ولا سجودها ولا خشوعها خرجت وهى سوداء مظلمة تقول لصاحبها ضيعك الله كما ضيعتنى حتى اذا كانت حيث شاء الله تعالى لفت كما يلف الثوب الخلق فيضرب بها وجهه وكان سعيد التنوخى رحمه الله كلما صلى تصير دموعه تتناثر على خده ولحيته قال ورأى الحسن البصرى رحمه الله رجلا يصلى وهو يعبث بلحيته فسمعه وهو يقول فى سجوده اللهم زوجنى فى الجنة من الحور العين ما تقر به عينى فقال له الحسن يا هذا ما رأيت خاطبا للحور أقل حياء منك تخطب الحور من الله تعالى وأنت تلعب وكان مسلم بن يسار اذا دخل فى الصلاة لا يدرى أى شئ يكون ممن حوله وكان رحمه الله يقول لاهله لا ترفعوا أصواتكم عندى الا اذا رأيتمونى دخلت فى الصلاة فانى اذا كنت فيها لا أسمع شيأ من كلامكم وقد سقط جانب المسجد وهو يصلى فيه فوقعت ضجة عظيمة وخرج الناس مسرعين منه وهو لا يعلم بذلك حتى سلم من الصلاة وكان أمير المؤمنين على رضى الله عنه اذا حضرت الصلاة يصفر لونه ويتغير ويقول انها أمانة وانها عرضت على السموات والارض والجبال فأبين أن يحملنها وحملتها أنا فلا أدرى هل أوفى بآدابها أم لا وكان وهب ابن منبه رحمه الله يقول قال داود عليه الصلاة والسلام يا رب من الذى تقبل صلاته وينبغى له أن يدخل بيتك يعنى المسجد فأوحى الله اليه من تواضع لعظمتى وقطع نهاره بذكرى وكف نفسه عن الشهوات من أجلى وأطعم الجائع وآوى الغريب ورحم المصاب فذلك الذى ينبغى له أن يدخل بيتى وأجيب دعاءه وكان حاتم الاصم رحمه الله يقول ما صليت صلاة قط الا ورأيت ما أتيت به فيها من سوء الادب أكثر مما فعلت فيها من الطاعة وكان عبد الله بن عباس رضى الله عنهما يقول ركعتان مع حضور قلب خير من ألف ركعة والقلب ساه وقد كان على ابن عبد الله بن عباس رضى الله عنهم يسمى السجاد لكثرة سجوده وكان يقول ان الخضوع فيه أفضل من الخضوع فى الركوع فلذلك كنت أكثر منه قيل كان ورده كل يوم ألف ركعة وكان عمر بن عبد العزيز رحمه الله يسجد فى صلاته على التراب دون الحصير ويقول ان ذلك أقرب الى الخضوع بين يدى الله تعالى وكان سفيان الثورى رحمه الله يقول لقد أدركنا الناس وأحدهم اذا دخل المسجد ارتعد وتغير من شدة هيبة الله تعالى حتى

أعجوبة وتقيد فقصرت خطاه وحرم الوصول الى المقصود ومثال ذلك كمن قدم على ملك فرأى على باب ميدانه روضة فيها أزهار

لا يعى شيأ من أمور الدنيا ويذهل عن كل شئ وقد كان شيخنا سيدى على الخواص رحمه الله آخر من أدركته من رجال هذا المقام كان رحمه الله لا يتجرأ أن يدخل المسجد الا تبعا للناس وكان سعيد بن المسيب رحمه الله يقول من جلس فى المسجد فانما يجالس ربه عز وجل وسيأتى على الناس زمان يجلسون فى المسجد حلقا حلقا حديثهم فيه الدنيا فلا تجالسوهم (قلت) هذا فى الحديث المباح فما بالك بمن يجلس فى المسجد يستغيبون فيه العلماء والصالحين نسأل الله العافية فاعلم ذلك يا أخى وتخاشع عسى تصير من الخاشعين والحمد لله رب العالمين

﴿ومن أخلاقهم رضى الله تعالى عنهم﴾ العمل على كشف حجابهم حتى يصير أحدهم يصلى خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم فى قبره الشريف كلما شاء وكذلك يصلى خلف كل نبى عليهم الصلاة والسلام لما ورد انهم عليهم الصلاة والسلام يصلون فى قبورهم بأذان واقامة وقد كان سيدى الشيخ أبو العباس المرسى قدس الله سره يصلى الصلوات الخمس خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم كما أخبر بذلك عن نفسه وكذلك كان اخى الشيخ أفضل الدين رحمه الله وقد قال سيدى أبو العباس رحمه الله يوما لاصحابه أيكم يجالس رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا يحتجب عنه فى ليل ولا نهار فقالوا كلهم ليس منا أحد يقع له ذلك فقال لهم ابكوا على قلوب محجوبة عن أسرار الكون والملكوت والله لو احتجب عنى رسول الله صلى الله عليه وسلم لحظة ما أعددت نفسى من المسلمين انتهى (قلت) وهو مقام شريف لا يصل اليه السالك الا بعد مجاوزة مائة ألف حجاب وسبعة وأربعين ألف حجاب وتسعمائة وتسعة وتسعين حجابا فليس ذلك لكل ولى كما أوضحنا ذلك فى كتابنا العهود المحمدية وتقدم أيضا فى أوائل هذا الكتاب فاعلم ذلك والحمد لله رب العالمين

﴿ومن أخلاقهم رضى الله تعالى عنهم﴾ مراعاتهم الادب فى الصوم والحج زيادة على آدابهم فى القربات الشرعية وذلك ليحفظ أحدهم من وصول ابليس اليه بالوسوسة من العام الى العام أو من بعد حجه الى أن يموت كما أنه اذا حضر قلبه فى صلاة الجمعة يحفظ من ابليس الى الجمعة الآتية كما أنه اذا حضر قلبه فى صلاة من الخمس يحفظ من ابليس الى الصلاة التى بعدها كما يعرف ذلك من أطلعه الله تعالى على أسرار الشريعة ممن يصلون الصلاة المأمور بها شرعا بخلاف من كانت صلاته عادية وقد سمعت شخصا مرة يقول لسيدى على الخواص رحمه الله أصليتم العصر فسكت الشيخ ولم يجبه لحظة ثم قال له لا تعد تقول لى مثل ذلك فتوقعنى فى الكذب اذ لا تسمى صلاة الا ما حضر العبد فيها مع ربه عز وجل من أولها الى آخرها بحيث لا يمر بخاطره فيها الا حب الله تعالى وكونه بين يديه وما يتلفظ به ويفعله من قراءة وذكر وركوع وسجود ونحو ذلك فقال الرجل فاذا أقول لكم اذا أردت أن أسألكم عن مثل ذلك فقال له قل لى هل قمت وقعدت مع الناس فى الوقت أم لا وكان الفضيل بن عياض رحمه الله يقول لقد أدركنا الناس وهم ينزهون صومهم عن الضحك فيه ويقولون انه شهر المسابقة الى الخيرات لا شهر الضحك واللعب والغفلة وكان الاحنف بن قيس رحمه الله يقول ان شهر الصوم شهر الجوع فمن لم يجع فيه حتى يتغير جلده لا يحصل على طائر من صومه وقد كان الفضيل بن عياض رحمه الله يقول من لم يحبس جميع جوارحه عن المعاصى فهو مفطر وان جاع ومن حبس جوارحه فهو الصائم حقيقة (قلت) والمراد به كالمفطر فى نقص الاجر فى أحكام الآخرة حين يوفى العامل أجره وكان سفيان بن عيينة رحمه الله يقول حج على بن الحسين رضى الله عنهما فلما أحرم واستوت به راحلته اصفر لونه وتغير وانتفض ووقعت عليه الرعدة ولم يستطع أن يلبى من الهيبة فقالوا له ألا تلبى فقال أخشى أن أقول لبيك فيقال لى لا لبيك ولا سعديك فقيل له لا بد من قولك فلما لبى غشى عليه وسقط عن راحلته ولم يزل يعتريه ذلك حتى قضى حجه ولما قبل الحجر الاسود قال لولا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قبلك وكذا أصحابه رضى الله عنهم ما قبلتك (قلت) وهذا يفهم أن عدم تقبيل أضرحة المشايخ أولى من تقبيلها لكون النبى صلى الله عليه وسلم لم يثبت عنه أنه قبل شيأ من قبور اخوانه الانبياء عليهم الصلاة والسلام ولا بلغنا أنه صلى الله عليه وسلم أقر أحدا على ذلك يعنى على تقبيل قبر أحد من صالحى أمته فلذلك كان من الادب التوقف عن تقبيل أضرحة المشايخ وأعتابهم ويجعل بدل ذلك الاقتداء بأخلاقهم ولما أحرم أبو سليمان الدارانى رحمه الله بالحج لم يقدر أن يلبى حتى سار الركب ميلا وأخذته كالغشية فى المحمل ثم أفاق فقال لاحمد بن أبى الحوارى رحمه الله وكان معه يا أحمد ان الله عز وجل أوحى الى موسى عليه الصلاة والسلام أن مر

وأنوار ولم يكن قد رآها قبل ذلك ولا رأى مثلها فوقف ينظر اليها حتى فاته الوقت الذى يكون فيه لقاء الملك فانصرف خائبا (وفرقة أخرى) جاوزت هؤلاء ولم

ظلمة بنى اسرائيل أن يقلوا من ذكرى فانى أذكر من ذكرنى منهم باللعنة حتى يسكت عن ذكرى ويحك يا أحمد
ما يؤمننا أن الله تعالى يلعننا وقد ظلمنا أنفسنا وظلمنا غيرنا وكان مالك بن دينار رحمه الله يقول رأيت شابا محرما
وهو ساكت فقلت له لم لا تلبي يا غلام فقال لى يا شيخ وما تغنى عنى التلبية وقد سبق منى ذنوب وجرائم وقبائح
وفضائح لا تحصى فأخاف اذا أنا لبيت أن يقال لى لا لبيك ولا سعديك لا أسمع كلامك ولا أنظر اليك قال مالك
فقلت له يا ولدى ان الله تعالى كريم غفور فقال أوتشير علىّ بالتلبية قلت نعم فوضع جنبه على الارض وقال
لبيك فشهق وخرجت روحه رحمه الله وكان الفضيل بن عياض رحمه الله يقول حج سفيان الثورى رحمه الله
ماشيا من البصرة فقيل له أما لك ظهر تركبه فقال أما يرضى العبد الآبق أن يأتى الى مصالحة سيده الا راكبا والله
انى لفى غاية الخجل من مجيئى الى تلك الارض وقد كان أبو سليمان الدارانى رحمه الله يقول رأيت شابا مصفر
اللون وهو متعلق بأستار الكعبة وهو يقول اللهم ان لك علىّ حقوقا فتصدق علىّ بها وان لعبادك علىّ حقوقا
فتحملها عنى من فضلك وقد تم فضلك علىّ وقد سمعت سيدى عليا الخواص رحمه الله يقول لقد أدركنا الناس
وهم يحجون على الراحلة من غير محمل ولا مظلة ويقولون المحرم أشعث أغبر وهذا ينافى ذلك وكان أحدهم اذا
أراد الحج يمكث سنين يحصل فى الدراهم الحلال التى ينفقها فى حجه وكانوا لا يستعينون فى حجهم بشئ من
أموال الولاة ولا أعوانهم والحمد لله رب العالمين

﴿ومن أخلاقهم رضى الله تعالى عنهم﴾ شدة الحياء من رؤية الخلق فضلا عن شدة حيائهم من ربهم سبحانه
وتعالى وفى الحديث الحياء من الايمان ولكل دين خلق وخلق الاسلام الحياء وكان بشر الحافى رحمه الله
يقول لكل شئ زينة وزينة الحياء ترك الذنوب ولكل شئ ثمرة وثمرة الحياء اكتساب الخير وكان مالك بن دينار
رحمه الله يقول ما عاقب الله تعالى قلبا بأشد من أن يسلب منه الحياء وكان يوسف بن اسباط رحمه الله يقول لقد
أدركنا الناس وهم يستحيون من الله تعالى أن يسألوه رضاه والجنة وانما يسألونه العفو والصفح وقد كان الامام
مالك رضى الله عنه يقول أول من ضرب الاخبية فى سفره أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضى الله عنه قال انى
رجل شديد الحياء من الناس فاستروني من رؤيتهم لى وكان رضى الله عنه لا يذهب الى الخلاء الا وهو مغط رأسه
حياء من الملائكة عليهم الصلاة والسلام (قلت) ولذلك جوزى رضى الله عنه باستحياء الملائكة منه دون غيره
كما أشار اليه الحديث وهو قوله صلى الله عليه وسلم ألا أستحيى ممن تستحيى منه ملائكة السماء وكان ابراهيم بن
أدهم رحمه الله يقول بلغنا أن عثمان رضى الله عنه كان يفرش للملائكة عليهم الصلاة والسلام رداءه على باب
الخلاء ويقول اجلسا ههنا حتى أخرج اليكما اه فاعلم ذلك والحمد لله رب العالمين

﴿ومن أخلاقهم رضى الله عنهم﴾ شدة التقوى لله تعالى ورؤيتهم نفوسهم بعد ذلك انهم غير متقين وحبهم لله
ولرسوله صلى الله عليه وسلم وقد كان أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه يقول لنفسه والله لتتقين الله
يا ابن الخطاب أو ليعذبنك ثم لا يبالى بك وكان رضى الله عنه يقول من اتقى الله لم يصنع كل ما تريده نفسه من
الشهوات وفى الحديث من قيل له اتق الله فغضب أوقف يوم القيامة فلم يبق ملك الا مر به وعاتبه وقال له أنت
الذى قيل لك اتق الله فغضبت يعنى يوبخونه بذلك وقد قيل لعمر بن الخطاب رضى الله عنه لا يزال الناس بخير
ما دمت فيهم يا أمير المؤمنين فقال لا يزال الناس بخير ما أرضوا ربهم وكان الحسن البصرى رحمه الله اذا قرأ قوله
تعالى واتقون يا أولى الالباب يقول عاتبهم لحبه اياهم وكان عروة الرقى رحمه الله يقول محبة العبد لربه حب
القرآن والعمل به وحبه لرسوله صلى الله عليه وسلم هو عمله بسنته وكان مطرف بن عبد الله رحمه الله يقول محبة
العبد لربه أن لا يمل من تلاوة كتابه وكان سعيد بن جبير رحمه الله يقول من علامة محبة العبد لربه كثرة النصب
والتعب فى عبادته فان حب الله تعالى لا ينال بالراحة وكان عبد الواحد بن زيد رحمه الله يقول مررت برجل نائم
فى الثلج فقلت له أما تحس بألم البرد فقال من ذاق طعم محبة الله تعالى لم يجد للبرد ولا للنار ألما ومراده المحبة الكاملة
بالنسبة لكل مقام وكان محمد بن واسع رحمه الله يقول كم ممن يزعم أنه محب لله تعالى والله له يبغض اه فاعلم
ذلك يا أخى والحمد لله رب العالمين

﴿ومن أخلاقهم رضى الله عنهم﴾ الزهد فى الدنيا وذمهم لكل من طلبها ومبالغة أحدهم فى ذلك حتى يصير

تلتفت الى ما يفيض عليها
من الانوار فى الطريق ولا الى
ما يتيسر لهم من العطايا
الجزيلة ولم يلتفتوا اليها
ولا عرجوا عليها بل جادين

ينطق بالحكمة كأنبياء بنى اسرائيل عليهم الصلاة والسلام وقد كان رأسهم فى الزهد رسول الله صلى الله عليه
وسلم كان يأتى عليه أربعون ليلة ما يوقد فى بيته نار ولا مصباح فقيل لعائشة رضى الله عنها كيف كنتم تعيشون
قالت بالاسودين التمر والماء وكانت تقول قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم فى كساء ملبد أى مرقع وازار عرنى
غليظ وقد كان صلى الله عليه وسلم يقول انما مثلى ومثل الدنيا كمثل رجل استظل تحت شجرة ثم راح وتركها
وكان سفيان بن عيينة رحمه الله يقول الزهد ثلاثة أحرف فمعنى الزاى أن تترك زينة الدنيا ومعنى الهاء أن تترك
هوى نفسك ومعنى الدال أن تترك الدنيا بأسرها فاذا فعلت ذلك فأنت زاهد وكان ابراهيم بن أدهم رحمه الله
يقول الزهد على ثلاثة أصناف فرض ويكون فى الحرام وواجب ويكون فى الشبهات وسنة ويكون فى الحلال
قال ولذلك كان الزهد فى الرياسة أشد من الزهد فى الذهب والفضة لانك تبذلهما فى تحصيلها وقد كان أبو سليمان
الدارانى رحمه الله يقول ليس للرجل أن يحمل أهله وعياله على الزهد فى الدنيا وانما عليه أن يدعوهم اليه فان
أجابوه والا زهد فى نفسه وأتاهم بما يصلحهم وكان رحمه الله يقول كل ما أشغلك عن ربك من أهل أومال أوغير
ذلك فهو مشؤم عليك (قلت) وذلك لان الله تعالى جعل الموجودات كلها مذكرة للعبد بربه عز وجل وهنالك
تكون مباركة عليه بخلافها اذا حجبت العبد عن ربه ومن هنا كان الولد والمال أعظم فتنة للعبد لانه لا يصح له
الاقبال على الله تعالى مع الميل اليهم فافهم وقد بلغ وكيعا رحمه الله أن سفيان الثورى رحمه الله أكل الطباهيج
فعاب ذلك عليه وقال ان الناس يقتدون بك فى أكل الشهوات وكان بلال بن سعد رحمه الله يقول لو لم يكن لنا
الارغبتنا فى الدنيا بعد ان زهدنا الله فيها لكان فى ذلك كفاية من الذنب وقد كان أبو سليمان الدارانى رحمه الله
يقول قد سمعنا فى الزهد كلاما كثيرا وأحسن ما رأيناه فيه ان الزهد فى كل شئ يشغل عن الله تعالى حتى العلم
والعمل (قلت) يعنى بأن دخل فيهما الرياء والعجب أو حب ثناء الناس أونحو ذلك والا فمن أخلص فى علمه وعمله
لا يصلح فى حقه الزهد فى ذلك لان الاخلاص فيهما مما يجمع قلب العبد على ربه عز وجل والله أعلم وقد قال رجل
مرة لسفيان بن عيينة رحمه الله دلنى على زاهد أجلس اليه من العلماء فقال له يا هذا تلك ضالة لا توجد وكان يحيى
ابن معاذ رحمه الله يقول الزهد كله تعب نفس فمتى مال صاحبه الى الراحة فى الدنيا فقد رجع عن الزهد حينئذ
وكان محمد بن سيرين رحمه الله يقول قد طلبوا الامام أبا حنيفة للدنيا فهرب منها وطلبنا نحن الدنيا فهربت منا
فانظروا كم بين الرجلين وكان يوسف بن أسباط رحمه الله يقول طلبت من الله تعالى ثلاث خصال أن أموت
وليس فى ملكى درهم ولا علىّ درهم ولا على عظمى لحم قال فمات رحمه الله كذلك وقد أرسل الخليفة مرة بجوائز
الى الفقهاء فقبلوها وأرسل الى الفضيل بن عياض عشرة آلاف درهم فردها فقال له أولاده قد قبل الفقهاء
ذلك وهم قدوة الناس فهلا قبلت أنت الآخر قال فبكى وقال ما مثلى ومثلكم الا كمثل قوم لهم بقرة يحرثون عليها فلما
هرمت قالوا لبعضهم اذبحوها قبل أن لا تنتفعوا بجلدها ولحمها وكذلك أنتم تريدون ذبحى على كبر سنى فاصبروا
على الجوع خيرا لكم من أن تذبحونى فقالوا ما عندنا شئ نتقوت به اليوم قال فأخذ سكينا وقطع لهم قطعة من
بساط بال كان تحته وقال اشتروا بثمن هذه شيأ تأكلونه وقد كان عيسى عليه الصلاة والسلام من رؤس الزهاد
فكان يلبس الشعر ويأكل من ورق الاشجار وليس له ولد يموت ولا بيت يخرب ولا يدخر قوت غد وأى مكان
أدركه المساء نام فيه وقيل له مرة يا روح الله ألا تتخذ لك حمارا تركبه فقال انا أكرم على الله من أن يشغلنى بخدمة
حمار وكان عليه الصلاة والسلام يقول للحواريين بحق أقول لكم ان أكل نخالة الشعير مخلوطة بالرماد والنوم
على المزابل مع الكلاب ولبس المسوح الخشنة لكثير على من يموت قال ولم يتخذ له عليه السلام فراشا ولا مخدة
ولا قصعة وقد وضع مرة لبنة تحت رأسه فجاءه جبريل عليه السلام وقال له يا عيسى ركنت الى الدنيا بعد زهدك فيها
وجعلت تحت رأسك مخدة من ابن قال فمن ذلك الوقت صار ينام جالسا الى أن رفع عليه الصلاة والسلام وكان
يقول لبنى اسرائيل عليكم بالماء القراح والبقل البرى ونخالة الشعير واياكم وخبز البر فانكم لن تقوموا بشكر نخالة
الشعير اه وقد اشترى أمير المؤمنين على رضى الله عنه قميصا بثلاثة دراهم وهو اذ ذاك خليفة وقطع كمه من
موضع الرسغين ولبسه وقال الحمد لله الذى هذا من رياشه وكان الحسن البصرى رحمه الله تعالى اذا لبس القميص
لا ينزعه حتى يخلق وقيل له مرة ألا تغسل قميصك فقال الامر أعجل من ذلك وقد كان الفضيل بن عياض رحمه الله

فى السير فلما قاربوا الوصول
ظنوا أنهم وصلوا فوقفوا
ولم يتعدوا ذلك فغلطوا فان
لله سبحانه وتعالى سبعين
حجابا من نور وظلمة ولا يصل

يقول لو أن الدنيا كانت بأسرها تحت يدى ما فرحت بها ولو أن أحدا أخذها كلها من يدى ما تبعته ولا حزنت عليها وكان رحمه الله يتقوت من سقاية الماء بمكة كان له جمل ينقل عليه الماء ويبيعه ويتقوت هو وعياله منه وكان عبد الواحد بن زيد رحمه الله يقول من ضبط بطنه ضبط دينه وقد كانت بلية أبيكم آدم عليه الصلاة والسلام أكلة واحدة وهى بليتكم الى يوم القيامة فاعلموا ذلك (قلت) المراد بالبلية هنا الاختبار وهو اختبار الحق سبحانه بنى آدم هل يصبرون على ترك شهواتهم أو يقعون فيها وأما اختبار آدم صلى الله عليه وسلم فانما كان صوريا أوقعه الحق تعالى على يديه ليعرف ما يقع من بنيه اذا وجدوا من باب اطلاع رسله على الغيب وليعرفه بما وقع على يديه كيف يتوب بنوه اذا وقعوا فيه فالخطاب له والحكم لغيره كما أوضحنا ذلك فى كتاب الأجوبة عن الأكابر ومن نطقهم بالحكمة يعنى القوم رضى الله عنهم لما أحكموا الزهد فى الدنيا قول ابراهيم بن أدهم رحمه الله ليس بعاقل من ارتكب الذنب ومنه قول وهب بن منبه رحمه الله من قال فيك من الخير ما ليس فيك فلابد أن يقول فيك من الشر ما ليس فيك ومن عرض نفسه للتهمة فلا يلومن من ساء به الظن وقوله اياكم وما يعتذر منه وكان الحسن البصرى رحمه الله يقول ما رأيت يقينا أشبه بالكذب من يقين الناس بالموت مع غفلتهم عنه وكان الاحنف بن قيس رحمه الله يقول لا يرجع الشباب بالخضاب ولا الصحة بالدواء وكان معاوية رضى الله عنه يقول أنت الزمان فان صلحت صلح وان فسدت فسد وقد قال معاوية رضى الله عنه مرة لرجل من سبأ ما كان أجهل قومك حتى ملكوا عليهم امرأة فقال له الرجل قومك أجهل فان الله تعالى لما بعث محمدا صلى الله عليه وسلم قالوا اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم هلا قالوا اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك فاهدنا له قال فسكت معاوية وفى الحديث لو كانت الدنيا تزن عند الله جناح بعوضة ما سقى كافرا منها شربة ماء وفى الحديث أيضا الدنيا دار من لا دار له ومال من لا مال له ولها يجمع من لا عقل له وعليها يعادى من لا علم له وعليها يحسد من لا فقه له وعليها يسعى من لا يقين له وكان الفضيل بن عياض رحمه الله يقول ان الله تعالى جعل الشر كله فى بيت وجعل مفتاحه حب الدنيا وجعل الخير كله فى بيت وجعل مفتاحه الزهد فى الدنيا وكان مالك بن دينار رحمه الله يقول حب الدنيا يخرج حلاوة الايمان من القلب وقد كان وهب بن منبه رحمه الله يقول من ملك الدنيا تعب ومن أحبها صار عبدا لها قليلها يكفى وكثيرها لا يغنى وكان أبو سليمان الدارانى رحمه الله يقول ليس لطالب الدنيا غاية يقف عندها كما أنه ليس لطالب الآخرة غاية وقد روى أن عيسى عليه الصلاة والسلام كان يقول لا يستقيم حب الدنيا والآخرة فى قلب كما أنه لا يستقيم جعل الماء والنار فى اناء واحد وكان أبو حازم رحمه الله يقول من أخذ الدنيا من حلها وأنفقها فى مرضاة الله عز وجل فقد أرضى ربه سبحانه وتعالى وكان يحيى بن معاذ رحمه الله يقول الدنيا حانوت الشيطان فلا تسرق من حانوته شيأ فيأتى فى طلبك فيأخذك وقد روى أنه لما مات نوح عليه الصلاة والسلام قال له جبريل عليه الصلاة والسلام يا أطول النبيين عمرا كيف وجدت الدنيا قال كدار لها بابان دخلت من أحدهما وخرجت من الآخر وكان يحيى بن معاذ رحمه الله يقول الدنيا عروس ومحبها ماشطتها والزاهد فيها يمزق شعرها ويسود وجهها ويقطع ثيابها ويكسر حليها وكان الحسن البصرى رحمه الله يقول من علامة محبة العبد لربه عز وجل أن يبغض ما أبغضه الله فمن ادعى أنه محب لله وهو يحب الدنيا فهو كاذب فى دعواه لان الله يبغضها وكان ابراهيم بن أدهم رحمه الله يقول فى دعائه اللهم يا حابس السماء أن تقع على الارض الا باذنه احبس عن ابراهيم الدنيا وكان وهب بن منبه رحمه الله يقول كنا معاشر بنى آدم نسلا من نسل الجنة فسبانا ابليس وأخرجنا منها الى دار الفناء والبوار فلا ينبغى لعاقل أن يفرح ويطمئن الا بعد عوده الى الدار التى خرج منها وقد دخل جماعة على رابعة العدوية رحمها الله فأكثروا من ذم الدنيا عندها فقالت لهم كفوا عن ذكرها فلولا موقعها من قلوبكم ما أكثرتم من ذكرها وكان مالك بن دينار رحمه الله يقول ان الجسم اذا تكامل سقمه لا ينجع فيه طعام ولا شراب وكذلك القلب اذا علق فيه حب الدنيا لا تنجع فيه المواعظ وكان الحسن البصرى رحمه الله يقول من نافسك فى دينك فنافسه ومن نافسك فى دنياك فالقها فى نحره والمنافسة المفاخرة وقد كان كعب الاحبار رضى الله عنه يقول مر عيسى عليه الصلاة والسلام يوما على رجل نائم فقال له ألا تقوم يا هذا فتعبد الله عز وجل فقال الرجل انى قد عبدته بأفضل العبادة قال عيسى وما هى قال تركت الدنيا

السالك الى حجاب من تلك الحجب الا ويظن أنه قد وصل واليه الاشارة بقوله تعالى اخبارا عن ابراهيم عليه السلام فلما جن عليه

لاهلها فقال له عيسى صدقت نم فقد فقت العابدين وكان وهب بن منبه رحمه الله يقول الدنيا جيفة فمن أراد منها شيأ فليصبر على مخالطة الكلاب له وكان مسلم النحات رحمه الله يقول والله لجراب بعر أوقد به تحت التنور أحب الى من جراب ذهب اه فاعلم ذلك يا أخى واعمل عليه ان طلبت النجاة فقد ورد فى الحديث أن بين يديكم عقبة كؤدا لا ينجو منها الا المخفون فقال رجل يا رسول الله أمن المثقلين أنا أم من المخفين فقال له النبى صلى الله عليه وسلم أعندك قوت يومك قال نعم وقوت غد يا رسول الله فقال صلى الله عليه وسلم لو كان عندك قوت بعد غد كنت من المثقلين اه فهذا ميزان الشريعة وأنت أعلم بنفسك والحمد لله رب العالمين

﴿ومن أخلاقهم رضى الله تعالى عنهم﴾ تقديمهم عمل الحرفة والصنعة التى تكفهم عن سؤال الناس على سائر نوافلهم وواجباتهم الموسعة وقد سئل الحسن البصرى رحمه الله عن رجل يحتاج الى الكسب فلو ذهب لصلاة الجماعة احتاج ذلك النهار الى سؤال الناس فقال يتكسب ويصلى منفردا وفى الحديث ان الله عز وجل علم آدم عليه الصلاة والسلام ألف حرفة وقال قل لولدك يتعلمون هذه الحرف ويأكلون بها ولا يأكلون بدينهم وفى الحديث أيضا ان روح القدس نفث فى روعى ان نفسا لن تموت حتى تستوفى رزقها وان أبطأ عنها فاتقوا الله وأجملوا فى الطلب ولا يحملنكم استبطاء الرزق على أن تطلبوه بمعصية الله فان الله لا ينال ما عنده بمعصية وكان أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه يقول لا يقعد أحدكم فى المسجد ويترك طلب الرزق ويقول اللهم ارزقنى فان ذلك خلاف السنة وقد علمتم ان السماء لا تمطر ذهبا ولا فضة وقد سئل الامام أحمد بن حنبل رضى الله عنه عن رجل جلس فى بيته أو فى المسجد وقال لا أعمل شيأ حتى يعطينى الله تعالى رزقى فقال هذا رجل جهل العلم أما سمع قول النبى صلى الله عليه وسلم جعل الله رزقى تحت ظل سيفى يعنى الغنائم (قلت) ويشهد لذلك أيضا حديث الطبرانى الذى فى الطير وانها تغدو خماصا وتروح بطانا فقد ذكر فيه انها تغدو فى طلب الرزق وقد كان الصحابة رضى الله عنهم يتجرون برا وبحرا والقدوة بهم أولى وقد قال تعالى رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله فسماهم رجالا لما قاموا فى الاسباب ولم يشتغلوا بها عن ذكر الله وهذا هو الكمال وقد روى ان عيسى عليه الصلاة والسلام مر يوما برجل جالس فقال له ما تفعل ههنا فقال أتعبد يا روح الله قال فمن يعولك قال أخى فقال له أخوك أعبد منك وفى الحديث انهم ذكروا للنبى صلى الله عليه وسلم رجلا وصاروا يثنون عليه خيرا ويذكرون من عبادته سفرا وحضرا فقال صلى الله عليه وسلم فمن كان يطعمه ويسقيه ويعلف دابته ويكفيه صنعته قالوا نحن يا رسول الله فقال صلى الله عليه وسلم كلكم خير منه وكان حذيفة رضى الله عنه يقول خيركم من عمل لآخرته ودنياه وقد كان عبد الله بن مسعود رضى الله عنه يقول انى لأكره أن أرى رجلا فارغا من أعمال الدنيا والآخرة وكان أبو قلابة رضى الله عنه يقول اذا كان الرجل فى معاشه ساعيا فهو أفضل من الجالس فى المسجد وقد كان أبو سليمان الدارانى رحمه الله يقول ليس الشأن أن تصف قدميك للعبادة وغيرك يتعب لك انما الشأن أن تحوز رغيفك فى بيتك ثم تعلقه وتصلى فلا تبالى بعد ذلك بأى داق دق الباب بخلاف من قام فى بيته يصلى وليس عنده شئ يأكله فيصير كل داق دق الباب يقول ان معه رغيفا وكان سفيان الثورى رحمه الله يقول لأصحابه عليكم بالحرفة فان عامة من أتى أبواب الامراء انما أتاهم من حاجة اه فاعلم ذلك يا أخى واعمل عليه واتبع سلفك والحمد لله رب العالمين

﴿ومن أخلاقهم رضى الله تعالى عنهم﴾ حب المساكين والتواضع لهم والنفرة من مجالسة الاغنياء من غير احتقار لهم عملا بقوله صلى الله عليه وسلم اللهم أحينى مسكينا وأمتنى مسكينا واحشرنى فى زمرة المساكين وقد كان سليمان بن داود عليهما الصلاة والسلام مع ما أوتيه من الملك اذا دخل المسجد يجالس المساكين ويقول مسكين جالس مساكين وكان عيسى عليه الصلاة والسلام يحب أن ينادى يا مسكين ولم يكن أحب اليه الا هذا الاسم وكان سفيان الثورى رحمه الله يقول يختبر عقل الرجل بما اذا جلس بجنبه على بساطه مسكين رث الهيئة بغير اذنه فان تكدر منه فهو ناقص العقل وكان الفضيل بن عياض رحمه الله يقول بلغنا أن نبيا من الانبياء عليهم الصلاة والسلام قال يا رب كيف لى أن أعلم رضاك عنى فأوحى الله تعالى اليه أن انظر رضا المساكين عنك وروى أن أبا بكر الصديق رضى الله عنه زجر جماعة من أهل الصفة فى أمر بلغه عنهم رضى الله عن الجميع فبلغ

الليل رأى كوكبا الآية وما أكثره فى هذا المقام فأول الحجب بين العبد وربه نفسه فانه أمر ربانى عظيم وهو نور من أنوار الله أعنى سر القلب

ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له لعلك يا أبا بكر أغضبتهم ان كنت أغضبتهم فقد أغضبت ربك فقال
فذهب اليهم أبو بكر وتعطف بهم وقال لعلى أغضبتكم فقالوا الا ويغفر الله لك يا أبا بكر وقد كان عبد الله بن عباس
رضى الله عنهما يقول أتباع الانبياء فى كل زمان الفقراء والمساكين دون الاغنياء والمتكبرين وقد كان رسول
الله صلى الله عليه وسلم أشد الناس تواضعا للفقراء وكان اذا جلس عندهم يضع الركبة على الركبة ويقول انما
أنا عبد أجلس كما يجلس العبد وفى الحديث من سره أن يتمثل له الناس قياما فليتبوأ مقعده من النار (قلت)
معنى الحديث كما قاله بعض العلماء أن يحب وقوف الناس بين يديه وهو جالس كما يفعل الملوك وبعض مشايخ
العجم والله أعلم وكان أنس بن مالك رضى الله عنه يقول لم يكن أحد أحب الينا من النبى صلى الله عليه وسلم وكنا
اذا ورد علينا لا نقوم له لما نعلم من كراهيته لذلك الا حسان بن ثابت رضى الله عنه كان يقوم له ولا يتمالك الصبر
عن ذلك ويقول لا يليق بمن له دين وعقل أن يراك يا رسول الله ولا يقوم وكان صلى الله عليه وسلم يقره على ذلك
وقد كان أبو الدرداء رضى الله عنه يقول لا يزداد عبد يمشى الناس معه الا بعدا من الله تعالى وفى رواية لا يزداد
العبد بالمشى خلفه من الله تعالى الا بعدا وقد قيل ليونس بن عبيد رحمه الله لما انصرف من الموقف بعرفة كيف
كان الناس قال بخير الا انى كنت فيهم ولولا ان الله تعالى لطف بهم لما أنزل عليهم رحمة بسببى وكان زياد النميرى
رحمه الله يقول الزاهد بغير تواضع كالشجرة التى لا تثمر وكان عبد العزيز بن أبى رواد رحمه الله يقول والله لا أعرف
على وجه الارض الآن رجلا أشر منى وكان عمر بن عبد العزيز رحمه الله يخدم الضيوف بنفسه ويقول يصلح
المصباح فاذا قيل له فى ذلك يقول قمت وأنا عمر وجلست وأنا عمر وكان ميمون بن مهران رحمه الله تعالى اذا دعى
الى وليمة يجلس بين المساكين ويجلس الاوانى معهم قال وثارت ريح حمراء فسألوا عبد الله بن مقاتل رحمه الله ان
يدعو الهم فقال ياليتنى لا أكون سببا لهلاككم قال فرأى بعضهم النبى صلى الله عليه وسلم تلك الليلة فى منامه وقال
له ان الله تعالى دفع عنكم شر ذلك الريح بدعاء عبد الله بن مقاتل حين هضم نفسه وقد صلى بشر بن منصور رحمه
الله تعالى مرة وأطال فيها وكان ذا خشوع وكان خلفه رجل لم يعلم به فلما سلم من صلاته قال له يا أخى لا يعجبنك
ما رأيت منى فان ابليس قد عبد الله تعالى مع الملائكة آلافا من السنين ثم صار الى ما تعلم وكان الفضيل بن
عياض رحمه الله يقول لقد أدركنا الناس وهم ينفرون من مجالسة الاغنياء ومن مجالسة كل غافل عن الله تعالى
وقد كان أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه يقول لا تدخلوا على هؤلاء الذين يجمعون الدنيا ولا
ينفقونها فى سبيل الله تعالى فان ذلك مسخطة للرب عز وجل وربما ازدرى أحدكم ما هو فيه من النعم برؤية
أمتعتهم وكان الفضيل بن عياض رحمه الله يقول كم من عالم يدخل على السلطان ومعه دينه فيخرج وليس معه
من دينه شئ والعياذ بالله تعالى وكان عبد الله بن المبارك رحمه الله يقول التعزز على الاغنياء تواضع وقد كان
حذيفة رضى الله عنه يقول اتقوا الوقوف على أبواب السلاطين فانها مواضع الفتن وكان أبو الدرداء رضى الله
عنه يقول ما أنصفنا اخواننا الاغنياء يقول لى أحدهم انى أحبك فى الله يا أبا الدرداء فاذا طلبت من أحدهم
شيأ من الدنيا فارقنى وهرب ويكفينا من الاغنياء فى الشرف فرارهم الينا عند الشدائد وعدم فرارنا نحن اليهم
وقد كان سعيد بن المسيب رحمه الله يتجر فى الزيت ويقول ان فى هذا الغنى عن الوقوف على أبواب الامراء وكان
ميمون بن مهران رحمه الله يقول صحبة السلطان خطر عظيم فانك ان أطعته خاطرت بدينك وان عصيته
خاطرت بنفسك فالسلامة ان لا تعرفه ولا يعرفك ولما خالط الزهرى السلطان كتب اليه مالك بن دينار يقول
عافانا الله يا أخى مما وقعت أنت فيه من الفتن بعد أن كنت شيخا عالما ختمت عمرك بصحبة الظالمين وصرت
تحاجج عنهم اذا أنكر أحد عليهم ولو لم يكن فى قربك منهم الا انك آنستهم وطردت وحشتهم لكفاك ذلك من
الاثم ثم ان مالكا هجره الى ان مات اه فاعلم يا أخى ذلك واياك ومجالسة الاغنياء وأبناء الدنيا الا لضرورة
شرعية يسوغ لك معها ذلك والحمد لله رب العالمين

﴿ومن أخلاقهم رضى الله عنهم﴾ محبة المال للانفاق لا للامساك وتقديمهم الخوف من الحاجة الى الناس
على خوف الحساب من جهة ذلك المال الذى ربما دخلته الشبهة وقد كان سفيان الثورى رحمه الله يقول لان
أخلف بعدى أربعين ألف دينار أسأل عنها يوم القيامة أحب الىّ من أن أقف على باب أحد أسأله حاجتى وفى

الذى تتجلى فيه حقيقة الحق
كما هى حتى انه ليشع بجمله
العالم كله ويحيط به صور
الكل فعنده يشرق نوره
اشراقا عظيما اذ يظهر فيه

حكمة لقمان عليه السلام قال لابنه يابنى استغن بالكسب الحلال عن الفقر فانه ما افتقر أحد الا وأصابته ثلاث
خصال الاولى رقة الدين والثانية ضعف العقل والثالثة ذهاب المروءة وهى أعظمها وأعظم من هؤلاء الثلاثة
استخفاف الناس به وكان سفيان الثورى رحمه الله يقول حفظك لما فى يدك لتقضى به حاجتك أولى من
تصدقك به وطلبك لما فى يد غيرك فان العبد لا يزال بخير ما حفظ خصلتين درهمه لمعاشه ودينه لمعاده وكان
قيس بن عاصم مع شدة زهده وورعه رحمه الله يقول لبنيه عليكم بجمع المال الحلال فانه يسر الصديق ويكمد
العدو وتستغنون به عن سؤال الناس لاسيما اللئيم واياكم وسؤال الناس فانه كسب العاجزين اه وكان
الفضيل بن عياض رحمه الله يقول لقد أدركنا الناس وهم يبيعون فى السوق وعلى أحدهم الزحام من الناس
فاذا سمع الاذان للصلاة نهض مسرعا وترك البيع وأما أهل زماننا فان نفق السوق أخروا الصلاة وان كسد
ندموا وكان أبو قلابة رضى الله عنه يقول عليكم بملازمة السوق والصنعة فانكم لن تزالوا كرماء على اخوانكم
ما لم تحتاجوا اليهم وقد وقف سائل مرة على باب مالك بن دينار رحمه الله فخرج اليه برغيف فأعطاه له فقال له
زدنى فأعطاه آخر فلم يزل يسأل ويستزيد ومالك يعطيه حتى أخرج اليه جميع ما عنده فى البيت حتى الأوانى
والفرش وغير ذلك فقال له زدنى فقال مالك والله يا أخى لم يبق عندى شئ الا أن تأخذنى وتبيعنى وتقبض ثمنى
قال فتركه السائل وذهب ولم يأخذ شيأ مما أعطاه له قال بعضهم ويقال انه كان ملكا جاء ليختبره وقد كان
عيسى عليه الصلاة والسلام يقول من رد سائلا خائبا لم تغش الملائكة بيته سبعة أيام عقوبة له (قلت) ومحل ذلك
ما اذا رده مع القدرة وأما العاجز فلا والله أعلم وقد سئل سحنون رحمه الله عن الرجل يسأله السائل فيخرج له
بصدقته فيجده قد ذهب فماذا يفعل بتلك الصدقة فقال أحب ان يتصدق بها على غيره وان أعادها الى ماله
فلا بأس اه فاعلم ذلك يا أخى أنفق كل ما دخل فى يدك وفضل عن حاجتك ولا تدخر شيأ الا على اسم غيرك
من العائلة ونحوهم والحمد لله رب العالمين

﴿ومن أخلاقهم رضى الله تعالى عنهم﴾ كثرة الصدقة ليلا ونهارا بكل ما فضل عن حاجتهم بشرط الحل فى
ذلك كما تقدم مرارا فقد ورد فى الحديث ولا يكسب عبد مالا من حرام فيتصدق به فيقبل منه ولا يتركه خلف
ظهره الا كان زاده الى النار وقد كان سيدى على الخواص رحمه الله يقول ترك قبول الشبهات وعدم التصدق
بها أولى وهذا الخلق قد كثر تخلق الفقراء به فى هذا الزمان فيأخذ أحدهم الشبهات ويتصدق بها أو يعمل منها
موالد ويطعم الناس تألفا لقلوبهم أو لتعظم له عليهم الرياسة وبعضهم يقبل الشبهات على اسم الفقراء
ويأكلها وحده وهذا أقبح حالا من الاول وقد حث رسول الله صلى الله عليه وسلم على الصدقة وقال اتقوا النار
ولو بشق تمرة فمن لم يجد فبكلمة طيبة ومعلوم ان الصدقة من الشبهات لا تقى صاحبها من النار وقد كانت عائشة
رضى الله عنها تقول قال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم يا عائشة اذا طبختم قدرا فأكثروا من مرقتها وتعاهدوا
الجيران وكذلك قال صلى الله عليه وسلم لابى الدرداء رضى الله عنه يا أبا الدرداء اذا صنعت طعاما فأكثر المرق
وتعاهد جيرانك وقد تصدقت عائشة رضى الله عنها بسبعين ألف درهم وان درعها لمرقع وكان مجاهد رحمه الله
يقول لا يتصدق أحدكم الا بما يشتهيه فان الله تبارك وتعالى يقول ويطعمون الطعام على حبه أى وهم يشتهونه
وكان أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه يقول اللهم اجعل الفضل عند خيارنا لعلهم يعودون على
أولى الحاجة منا وكان عمر بن عبد العزيز رحمه الله يقول تصدقوا فانه بلغنا أن الصلاة تبلغ العبد نصف
الطريق والصوم يبلغه باب الملك والصدقة تدخله على الملك وفى الحديث أن عابدا عبد الله سبعين سنة ثم
أصاب فاحشة فأحبط عمله بها ثم نزل يغتسل فمر به مسكين فتصدق عليه برغيف فغفر الله له ذنبه ورد عليه عمله
وفى الحديث أيضا باكروا بالصدقة فان البلاء لا يتجاوزها وقد كان الصحابة رضى الله عنهم لا يخرجون لصلاة
الصبح الا بشئ يتصدقون به على أول مسكين يلقونه ولو بلقمة أو بصلة أو زبيبة وكان يحيى بن معاذ رحمه الله
يقول ما أعرف حبة توزن بجبال الدنيا الا حبة الصدقة وكان ابراهيم النخعى رحمه الله يقول تصدقوا بالسليم فانه
لا ينبغى أن يكون فيما يخرجه المرء لله تعالى عيب أو نقص وقد سئل الامام مالك رضى الله عنه عن شرب الاغنياء
من الماء الذى يسبل فى المسجد فقال لا بأس به لانه انما جعل للعطشان كائنا ما كان ولم يرد صاحبه تخصيص أهل

الوجود كله على ما هو عليه
وهو فى أول الامر محجوب
بمشكاة هى الساترة له فاذا
تجلى نوره وانكشف جمال

الحاجة به وكان الفضيل بن عياض رحمه الله يقول اكتسبوا من الحلال وتصدقوا منه فان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من لم يبال من أين اكتسب المال لم يبال الله به من أين يدخله النار اه وفى الحديث من أصاب مالا من مأثم فوصل به رحما أو تصدق به أو أنفقه فى سبيل الله جمع له ذلك جميعا ثم قذف به فى نار جهنم وقد كانت عائشة رضى الله عنها تقول انكم لتغفلون عن الورع وهو أفضل العبادة وقد كان عبد الله بن عمر رضى الله عنهما يقول لو صليتم حتى تكونوا كالحنايا وصمتم حتى تكونوا كالاوتار ما تقبل الله تعالى ذلك منكم الا بورع حاجز وكان ابراهيم بن أدهم رحمه الله يقول ما أدرك من أدرك من القوم الا لكونه يعقل ما يدخل جوفه يعنى رغيفه من الحلال وكان الفضيل بن عياض رحمه الله يقول من عرف كل ما يدخل فى جوفه كتب عند الله صديقا ومن لم يصحبه الورع فى فقره أكل الحرام المحض ولا يشعر وكان بشر الحافى رحمه الله يقول الورع هو ترك التأويل وترك الاخذ بالرخص عند الضرورات وكان يونس بن عبيد رحمه الله يقول لو أنا نجد درهما من حلال لكنا نشترى به قمحا ونطحنه ونحوزه عندنا فكل من عجز الاطباء عن مداواته داويناه به فخلص من مرضه لوقته وكان مسعر بن كدام رضى الله عنه يقول ما أعلم اليوم فى زماننا هذا حلالا الا ما يشرب به الرجل من النهر بكفه وكان عبد الله بن عباس رضى الله عنهما يقول كسب الحلال أشد من نقل جبل الى جبل وكان وهيب بن الورد رحمه الله يقول لو قام أحدكم حتى صار مثل هذه السارية ما تقبل الله منه ذلك حتى يعلم ما يدخل فى جوفه وكان سفيان الثورى رحمه الله يقول من تصدق من حرام أو أنفقه فى طاعة فهو كمن يطهر ثوبه بالبول وكان يقول لا تكفر الصدقة شيأ من الذنوب الا ان كانت من حلال وكان عبد الله بن عباس رضى الله عنهما يقول لا يقبل الله صلاة أحدكم وفى جوفه شئ من الحرام وقد أقام ابراهيم بالشام أربعا وعشرين سنة لاجل طلب القوت الحلال ولم يقم لجهاد ولا غيره وكانت اقامته فى جبل لبنان فكان يأكل من فواكهه المباحة التى لم تدخل فى ملك أحد من الخلق رحمه الله وكان بشر الحافى يقول بلغنا ان معبدا رحمه الله ترب مرة كتابا من حائط جاره بغير اذنه فرأى تلك الليلة فى منامه قائلا يقول له سيعلم المستخف بالتراب ما يلقاه غدا من سوء الحساب وقد كان السلف يسافرون لتعلم الورع كما يسافرون لطلب العلم والحج رضى الله عنهم فاعلم ذلك يا أخى ودقق فى الورع وهيهات أن تصل الى شبهات السلف الصالح والحمد لله رب العالمين

﴿ومن أخلاقهم رضى الله عنهم﴾ عدم حبهم للرياسة فى شئ من أمور الدنيا لما فيها من كثرة الآفات وقد كان الفضيل بن عياض رحمه الله يقول ما أحب أحد الرياسة على الناس الا أحب ذكر عيوب الناس ونقائصهم وكره ذكرهم بخير لتتم له الرياسة عليهم وكان محل ذلك فيمن طلب الرياسة بغير حق أما الطالب بالله فلا وكان يقول من أحب الرياسة على الناس لم يرتفع أبدا وكان الامام الشافعى رضى الله عنه يقول من طلب الرياسة قبل حينها فرت منه ومن تركها تبعته وكان يحيى بن الحسين رضى الله عنه يقول سمعت سفيان الثورى يقول من طلب الرياسة قبل وقتها فاته علم كثير وتقدم بسط الكلام على الرياسة فى هذا الكتاب فراجعه والحمد لله رب العالمين

﴿ومن أخلاقهم رضى الله تعالى عنهم﴾ سرورهم بالفقر وضيق المعيشة وغمهم بالغنى اذا أقبل وهذا الخلق لا يوجد اليوم الا فى بعض أفراد من الفقراء الذين صدقوا فى محبة رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد أدركت بحمد الله تعالى جماعة من أشياخ مصر كانوا رضى الله عنهم ينشرحون للفقر وضيق المعيشة ويكثرون من الحمد والشكر على ذلك منهم شيخنا سيدى على الخواص وسيدى الشيخ محمد بن عنان وسيدى محمد المنير والشيخ محمد العدل وغيرهم ولهذا الخلق لذة عظيمة أشد من لذة الغنى كما ذقنا ذلك ولله الحمد ولكن لا تحصل تلك اللذة الا لمن كمل زهده فى الدنيا كما تقدم بسطه مرارا وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم رأس الزاهدين وكان يقول اللهم اجعل رزق آل محمد قوتا وفى رواية كفافا وهو الذى لا يفضل عن غدائهم ولا عشائهم شئ منه وفى الحديث من أصبح آمنا فى سربه أى نفسه معافى فى جسمه عنده قوت يومه فكأنه حيزت له الدنيا بحذافيرها وقد قيل مرة لمحمد بن واسع رحمه الله ألا تأت السلطان فتسأله شيأ تأكله فانا نخاف عليك أن تموت مهزولا فقال لان ألقى الله تعالى مؤمنا مهزولا خير لى من أن ألقاه منافقا سمينا وقيل مرة لابراهيم بن أدهم رحمه الله بم نلت هذه الحكمة التى نراك تنطق بها فقال ببدن عار وقلب خائف وبطن جائع وفى رواية قال نلتها بقلة الاكل وقلة

القلب بعد اشراق نور الله عليه ربما التفت صاحب القلب الى القلب فرأى من جماله الفائق ما يدهشه

النوم وقلة الكلام وعدم ادخار شئ لغد وقد سئل ذو النون المصرى رحمه الله من أقرب الناس الى الوقوع فى الكفر فقال شخص ذو فاقة وعيال ولا صبر له (قلت) ووقوع مثل هذا فى الكفر يكون بالالفاظ التى ظاهرها السخط على مقدور الله تعالى والله أعلم وكان أبو الدرداء رضى الله عنه يقول صاحب الدرهمين أشد حبا للدنيا من صاحب الدرهم الواحد وكان الفضيل بن عياض رحمه الله يقول ان افتقر أحدكم فلا يجعل فقره بينه وبين الناس وليجعله فيما بينه وبين الله لئلا يهون فى أعين الناس ولو كشف الله الحجاب عن قلب العبد اذا ضيق عليه المعيشة ورأى ما أعد الله تعالى له فى الجنة لسأله أن يزيده من الضيق فى الدنيا وقد جاء رجل الى ابراهيم بن أدهم رحمه الله بعشرة آلاف درهم فلم يقبلها منه وقال له تريد أن تمحو اسمى من ديوان الفقراء بدراهمك هذه وتحبسنى عن دخول الجنة قبل الاغنياء بخمسمائة عام اذهب عافاك الله تعالى وقد روى أن الله تعالى أوحى الى موسى عليه الصلاة والسلام يا موسى اذا رأيت الدنيا مقبلة عليك فقل ذنب عجلت لى عقوبته وكان أبو هريرة رضى الله عنه يقول ثلاثة يدخلون الجنة بغير حساب رجل أراد أن يغسل ثوبه فلم يجد له خلقة يلبسها ورجل لم ينصب على مستوقد قدرين ورجل طلب شرابه فلا يقال له أيهما تريد وكان الفضيل بن عياض رحمه الله يقول رأيت فى منامى محمد بن واسع ويوسف بن أسباط رحمهما الله واقفين على باب الجنة فنظرت أيهما يدخل أولا فاذا هو يوسف بن أسباط فقلت للملك كان هناك لم دخل هذا قبل هذا فقال لانه كان له قميص واحد وكان لهذا قميصان اه وقد وقع مرة حريق بالبصرة فخرج الناس بما لهم من الامتعة وخرج مالك بن دينار رحمه الله ومصحفه معلق فى عنقه وقال هكذا نخرج من قبورنا غدا وقد كان عبد الله بن عباس رضى الله عنهما يقول من أكرم الغنى وأهان الفقير فهو ملعون فان حب الفقراء من أخلاق المرسلين والفرار من صحبتهم من صفات المنافقين وكان ابراهيم بن أدهم رحمه الله يقول كان الفقراء فى مجلس سفيان الثورى رحمه الله كالامراء وقد جاءه مرة رجل فقير فجلس بعيدا عنه فقال له تقرب يا أخى فلو كنت غنيا ما قربتك وكان أبو حازم رحمه الله يقول من خاف من الفقر لم يرفع له عمل الى السماء لانه ما خاف الفقر الا لتهمته لربه عز وجل والمتهم لله عدو الله وفى الحديث جاهدوا أنفسكم بالجوع والعطش فان الاجر فى ذلك كأجر المجاهد فى سبيل الله وفى الحديث لا تميتوا القلب بالطعام والشراب فان القلب كالزرع يموت اذا كثر عليه الماء وفى الحديث أيضا أذيبوا طعامكم بذكر الله وفى رواية والصلاة ولا تناموا عليه يعنى من غير ذكر فتقسوا قلوبكم وفى الحديث شرار أمتى الذين يأكلون مخ الحنطة وكان أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه يقول اياكم والبطنة فانها ثقل فى الحياة ونتن فى الممات وكان شقيق البلخى رحمه الله يقول آلة العبادة الجوع فان المعدة اذا امتلأت قعدت الاعضاء عن العبادة وكان فتح الموصلى رحمه الله اذا اشتد به المرض والجوع يفرح بذلك ويكثر من الشكر وكان مالك ابن دينار رحمه الله يقول قلت لمحمد بن واسع رحمه الله طوبى لمن كان له قوت يغنيه عن الناس فقال لى طوبى لمن أصبح جائعا وأمسى جائعا وهو راض عن ربه عز وجل ثم أخرج خبزا يابسا فبله بالماء وأكله بالملح وقال من رضى من الدنيا بهذا فلا يحتاج الى الناس اه فاعلم ذلك يا أخى واقتد بسلفك الصالح والحمد لله رب العالمين

﴿ومن أخلاقهم رضى الله تعالى عنهم﴾ كثرة الحزن على تفريطهم فى جنب الله لا سيما عند رؤيتهم القبور وتذكرهم أهوال يوم القيامة وخوفهم من الفتنة ما داموا فى هذه الدار وفى الحديث لا تقوم الساعة حتى يمر الرجل بقبر الرجل فيقول ليتنى كنت مكان صاحب هذا القبر اه فخاف القوم أن يدركوا ذلك الزمان فلا يصح لهم فيه صبر ويقع منهم سخط فيهلكوا قال ولما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم قبر أمه بكى فقيل له فى ذلك فقال أخذنى ما يأخذ الولد من الرقة وكان صلى الله عليه وسلم قد استأذن ربه فى أن يستغفر لها فلم يأذن له (قلت) قد نقل الحافظ الجلال السيوطى رحمه الله وغيره من الحفاظ احياء أبوى النبى صلى الله عليه وسلم حتى آمنا به ثم رجعا الى القبر وكان أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضى الله عنه اذا مر بقبر بكى حتى يبل لحيته وقد مر عمرو ابن العاص رضى الله عنه يوما على مقبرة فنزل وصلى ركعتين قريبا من القبور فسئل عن ذلك فقال انى رأيتهم قد حيل بينهم وبين الصلاة فأحببت أن أتقرب بينهم بركعتين استغناما للعمر وقد كان مجاهد رحمه الله يقول أول من يكلم الميت حفرته فتقول له أنا بيت الغربة أنا بيت الظلمة أنا بيت الدود هذا ما أعددته لك فأين ما أعددت لى

فربما صرح وقال أنا الحق فان لم يتضح له ما وراء ذلك ووقف عنده هلك ولهذا المعنى نظر النصارى الى

وقدكان الحسن البصرى رحمه الله يقول لما مات هرم بن حيان رضى الله عنه جاءت سحابة فظللت على
سريره فلما واروه رشت على قبره حتى ساح الماء ولم ينزل على ما حول قبره قطرة وكان أبوذر رضى الله عنه
يقول ألا أخبركم بيوم فقرى يوم أوضع فى قبرى وكان أبوالدرداء رضى الله عنه يقعد بين القبور كثيرا فسئل عن
ذلك فقال انهم يذكرونى معادى واذا قمت وفارقتهم لم يغتابونى وكان جعفر بن محمد رضى الله عنهما يأتى المقابر
ويناديهم فلا يجيبونه فيقول لنفسه يا جعفر كأنك قد صرت مثلهم لا تجيب المنادى ثم يصف قدميه للصلاة فلا
يزال كذلك الى الفجر وفى الحديث ما من ليلة الا ومناد ينادى يا أهل القبور من تغبطون اليوم فيقولون نغبط
أهل المساجد لانهم يصومون ولا نصوم ويصلون ولا نصلى ويذكرون الله تعالى ولا نذكره وكان عطاء السلمى
رحمه الله اذا جنه الليل يخرج الى المقابر فلا يزال يناجيهم الى الفجر وكان أحمد بن حرب رحمه الله يقول ان الارض
لتعجب من رجل يمهد فراشه للنوم فى دار الدنيا وتقول له الا تذكر طول رقادك فى بطنى من غير أن يكون بينى
وبينك فراش وكان ثابت البنانى رحمه الله يقول دخلت المقابر فلما أردت الخروج منها اذا أنا بصوت حزين
يقول يا ثابت لا يغرنك صموت أهلها فكم من نفس معذبة فيها وقد وقف محمد بن سليمان على قبر ابنه رحمهما الله
وقال اللهم انى أصبحت أرجوك له وأخاف عليه كما أخاف على نفسى فحقق رجائى فيك يا أرحم الراحمين اه وقد
وقف أبوسنان على قبر ولده رحمهما الله فقال اللهم انى قد عفوت عنه وغفرت له ما وجب لى عليه فأسألك أن تغفر
له ما وجب لك عليه يا كريم وكان مالك بن دينار رحمه الله يقول رأيت محمد بن يسار بعد موته رحمه الله فقلت له
ماذا فعل الله تعالى بك فدمعت عيناه وقال رأيت والله أهوالا وزلازل عظاما شدادا ثم خر مالك مغشيا عليه
وكان يقع له ذلك كلما حكى هذه الحكاية ثم حكاها يوما فغشى عليه ومرض ثم مات بعد ثلاثة أيام رحمه الله ولما مات
منصور بن عمار رحمه الله رآه بعض أصحابه فى المنام فسأله عن حاله وما فعل الله تعالى به فقال قال لى عز وجل
يا منصور قد غفرت لك على تخليط كثير كان منك لانك كنت تحرض الناس على كثرة ذكرى وقدكان الحرث
المحاسبى رحمه الله لا يزال يذكر أهوال يوم القيامة ويقول لاصحابه اجعلوا الاهوال التى بين أيديكم على بالكم لعل
أن تتوبوا عن المعاصى قبل موتكم فانه ما من أحد يعصى ربه عز وجل الا وهو ناس للحساب ومقاساة الاهوال
وانى أحذركم وأحذر نفسى من يوم آلى الله فيه على نفسه أن لا يترك عبدا حتى يسأله عن عمله كله دقيقه وجليله
سره وعلانيته فانظروا بأى بدن تقفون بين يديه مع هول ذلك الموقف وبأى لسان تجيبون فأعدوا للسؤال
جوابا وللجواب صوابا وكان يحيى بن معاذ رحمه الله يقول كم من فضيحة يكشفها الحساب غدا وكان أبى بن كعب
رضى الله عنه يقول يؤتى بالنار يوم القيامة تقاد بسبعين ألف زمام على صورة الجاموس يقود كل زمام منها
سبعون ألف ملك مغلقة أبوابها عليها ملائكة سود معهم السلاسل الطوال والانكال الثقال وسرابيل
القطران ومقطعات النيران لاعينهم لمعان كلمع البرق الخاطف ولوجوههم لهب كالنار شاخصة أبصارهم
لا ينظرون الى ذى العرش جل جلاله تعظيما له فاذا أدنيت النار وكان بينها وبين الخلائق خمسمائة عام زفرت
زفرة فلا يبقى أحد الا جثا على ركبتيه وأخذته الرعدة فصار قلبه معلقا الى حنجرته لا يخرج ولا يرجع الى مكانه
وذلك قول الله تعالى اذ القلوب لدى الحناجر كاظمين وينادى ابراهيم الخليل وغيره من الانبياء اللهم لا تهلك
عبادك بخطيآتنا ثم توضع النار عن يسار العرش ثم يؤتى بالميزان فيوضع بين يدى الجبار جل جلاله ثم يدعى
الخلائق للحساب فلو أن للرجل مثل عمل سبعين نبيا ما ظن أنه ينجو من شدة ذلك اليوم ومكث عتبة الغلام
يأكل الخبز بالماء ثلاثين سنة وكان يأتدم فى بعض الاحيان بالملح أو البقل أو الخل وكان يعجن عجينه ويقرصه فى
الشمس فاذا جمد أكله ويقول المراد بالاكل أن يردعنى كلب الجوع وكان يحيى بن معاذ يقول جوع الصديقين
كرامة لهم وجوع الزاهدين جوع حكمة وكان أبوسليمان الدارانى يقول الجوع عند الله فى خزائنه لا يعطيه الا
لمن أحب وكان يقول أحلى ما تكون العبادة لى اذا التصق بطنى على ظهرى وكان يقول لان أترك لقمة من عشائى
أحب الى من قيام ليلة الى الصباح وكان وهب بن منبه رضى الله عنه يقول التقى ملكان فى السماء الرابعة فقال
أحدهما للآخر من أين أتيت فقال أمرت بسوق حوت فى البحر الى فلان اليهودى ليأكله فقال الآخر ومن
أين جئت قال أريق زيتا اشتهاه محمد العابد خوفا أن يأكله فينقص من حظه فى الآخرة وفى الحديث طوبى

المسيح عليه السلام لما رأوا
من اشراق نور الله عليه
فغلطوا كمن رأى كوكبا فى
مرآة أوفى ماء فيظن أن

لمن هدى للاسلام وكان عيشه كفافا وقنع * ورأى بعض الملوك فقيرا جلس فى ظل قصره فأكل كسرة
يابسة بلها بالماء ثم شرب ونام فلما استيقظ طلبه السلطان وقال لم أكلت الكسرة وشربت الماء عليها ونمت كنت
راضيا عن ربك فقال نعم فدارت الكلمة فيه ثم خرج من ملكه ولبس المسوح وخرج سائحا ومر رجل بعامر بن
قيس وهو يأكل ملحا وبقلا فقال له يا قيس رضيت من الدنيا بهذا فقال نعم ولكن أدلك على من رضى بأيسر من
هذا فقال نعم فقال من رضى بالدنيا عن الآخرة وكان محمد بن واسع يخرج خبزا يابسا ويبله بالماء والملح ويأكله
ويقول من رضى من الدنيا بهذا لا يحتاج الى الناس * ودق هرون الرشيد باب الفضيل بن عياض بمكة لما حج
هرون فلم يفتح له فقال جعفر البرمكى افتح لرجل يجب عليك طاعته فعلم الفضيل أنه الرشيد ففتح له فتحادثا
طويلا ثم أمر له بعشرة آلاف دينار فلم يقبلها الفضيل فقال له فرقها على المساكين فقال من جمعها فهو أحق
بتفرقتها ثم غافله وهرب وترك الرشيد فى البيت فما ظهر الفضيل حتى خرج الرشيد من مكة * وتقدم قول
سفيان الثورى تعففوا عن الاكل من أطعمة الناس جهدكم فانه ما وضع رجل يده فى قصعة رجل الا ذل له اه
وكان يزيد الرقاشى اذا وقع بصره على قبر يصرخ كما يصرخ الثور وكان حاتم الاصم يقول من مر بالمقابر ولم
يتفكر فى نفسه ولم يدع لنفسه ولهم فقد خان نفسه وخانهم وكان كرز بن وبرة اذا رأى قبرا بكى وقال ليت أمى
كانت عقيما فان لولدها فى القبر حبسا طويلا ومن بعد ذلك أهوالا عظاما يشيب منها الاطفال وكان الحسن بن
صالح اذا رأى القبور يقول ما أحسن ظواهركم وانما الدواهى فى بواطنكم وكان شقيق البلخى يقول القبر
روضة من رياض الجنة على من كان يذكره وحفرة من حفر النار على من نسيه وحفر الربيع بن خثيم قبرا فى
داره فكان كلما وجد فى قلبه قساوة ينزل فيه ويتفكر فى أمره وما يلاقيه من أهوال يوم القيامة فلا يزال كذلك
حتى يصبح وينزل فيه مرة وصار يردد قوله تعالى قال رب ارجعون لعلى أعمل صالحا قال يا ربيع قد ارتجعناك
وها أنت فى الدنيا فقم للصلاة فيقوم * وخرج الحسن البصرى فى جنازة امرأة الفرزدق الشاعر فقال الحسن
للفرزدق ماذا أعددت لهذا اليوم فقال أعددت له شهادة أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله منذ ستين سنة
فقال أفلحت يا فرزدق ان مت عليها وجاء حوشب بن مالك الى مالك بن دينار فقال انى رأيت البارحة كان
مناديا ينادى أيها الناس الرحيل الرحيل فما رأيت أحدا ارتحل سريعا سوى محمد بن واسع فصاح مالك صيحة
وخر مغشيا عليه وكان سفيان بن عيينة يقول مات أخ لى فرأيته بعد موته فقلت له ما فعل الله بك فقال غفر لى كل
ذنب استغفرته منه وما لم أستغفره منه لم يغفره لى وكان صالح بن بشر يقول رأيت عطاء السلمى بعد موته فقلت
له يرحمك الله لقد كنت طويل الحزن فى دار الدنيا فما فعل الله بك فقال أعقبنى ذلك الحزن راحة طويلة وفرحا
شديدا قال ورأيت الفضيل بن عياض بعد موته فقلت له ما فعل الله بك فقال لم أر شيئا أفضل من تأدية الفرائض
فعليكم بها وكان عبد الله بن مسعود رضى الله عنه يقول انى لاود أن حسناتى تفضل على سيآتى ولو مثقال ذرة
ولو أنهم أوقفونى بين الجنة والنار وقالوا الى تمن ما تريد لتمنيت أن أكون ترابا وقدكان الفضيل بن عياض رحمه
الله يقول لو أنى خيرت بين أن أبعث وأحاسب ثم أدخل الجنة بعد ذلك لاخترت أن لا أبعث وكان أبوذر رضى الله
عنه يقول ان خوف الحساب لم يترك على بدنى لحما وقدكان أبوهريرة رضى الله عنه يقول اذا سيق العصاة الى
جهنم وهم عطاش فأول ما يتحفون فى النار بسم العقارب والحيات فتذوب أبدانهم والعياذ بالله تعالى وقدكان
عبد الله بن عباس رضى الله عنهما يقول فى قوله تعالى ليس لهم طعام الا من ضريع انه الشوك اليابس الذى
يقف فى حلوقهم وكان عبد الله بن المبارك رحمه الله يقول يرسل الله تعالى على العصاة البكاء فلو أن السفن
أجريت فى دموعهم لجرت وقد تقدم أن عيسى عليه الصلاة والسلام كان يقول كم من وجه صبيح ولسان فصيح
بين أطباق الثرى يصيح انتهى وأقاويل السلف فى الخوف كثيرة والحمد لله رب العالمين

﴿ومن أخلاقهم رضى الله تعالى عنهم﴾ كثرة استشهادهم فى تربية المريدين بما أدب الله تعالى به عباده
المقربين من الانبياء والمرسلين عليهم الصلاة والسلام والاولياء والصلحاء رضى الله عنهم فى الكتب السالفة
وذلك ليعلم المريدون أن تقوى الله تعالى لم يزل مأمورا بها فى كل شريعة وقدكان شيخنا سيدى على الخواص
رحمه الله كثيرا استشهاده لشريعتنا بما فى الزبور من القوارع والزواجر وكثيرا ما يخاطب الله تعالى فيه نبيه داود

الكوكب فى المرآة أوفى
الماء فيمد يده اليه ليأخذه
فهو مغرور وأنواع الغرور
فى طريق السلوك الى الله

لئن أشركت ليحبطن عملك ويا أيها النبى اتق الله ونحو ذلك فكان الشيخ رحمه الله يقول لنا اياكم أن تجالسوا المغتابين أو تصاحبوا النمامين فقد أوحى الله تعالى الى داود عليه الصلاة والسلام يا داود طوبى لمن لا يقف فى مواقف الخطائين ولا يجلس فى مجالس المستهزئين ولا يجالس المغتابين ولا يصاحب النمامين يا داود من ذكر عيوب الناس أوهم أن يذكر عيوبهم فضحته على رؤس الاشهاد يوم القيامة يا داود من غض طرفه وصان فرجه وحفظ لسانه فهو عندى من المقربين وقد سمعته رحمه الله يقول لبعض العلماء يا أخى عليك بالامر بالمعروف والنهى عن المنكر فان ذلك من زكاة العلم فقد أوحى الله تعالى الى داود عليه الصلاة والسلام يا داود اذا ترك العلماء الامر بالمعروف والنهى عن المنكر ذهبت الهيبة منهم وصارت فى السفهاء والاشرار طوبى للمنفردين عن الناس الصامتين عن عيوبهم طوبى لمن ترك فراشه فى الليل وقام يناجينى فى شدة البرد والناس نائمون تحت لحفهم طوبى لقوم عظمونى ولم ينظروا الى الفروج الحرام خوفا منى يا داود أهون ما أنا صانع بالزناة أن أذهب بهجة النضارة من وجوههم وأمحق بركة عمرهم يا داود قل لبنى اسرائيل تغفلون عنى والاقلام جارية لا تغفل وقل للذين أغلقوا أبوابهم وأرخوا ستورهم عند المعاصى انى لو شئت أهلكتهم وخسفت بهم الارض يا داود قل لبنى اسرائيل يخافونى ألبس وجوههم الهيبة والقبول وأجعل عدوهم تحت قدمهم كالكبش تحت السكين يا داود علامة من أحببته أن يقل كلامه ويكثر استغفاره يا داود غض طرفك عن حرم المؤمنين تأتك الدنيا وهى راغمة يا داود قد أحاط سخطى بالزناة الذين يفسدون حرم المؤمنين يا داود قل لبنى اسرائيل لا يعصونى سرا ويجعلونى فى أعينهم أهون من عبادى فانى أعذبهم بالنار (وقد سمعته) رحمه الله كثيرا يقول ربما كانت النعم على العبيد استدراجا لهم فقد أوحى الله تعالى الى داود عليه الصلاة والسلام يا داود قل للعقلاء يخافون منى اذا ترادفت عليهم نعمتى ويكثرون من النوح كلما زادت عليهم النعم فان ذلك استدراج لهم ولو أنى أحببتهم لجردتهم عن الدنيا يا داود كن لليتيم كالاب الشفيق أكثر رزقك وأكفر ذنبك يا داود ما عظمنى من عصانى يا داود اذا مرت بك امرأة جميلة فاذكر عرضك على يوم القيامة يا داود من لقينى وهو راعى غيرى سقط من رعايتى يا داود غض طرفك وصن لسانك فانى لا أحب الفاسقين يا داود قل لبنى اسرائيل لا يقعوا فى أعراض الناس فان الوقيعة فيهم تزيد القلب عمى وموتا طوبى لمن نظر فى عيب نفسه فأصلحه يا داود انقطع الىّ انكس لك رؤس الملوك وألبس وجهك المهابة يا داود طهر ثيابك الباطنة فان الظاهرة لا تنفعك عندى (وقد سمعته) رحمه الله يقول لتاجر تحولت عنه الدنيا أبشر بخير فان الله تعالى قد أحبك فقد أوحى الله تعالى الى داود عليه الصلاة والسلام يا داود لا تقوم الساعة حتى يذل الاشراف وترتفع الادلة وتهجر كتابى فلا يتلى ويكثر فيه رزق العاصى والفاجر ويقل فيه رزق المؤمن الطائع الفاضل فاذا صار الامر الى ذلك حببت الدنيا الى أهل ذلك الزمان ومنعتهم من محبة الآخرة فاذا فعلوا ذلك سلطت عليهم سيف النقمة وأعليت أسعارهم وجعلت الصغير لا يوقر الكبير وابتليتهم بالفسق والفجور وذلك جزاؤهم عندى يا داود كم من لسان فصيح أخرسته عن النطق بالشهادة عند الموت لكثرة وقيعته فى الناس يا داود قل لبنى اسرائيل ان لم تهجروا آباءكم وأخاكم وولدكم من أجلى فلا أقبل لكم صلاة يا داود قل لبنى اسرائيل يردوا التبعات التى عليهم قبل الموت فانى أقسمت على نفسى ان أبعث صاحب التبعات وفى عنقه طوق من نار يكويه بكل تبعة كية يا داود ليس كل من صلى قبلت صلاته ولا كل من عبد رفعت عبادته * وقد سمعته رحمه الله يقول لبعض الاخوان عليك يا ولدى بتقوى الله واياك أن تعصى ربك عز وجل وتقول ربنا غفور رحيم فان ذلك من تسويلات النفس وكيد ابليس وقد أوحى الله تعالى الى داود عليه الصلاة والسلام يا داود قل لبنى اسرائيل كم من ليلة جاهرتمونى بالمعاصى ثم أصبحتم تخادعونى بالاستغفار من غير اقلاع عنها كأنكم تعاملون من يغيب عنه مكركم وخداعكم يا داود قل لبنى اسرائيل صونوا أحداقكم فكم من ناظر نظر الى أخيه وهو فى فاحشة فأشاعها عنه وقد أتى هو أكبر منها ولم أفضحه ولو شئت لفضحته يا داود من طلب العلم لغير وجهى أدخلته النار يا داود من عمل بالمعاصى وسترها عن المخلوقين هل يقدر على سترها منى يا داود طوبى للذين يستحيون منى أن يعصونى فى الخلوات يا داود اصحب النواحين واترك البطالين وقل لعصاة بنى اسرائيل كيف تستحيون من عبادى دونى

لاتحصى فى مجلدات ولا تستقصى الا بعد شرح جميع العلوم الخفية وذلك مما لارخصة فى ذكره وقد

وجلالى لكم أظهر من جلالتهم لانى سيدهم (وقد سمعته) رحمه الله مرة أخرى يقول لشخص لا يعيش له ولد قل الحمد لله الذى لم يشغلنى بأهل ولا ولد فقد أوحى الله تعالى الى داود عليه الصلاة والسلام يا داود لا تطلب الاولاد فليس كل الاولاد ينفع رب ولد أشغل والده عن ربه وأشعل عليه قبره نارا يا داود احفظنى بظهر الغيب أحفظك فى الملأ وأكثر من ذكرى أكثر لك من الرزق يا داود لا تبغ على من بغى عليك فتتخلف نصرتى عنك يا داود قل لبنى اسرائيل كم تعلمون ان الدنيا فانية وتتعبون جوارحكم فى جمعها يا داود قل لبنى اسرائيل أما يخشى احدكم اذا عصى أن أقبضه على تلك الحالة قبل التوبة فيلقانى وأنا غضبان عليه فأورده النار وبئس المصير يا داود لو شئت لامرت السماء أن تقع على العاصى أو أمرت الارض أن تبتلعه يا داود قل لبنى اسرائيل اذا أردتم المعصية فاذكروا صولة الزبانية وضيق الاغلال فى طباق النيران يا داود لو اطلع عبادى على غضبى عليهم اذا عصونى لماتوا ولكنى اختبأت عنهم غضبى رحمة بهم يا داود ضع خدك على التراب وناجنى يا داود أبوك آدم من أكرم الناس علىّ لم يمس فرجه الحرام ولم يقتل نفسا وانما نهيته عن الاكل من الشجرة فأكل منها ناسيا فتطايرت الحلل من على بدنه وسقط التاج عن رأسه وأوقفته موقف الندم فكيف بمن مس فرجه حراما وقتل نفسا سبحانى ما أرأفنى بكم أيها الخلق وما أقل حياءكم منى تعصونى وعينى ترعاكم ولو أن أحدا من عبادى رآكم لذبتم حياء منه وأنا أولى بالحياء يا داود مالى أراك مطمئنا لا تبكى مع الباكين ولا تنوح مع النائحين فلو رأيت النار وزبانيتها وما أعددت للزناة فيها لذبت كما يذوب الرصاص فى النار يا داود لخدمتك على وجهك فى الثلج أهون عليك من مناقشتى لك فى الحساب وعزتى وجلالى لأوقفن الخصوم وأسأل أحدهم عن وزن الخردلة يا داود قل لبنى اسرائيل ترمقون وترنون بأعينكم كأنكم تظنون أنى لا أراكم يا داود من عصانى فى الخلوات أطلعت المخلوقين على مساوى أعماله وفضحته وأدخلته النار انتهى ما سمعته من مواعظ الزبور وقد جمعت مواعظها كلها فى جزء فاطلبه والحمد لله رب العالمين ۞ وليكن ذلك آخر كتاب تنبيه المغترين أواخر القرن العاشر على ما خالفوا فيه سلفهم الطاهر والحمد لله الذى هدانا لهذا وما كنا لنهتدى لولا أن هدانا الله ولما شرعت فى خطبة الكتاب كنت فى حصر عظيم من عدم وجود المواد التى أستمد منها فى الكتاب فدخل على شخص بكتاب عتيق مخروم من الاول بخط كوفى تاريخ كتابته خمسمائة سنة وشئ فوجدته مشحونا بأحوال السلف الصالح من الصحابة والتابعين ورأيت مؤلفه يروى عن وكيع بن الجراح من أقران الامام مالك رضى الله عنه ففرحت بذلك أشد الفرح فشيدت به أخلاق هذا الكتاب وكأن من يطالعه صحب الصحابة والتابعين وتابع التابعين ورأى أقوالهم وأفعالهم وورعهم وزهدهم وخوفهم وخشيتهم رضى الله عنهم أجمعين وقد ذكرنا فى خطبته ان من طالعه بانصاف رأى نفسه قد انسلخت من أخلاق القوم كما تنسلخ الحية من ثوبها فنسأل الله تعالى من فضله أن ينفع به الاخوان ومن بعدهم ويختم لنا ولهم بالحسنى وأن يجعل آخر كلامنا من هذه الدار أشهد أن لا اله الا الله وأشهد أن محمدا رسول الله وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ونذكر من كلام المؤلف من الاخلاق المتبولية من آخر الكتاب الخاتمة وما يتعلق بها ان شاء الله تعالى وكان الحسن البصرى يقول ان الله عز وجل يقول لآدم أنت يوم القيامة عدل بين ذريتك وبينى فمن رجح خيره على شره مثقال ذرة دخل الجنة حتى تعلم أنى لا أعذب الا ظالما لنفسه وكان مجاهد يقول فى قوله تعالى تتقلب فيه القلوب والابصار أن تقلب القلوب هو انتزاعها من أماكنها وأن تقلب الابصار هو أن تنقلب من الكحل الى الزرقة ومن الابصار الى العمى اه والحمد لله رب العالمين

﴿ومن أخلاقهم رضى الله تعالى عنهم﴾ حملهم لمن يكرههم على أنه انما يكرههم بحق وصدق خوفا من تزكية نفوسهم وتبرئتهم من العيب اذا حملوهم على أنهم كرهوهم بغير حق وقد كان أخى الشيخ أفضل الدين رحمه الله اذا بلغه عن أحد أنه يكرهه وينكر عليه يقول والله ان قلب هذا نير الذى أدرك نقصى الباطل وما أنا منطو عليه من الفواحش التى أخادع بها ربى عز وجل اه وكذلك كانوا يناقشون نفوسهم اذا كرهت هى أحدا من المسلمين ويقول أحدهم لنفسه ان كراهتك لاخيك بغير حق ولم لا حملتيه على المحامل الحسنة فيكون أحدهم على نفسه اذا كرهها أحد أو كرهت هى أحدا وعلى ذلك درج السلف الصالح كلهم فكانوا يتهمون نفوسهم فى كل شئ ادعت الصدق فيه من مقام أوحال ويقول أحدهم لنفسه هى اننى أكذب عليك فى نسبتك الى الرياء

يجوز اظهارها حتى لا يقع المغرور فيها وبالله التوفيق وهو حسبى ونعم الوكيل ولا حول ولا قوة الا بالله

والنفاق مثلا فانه تقولين فى هذا الغريب الذى وصفك بذلك فانه لا يجوز لك نسبته الى الكذب الا بطريق شرعى وليس معك طريق وقد كان مالك بن دينار رحمه الله يقول مكثت سنة ونفسى تنازعنى فى دعوى الاخلاص وأنا أقول لها تكذبين حتى مررت يوما فى أزقة البصرة فاذا بامرأة تقول لاخرى ان أردت أن تنظرى الى رجل مراء فهذا مالك بن دينار فانظرى اليه قال مالك ففرحت الذى انتصرت على نفسى وقلت لها يا نفس اسمعى لقبك القبيح من هذه المرأة الصالحة اه وكان بعد ذلك يقول من أراد أن ينظر الى رجل مراء فلينظر الىّ وكان الفضيل بن عياض رحمه الله يقول لأن أحلف انى مراء أحب الىّ من أن أحلف أنى است بمراء وكان كثيرا ما يعاتب نفسه ويوبخها ويقول كنت يا فضيل فى شمو بيتك فاسقا عاصيا وصرت فى كهولتك مرائيا منافقا والله للفاسق والعاصى أخف اثما عند الله من المرائى والمنافق لان العاصى ينتظر من الله المغفرة ولا كذلك المرائى والمنافق لانه ذنب قل أن يشعر به صاحبه حتى يتوب منه فاعلم ذلك والحمد لله رب العالمين

﴿ومن أخلاقهم رضى الله تعالى عنهم﴾ ذكرهم لمناقب أقرانهم الذين يكرهونهم ويحسدونهم ولا يصدهم حسدهم لهم وعداوتهم عن ذكرهم بخير وقد كان بين عمرو بن العاص وخالد بن الوليد رحمهما الله بعض شئ فذكر واعمرا عند خالد يوما فأثنى عليه خيرا فقيل له انه يكرهك فقال ان الذى كان بيننا لم يبلغ الى ديننا اه وقد تخلقت أنا بذلك بحمد الله وذكرت مناقب أعدائى وحسادى من الفقراء والعلماء بالنظر الى جانبهم لا الى جانبى فانى لا أعادى أحدا من المسلمين لحظ نفسى وانما هم الذين يعادونى لعدم تظاهرى لهم بما يوجب العداوة من ترك صلاة أو شرب خمر أو تعاون الناس اذا ذكروا بالنقائص من ورائهم أو مزاحمتهم فى أمور الدنيا ونحو ذلك هذا مع شدة عداوتهم لى وقد جعلت ذلك كالبرهان على عناية الله تعالى بى فان غالب الناس لا ينشرح لذكر اسم عدوه على لسانه فضلا عن أن ينشر محاسنه بين الاقران وقد ذكرنا فى كتاب المنن جملة من ايذائهم لى فبعضهم سعى فى قتلى مرات وبعضهم سعى فى اخراجى من مصر وبعضهم دس فى كتبى عقائد مخالفة لاهل السنة والجماعة وأشاعها عنى فى مصر والحجاز كما أشرنا اليه فى خطبة هذا الكتاب وبعضهم افترى علىّ عند الباشا على الوزير باشة مصر أمورا لا ينبغى لمؤمن أن يتلفظ بها ومدار جميع الاذى الذى وقع لى من ثلاثة أنفس من أهل مصر ممن ينسب الى العلم والصلاح وقد درج الثلاثة الى رحمة الله وأبرأت ذمتهم فى الدارين وانما ذكرت ذلك لتتأسى بى الاخوان فى تحمل الاذى من أهل عصرهم مع أن هؤلاء الثلاثة الانفس كانوا يكره بعضهم بعضا ولكن اجتمعوا كلهم علىّ لمزاحمتى لهم بالدعوى فى اسم الصلاح والعلم لا غير فصنعوا الى الاذى على صنوف وسائر أهل مصر بردوسلام علىّ وقد بالغت فى ذكر مناقب هؤلاء الثلاثة فى طبقات العلماء والصوفية وذكرتهم بأحسن الذكر بضد ما فعلوه معى اظهارا لما منّ الله تعالى به علىّ من العفو والصفح والمسامحة وليقتدى بى الاخوان ولم أعلم أن أحدا سبقنى الى مثل ذلك من اقرانى بل المنقول عن بعضهم مقابلة الاعداء بنظير ما فعلوا والحمد لله الذى خلقنا بهذا الخلق المحمدى وجعلنا ممن لم يجز بالسيئة السيئة ولكن يعفو ويصفح والحمد لله رب العالمين الغفور الرحيم

﴿ومن أخلاقهم رضى الله تعالى عنهم﴾ طرح نفوسهم بين يدى الله تعالى اذا اطلعوا من طريق كشفهم على وقوعهم فى شئ من المعاصى فى المستقبل وتبريهم من حولهم وقوتهم ويصيرون يقولون فى دعائهم وفى سجودهم وغيره اللهم ان كان ما اطلعت عليه قد حق به التقدير الالهى فاسترنا فيه بين الناس ولا تؤاخذنا به فى الدنيا ولا فى الآخرة صدقة من صدقاتك علينا وان لم يكن ذلك قد حق به التقدير الالهى فنسألك من فضلك أن تزيله من شهودنا فانه قد كدرونتنا فان الله تعالى ربما أجاب دعاء العبد وستره وغفر له أو محاه من ألواح المحو والاثبات الثلثمائة وستين لوحا وايضاح ذلك من أتى المخالفات بحكم التقدير الالهى من غير ميل ولا شهوة ربما يكون أخف عقوبة ممن أتاها بالميل والشهوة وكان بعضهم يقول فى سجوده اللهم انك تعلم عجزى عن رد شئ من أقدارك النافذة فىّ فاغفر لى ما قد جنيته صدقة من صدقاتك علىّ يا أرحم الراحمين فانه لا يغفر الذنوب الا أنت فاعلم ذلك واعمل عليه والحمد لله رب العالمين

﴿ومن أخلاقهم رضى الله تعالى عنهم﴾ عدم اتعاب سرهم فى تمنيق ألفاظ فى تأليف وكثرة تحريره الا بنية صالحة ليمدحهم الناس على ذلك ويقولون ما قصر فلان فى هذا التأليف واعلم يا أخى أن البشر ولو بالغ فى تحرير

كتابه

العلىّ العظيم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين

كتابه حتى حرره أشد تحرير فلا بد له غالبا من نسيان شرط للمسئلة فى بعض الاوقات أو اطلاق فى محل التفصيل قال تعالى ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا وكان الشيخ محيى الدين بن العربى رضى الله عنه يقول ما صنفت كتابا قط عن تدبير ولا اختيار انما كنت أكتب فى مؤلفى ما يلهمنى الله تعالى اياه وكان سيدى على الخواص رحمه الله يقول سبب كون كلام البشر لا يسلم من الخطا أو التحريف أو التناقض عدم اليقظة الدائمة فلذلك كان يقع فى الغفلات والسهو وكان سيدى أحمد الزاهد رضى الله عنه يقول من الادب أن لا يطلب العبد عدم الاعتراض عليه مطلقا بل يهرب من مضاهاة كلام الله عز وجل ما أمكن اه

تم طبع هذا الكتاب بعونة الملك الوهاب بمطبعة راجى عفو اللطيف محمود موسى شريف
وذلك فى سنة ١٣١٦ هجريه على صاحبها أفضل الصلاة وأزكى التحيه

﴿فهرست كتاب تنبيه المغترين﴾



تمت الفهرست




